الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة (01)

كلية العلوم والإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

قسم أصول الدين

العصمة وإثبات النبوة

عند ابن خُمَيْر السبتي (ت 614هـ)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة إسلامية

تقديم الطالب:

عمارة محمد

إشراف الأستاذ الدكتور: العربي بن الشيخ

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
فؤاد بن عبيد	أستاذ	جامعة باتنة –1–	رئيسا
العربي بن الشيخ	أستاذ	جامعة باتنة –1–	مقررا
عبد الكريم رقيق	أستاذ	جامعة باتنة –1–	عضوا
عبد الرحمن تركي	أستاذ	جامعة الوادي	عضوا
صالح بوجمعة	أستاذ محاضر – أ–	جامعة الأمير قسنطينة	عضوا
بلخير عمراني	أستاذ محاضر – أ–	مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة الأغواط	عضوا

السنة الجامعية: 1439- 1440هـ/ 2017-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة (01)

كلية العلوم والإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

قسم أصول الدين

العصمة وإثبات النبوة

عند ابن خُمَيْر السبتي (ت 614هـ)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة إسلامية

تقديم الطالب: عمارة محمد

إشراف الأستاذ الدكتور: العربي بن الشيخ

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
فؤاد بن عبيد	أستاذ	جامعة باتنة -1-	رئيسا
العربي بن الشيخ	أستاذ	جامعة باتنة -1-	مقررا
عبد الكريم رقيق	أستاذ	جامعة باتنة -1-	عضوا
عبد الرحمن تركي	أستاذ	جامعة الوادي	عضوا
صالح بوجمعة	أستاذ محاضر – أ-	جامعة الأمير قسنطينة	عضوا

بلخير عمراني	أستاذ محاضر – أ–	مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة الأغواط	عضوا

السنة الجامعية: 1439– 1440هـ/ 2017–2018م

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين (رحمهما الله)

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم

إلى عائلة عمارة

إلى الزوجة والابن (أحمد خليل)

أهدي هذا الجهد العلمي

شكر وتقدير

بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ.

أشكر الله تعالى على توفيقي لإتمام رسالتي ثم عميد الكلية بن حرزالله وأستاذي المشرف عليها الدكتور العربي بن الشيخ وكل من أعانني عليها من الزملاء والأقارب خالدي وريمي وفرحات وأصحاب المكتبات العامة والخاصة أحمد وإبراهيم والكاتب حوبه ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد خاتم النبيين وبعد:

تعد النبوات من أهم مسائل العقائد التي شغلت بال الأمم السابقة في القديم والحديث؛باعتبار أنها تحدث تغييرا في المجتمعات في جانب الاعتقاد، مما يؤثر على مسار تلك الأمم وتغيير منهج حياتها وولائها في الجوانب الروحية والاجتماعية،ورأس القيادة مما يجعل قادة المجتمعات يتصدون لصاحب النبوة والرسالة؛ لأنها تعتقد أنه يأخذ زمام القيادة من يديها، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في تصدي قادة المجتمعات لأي نبي يأتي إليهم لدعوتهم إلى طريق الحق، وفي حالة تكذيبه وعدم قبول دعوته ، فإن الله تعالى يعصمه من الناس، ويظهر بمميزات غير موجودة في البشر لتأييد دعوته، وأهمها المعجزات المؤيدة لدعوته.

وصفة العصمة أساس وعماد النبوة؛ لأن من شأنها أن تجعل الإنسان يعتقد بأن هذا النبي المرسل من ورائه قوة إلهية تدعمه وتؤيد دعوته للحق، وقد تحدث العلماء في جانب العقائد عن مسائل النبوات وخصصوا لها قسما خاصا باعتبارها أحد أصول الإيمان، ومن هؤلاء العلماء ابن خمير(علي بن أحمد)(550هـ-614هـ)،السبتي النسب، المغربي الانتماء، المالكي المذهب الأشعري العقيدة ،وهو أحد المتكلمين المغاربة؛ولكنه مغمور،وله مؤلفات في العقيدة خصصها لمسائل النبوات، وتحدث عنها في مؤلفاته منها كتاب (مقدمات المراشد إلى علم العقائد) و(تنزيه الأنبياء)، إلا أن ذلك الجهد القيم لم يحظ بالدراسة الوافية مما أسدل على الشخصية قلة البروز والشهرة في هذا الجانب، إلا أنه وقع اختياري على دراسة آرائه العقدية في الموضوع الموسوم بـ **(العصمة وإثبات النبوة عند ابن خمير السبتي)**.

أولا: إشكالية البحث

دراسة موضوع عصمة الأنبياء عند ابن خمير تقوم على الأهداف التي قصد تحقيقها في مصنفاته منها:

- رد الشبهات وتحديات القصاصين والوعاظ في زمانه فيما نسبوه إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك لتصويب عقيدة المسلمين في عصمة الأنبياء ومنه يمكن طرح إشكالية موضوع البحث: ما جاء به ابن خمير في طرحه لموضوع العصمة أهو مكمل ومبين لما جاء به سابقوه من علماء العقيدة من أهل السنة أو أنه مجدد طرح قضايا لم يسبقه فيها غيره؟
- كما يمكن بيان هذه الإشكالية في الأسئلة التالية:
- ما هو مفهوم النبوة وما هي أسسها عند ابن خمير؟
- ما هو مفهوم العصمة وما هي أنواعها عند ابن خمير؟
- هل صفة العصمة تكون قبل النبوة وبعدها أم بعدها فقط؟
- ما هو منهجه في الرد على الشبهات المثارة حول العصمة؟
- وهل صفة العصمة كسبية أم وهبية؟
- هل يقع الخطأ من قبل النبي ، وهل يقترف الذنوب؟
- وما هي طرق إثبات العصمة والنبوة عند ابن خمير؟

وفي الأخير يمكن البحث في تراث ابن خمير حتى تتجلى حلول الإشكالية.

ثانيا: أهمية الموضوع: تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

- إبراز آراء ابن خمير في الجانب العقدي في قسم النبوات واستثمار آرائه في دحض الشبهات حول الموضوع وبيان أدلته في إثبات النبوة والعصمة .
- إبراز دلائل النبوة عند ابن خمير من خلال صفة العصمة .
- إظهار ما انفرد به ابن خمير عن غيره من العلماء في جانب النبوة.

- إظهار شخصية ابن خمير والتعريف بآرائه العقدية.

ثالثا: الأهداف: يمكننا تلخيص أهداف البحث فيما يلي:

- إظهار موقف ابن خمير من القادحين في صفة العصمة للنبوة.
- إخراج آراء ابن خمير في هذا الموضوع في حلة عصرية تتماشى وما ظهر من مواقف وتفسيرات وتأويلات في جانب النبوة.
- باعتبار موضوع النبوة أحد أصول الدين وما يثار حول النبوة عامة من شبهات أهل الكتاب والفرق والقصاصين والمتصوفة والوعاظ وبعض المؤرخين وبعض المفسرين، وما لحق من إساءة للأنبياء في شخصهم ورسالتهم، وخاصة بنبوة سيدنا محمدﷺ منذ البعثة إلى وقتنا هذا، ومن أصحاب المذاهب الحديثة وبوسائل حديثة كالرسومات المسيئة والأفلام التي لا تليق بمقامه، وما صور عن غيره من الأنبياء عليهم السلام كالمسيح ويوسف عليهم السلام فهذه الدراسة جزء من الدراسات السابقة في العصمة، والتي تشير إلى تنزيههم عما نسب إليهم، وترد على الشبهات الواردة.

رابعا: المنهج المتبع في البحث

قد استعملت منهج الاستقراء لتجميع آراء ابن خمير في موضوع عصمة الأنبياء من خلال مصنفاته لدراستها ثم تطبيق المنهج في الخطوات التالية:

- الخطوة الأولى (التقصي والجمع)

وتتمثل في القيام بتتبع أقوال ابن خمير من خلال مصنفاته في موضوع العصمة وإثبات النبوة وتجميعها.

- الخطوة الثانية (الترتيب والتقسيم)

حيث نقوم بترتيب أقواله التي جمعت سابقا وتقسيمها حسب خطة البحث وذلك لتوظيفها في مواضعها من البحث.

- الخطوة الثالثة (الدراسة والتحليل)

حيث أقوم بدراسة أقوال ابن خمير وتحليل معانيها والاستدلال عليها من القرآن والسنة مع الاستئناس بأقوال العلماء في المواضع المناسبة من البحث.

وقد استعملت في البحث المنهج الوصفي لبيان طروحات ابن خمير ووصفها لتحديدها تحديدا واضحا، كما لا تخلو مستخلصات المتوصل إليها من خلال تطبيق المنهجين السابقين في هذه الدراسة من نقد.

خامسا: أسباب اختيار الموضوع: ونميز الأسباب إلى أسباب ذاتية وموضوعية:

- الميل إلى الدراسات المتعلقة بالشخصيات المغربية.
- الدراسة والبحث في المسائل المتعلقة بشخصية العلامة ابن خمير.
- الرغبة في إحياء التراث الإسلامي .
- إظهار أعلام المغاربة المغمورين في علم الكلام .
- عدم وجود رسائل علمية تناولت الموضوع عند ابن خمير.
- بيان منهج ابن خمير في إثبات النبوة والعصمة.
- عرض طرق ابن خمير في دحض الشبهات المثارة حول عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبيان آرائه من مواقف بعض القصاصين والوعاظ وبعض المفسرين والمؤرخين حول أقوالهم التي وردت بشأن قصص الأنبياء عليهم السلام في موضوع العصمة وخاصة الشبهات المثارة حولها.

سادسا: الدراسات السابقة حول آراء ابن خمير العقدية

لم أقف على دراسة علمية أكاديمية لآراء ابن خمير في حدود معرفتي وإطلاعي، ولا حتى في أطروحات الدكتوراه ولا رسائل الماجستير أو مذكرات الماستر والليسانس، إلا ما حقق له من مؤلفات ككتاب (مقدمات المراشد إلى علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين) تحقيق أحمد عبد الرحيم السائح مع توفيق علي وهبة،(الناشر مكتبة الثقافة الدينية،ط1/2008م –

القاهرة)،وكذلك تحقيق جمال علال البختي،ط1،مطبعة الخليج العربي، تطوان،المغرب،2004 وكتاب (تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء) تحقيق كل من رضوان الداية (الناشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1/1990 ولنفس الدار ط2/2007)وأحمد عبد الجليل الزيبي (الناشر دار ابن حزم ، ط1/2003م- بيروت)، أو ما كتبه الباحثون من مقالات علمية أو كتب تناولت آثاره وآراءه في مجال العقيدة والتصوف وهي كالآتي:

- الدكتور محمد بن شريفة في مقال علمي بعنوان (ابن خمير السبتي وآثاره)في مجلة دار الحديث الحسنية، العدد10، السنة 1991م، المملكة المغربية، ص14.

- الدكتور جمال علال البختي في مقال علمي بعنوان(الفكر العقدي بين السلفية والأشعرية دراسة الإنتاج الفكري لابن خمير السبتي ورصد مواقف السلف منه) نشر في صحيفة التجديد المغربية في 2002/08/08، المملكة المغربية.

- الدكتور جمال علال البختي في مقال علمي بعنوان(الموقف من علم الكلام في المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، موازنة علمية بين موقفي ابن عبدالبر الأندلسي وابن خمير السبتي) مجلة الإبانة وهي مجلة علمية محكمة متخصصة في الدراسات والبحوث العقدية، تصدر عن مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية المؤسسة من قبل الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، العدد المزدوج2- 3، جوان 2015 ص15-47.

- الباحث منتصر الخطيب، مقال بعنوان (آراء ابن خمير السبتي في مشروعية علم الكلام وإيمان العوام)، نشر في الموقع الإلكتروني لمركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية المؤسسة من قبل الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية.

- الدكتور جمال علال البختي في كتاب بعنوان(الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، دراسة تأريخية وقراءة تحليلية في مواقف ابن خمير السبتي من التصوف

والمتصوفة مع المقارنة بمواقف ابن عبد البر الأندلسي)ط1، مطبعة الخليج العربي تطوان المملكة المغربية، 2004م.

والمحققون لم يدرسوا آراء ابن خمير إلا تحقيقا للنص أو تخريجا لأحاديثه ووصفا لابن خمير ومؤلفاته، ولم يتعرضوا لقضية عصمة الأنبياء، فيكون بحثي بهذا دراسة غير مسبوقة في موضوع عصمة الأنبياء عند ابن خمير دراسة تحليلة نقدية لآرائه.

سابعا: أهم المصادر المعتمدة في الدراسة

المصادر الأساسية في الدراسة تتمثل في آثار ابن خمير،ومصادر أخرى خاصة بموضوع النبوة وهي:

أ. مصنفات ابن خمير:

- كتاب (مقدمات المراشد إلى علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين) تحقيق أحمد عبد الرحيم السائح مع توفيق علي وهبة،(الناشر مكتبة الثقافة الدينية، ط1 /2008م- القاهرة).
- كتاب(تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء) تحقيق أحمد عبد الجليل الزيبي (الناشر دار ابن حزم، ط2003/1م- بيروت).

ب.مصنفات أخرى:

- كتاب الأربعين في أصول الدين،للفخر الرازي،تح:أحمد حجازي السقا،دار الجيل،ط1 2004.
- عصمة الأنبياء، الفخر الرازي، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1981م.
- ابن تيمية أحمد-النبوات، تحقيق أبو عبد الله محمد بن العفيفي-ط1،مكتبة ابن عباس-مصر.
- الماوردي-أعلام النبوة-تحقيق سعيد محمد اللحام-ط1989/1-دار مكتبة الهلال بيروت.

- القاضي عياض، الشفاء لحقوق المصطفى، تحقيق: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة ط01-2009م
- شرح المقاصد، سعد الدين التفتزاني، تح: عبد الرحمان ميرة، عالم الكتاب،ط1998/2م بيروت.
- شرح مواقف الإيجي، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1998/1م.

ثامنا: الصعوبات

أما بالنسبة لصعوبات البحث منها قلة الدراسات لشخصية ابن خمير وخاصة الترجمة الشخصية لسيرته الذاتية فلم أجد ترجمة وافية لحياته وقل من ترجم له من مؤرخي المغاربة ولم يذكر في عداد أعلامهم أو أعلام القرن السادس الهجري والسابع ولم يذكر في تصنيف علماء العقدية والكلام ولذلك أهملت ترجمته إلا ما قل وندر كذلك لم أجد شروحات لمصنفاته في العقيدة أو حواشي عليها كما هو معهود عند العلماء في شرح المتون والتعليقات في الحواشي ولذلك اعتمدت على متن المصنفين فقط والرجوع إلى مصنفات علماء آخرين للوقوف على الآراء من التي تخدم موضوع الدراسة.

تاسعا: خطة البحث

تضمنت خطة البحث فصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة:

الفصل التمهيدي: بعنوان التعريف بشخصية ابن خمير ويحتوي على مبحثين الأول خصصته لدراسة البيئة التي نشأ فيها وما يحيط بها من الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية ومدى أثرها في تكوين شخصيته، والمبحث الثاني خصصته للسيرة الشخصية لابن خمير وتناولت فيه مولده وأسرته وتحصيله العلمي وذكر بعض شيوخه ثم نبوغه ومكانته العلمية وآثاره المتمثلة في تلاميذه ومصنفاته ومدى أثره على مجتمعه.

الفصل الأول:بعنوان مفهوم النبوة وأسسها عند ابن خمير حيث قسمته إلى مبحثين الأول مفهوم النبوة حيث تناولت فيه النبوة تعريفا وتحليلا ثم حاجة البشرية للنبوة ووظيفة النبوة في المجتمع ثم انتقلت إلى المبحث الثاني حيث تناولت فيه أسس النبوة عند ابن خمير وأحصيتها أربعة أسس وتناولتها شرحا وتحليلا واستدلالا.

الفصل الثاني: بعنوان مفهوم العصمة ومجالها عند ابن خمير حيث قسمته إلى مبحثين الأول مفهوم العصمة وخصائصها حيث تناولت فيه مفهوم العصمة عند ابن خميروخصائصها والثاني مجال العصمة والذي يتمثل في المجال الزمني والمجال الفعلي حيث تناولت فيه العصمة قبل النبوة وبعد النبوة وما ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام من الأفعال والأقوال والأعراض البشرية باعتبارها استثناء من المجال الفعلي للعصمة.

الفصل الثالث: بعنوان أنواع العصمة عند ابن خمير ورده على الشبهات المثارة حولها، وقسمته إلى مبحثين الأول ما تعلق بشخص النبيﷺ، حيث تناولت فيه أنواع العصمة وأحصيتها عند ابن خمير نوعين أساسيين، الأول باطني كالاعتقاد وما يتعلق بالقلوب والنفوس، والثاني ظاهري كالأقوال والأفعال، ثم رده على الشبهات المثارة حول العصمة،والمبحث الثاني ما تعلق برسالتهم حيث تناولت فيه ما تعلق بالتبليغ ودعوتهم وإجتهادهم وفتواهم ورد الشبهات حول ذلك.

الفصل الرابع:بعنوان طرق إثبات النبوة والعصمة عند ابن خمير حيث قسمته إلى مبحثين الأول تناولت فيه منهجه في إثبات النبوة والثاني في إثبات العصمة.

الخاتمة

عاشرا: أهم المصطلحات المستخدمة في البحث

أهم المصطلحات التي استعملتها في البحث هي كالآتي:

1. النبوة: ويقصد بها شخصية النبي عليه الصلاة والسلام ورسالته السماوية التي وصلت إليه بواسطة الوحي الإلهي لتبليغها إلى الناس حيث بينت مفهوم هذا المصطلح وما تعلق به وهذا المصطلح هو أكثر وجودا ودورانا في البحث.
2. العصمة: ويقصد بها حفظ الله تعالى لنبيه عليه السلام باطنا وظاهرا مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، حيث بينت مفهوم هذا المصطلح وما تعلق به وهذا المصطلح هو أكثر وجودا ودورانا في البحث.
3. المعجزة: ويقصد بها الأمر الخارق للعادة والذي يجريه الله تعالى على يد نبيه ﷺ وذلك لتأييد دعوته حتى يصدقه الناس حيث بينت مفهوم هذا المصطلح وما تعلق به وهذا المصطلح هو أقل وجودا ودورانا في البحث،باعتبار استخدامه في الفصل الأول عند الحديث عن أسس النبوة وهو إحدى أسسها، كذلك تم استخدامه في الفصل الرابع والأخير باعتباره أحد طرق إثبات النبوة والعصمة معا.

الحادي عشر: طريقتي في البحث

سلكت في بحثي هذا طرقا في جمع وتصنيف المعلومات وتوظيفها في مواضعها وتوثيقها من مصادرها وذلك كالآتي:

- بالنسبة للتراجم فقد ترجمت للأعلام غير المعروفين والمغمورين بالهامش عند ورود العلم بالمتن، أما المعروفين كالصحابة رضي الله عنهم والأعلام البارزين فأذكرهم في المتن دون ترجمة.
- بالنسبة لتوثيق الأحاديث وعزوها إلى مصادرها فقد اعتمدت على كتب الأحاديث في مقدمتها الصحاح ثم السنن ثم المصنفات الأخرى في الأحاديث.

- بالنسبة للتوثيق العلمي فقد اعتمدت على أصناف من المصادر والمراجع وذلك حسب طبيعة الفصل ففي التعريفات اللغوية اعتمدت على المصادر اللغوية المعروفة كالصحاح للجوهري، وفي التعريفات الإصطلاحية فقد اعتمد على المصادر الخاصة بتعريف المصطلحات كالتعريفات للجرجاني، وفي التراجم فقد اعتمدت على المصادر الخاصة بالتراجم كسير أعلام النبلاء للذهبي والأعلام للزركلي وطبقات المالكية كشجرة النور لمخلوف والديباج لابن فرحون، وفي الحديث عن عصر الشخصية وسيرته الذاتية فقد اعتمدت على كتب التاريخ التي أرخت للمغرب والأندلس كالذيل والتكملة للمراكشي وأزهار الرياض للمقري وقلائد الجمان لابن الشعار، وبالنسبة لتوثيق المصادر المصنفات الخاصة بذكر تآليف العلماء كمعجم المؤلفين لرضا كحالة وكشف الظنون لحاجي خليفة وأما كتب العقائد فقد إعتمدت على المصادر المتخصصة كشرح العقائد للتفتازاني وشرح مواقف الإيجي للجرجاني والكتب الخاصة بالعصمة كعصمة الأنبياء للرازي ورد الشبهات للشربيني وأما قصص الأنبياء فقد اعتمدت على بعض التفاسير كالقرطبي والكتب التي أرخت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقصص الأنبياء لابن الجوزي وأما السيرة المصادر المتخصصة في ذلك كسيرة ابن هشام، هذه أهم المعالم الأساسية في طريقة بحثي في الأطروحة.

الفصل التمهيدي

(التعريف بابن خمير السبتي)

المبحث الأول: عصر ابن خمبر السبتي

المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية والإقتصادية

المطلب الثاني: الحالة الدينية والثقافية والعلمية

المبحث الثاني: سيرة ابن خمير السبتي

المطلب الأول: النشأة الاجتماعية والعلمية

المطلب الثاني: الآثار والمنزلة العلمية

تمهيد

نتطرق في هذا الفصل إلى عصر ابن خمير السبتي وحياته حيث قسمت هذا الفصل إلى مبحثين الأول بعنوان (عصر ابن خمير السبتي) حيث تحدثت فيه عن عصره الذي عاش فيه والظروف المحيطة به من حالة سياسية وإجتماعية واقتصادية، وكذلك الحالة الدينية والعلمية والثاني بعنوان (سيرة ابن خمير السبتي) حيث تحدثت فيه عن نشأته الاجتماعية والعلمية وآثاره ومنزلته العلمية.

المبحث الأول

عصر ابن خمير السبتي

وقسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما: الأول بعنوان الحالة السياسية والإجتماعية والاقتصادية حيث سأتطرق إلى الحديث عن الحالة السياسية والمتمثلة في السلاطين الذين تداولوا على الحكم ونوعه كذلك الحالة الاجتماعية وما امتاز به عصر ومجتمع ابن خمير، كذلك الحالة الاقتصادية وهي مهمة في حياة المجتمعات وبيان كيف تفاعل ابن خمير مع هذه الحالات الثلاثة والمطلب الثاني بعنوان الحالة الدينية والعلمية، حيث سأتحدث فيه عن تدين المجتمع المغربي والمذهب الفقهي والعقدي السائد آنذاك ثم الحركة العلمية وسأذكر بعض العلماء الذين عاصرهم ابن خمير وما صنفوه في عدة علوم

المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

قبل الحديث عن العصر والحياة الشخصية لابن خمير لابد من التعريف بالمكان الذي ولد وعاش فيه والأحداث التي دارت فيه فقد نسب لبلدته وهي سبتة ولذلك يمكننا التعريف بهذه البلدة، ثم نتحدث عن الحالات الثلاثة في فروع ثلاثة سياسية، اجتماعية، اقتصادية.

التعريف بمدينة سبتة

وهي إحدى مدن المغرب الأقصى، تطل على البحر الأبيض المتوسط، وبها مرسى كبير جيد يقابل الأندلس، وتعتبر إحدى القواعد البحرية على عهد الموحدين، وهي مدينة حصينة

داخلة في البحر كأنها شبه جزيرة تشبه مدينة المهدية بتونس[1]، وبعد سقوط الأندلس وغرناطة وخروج المسلمين منها، أصبحت سبتة داخلة تحت الحكم الاسباني سنة1580م إلى يومنا هذا.[2]

وقال عنها الجغرافي الشريف الادريسي: "وكان فيها كثير من الجوامع والمدارس والعديد من الصناع ورجال الأدب والفكر، وكان فيها نحاسون مهرة يصنعون الشمعدانات والأطباق والمحابر وغيرها وكانت هذه المصنوعات تباع كما لو كانت من فضة وقد رأيت منها في إيطاليا وكان كثير من الطليان يعتقدون أنها صنعت في دمشق".[3]

كانت سبتة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين من أهم المراكز العلمية بالمغرب اشتهرت بعلمائها[4]، وينسب لمدينة سبتة عدة أعلام من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقاضي عياض(ت544هـ)، والجغرافي الشريف الإدريسي السبتي (ت562هـ)، وابن خمير السبتي (ت 614هـ).[5]

---

[1]- ياقوت الحموي، معجم البلدان،(د.ط)،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،1957م،183/3، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي،مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،تح: علي محمد البجاوي،ط1،دار الجيل بيروت، 1992م 688/2

[2]- محمد بن عزوز حكيم،سبتة متى وكيف إغتصبتها إسبانيا،(د.ط)،مطبعة الشيوخ،تطوان،المملكة المغربية،1985م،ص8

[3]- الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا،(د.ط)، نشر بيريس، الجزائر، 1907م، ص107.

[4]- محمد بن عزوز حكيم، ص8 وما بعدها، مصدر سابق

[5]- القاضي عياض: وهو أبو الفضل موسى ابن عيسى اليحصبي السبتي المالكي ولد سنة 476هـ، ينظر: ابن فرحون الديباج المذهب في أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي، (د.ط)، مكتبة دارالتراث، القاهرة، (د.ت)، ص168، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت)،392/1، إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، (د.ط)، دار الفكر، بيروت،1990م،(مطبوع مع سلسلة كشف الظنون لحاجي خليفة)، 805/5، الذهبي،سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وغيره، ط4،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، 212/20،- الشريف الإدريسي: هو محمد ابن محمد ولد سنة 493هـ بسبتة مؤرخ وجغرافي صاحب كتاب نزهة المشتاق توفي سنة 560هـ، الزركلي الأعلام،ط3، (د.م.ن)، بيروت 1968م، 250/7، ابن خمير: سيأتي الحديث عن سيرته الذاتية في المبحث الثاني من هذا الفصل،- قال المعتمد بن عباد:"اشتهيت أن يكون عندي من أهل سبتة ثلاثة نفر: ابن غازي الخطيب وابن عطاء الكاتب وابن مرانة الفرضي السبتي"، والمعتمد ابن عباد هو أبو القاسم محمد ابن اسماعيل ولي حكم وقضاء إشبيلية توفي سنة 433هـ ينظر: الذهبي، سير أعلام

الفرع الأول: النظام السياسي السائد في عصر ابن خمير

سنتحدث عن نشأة دولة الموحدين في عصر ابن خمير ونظامها السياسي

أولا: نشأة دولة الموحدين وخلفائها الخمسة الذين عاصرهم ابن خمير

ولد وعاش ابن خمير السبتي وتوفي في عهد دولة الموحدين، ولقد عاصر خمسة خلفاء من دولة الموحدين وهذه الدولة الموحدية التي قامت على أنقاض دولة المرابطين بالمغرب والأندلس وأوّل من مهد لتأسيسها ابن تومرت[1]، فبعد طلبه للعلم بالمشرق ورجوعه إلى المغرب بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة العقائد الفاسدة والدعوة إلى الرجوع لعقيدة التوحيد، ومنها اشتق اسم أتباعه وسمّوا بالموحدين والدولة التي تأسست فيما بعد سميّت هي كذلك بدولة الموحدين[2]، وقد ساندته قبائل المغرب وعلى رأسها قبيلة مصمودة وهي أكبر قبائل المغرب، حيث اجتهد ابن تومرت في القضاء على دولة المرابطين وحاربهم وتغلب عليهم وبايعه أغلب المغاربة سنة

النبلاء 527/17، والمراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح بن الهواري،ط1، المكتبة العصرية، بيروت 2006م، ص150.

[1]- هو محمد بن عبد الله صاحب مذهب الموحدين، ينظر: المعجب، ص126، مرجع سابق.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، 3/2-4،-عبد القادر قلاتي،الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط،ط1،دار القلم،دمشق،سوريا،2010م،ص131،-يوسف علي بديوي، عصر الدويلات الإسلامية(في المغرب والمشرق)من الميلاد إلى السقوط،ط1، دار الأصالة،الجزائر 2010م ص162،- معمر الهادي محمد القرقوطي، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص29 محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، (د.ط) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د. ت)، ص48 المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص150 وما بعدها، مصدر سابق

516هـ ومازال شأنه يعلو ودعوته تنتشر ونفوذه يبسط حتى توفي سنة 524هـ وخلفه عبد المؤمن بن علي[1]، وبايعه المغاربة سنة 524هـ ويُعدّ أول خليفة عاصره ابن خمير السبتي ودام حكمه من سنة 524هـ إلى سنة 558هـ ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين وواضع أسس حكمها، فقد فتح غرناطة سنة 551هـ، وقد كان سنّ شيخنا ابن خمير سنة واحدة وهو مازال رضيعا بين أحضان أمه لا يعي ما حوله من أحداث وذلك في عهد هذا الخليفة الذي استرجع مدينة المرية سنة 552هـ، وفي هذه الواقعة كان سن ابن خمير حوالي عامين وهي سنّ التوقف عن الرضاع وبداية الفطام.

في عهد عبد المؤمن قام ببناء مدينة الفتح بجبل طارق سنة 555هـ، وكان سن ابن خمير آنذاك خمس سنوات وهو صبي صغير حيث بدأ يتلقى تعلم حروف الهجاء، وحفظ قصار السور ومبادئ الدين حتى يشب عليها ويتمسك، بها وقد عاصر ابن خمير هذا الخليفة في مدة حكمه ثماني سنوات وكان ابن خمير آنذاك يتراوح بين سنة واحدة إلى ثماني سنوات، أي من سن الرضاع إلى سن الصبا، فكان طفلا صغيرا يلعب كما يلعب الأطفال وفي هذه السن قد بدأ يميِّز ما حوله وعادة سن الخمس سنوات بداية تعليم الصبيان وهذه عادة المغاربة فيتلقون الحروف الأبجدية في الكتاتيب والمدارس القرآنية والمساجد ويحفظون قصار السور ومنهم من يحفظ القرآن كاملا وسنه سبع أو ثماني سنوات وهي السنّ التي يتعلَّم فيها الأبناء المبادئ الأولية للدين وخاصة الطهارة والصلاة.

[1]- هو عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي التلمساني الجزائري مؤسس دولة الموحدين، ينظر: المعجب، ص146 وما بعدها، مصدر سابق

ففي عهد الخليفة الذي أرسى قواعد دولة الموحدين، وبناء نظامها وأعلن الجهاد ضد نصارى الأندلس وثوار بقايا المرابطين الذين لم يدخلوا تحت طاعة الموحدين المنتشرين بالأندلس وتونس والجزائر وليبيا.

وواصل عبد المؤمن فتوحاته في بلاد الأندلس فاسترجع مدينة قرمونة الأندلسية سنة 557هـ من يد الثائر ابن مرد ينش[1]، وفي هذه الواقعة يكون قد بلغ سن ابن خمير السابعة من عمره وهي السنّ التي يأمر فيها الآباء أبنائهم بأداء الصلاة ولاشك أن أبواه قد علّماه مبادئ الصلاة والطهارة وأمراه بأداء الصلاة لسبع سنين، كما هو معروف في ديننا وهي السن التي يبدأ فيها بتلقي مبادئ العلوم الدينية واللغة العربية بعد تمكنه من معرفة حروف الهجاء بالكتاتيب وحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم، أو حفظه كاملا لأن ذلك من عادات وتقاليد المغاربة الدينية وتعلم مبادئ السلوك والتوحيد وعلوم اللسان.

ففي عهد عبد المؤمن تحققت عدّة انتصارات وبسطت الدولة الموحدية نفوذها في بلاد الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى إلى تونس وطرابلس وبرقة حتى توفي عبد المؤمن يوم الأحد 27 جمادى الثانية سنة 558هـ[2]، وخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف[3]، حيث بويع في شعبان 558هـ وكان عالما ولقب بأمير المؤمنين وهو ثاني خليفة يعاصره شيخنا ابن خمير السبتي فعند توليه الخلافة كان قد بلغ ابن خمير سن الثامنة وهو صبي صغير ومازال يتلقى مبادئ الدين وعلومه الأولية ويعكف على حفظ القرآن الكريم لأنها سنّ التمييز وطلب العلم، وبعد تنصيب الخليفة الثاني

[1]- أخباره في المعجب، ص160، مصدر سابق

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، 2/3-4، مصدر سابق، المعجب، ص160، مرجع سابق، جمعية الموحدين، عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين، جمع وإعداد عز الدين ميدون،ط1، طبعة وزارة الثقافة، الجزائر، 2011م، ص12-14، صالح بن قربة عبد المؤمن ابن علي موحد بلاد المغرب، ط1، طبعة وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص11-20

[3]- أخباره في المعجب، ص174-191، مصدر سابق

والمسك بزمام الحكم بدأ في محاربة الثائرين منهم المتمرد ابن مردنيش،بالأندلس وبنوغانية[1]،بشرق الأندلس بجزر البليار والمغرب الأوسط والأدنى بتونس وطرابلس أين يوجدون كذلك، ومن جهة ثانية قام هذا الخليفة بمحاربة النصارى بالأندلس فقد فتح مرسية سنة 566هـ، وفي هذا الانتصار كان قد بلغ سن شيخنا السادسة عشرة وهي سن المراهقة التي تلي سن الطفولة المميزة والتي تبدأ من سنة السابعة إلى سن خمسة عشر سنة[2]، وسنه في هذه المرحلة تعتبر سن التحصيل العلمي لأصول الدين وفروعه ولاشك أنه يتابع الأحداث ويعي ما يدور حوله من أحداث عموما وأحداث دولة الموحدين خصوصا، لأنه قريب من الواقع المغاربي فكان يحلل الأحداث ويعلق عليها فعند الانتصارات يفرح ويطرب كما يفرح كل مسلم لانتصارات دينه ودولته،وفي المقابل عندما تكون أحداث محزنة فإنه يحزن لها ويتأسف على الهزائم والانتكاسات كما عبر هو بنفسه على عهده ومجتمعه[3]، ولا شك أنه يدعو لصالح المسلمين عموما بالانتصارات والتغلب على النصارى وفي عهد هذا الخليفة قرر أنه يغزو الأندلس فسار في جيشه نحو مدينة شنترين وهي أكبر قواعد غرب الأندلس وذلك لفتحها واسترجاعها من يد ملك قشتالة ألفونسو الثامن[4]، وذلك سنة580هـ وفي هذه المعركة أصيب الخليفة بسهم مسموم وحمل جريحا ونزلت الخسائر على جيش الموحدين وعاد أدراجه إلى المغرب وبعدها بيومين مات الخليفة وذلك في السابع من رجب عام

[1]- أخبارهم في المعجب، ص175، مصدر سابق

[2]- حيث قال:".... بعد إخراج سني الطفولية التي هي خمس عشرة سنة" ابن خمير، تنزيه الأنبياء، تح، أحمد عبد الجليل الزبيبي، ط1، دارابن حزم، بيروت، 2003م، ص 208

[3]- حيث قال: "ثم قيض الله لتلك الحكايات في هذا الوقت المنكوب شرذمة من المقلدة" المصدر السابق، ص47-48
وقال عن عصره كذلك: "...ولا مشفقة على دين الله تعالى ولا محتاط على أغمار المقلدة ولا زاجر ذا سلطان حتى كأننا ملة أخرى، ولا نغار على ذممهم ولا نرقب في أعراضهم إلا ولا ذمة..." المصدر السابق، ص49

[4]- أخباره في المعجب، ص175 وما بعدها، مصدر سابق

580هـ عن عمر يناهز السابعة والأربعون[1]،وكان عمر ابن خمير آنذاك قد بلغ الثلاثين وهي سنّ الشباب والعطاء وهذا بعد تمكنه من تحصيل العلم،ومازال يبحث ويكتب ويدون ما سمع وقرأ وما اطلع عليه من كتب الأولين والمعاصرين وقد عاصر ابن خميرهذا الخليفة لمدة اثنين وعشرين سنة، وهي كافية لمشاهدة ومعاينة أحداث دولة الموحدين بالمغرب والأندلس وكانت مليئة بالفتوحات وأكثر مدة عاصر فيها ابن خمير خلفاء الموحدين وبعد وفاته خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور وامتدت خلافته من سنة 580هـ إلى 595هـ وهو ثالث خليفة يعاصره ابن خمير لمدة خمس عشر سنة، وعندما اعتلى عرش الخلافة يكون قد بلغ سنه ابن خمير الثلاثين سنة فقد بويع في 19 ربيع الثاني عام 580هـ وفي عهده حارب بني غانية بالجزائر وتونس وذلك لخروجهم عن طاعة دولة الموحدين فقد واجههم بتونس ودخلها سنة 583هـ وفتح قابس وقفصة[2] وهي نفس السنة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبين واسترجع منهم القدس في رجب 583هـ، فكان انتصار بالمشرق وآخر بالمغرب وقد بلغ سن ابن خمير الثالثة والثلاثين فقد دخل سن الكهولة وهو في قمة العطاء العلمي وفي نفس الوقت مازال يبحث وينقب عن العلوم ويناقش الآراء ويكتب ويؤلف ويصنف في العلوم الدينية،وقد عاصر الناصر صلاح الدين الأيوبي وفرح بانتصاراته على الصليبيين.

في سنة 584هـ رجع الخليفة المنصور من تونس إلى مراكش ثمّ توجه لفتح مدن أندلسية تابعة لحكم الموحدين ففي سنة 587هـ استرجع مدينة شلب وقصر أبي دانس وعقد صلحا مع ملك قشتالة ألفونسو الثامن، وفي عهده وقعت معركة الأرك[3]، الشهيرة بين جيش الموحدين بقيادة المنصور وجيش ألفونسو الثامن ملك قشتالة سنة591هـ عندما بعث له الفونسو رسالة تهديد

[1]- المعجب، ص192 وما بعدها، معمر الهادي، ص145، مصادر سابقة

[2]- المعجب، ص192 وما بعدها، معمر الهادي، ص 184- 185، مصادر سابقة

[3]- الأرك: نسبة إلى الحصن بقرطبة، ينظر: المعجب، ص210، معمر الهادي، ص185، مصادر سابقة

فأعادها الخليفة إليه وكتب عليها قوله تعالى:﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، ثم غزا قرطبة سنة591هـ[2]وانتصر فيها الموحدون وقد عاصر ابن خمير هذه المعركة وكان عمره يناهز الواحدة والأربعين،ولاشك أنه طرق إلى مسامعه هذه الانتصارات ففرح لها وفي سنة 593هـ غزا الخليفة قشتالة وصالحه ملكها مرة ثانية، وفي سنة594هـ رجع الخليفة إلى مراكش وفي سنة 595هـ مرض ووافته المنية وبذلك يكون قد حكم لمدة خمس عشرة سنة هي نفس المدة التي عاصره فيها ابن خمير وعاصر أحداثها وهو في سن الكهولة وهي سن العطاء، وبعد وفاة الخليفة المنصور خلفه ابنه محمد الناصر (أبو عبد الله محمد بن يعقوب)، وذلك في سنة 595هـ وهو صغير السن ويعتبر الخليفة الرابع الذي عاصره ابن خمير، وفي عهد هذا الخليفة كثرت الاضطرابات وقامت عدّة ثورات منها ثورة بني غانية بتونس وذلك سنة 597هـ فأرسل إليها الخليفة جيشا من الموحدين لإخمادها وفي المقابل توجه إلى الأندلس واستولى على ميورقة وهي مركز حكم بني غانية وسلطانهم بالأندلس وذلك سنة 599هـ،وفي سنة 601هـ رجع إلى تونس لمحاربة بني غانية مرة أخرى فحاصر المهدية سنة 602هـ ثم فتحها وفي هذه السنة قضى على بني غانية نهائيا ولم تقم لهم قائمة بعد، ثم عاد سنة 604هـ إلى مراكش وفي هذه المدة استغل ألفونسو اشتغال الخليفة بمحاربة بني غانية فاستولى على عدة مدن أندلسية فجهز الخليفة جيشا لمحاربته بمنطقة العقاب ودارت معركة العقاب[3] والتي انهزم فيها الموحدون سنة 609هـ ثم عاد الخليفة إلى مراكش ومات مسموما في 10 شعبان 610هـ وقد دام حكمه خمسة عشرة سنة وهي نفس المدة التي عاصره فيها ابن خمير وعند وفاته كان سن شيخنا ابن خمير جاوز الستون سنة، ودخل سن الشيخوخة وهي آخر السنين التي بقيت من عمره قضاها يبحث ويناقش

[1]- سورة النمل، الآية 37

[2]- أحمد فرج عقيلان، أبطال ومواقف، ط1، دار القبلتين للنشر والتوزيع- السعودية، 2004م، ص85

[3]- نسبة إلى مكان بالجبل يسمى بالعقاب، المعجب، ص220، معمر الهادي، ص90، مصادر سابقة

المسائل ويدافع عن الدين ويعظ الناس ولم تبق له إلا أربع سنوات قضاها مع آخر خليفة عاصره وهو الخليفة الخامس يوسف الملقب بالمنتصر لدين الله (أبو يعقوب يوسف محمد الناصر) وقد تولى الخلافة سنة 610هـ وكان عمره 16 سنة وفي عهده ضعفت دولة الموحدين فالخليفة صغير السن وهو الخليفة الخامس والأخير الذي عاصره ابن خمير لمدة أربع سنوات ومن أواخر الحوادث التي عايشها ابن خمير انتصار المرينيين على الموحدين في موقعة(المشتعلة) سنة 613هـ وقد كان سنه آنذاك ثلاثة وستون سنة.

وتوفي ابن خمير قبل الخليفة بست سنين وفي عهد هذا الخليفة بدأت تظهر بوادر دولة بني مرين ووقع الصراع والتصادم بين الموحدين والمرينيين واستغل البرتغاليون الفرصة واستولوا على كثير من المدن الأندلسية، وتوفي الخليفة بضربة قرن بقرة لأنه كان يميل إلى الألعاب العنيفة، وذلك سنة 620هـ[1]، وهي آخر سنوات دولة الموحدين وبهذا يكون شيخنا ابن خمير عاصر خمسة خلفاء منها وعاش في ظلها أربعا وستين سنة من عمره قضاها في الدفاع عن الدين وخاصة أصوله وعقائده وحارب البدع والخرافات والتصوف المزيف ودافع عن الأنبياء عليهم السلام بمحاربة القصاصين الكذابين الذين يزيدون في سيرة الأنبياء بما لا يليق بهم.

ثانيا: النظام العام لتسيير دولة الموحدين

سنتحدث عن نظام إدارة دولة الموحدين من عدة جوانب تشمل النظام الإداري ونظام الجند والأسطول البحري.

أ. النظام الإداري:

[1]- ينظر: المعجب، ص237 وما بعدها، معمر الهادي، ص190 وما بعدها، مصادر سابقة

لقد اهتم الموحدون بتنظيم شؤون دولتهم من جانب تسيير مقاليد الحكم والإدارة العامة فللدولة علم وراية تحمل في الجهاد حمراء اللون[1]،وأطلقوا على رئيس دولتهم اسم ولقب أمير المؤمنين،واتخذوا للدولة عاصمة مقرا عاما للقيادة العامة وهي مدينة مراكش وأما بقية المقاطعات فجعلوا على كل مقاطعة واليا، ففي بلاد الأندلس جعلوا قرطبة وفي المغرب الأوسط مدينة بجاية وفي المغرب الأدنى تونس وفي ليبيا مدينة طرابلس.[2]

أما حدود الدولة الموحدية فتمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس وبرقة شرقا، ومن جبال الشارات (برانس) أقصى شرق الأندلس شمالا إلى صحراء إفريقيا جنوبا.[3]

وأما مناصب الدولة فالأعمال الإدارية موزعة بين مختلف الوزارات، فكان لمصالح المجتمع العامة وشؤونهم الاجتماعية وزيرا خاصا، وللمالية وبيت مال المسلمين وزيرا خاصا،وللكتابة والمراسلة وزير خاص،وللنظر في مظالم الناس وزير خاص،أما منصب القضاء فلا يتولاه إلا من كان بارزا في العلم كامل الأخلاق[4]، وكان للخليفة مجلس يحضره العلماء والفضلاء ويفتح بالقرآن الكريم وقراءة الحديث، وكان للإدارة أعوان ومساعدون وكتّاب وللشرطة رئيس يسمونه الحاكم.[5]

ب.نظام الجند:

اعتنى رجال دولة الموحدين بالجانب العسكري لأنه هو الحامي للحصون والمدن،والمدافع عن الدين، وهو من يقوم باسترجاع الأراضي التابعة للدولة الموحدية ويمنع العدو من الاستيلاء على الأراضي الإسلامية، حيث كان نظام الجند محكما وله تراتيب في ساحة القتال، وقد بلغ عدد

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، 6/2، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، 7/2

[3]- المصدر نفسه

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، 6/2، مصدر سابق

[5]- المعجب للمراكشي، ص200، عز الدين ميدون، ص125، صالح بن قربة، ص31-54 مصادر سابقة

الجند حوالي أربعة آلاف وثمانمئة ألف جندي وقد يصل أحيانا إلى مليون جندي وهم خليط من العرب والبربر، وعند المعركة يقسم الجيش إلى خمس فرق، فرقة تواجه العدو، وسلاحها المرازق الطوال المرتكزة على الأرض وهي أشجع الفرسان، وفرقة متترسة مدرعة،وفرقتان تحمل العصي والمقاطع والفرقة الرابعة في الوسط على شكل مربع تغار على العدو ثم تعود إلى الوسط وهناك الخاصين بحمل الراية الحمراء.[1]

وفي حالة خروج الجيش إلى الجهاد فله تنظيم خاص، حيث يتقدم الجند قائد الجيش ومعه سرية تحمل الراية الحمراء، ثم يأتي بعدها فوج من الوزراء والقضاة ثم يتلوهم الجيش بكتائبه متبوعا بأرباب الصناعات والحرف وأصحاب الحاجات أما إذا خرج معهم الخليفة أمير المؤمنين فيكون لموكبه شكل آخر يسمى بـ(الساقية)وهو موكب حافل يجتمع فيه أصحاب الطبول والألوية وهي تسير خلفه،[2] ومسؤول الحربية يسمونه (بصاحب السيف).[3]

ج. الأسطول البحري:

يعد الأسطول البحري لدولة الموحدين من أكبر الأساطيل في البحر الأبيض المتوسط وبشمال إفريقيا آنذاك فقد اهتموا بالبحرية لوقوع كثير من المدن المغاربية قبالة البحر، وكذلك الجزر الأندلسية فقد بلغت المراكب البحرية حوالي أربع مئة قطعة بحرية من كل الأصناف والأنواع وقد اتخذت بعض المدن البحرية كقاعدة بحرية للأسطول، وللبحرية رئيس خاص يسمونه

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، 7/2 يوجد نموذج منها بمتحف مدريد بإسبانيا، المصدر نفسه 6/2

[2]- المصدر نفسه 7/2

[3]- المعجب للمراكشي، ص174-191، عز الدين ميدون، ص125، صالح بن قربة، ص124-143 مصادر سابقة

بـ(الملند)،وجعلت فيها دار لصناعة السفن كمدينة سبتة[1] وهي التي ينتمي إليها شيخنا ابن خمير السبتي

الفرع الثاني: الحالة الاجتماعية

يقوم رجال دولة الموحدين بجمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، ومن الخلفاء[2]،من أقام دارا للأيتام وذلك لإيوائهم وهم من فقدوا آباءهم في المعارك والحروب، ويذكر أن الخليفة يعقوب بن يوسف وزّع في أحد أعياده نيفا وسبعين ألف شاة على الفقراء والمساكين والمحتاجين،ولقد أقبل اليهود والنصارى على الإسلام في عهده وكان هذا الخليفة يتفقد الأسواق ويأمر لكل يتيم في مواسم معينة بدينار وثوب ورغيف ورمانة[3]، وقد بنى مستشفى وكان يعود مرضاه كل جمعة.[4]

يتكون المجتمع الموحدي من ثلاث طبقات، الطبقة الأولى وهم السابقون الذين بايعوا المهدي ابن تومرت في البداية، والطبقة الثانية أتباع الموحدين والطبقة الثالثة هم العامة.

وأما موقفهم من أهل الكتاب فقد بلغ من شدة تعصب الموحدين للدين الإسلامي بأن أصدرت الدولة الموحدية أمرها لجميع من يوجد بالمغرب الإسلامي من أهل الكتاب أن يختار أيّ الحليّن إما الدخول في دين الإسلامي أو الرحيل فأغلبهم دخل في الدين والبقية هاجرت إلى بلدان أخرى.[5]

كان نظام شرطة العسس تحرس السكان ومسؤولة عن حمايتهم بالليل،وكانت المدن بها متاجر وتبقى مفتوحة حتى بداية الليل، وكانت المدن مضاءة ليلا بمصابيح تثبت على جدران المنازل والتي

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، 7/2، مصدر سابق

[2]- منهم الخليفة الثالث لدولة الموحدين يعقوب بن يوسف، أحمد فرج عقيلان، ص80، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص381

[4]- المصدر نفسه

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، 20/2، مصدر سابق

ينيرها موظفون خاصون،وكان لنظافة المدن والشوارع عمال خاصون، يجرون عربات القمامة التي تجرها الثيران[1]، وممّا ساعد على التطور الحضاري والاجتماعي سياسة التسامح الإسلامية التي كان يتبعها المسلمون تجاه أهل الكتاب، فكان التعايش السلمي بينهم إلا من اعتدى فلا يلوم إلا نفسه.

اتخذ الموحدون البياض رمزا خاصا بهم، ولبسوا المعاطف البيضاء في الحفلات الرسميّة كما استخدموا اللون الأخضر عند إعلان الجهاد[2]، وأحسنوا إلى الفقراء، وعطفوا على المرضى والعجزة، فقد شهد السكان رخاء عظيما أيام حكم الموحدين وتمتعت البوادي بالأمن ومال السكان إلى الأخذ بأسباب اللهو فشاع الطرب والغناء في بلاد الملوك نتيجة اختلاط السكان دخلت ألفاظ كثيرة في اللغة الدارجة إثر امتزاج اللهجات.[3]

الفرع الثالث: الحالة الاقتصادية

اهتم الموحدون في الجانب الاقتصادي بعدة جوانب مثل الزراعة والصناعة والتجارة فأما من ناحية الإنتاج الزراعي فكانت بلاد المغرب تنتج عدة أنواع من الفواكه والأزهار المفتحة اليانعة وكانت هذه التجارة المتبادلة بين المغرب والدول الأوروبية تمر عبر الملاحة البحرية فكانت الموانئ البحرية بالمغرب نشطة، ولقد بلغ الثراء على عهد الموحدين مبلغه فكانت الأموال تتدفق على الخزينة بالأثقال والأحمال فلقد بلغ خراج تونس لوحدها حوالي حمل مائة وخمسين بغلا لكل سنة[4]، وأما جانب الزراعة فقد غرست أنواع الأشجار المثمرة وأهمها الزيتون.

---

[1]- عبد القادر قلاتي، الدويلات الإسلامية، ص148، مصدر سابق

[2]- للمزيد عن ثورة جهاد الموحدين، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي 2/23-29، المعجب، ص136 وما بعدها، عز الدين ميدون، ص12 وما بعدها، صالح بن قربة، ص11 وما بعدها، مصادر سابقة

[3]- يوسف علي بدوي، ص197، المعجب، ص240، عز الدين ميدون، ص125، صالح بن قربة، ص55،مصادر سابقة

[4]- محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص119، مصدر سابق

وأما الجانب الصناعي فقد اهتموا بأصناف الصناعات والفنون والأعمال الهندسية والميكانيكية فعلى سبيل المثال مدينة فاس فقد بلغ عدد المعامل النسيجية ثلاثة آلاف وأربع وستين معملا للنسيج وقرابة أربع مئة حجرة للكاغد، ومائة وثمانية وثمانين دارا لصناعة الفخار ومائة وستة عشر دارا للصباغة وستة وثمانين دارا للدبغ، وسبعة وأربعين دارا لصناعة الصابون وداران لسك النقود، وإثني عشرة معملا لسبك الحديد والنحاس،وإحدى عشرة مصنعا للزجاج ومائة وخمسا وثلاثين فرنا للجير وكل هذه المعامل كانت خارج المدينة[1]، اعتنى الموحدون بصناعة التعدين، والإنتاج الميكانيكي والفني، وعرفت المناجم في ساحل المحيط الأطلسي، وكان الذهب يجلب من السودان والتوتياء والنحاس من السوس، والفضة من مكناس والزئبق من قرطبة، في عهد المنصور أسست مصانع الورق، ومصانع النسيج، وبرعوا في الصناعات الميكانيكية منها صناعة الآلات الحربية، وفي عهد الناصر كان بفاس حوالي(9082)دكانا و(86) مدبغة،و(12)معملا للنحاس و(113)مصبغة،و(472)رحى، و(136) فرنا للخبز و(400) معمل لصنع الورق.[2]

وأما النشاط التجاري فقد كانت بلاد المغرب تصدر بعض المنتجات إلى البلدان المجاورة منها الحبوب والصوف والحرير والشمع والورق والخشب، وكانت هناك علاقات تجارية مع دول أوروبا، حيث عقدت معهم معاهدات تجارية سنة 528هـ وكذلك سنة 548هـ وكذلك سنة 555هـ[3]، كذلك كانت لهم طرق تجارية في بلاد إفريقيا يتجه من شمال إفريقيا إلى جنوب صحراء السودان، ويعد الملح من أهم السلع التجارية المتبادلة بين المغرب والسودان فكانت المغرب غنية بمادة الملح

[1]- عبد الرحمان الجيلالي،26/2،المعجب للمراكشي،ص260،عز الدين ميدون،ص125وما بعدها،صالح بن قربة ص81-84 مصادر سابقة

[2]- يوسف علي بدوي، ص198، مصدر سابق

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، 28/2-29، مصدر سابق

وتتاجر بها نحو إفريقيا وكذلك أوروبا[1]، وأما حركة التصدير عبر الموانئ حيث صدرت طنجة الصوف والجلود والفواكه المجففة والشمع، والعسل، بينما استوردت الثياب والأسلحة، وكذلك التجارة المتبادلة بين المغرب والأندلس فقد كانت الأندلس تصدر إلى المغرب الأخشاب.[2]

وأما في جانب الفن المعماري فلقد تفنن الموحدون في البناء والتشييد لبناء المساجد والمدارس والمعاهد العلمية والمستشفيات والقناطر والثغور والقصور والحصون والقلاع والمنازل ومنها سور تلمسان الذي تمّ إنشاؤه سنة 566هـ[3]، وبناء المسجد الجامع بندرومة سنة 555هـ[4] ويمتاز فنّ العمارة عندهم بالفخامة والأناقة حيث أبدعوا في أشكال البناء والزخرفة وكان أغلب المهندسين والبنائين يؤتى بهم من الأندلس.[5]

والانتاج الزراعي والصناعي والحركة التجارية تعتبر هذه عوامل مشجعة للإنتاج الاقتصادي ممّا يؤدي إلى عيش الشعب في أحسن الأحوال، فقد كانت الدولة الموحدية في رغد من العيش ورفاهية ولها مصادر اقتصادية كثيرة.[6]

المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية

---

[1]- محمود السيد، ص 135، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 198، 199

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، 28/2، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- عبد الرحمان الجيلالي، 28/2، المعجب، ص250وما بعدها، عز الدين ميدون، ص93 وما بعدها،صالح بن قربة ص55 وما بعدها، مصادر سابقة

[6]- للمزيد ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، 23/2- 29، مقدمة ابن خلدون، (طبقة بولاق) 1274هـ، ص 179، محمد عبده حتامله، موسوعة الأندلس والمغرب العربي،ط1، دار المدار الثقافية، البليدة، الجزائر، 2009، 1118/2-1184

سنركز الحديث عن المذهبين العقائدي والفقهي في الحالة الدينية، والعلماء ومصنفاتهم في الحركة العلمية المنتشرة في عصر الموحدين وهو العصر الذي نشأ فيه ابن خمير.

الفرع الأول: الحالة الدينية

اشتهر المغاربة على عهد المرابطين بالمذهب السني في العقيدة تبعا لمذهب الإمام مالك في الاعتقاد كذلك تمسك المغاربة بالمذهب المالكي في الفقه، دون الخوض في المعقولات وخاصة علم الكلام أو الاجتهاد الفقهي خارج المذهب وامتازوا بحفظ القرآن وقراءته وممّا استحدثوه قراءة الحزب الراتب محافظة على القرآن الكريم والتي بقيت إلى عهدنا هذا.[1]

كان المغاربة معادين لعلم الكلام على عهد المرابطين، فقد قبح الفقهاء علم الكلام في مجالس الأمراء لكراهية السلف له، وأن الخوض فيه يؤدي إلى اختلاف العقائد واعتباره بدعة في الدين وهجروا من يخوض فيه وحرق مصنفات من يكتب فيه كما حرقوا كتب الغزالي التي جلبت من المشرق[2]، قال المراكشي[3]:"ودان أهل الزمان بتكفير كل من أظهر الخوض في شيء من علوم الكلام وقرر الفقهاء عند أمير المؤمنين تقبيح علم الكلام..."[4]،حيث ضيّق المرابطون على الخوض في الفلسفة وعلم الكلام، ونصبوا العداء لمن خاض في هذين العلمين، ومنها مؤلفات الغزالي حيث ظل المغاربة على المذهب السلفي في الاعتقاد بظواهر النصوص،والصفات دون تأويل، واشتهروا بالخوض في الفقه والحديث واللغة[5]، قال عنهم الذهبي:"...وقبل ذلك-أي قبل دخول

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، 22/2، مصدر سابق

[2]- أحمد أمين، ظهر الإسلام،ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010م، 34/3 - 66

[3]- هو عبد الواحد ابن علي التميمي ولد سنة 581هـ بمراكش مؤرخ توفي سنة 647هـ صاحب كتاب المعجب الزركلي، مصدر سابق، 326/4،ورضا كحالة، معجم المؤلفين،ط1،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت 1993، 210/6

[4]- المعجب، ص 131، مصدرسابق

[5]- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت 2005م، ص 422

المذهب الأشعري- كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه والحديث والعربية، ولا يخوضون في المعقولات..."[1]،فلما جاء الموحدون وعلى رأسهم ابن تومرت وقد تتلمذ على الغزالي فتح المجال للعلماء في الخوض في علم الكلام والفلسفة والتصوّف[2]،حيث دخل المذهب الأشعري إلى المغرب والأندلس على عهد الموحدين وقد رسمت دولة الموحدين بالمغرب المذاهب الثلاثة المعروفة لحد وقتنا الحاضر المذهب المالكي في الفقه والمذهب الأشعري في العقيدة،وطريقة الجنيد في التصوف، زيادة على ذلك رواية ورش في قراءة القرآن الكريم وهذا ما اشتهر به المغاربة عامة فيما يخص الدين وهناك شخصيات تأثر بها المغاربة في الجانب العقدي،وأبرزهم ثلاثة وهم الباقلاني، وابن فورك، والجويني، وهؤلاء الشخصيات الثلاثة مشارقة من أقطاب المذهب الأشعري ومن فحول المتكلمين حيث نقل عنهم المغاربة عن طريق الرحلة إلى المشرق ومما زاد تأثرهم بهم، وتعلقهم بهم أن مذهب هؤلاء في الفقه مالكي وأهل المغرب على مذهب مالك في الفقه، ومما شجعهم على النقل ازدواج المذهبين الفقهي والعقدي وكذلك تتلمذ المغاربة على مصنفاتهم في الفقه والعقيدة، وهؤلاء الثلاثة ذكرهم ابن خمير في مصنفاته[3]،وكثيرا ما ينقل عنهم الأقوال ويذكر مصنفاتهم بالاسم ويذكرهم كذلك بأسمائهم ويمدحهم ويزكّيهم في طريقة عرضهم للآراء والتحليل، والاستدلال على الأصول وسنذكر نبذة عن هؤلاء المشارقة الثلاثة[4]:

1. الباقلاني[5] المتوفى سنة 403هـ له مصنفات منها (التمهيد) و(الانصاف).

---

[1]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 557/17، مصدر سابق

[2]- أحمد أمين، 34/3- 66، مصدر سابق.

[3]- سنذكر ذلك عند الحديث عن المصادر التي أخذ منها في موضعها من المبحث الثاني من المطلب الثاني في هذا الفصل.

[4]- للمزيد ينظر: إبراهيم التهامي، مصدر سابق (مبحث دخول الأشعرية إلى المغرب العربي، ص 245 وما بعدها)

[5]- هو محمد بن الطيب متكلم أشعري صاحب كتاب الإعجاز، ترجمته في الزركلي، الأعلام، 46/7 مرجع سابق.

2. ابن فورك[1]: المتوفى سنة 406هـ له مصنفات منها(تأويل مشكل الحديث) والذي نقله إلى المغرب ابن خير الاشبيلي[2] وهو معاصر لابن خمير،ومن كتب ابن فورك التي كانت متداولة عند المغاربة كتاب (اعتقاد الموحدين).

3. الجويني[3]: أبو المعالي المتوفي سنة 478هـ حيث تتلمذ المغاربة على مصنفاته ومنهم ابن خمير حيث ينقل عنه ويذكره بالاسم ويذكر مؤلفاته ومن مصنفاته كتاب:(الإرشاد) وهو كتاب في العقيدة وعلم الكلام.

لقد شرح المغاربة كتب الجويني خاصة الإرشاد[4]، يقول ابن خمير "...والقاضي أبي بكر في تمهيده، وابن فورك في عمدته، وإمام الحرمين في إرشاده..."[5]، فقد انتشرت الأشعرية في أقطار المغرب العربي بفضل هؤلاء العلماء المشارقة سواء بمصنفاتهم أو تلاميذهم من المغاربة مما جعلها عقيدة رسمية يتأثر بها المجتمع،يقول يوسف أحنانة: "أن الحضور الطويل للعقيدة الأشعرية في هذه المنطقة باعتبارها العقيدة الرسمية جعل مضامينها تؤثر بكيفية أو بأخرى في مجموع مناحي الحياة الثقافية".[6]

---

[1]- هو محمد بن الحسن الأصبهاني أبو بكر متكلم أشعري، ترجمته في الزركلي، مصدر سابق، 313/6.

[2]- هو أبو بكر محمد بن خير من مدينة اشبيلية ولد سنة 502هـ أخذ عن أبي الحسن شريح حيث تجوّل معظم بلدان الأندلس وتولى إمامة مسجد قرطبة في آخر عمره،حيث توفي سنة575هـ، ينظر ترجمته في: الذهبي، 80/21، مصدر سابق.

[3]- هو عبد الملك ابن عبدالله أبو المعالي إمام الحرمين متكلم أشعري صاحب كتاب الإرشاد ترجمته في الزركلي،306/4 الذهبي، 468/18، مصادر سابقة.

[4]- ينظر: إبراهيم التهامي، مصدر سابق (مبحث دخول الأشعرية إلى المغرب العربي، ص 245 وما بعدها)

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد في علم العقائد، تح: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبت، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص 21

[6]- يوسف أحنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، دار أبي رقراق،ط2، 2007م، المملكة المغربية، ص55.

وهناك شخصيات مغربية ساهمت بطريق مباشر في نشر المذهب الأشعري وعلم الكلام وأبرزهم ثلاثة وهم (الباجي، ابن العربي، المازري)[1]، فهؤلاء الثلاثة زاوجوا بين العقيدة بنشرهم المذهب الأشعري والفقه بنشرهم واجتهاداتهم في المذهب المالكي مما زاد تمكنهم وإقبال الناس عليهم في قبول المذهب المالكي وهو المذهب السائد بالمغرب.

1. الباجي[2]: (ت474هـ) وهو أبو الوليد، فقد تتلمذ على تلاميذ الباقلاني قال عنه عياض: "ودخل الموصل فأقام بها عاما يدرس على السمناني[3]، تلميذ الباقلاني في الأصول"[4]، قال الذهبي "وذهب إلى الموصل فأقام بها سنة على القاضي أبي جعفر السمناني المتكلم صاحب الباقلاني قبرز في الحديث والفقه والكلام والأصول والآدب"[5]، وقال الذهبي عن السمناني بأنه تتلمذ عنه الباجي "تخرج عنه في العقليات القاضي أبو الوليد الباجي وغيره"[6]،وكذلك أخذ عن الهروي[7] تلميذ بن فورك، الذي قال عنه عياض"أخذ عن أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك من متكلمي أهل

---

[1]- ينظر: إبراهيم التهامي، مصدر سابق (مبحث دخول الأشعرية إلى المغرب العربي، ص 245 وما بعدها)

[2]- هو سليمان بن خلف ولد سنة 403هـ بباجة بالأندلس فقيه مالكي رحل إلى المشرق لطلب العلم من مصنفاته السراج في علم الحجاج ترجمته في سير أعلام النبلاء 535/18، الزركلي، 186/3، البغدادي، هدية العارفين، 805/5 مصادر سابقة، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر بيروت،1968م 69/2 القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة مذهب مالك، تح: محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 347/2

[3]- هو أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، سكن بغداد ثم الموصل، ولد سنة 361هـ، وتوفي سنة 444هـ، من أعلام الأشعرية أخذ عن الباقلاني، ينظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء 651/17، الزركلي، 206/6، مصادر سابقة.

[4]- القاضي عياض، ترتيب المدارك، 347/2، مصدر سابق.

[5]- الذهبي، 537/18، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، 652/17

[7]- هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي، المالكي،ولد سنة 356هـ،خرج إلى مكة وكان يحدث بها ويدرس علم الكلام، توفي سنة 434هـ، ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي 54/17، القاضي عياض، ترتيب المدارك،275/2 مصدر سابق

السنة حظا من علم الاعتقاد"[1]، وهو أوّل من بثّ علم الكلام في المغاربة بالحرم المكي حيث قال عنه ابن تيمية:"أهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة- أي الأشعرية-ويدلهم على أصلها"[2]، وقال عنه كذلك:"أنه أول من حمل الكلام في الحرم وأول من بثه في المغاربة"[3]، حيث لزم الباجي شيخه الهروي ثلاث سنوات يدرس عنه علم الكلام.

2. ابن العربي[4]:وهو أبو بكر بن العربي المالكي المتوفي سنة 543هـ،وكان له الدور الكبير في نشر طريقة الجويني ومصنفاته، حيث رحل إلى المشرق، ولقي أعظم تلاميذه الجويني،وهو أبو حامد الغزالي حيث أخذ عنه طريقة الجويني في الإرشاد[5]، وكثيرا ما يستشهد بأقواله ابن خمير.[6]

3. المازري[7]: المتوفي سنة 536هـ، فقد أقبل على شرح مصنفات الجويني، حيث شرح كتابه البرهان في أصول الفقه وتعرض إلى بعض المسائل الكلامية في مقدمات كتابه كالحديث عن الأجناس وبعض الصفات الإلهية كصفة العلم[8]، وهو شارح صحيح مسلم تحت عنوان (المعلم

---

[1]- ترتيب المدارك، 275/2، مصدر سابق

[2]- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، السعودية 1991م، 101/2

[3]- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، 101/2، مصدر سابق

[4]- هو محمد بن عبد الله الإشبيلي الأندلسي المالكي فقيه ومفسر ولد سنة 468هـ من تصانيفه أحكام القرآن والعواصم من القواصم توفي سنة 543هـ، ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي197/20، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 405/3 وقد كتب عنه عمار طالبي دراسة كلامية بعنوان: آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م.

[5]- للمزيد ينظر: إبراهيم التهامي، جهود المغاربة، ص 262، مصدر سابق

[6]- قال ابن خمير: "...فعوضه الله بأن سماه في كتابه باسمه العلم، وإنما ذكرها أبو بكر ابن العربي..."، تنزيه الأنبياء، ص92 مصدر سابق.

[7]- هو أبو عبدالله محمد بن علي المعروف بالإمام، من أعلام المالكية ينسب إلى بلدته مازر بجزيرة سقلية إنتقل إلى تونس وتوفي بالمهدية536هـ،ترجمته في: مخلوف،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،تح:علي عمر،ط1، 2007م، 311/1 الذهبي، 104/20، الزركلي، 164/7، مصادر سابقة

[8]- إبراهيم التهامي، جهود المغاربة، ص 262، بالهامش مصدر سابق، (وسماه إيضاح المحصول من برهان الأصول)

بفوائد مسلم)،فهؤلاء المغاربة الثلاثة كان لهم الدور الكبير في نشر المذهب الأشعري بالمغرب وبدورهم أنهم تتلمذوا على العلماء الثلاثة المشارقة والذين هم من أبرز أعلام المذهب الأشعري وهم الباقلاني،والجويني،وابن فورك،وذلك عن طريق تلاميذهم كالهروي والسمناني والغزالي ونشروا مصنفاتهم بالمغرب وأقبلوا على تدريسها وشرحها وجعلوها أمهات مصادرهم في العقيدة[1]،وقد أخذ منها ابن خمير وجعلها مصدرا من مصادره في العقيدة وعلم الكلام واستشهد بأقوالهم وآرائهم العقدية وأشار إلى مصنفاتهم.[2]

الفرع الثاني: الحركة الفكرية والعلمية

لقد اتسمت دولة الموحدين بالصبغة العلمية؛ لأن مؤسسها ابن تومرت من الأئمة والعلماء في ذلك العصر، وأول خليفة للدولة هو عبد المؤمن بن علي كان عالما متمكنا واسع الأفق وانطلقت في عهده حرية التفكير والبحث والاجتهاد الديني, أبدى خلفاؤها اهتماما بالعلوم والفنون وشجعوا العلماء والمفكرين، فصنفوا في عديد من الميادين العلمية فإمامهم ابن تومرت كتب في العلوم الإسلامية كتابه الجامع المسمى بـ (أعز ما يطلب)[3]، وظهر على عهدهم مشاهير العلماء والفلاسفة، منهم ابن رشد، وابن طفيل[4]، وغيرهم من العلماء في شتى الميادين وكثرت المصنفات والشروحات.

اشتهر المغاربة بالترحال من أجل طلب العلم وخصوصا إلى بلاد المشرق، وبلاد الحرمين وحضور دروس العلوم وحلقات العلماء في كثير من الفنون، ولكن كان تركيزهم على ثلاثة علوم

[1]- للمزيد ينظر: إبراهيم التهامي، جهود المغاربة، ص 262، مصدر سابق

[2]- ينظر: المبحث الثاني من هذا الفصل بعنوان سيرة ابن خمير الذاتية (مصادر ابن خمير من المصنفات)

[3]- وهو كتاب مطبوع بتحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، وذكره المراكشي في المعجب ص136، ورضا كحالة في معجمه، 434/3

[4]- عبد الرحمان الجيلالي، 24/2، مصدر سابق، وسنذكر لهؤلاء نبذة عن حياتهم في المتن في موضعها (معاصرو ابن خمير)

وهي الفقه، الحديث، واللغة، قال عنهم الذهبي:"...وقبل ذلك كان علماء المغرب لا يخوضون في المعقولات"[1]،وهذا قبل الموحدين فلما حكم الموحدون فتح المجال للعلوم الأخرى وهي الفلسفة وعلم الكلام والتصوف، وهذا بسبب التقائهم بعلماء مشارقة تتلمذوا على كبار علماء العقيدة والفلسفة والتصوف، كالغزالي والجويني ممن ذكرناهم سابقا في حديثنا عن المذهب الفقهي والعقدي وكذلك أتقن المغاربة علوما أخرى، غير العلوم الدينية والعقلية كالأدب والشعر والخطابة والعلوم الطبيعية، وأسسوا مراكز للتعلم كالمساجد والمدارس والزوايا[2]،وسنذكر نماذج من هذه العلوم والحركة الفكرية والعلمية وبعض المصنفات ونستهل كلامنا بالحديث عن علماء عاصرهم ابن خمير سواء في نهاية القرن السادس الهجري أو بداية القرن السابع الهجري أي من ميلاده سنة 550هـ إلى وفاته 614هـ، ثم نتحدث بالترتيب على العلوم التي اشتهروا بها مثل العلوم العقلية والروحانية كالفلسفة وعلم الكلام والتصوّف.[3]

أولا: معاصروا ابن خمير

لقد عاصر ابن خمير جمعا من العلماء في شتى العلوم والفنون، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، ومن هؤلاء:

- ابن خير الإشبيلي:وهو أبو بكر محمد بن خير، ولد بإشبيلية سنة 502هـ أخذ العلم عن أبي الحسن شريح، وتجوّل معظم بلدان الأندلس وتولى إمامة مسجد قرطبة في آخر عمره، وهو ممن تسبب في نشر المذهب الأشعري بالمغرب والأندلس، وهو من نقل كتاب (تأويل مشكل الحديث)

[1]- الذهبي، سير أعلام النبلاء،17/ 557، مصدر سابق

[2]- للمزيد ينظر: ابن جزي الغرناطي وعرضه للإلهيات، رسالة ماجستير للطالب محمد عمارة، تخصص عقيدة، نوقشت بكلية أصول الدين الخروبة، جامعة الجزائر1، مارس 2005م، ص17-19، صالح بن قربة، ص85-97، مصدر سابق

[3]- للمزيد ينظر: إبراهيم التهامي، جهود المغاربة، مبحث علم الكلام، ص 245-263، مبحث التصوف، ص372-403، مبحث الفلسفة، ص445-459، صالح بن قربة، ص98-123، مصادر سابقة

لابن فورك إلى المغرب والأندلس وله فهرست باسمه تحت عنوان (فهرست ابن خير) توفي سنة 575هـ[1]، وكان عمر ابن خمير خمسا وعشرين سنة عند وفاة هذا الأخير.

- ابن رشد: أبو الوليد بن رشد وهو فيلسوف أندلسي ولد بقرطبة سنة 520هـ، ثم انتقل إلى مراكش بالمغرب، وتوفي بها سنة 595هـ[2]، وكان عمر ابن خمير خمسة وأربعون سنة عند وفاة ابن رشد، ولابن رشد مؤلفات منها: فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال وله كتاب سمّاه تهافت التهافت وهو رد على كتاب الغزالي(تهافت الفلاسفة) وله كتاب في العقيدة سمّاه(الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة).

- ابن طفيل:وهو فيلسوف معروف توفي سنة 581هـ[3]،وهو معاصر لابن خمير، وكان عمر ابن خمير واحدا وثلاثين سنة عند وفاة هذا الأخير، وله مصنفات منها رسالة فلسفية تتحدث عن قصة خيالية هدفها إثبات الخالق تحت عنوان(حيّ بن يقظان)وقد تحدث عنه ابن خمير بالنقد في هذه الرسالة، وأعاب منهجيته فيها.

- ابن جبير:وهو رحالة مغربي ولد بالمغرب سنة 540هـ، وهو معاصر لابن خمير حيث تقارب معه في الميلاد فقد ولد ابن خمير بعده بعشر سنوات، وله رحلتان الأولى سنة 585هـ عندما كان عمر ابن خمير 35 سنة، وكانت رحلته نحو المشرق، والثانية كانت سنة 614هـ وهي السنة التي توفي بها ابن خمير حيث رحل من المغرب إلى المشرق مرورا بمصر ثم مكة وقد أقام بها، وأدى مناسك الحج ثم بعد ذلك واصل رحلته راجعا إلى المغرب مرورا بالعراق ثم سورية، ثم فلسطين ثم

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: عبدالله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1956م، 325/1، عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، تونس، (طباعة دار صادر بيروت) 2011م، 484/1

[2]- المعجب،ص179، الزركلي،320/4، رضا كحالة، 313/8، مصادر سابقة، زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية (د.ط) (د.ت)، دار القلم، بيروت، ص15

[3]- المعجب، ص176، الزركلي، 249/6، رضا كحالة، 359/10، الموسوعة الفلسفية، ص18 مصادر سابقة

عاد إلى مصر، وشاهد القاهرة أيام صلاح الدين الأيوبي،وقد وصفها وصفا دقيقا، وبيّن مظاهر الحضارة الإسلامية في رحلته[1].

– محي الدين ابن عربي:وهو من نسل حاتم الطائي ولد بمرسية سنة 560هـ، تعلّم علوم الدين بها ثم إشبيلية وأقام بها ثلاثين سنة ثم رحل إلى المشرق وتعلم بها، ولم يعد إلى الأندلس وقد عاصره ابن خمير حيث تقارب معه في الميلاد، وكان بينهما 10سنوات،حيث ولد ابن خمير أولا ثم بعد 10 سنوات ولد ابن عربي وقد عرف بالتصوف وله مصنفات في هذا المجال منها (ترجمان الأشواق)و(الفتوحات المكية)، توفي بدمشق[2].

– الخراط:هو عبد الحق ابن عبد الرحمان أبو محمد الإشبيلي المتوفي سنة 582هـ،متصوف زاهد وهو معاصر لابن خمير وعند وفاته كان عمر ابن خمير ناهز 31 سنة، وهو عمر العطاء والتدريس والتأليف وهو في متوسط شبابه، وللخراط مؤلفات منها (كتاب التوبة) وكتاب (معجزات الرسول) وكتاب(الصلاة والتهجد).[3]

---

[1]– الزركلي، 214/6، مصدر سابق

[2]– ترجمته:في سير أعلام النبلاء للذهبي 48/23، والزركلي 170/7، ورضا كحالة، معجم المؤلفين، 531/3، مصادر سابقة، وهناك دراسات حول هذه الشخصية منها: دراسة الباحث الجزائري عبد الباقي مفتاح بعنوان: "ختم القرآن محيي الدين محمد بن العربي"،ط1، مراكش، دار القبة الزرقاء 2005م، ودراسة محمد علي حاج يوسف بعنوان:"شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي ومذهبه" ط1، حلب، فصّلت للدراسات والترجمة والنشر 2006م، ودراسة الباحثة الفرنسية المسلمة كلود عداس، المترجمة إلى العربية بعنوان: "ابن عربي سيرته وفكره"، ترجمة أحمد الصادقي، مراجعة وتقديم سعاد الحكيم، ط1، دار المدار الإسلامي 2014م، وأطروحة دكتوراه للطالب زهير بن كتفي بعنوان:"الرؤية النقدية عند محيي الدين بن العربي–علم الكلام أنموذجا" رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة– الجزائر، والتي نوقشت في أفريل 2018م.

[3]– البغدادي، هدية العارفين، 503/5، مصدر سابق

– أبو الحجاج: وهو يوسف البلوي المالقي ولد سنة 529هـ وتوفي سنة 604هـ، وهو معاصر لابن خمير ، وهو لغوي له كتاب بعنوان (ألف باء) وهو قاموس اصطلاحي تحدث فيه عن عدة علوم منها الدينية، والاجتماعية، واللغة العربية.[1]

وهناك عدد كثير من أعلام الفكر والثقافة الذين ظهروا في عصر ابن خمير.[2]

ثانيا: العلوم والمصنفات التي برز فيها المغاربة

لقد برز المغاربة في كثير من العلوم الدينية خاصة، والعلوم الأخرى كالعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، ولكن نركز على العلوم الدينية واللغة العربية، ونذكر نماذج من المصنفات فنسرد من كل مجال نماذج، حيث نصنفها إلى قسمين أساسيين الأول: العلوم الاجتماعية وتضم اللغة العربية والفلسفة، الطب، التاريخ والثاني: العلوم الإسلامية وتضم الفقه، الحديث،التصوف العقيدة.

أ. العلوم الاجتماعية:

برع المغاربة في مجال اللغويات والأدب والخطابة، وألفوا فيها مصنفات نذكر منها:

ففي اللغة كتاب ألف باء: وهو قاموس لغوي واصطلاحي جامع للعلوم والفنون للبلوي.[3]

وكتاب غوامض النحويين لابن العربي[4]،وكتاب البديع في البلاغة لمحمد المرسي(ت655هـ).[5]

---

[1]– رضا كحالة، 180/4، مصدر سابق.

[2]– للمزيد ينظر: المعجب، ص156 وما بعدها، التهامي، جهود المغاربة، ص260 وما بعدها، أحمد أمين، ظهر الإسلام 30/3 وما بعدها، مصادر سابقة.

[3]– رضا كحالة، 180/4، مصدر سابق، وهو يوسف البلوي أبو الحجاج ولد سنة 529هـ وتوفي سنة 604هـ

[4]– المصدر السابق، 457/3.

[5]– المصدر السابق، 458/3.

وفي الفلسفة كتاب حي بن يقظان لابن طفيل وهي قصة خيالية هدفها إثبات وجود الله تعالى.[1] وكتاب تهافت التهافت لابن رشد حيث ردّ فيه على الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة).[2] وكتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، يؤكد فيها علاقة الفلسفة بالدين.

وفي الطب والصيدلة كتاب (التيسير في المداواة والتدبير لأبي مروان عبد الملك بن زهر الاشبيلي)[3]، وكتاب الشفاء للبلوي[4]، وكتاب الجامع لصفات أشتات النبات للإدريسي.[5]

وفي التاريخ والسير والتراجم كتاب (أخبار المهدي بن تومرت) لأبي بكر علي الصنهاجي[6] وكتاب رحلة ابن جبير لابن جبير[7]، وكتاب الفهرست لابن خير الإشبيلي[8]،وهو فهرس جمع فيه شيوخه الذين أخذ عنهم وترجم لهم، وكتاب (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لابن عذارى[9]، وكتاب (المعجب في أخبار المغرب) لعبد الواحد بن علي التميمي[10]، وكتاب نزهة المشتاق في

---

[1]- رضا كحالة، 359/10، الزركلي، 249/6، المعجب، ص176، مصادر سابقة

[2]- رضا كحالة، 313/8، الزركلي، 320/4، المعجب، ص179، مصادر سابقة

[3]- علي عبدالله الدفاع، أعلام العرب والمسلمين في الطب، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص185.

[4]- الزركلي، 619/6، مصدر سابق، وهو محمد ابن أحمد البلوي من الأندلس، ت 559ه

[5]- الزركلي، 255/7، مصدر سابق

[6]- المعجب، ص136، وهو كتاب مطبوع بتحقيق عبد الحميد حاجيات بالجزائر صدر بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة العربية، 2011 (والصنهاجي المكنى بالبيدق ت555ه).

[7]- الزركلي، 214/6، مصدر سابق

[8]- المصدر نفسه

[9]- المصدر السابق، 314/4، وهو محمد المراكشي ت695ه

[10]- حاجي خليفة في كشف الظنون، 329/1، (د.ط) دار الفكر للطباعة، بيروت، (د.ت)، وهو كتاب مطبوع وهو أحد مصادر البحث سبق التعريف به.

اختراق الآفاق للإدريسي[1]، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمذهب مالك للقاضي عياض.[2]

ب. في العلوم الإسلامية:

في الفقه صنّف المغاربة في المسائل الفقهية على المذهب المالكي واشتهر منهم فقهاء كالمازري والباجي وابن العربي، ومن المصنفات أحكام القرآن لابن العربي وهو تفسير فقهي[3] وشرح التلقين، وشرح البرهان للجويني سماه (إيضاح المحصول من برهان الأصول) وهما كتابان كلاهما للمازري.[4]

وفي الحديث كتب المغاربة في هذا المجال وقاموا بشرح كتب الصحاح والسنن، ككتاب المعلم بفوائد مسلم وهو في شرح صحيح مسلم للمازري[5]، وكتاب الإكمال في شرح صحيح مسلم للقاضي عياض[6]،وكتاب الجمع بين الترمذي وسنن أبي داود لابن زرقون[7]، وكتاب الكفاية في مراتب الرواية لابن عباد.[8]

وفي التفسير كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت671هـ)[9]، وكتاب المحرر الوجيز لابن عطية[10].

---

[1]- الزركلي، 250/7 مصدر سابق

[2]- الذهبي، 215/20 مصدر سابق، وهو كتاب مطبوع وهو أحد مصادر البحث سبق التعريف به.

[3]- رضا كحالة، 456/3، مصدر سابق، وهو كتاب مطبوع ومتداول من أربع مجلدات أحد مصادر ابن خمير.

[4]- مخلوف، شجرة النور الزاكية، 311/1، مصدر سابق، وإيضاح المحصول حققه عمار طالبي، ط2، طبعة منشورات بونة، الجزائر، 2008م.

[5]- مخلوف، شجرة النور الزاكية، 311/1، الذهبي، 104/20، مصادر سابقة

[6]- الذهبي، 215/20، مصدر سابق

[7]- مخلوف، شجرة النور الزاكية، 385/1، مصدر سابق

[8]- الذهبي، 41/13، مصدر سابق، وهو يوسف ابن عبدالله ت 575هـ

[9]- القرطبي هو محمد بن أحمد مفسر أندلسي من قرطبة، ينظر: الزركلي، 217/6 مصدر سابق

[10]- الكتاني، 862/2، هدية العارفين، 502/5، مصادر سابقة

وفي التصوّف اشتهر المغاربة بالتصوّف وإنشاء الطرق الصوفية وبناء الزوايا لتحفيظ القرآن والعبادة والزهد ولكن طوائف أخرى خرجت عن التصوّف المعتدل إلى التصوف المنحرف حيث بدأ الانحراف عندما أخلطوا بين الفلسفة والتصوّف ومن هؤلاء، ابن برجان: هو أبو بكر الحكم عبد السلام اللخمي المغربي يعرّف بابن برجان له باع في العلوم منها القراءات والحديث وعلم الكلام، والتصوّف وله تفسير على الطريقة الصوفية توفي سنة 536هـ[1]، وابن العريف وهو من أهل المرية توجه إلى الزهد، ولد سنة 481هـ بالأندلس وتوفي سنة 536هـ[2]، وابن قيسي متصوف عكف على الوعظ وكثر مريدوه حيث ادعى المهدية توفي سنة 546هـ.[3]

ولقد نشأ الصراع بين العلماء كابن خمير والمتصوفة المنحرفين حيث قاوم العلماء التصوف المنحرف وبعض الوعائظ والقصاصين الكذابين، وقد ظهر هذا من خلال مؤلفاته[4] وكذلك من العلماء من حارب التصوف المنحرف منهم ابن عطية[5] في تفسيره الموسوم بـ (الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز)، كذلك ابن العربي في تفسيره أحكام القرآن حيث قال:"عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ...﴾[6]، قال شيوخ الصوفية إن المراد بهذه الآية استغراق الأوقات بالعبادات نفلا وفرضا، وهذا ضعيف".[7]

---

[1]- ترجمته في: وفيات الأعيان 236/4، سير أعلام النبلاء 334/22، مصادر سابقة، ابن حجر، لسان الميزان، (د.ط) دار الفكر، بيروت، 1922م، 16/4.

[2]- ترجمته في: وفيات الأعيان 168/1، سير أعلام النبلاء 11/20، مصادر سابقة

[3]- لسان الميزان 247/1، مصدر سابق

[4]- مقدمات المراشد، تنزيه الأنبياء،وكتاب الوصية الذي خصصه للحديث عن المتصوفة المنحرفين والوعاظ والقصاصين الكاذبين، وسنذكر مواقفه في موضعها في هذا الفصل (المبحث الثاني)

[5]- وهو عبد الحق مفسر أندلسي معروف، ترجمته في: هدية العارفين،502/5، الكتاني، 862/2، ورضا كحالة، 59/2 مصادر سابقة

[6]- سورة هود، الآية 114

[7]- ابن العربي، أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 27/3

ومن المؤلفات في التصوف ترجمان الأشواق والفتوحات المكية كلاهما لابن عربي[1].

وفي العقيدة وعلم الكلام، وهي من العلوم التي حاربها المرابطون، وفتح المجال للخوض فيها الموحدون، ولكن قليل من مارسها وكتب فيها لانشغالهم بالعلوم الثلاثة المتقدمة:الفقه، الحديث اللغة ونذكر بعض ممن اشتهر بهذا العلم وبعض المصنفات في هذا المجال كتاب (مقدمات المراشد)،كتاب (تنزيه الأنبياء عمّا نسب لهم حثالة الأغبياء)، كتاب (الوصية) وكلها لابن خمير السبتي[2]، وكتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد[3]، ورسالة الغرة في الاعتقاد، والعواصم من القواصم، والأمد الأقصى لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا[4]، وكتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد كلها لأبي بكر ابن العربي[5].

وممن اشتهر بعلم الكلام من المغاربة، والأندلسيين، قبل عهد ابن خمير، وفي عهده، يحي بن عبد الله كيس[6]، وكان متكلما قال عنه ابن حبان: "وكان متكلما حاذقا مستبحرا في ذلك ما نعلم بالأندلس في وقته أبصر منه في علم الكلام والجدل ونحو ذلك"[7]، ومحمد المالقي المتوفي سنة 554هـ، متكلم وله كتاب شعب الإيمان[8]،ومحمد بن سليمان الباجي[9]،كان من أهل الكلام وأبو

---

[1]- سير أعلام النبلاء للذهبي 48/23، والزركلي 170/7، ورضا كحالة، معجم المؤلفين، 531/3، مصادر سابقة

[2]- سنذكر هذه المصنفات من ضمن آثاره في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[3]- المعجب، ص179، الزركلي، 320/4، رضا كحالة، 313/8، الموسوعة الفلسفية، ص15، مصادر سابقة

[4]- وهو أحد مصادر ابن خمير التي تتلمذ عليها والتي سنذكرها في المبحث الثاني من هذا الفصل

[5]- سير أعلام النبلاء للذهبي197/20، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة 405/3، عمار طالبي، آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، (الجزء الأول) القسم الدراسي، مصادر سابقة

[6]- وهو يحي بن عبد الله بن كيس كنيته أبو بكر من أهل قرطبة ، المتوفي سنة 436هـ من أهل القرن الخامس الهجري ينظر ترجمته في: ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، (د.ت)، 958/3.

[7]- الصلة، 958/3، مصدر سابق

[8]- رضا كحالة، 628/3، مصدر سابق

[9]- هو محمد بن سليمان الباجي، المتوفي سنة 493هـ من أهل القرن الخامس، ترجمته في الصلة، 848/3، مصدر سابق.

الحسن الكلاعي[1]،قال عنه عياض:"وكان محققا فهما أصوليا متكلما"، وابن الاشبيلي[2] وهو من معاصري ابن خمير ممن نشر المذهب الأشعري بالمغرب والأندلس، وابن رشد[3]، وهو من معاصري ابن خمير متكلم في العقائد والأديان.

فهؤلاء نماذج ممن اشتهر بالخوض في علم الكلام وألف فيه مصنفات فمنهم من كان قبل ميلاد ابن خمير ومنهم من عاصره، ومنهم من بقي بعده[4]،وابن خمير هو أحد النماذج الفريدة في الخوض في علم الكلام بجدارة واستحقاق فقد ناظر وألف وقاوم البدع والخرافات والانحرافات.

هذه نماذج من الكتب التي ألفت وصنفت على عهد الموحدين وفي زمن شيخنا ابن خمير السبتي وقد عاصره الكثير من العلماء والمؤلفين في شتى المواضيع وعندما اشتد عوده وجد الجو ملائما للتأليف وحرية التفكير فأبدع في علم الكلام وناقش عدّة مسائل ورد على من خالفه وحارب الشعوذة، وانتقد التصوف المنحرف ودافع عن سيرة الأنبياء عليهم السلام،فكان عصره

---

[1]- هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير من أهل الأندلس المتوفى سنة 520هـ، ترجمته في الصلة، 978/3 مصدر سابق.

[2]- ابن الخطيب، 325/1، فهرس الفهارس للكتاني، 484/1، مصادر سابقة (هو ابن خير الإشبيلي سبقت ترجمته)

[3]- المعجب، ص179، الزركلي، 320/4، رضا كحالة، 313/8، الموسوعة الفلسفية، ص15، مصادر سابقة،(هو ابو الوليد الحفيذ سبقت ترجمته)

[4]- للمزيد ينظر: موسوعة الأندلس والمغرب العربي، 1184/2، وإبراهيم التهامي، جهود المغاربة في الدفاع على عقيدة أهل السنة،ص260 وما بعدها، أحمد أمين،ظهر الإسلام،34/3 وما بعدها، تطور المذهب الأشعري يوسف حنانة،ص10 وما بعدها، والمصادر الخاصة بالمغاربة والأندلوسيين المالكيين والأشعريين كالديباج المذهب لابن فرحون بجزئيه، وشجرة النور الزكية بأجزائها الثلاثة، مصادر سابقة، ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، (د.ت)، (مطبوع ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية).

حافلا بالنشاط الفكري والثقافي، وممّا ساعد على ذلك أن خلفاء دولة الموحدين هم أنفسهم كانوا من كبار العلماء والأدباء كعبد المؤمن، والمنصور، وكانت مجالسهم مجالس علم وأدب وسياسة في آن واحد، وكانت عنايتهم بعلوم الدين مثلها في العلوم الأخرى، وامتاز هذا العصر بعصر المتون فأخذوا في نظم المتون في شتى العلوم وذلك لكي يسهل حفظها للطلبة في المدارس والمساجد وهي طريقة ابتدعها علماء هذا العصر وكان يقصد بها اختصار العلوم وترسيخها في الأذهان عن طريق الحفظ والاستظهار[1].

المبحث الثاني

سيرة ابن خمير السبتي

في هذا المبحث سنعرض السيرة الذاتية لشخصية الموضوع، والتي من خلالها نكتشف نبوغه الفكري ومرحلة طفولته وشبابه، وتحصيله للعلم، فمعرفة سيرته وحياته ضرورة لأنها المرآة العاكسة لأفكاره وأخلاقه ومدى تأقلمه مع عهد الموحدين وهو العهد الحافل بحرية التفكير وعهد النشاط الثقافي والعهد الذي رسى فيه المذهب الأشعري في العقيدة، وفتح فيه باب الاجتهاد في المذهب الفقهي المالكي، وبرزت فيه مذاهب أخرى كالمذهب الظاهري[2]، والذي أشار إليه ابن خمير في

[1]- للمزيد ينظر: موسوعة الأندلس والمغرب العربي، 1184/2، وإبراهيم التهامي، جهود المغاربة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص260 وما بعدها، أحمد أمين،ظهر الإسلام،34/3 وما بعدها(حيث خصص الجزء الثالث للأندلوسيين والمغاربة)، مصادر سابقة

[2]- نسبة إلى داود الظاهري والذي اعتنقه ابن حزم الأندلسي المتوفى في (456هـ) ونشره بالأندلس (وهو علي ابن محمد فقيه أندلسي)، ترجمته في: الذهبي، 184/18، رضا كحالة، 393/2، مصادر سابقة، للمزيد ينظر: المنطق عند ابن حزم بين الأصول الأرسطية والنزعة الظاهرية، أطروحة دكتوراه للطالب بن عباس عبد المالك، تخصص عقيدة، نوقشت في كلية أصول

دفاعه عن علم الكلام وتصنيفه للمسلمين وموقفهم منه حيث قال: "أن الذين طعنوا في هذا العلم الشريف، الذي لا تصح القربة إلى الله تعالى إلا به وعابوه ثلاثة أصناف، الزنادقة، وبعض المبتدعة، ومقلدوا الظاهرية من الإسلاميين،..."[1]، ثم يقسم الظاهرية إلى ثلاث فئات فقال:"وأما الصنف الثالث من المنتمين إلى الظاهر فهم على ثلاثة أضرب: الأول قوم ينكرون أصله،..."[2]،فهذه الظروف والتغيرات لا شك أنها أثرت في ابن خمير كذلك هو أثر في مجتمعه وهذا ما سنراه في هذا المبحث الذي قسمته إلى مطلبين أساسيين الأول بعنوان نشأة ابن خمير الاجتماعية والعلمية والثاني بعنوان آثار ابن خمير ومنزلته العلمية.

المطلب الأول: نشأة ابن خمير الاجتماعية والعلمية

سنتحدث في هذا المطلب على أمرين أساسيين هما التعريف بابن خمير والثاني نشأته العلمية وذلك في فرعين الأول خاص بالترجمة الشخصية والثاني بالنشأة العلمية

الفرع الأول: الترجمة الشخصية لابن خمير

سنتناول فيه اسمه ومولده ونشأته الاجتماعية.

أولا: الاسم والمولد

ابن خمير السبتي[3]: هو علي[1] بن أحمد[2] المكنى بأبي الحسن[3]المشهور بابن خمير[4]

الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، بجامعة الأمير قسنطينة، 2012م، ص55 من الفصل الثاني من الباب الأول الجزء الخاص بالترجمة

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص25، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]-ينظر ترجمته في ابن الشعار الموصلي (ت 654هـ)، قلائد الجمان، تح: كمال سلمان الجدوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ص4/387-388، ومقدمات تحقيق كتب ابن خمير: كتاب **تنزيه الأنبياء**، تح: رضوان الداية،ط1، دار

السبتي[5] والأموي النسب[6] ولد سنة 550هـ[7] بسبتة.

الفكر بيروت، لبنان 1990م،وط2007،2م (نفس معلومات الطبعة السابقة)، ونفس الكتاب بتحقيق الدكتور أحمد عبد الجليل الزبيي ص22-29، مصدر سابق، وكتاب **مقدمات المراشد**، تح: جمال علال البختي،ط1 القاهرة،2008م، ص33-ص48، ونفس الكتاب بتحقيق الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح مع توفيق علي وهبة مصدر سابق، جمال علال البختي، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري،ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، 2004م، ص99-ص100، وابن شريفة، ابن خمير السبتي وآثاره مقال علمي في مجلة دار الحديث الحسينية، العدد10، 1991، المملكة المغربية ص14وما بعدها، جمال علال البختي،الفكر العقدي بين السلفية والأشعرية، دراسة لإنتاج ابن خمير السبتي ورصد مواقف السلف منه، مقال علمي نشر في صحيفة التجديد المغربية في 2002/08/08م المملكة المغربية، ولنفس الكاتب مقال بعنوان: الموقف من علم الكلام في المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، موازنة علمية بين موقفي ابن عبد البر الأندلسي وابن خمير السبتي، مقال علمي بمجلة الإبانة تصدر عن مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية والمؤسس من قبل الرابطة المحمدية للعلماء المملكة المغربية العدد المزدوج 2-3 جوان 2015م، ص15-47.

[1]- قال ابن الشعار في ترجمته (علي ابن خمير أبو الحسن السبتي...)387/4مصدر سابق، كذلك ثبت اسمه في الكتب المحققة آنفا في واجهة الغلاف (أبي الحسن علي ابن أحمد السبتي).

[2]- ثبت اسم أبيه في الكتب المحققة آنفا في واجهة الغلاف (أبي الحسن علي بن أحمد السبتي).

[3]- قال ابن الشعار في ترجمته (علي بن خمير أبو الحسن السبتي...)387/4مصدر سابق، كذلك ثبتت كنيته في الكتب المحققة آنفا في واجهة الغلاف (أبي الحسن علي ابن أحمد السبتي).

[4]- وقد أثبت ابن الشعار شهرته بهذا اللقب حيث قال (علي ابن خمير أبو الحسن السبتي...)387/4، كذلك ثبت لقبه، وقد وقع فيها التصحيف من قبل محقق الكتاب (رضوان الداية) بحذف نقطة حرف (خ) (حمير) فوضع الحاء بدل الخاء كتابة تنزيه الأنبياء بتحقيق رضوان الداية، ط1، 1990م، ثم استدرك في الطبعة الثانية سنة 2007م، وصحح هذا الخطأ، مصادر سابقة

[5]- وقد أثبت هذه النسبة ابن الشعار حيث قال (علي بن خمير أبو الحسن السبتي...)387/4مصدر سابق، كذلك ثبتت النسبة في الكتب المحققة آنفا في واجهة الغلاف (أبي الحسن علي بن أحمد السبتي).

[6]- أثبت هذه النسبة المحقق عبد الجليل الزبيبي، في واجهة الغلاف (أبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي)،والأموي نسبة إلى بني أمية، لأن الخلافة الأموية وصلت الأندلس وانتهت سنة(422هـ) وأجداده ينسبون إلى بني أمية وقد هاجر أجداده إلى مدينة سبتة بعد نهاية الخلافة الأموية بسبب اضطهاد ملوك الطوائف لهم، واستقروا بمدينة سبتة، المصدر السابق،ص24.

[7]- وقد رجح جمال علال البختي هذا التاريخ، حيث قال "ونرجح أن يكون ميلاده قد تم في أواسط القرن السادس الهجري أي في سنة 550هـ"، مقدمة تحقيق المراشد، ص33

ثانيا: نشأة ابن خمير الاجتماعية

نشأ ابن خمير منذ نعومة أظافره في أحد بيوت المغرب بمدينة سبتة في أسرة متواضعة وفي جو علمي حيث كانت سبتة حاضرة علمية وهي واجهة بحرية وقاعدة حربية وفيها تصنع السفن وفيها تصدر المنتوجات الفلاحية والصناعية وهي من موانئ المغرب وقد نشأ في بدايات تكوين دولة الموحدين، وعاصر خمسة من خلفائها الذين سبق ذكرهم، فقد ولد ابن خمير في جو ساده اضطرابات وغزوات دولة الموحدين في الأندلس والمغرب لتثبيت حكمهم، وقد كان في بدايات طفولته يلهو ويلعب مع أترابه كما هي عادة الأطفال الصغار،حيث نشأ على التربية الحسنة وتعاليم الدين حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن[1]،ولما بلغ سن السابعة وهي بداية سن الطفولة المميزة والتي تنتهي عند سن الخامس عشرة[2]، فقد تعلم مبادئ الطهارة والصلاة وهي السن التي يؤمر فيها الأولاد بالصلاة حتى أصبح شابا يافعا فأقبل على تعلم مبادئ الدين وعلومه حتى بلغ سن الرشد[3] وأصبح يعي ما حوله من الأحداث والتغيرات ويتفاعل معها حتى وصل إلى

---

[1]- جمال علال البختي، الحضور الصوفي، ص99، مصدر سابق.

[2]- قال ابن خمير:(...بعد إخراج سني الطفولة التي هي خمس عشرة سنة...)تنزيه الأنبياء، ص208،وقال في موضع أخر: (...وهي قبول قول أمه في مبدأ نشأته عندما تحصل عنده من أوائل التمييز...)، مقدمات المراشد، ص71.

[3]-قال ابن خمير:(..فسن البلوغ مختلف فيها لكنه استقر الإجماع فيه على تمام ثماني عشرة سنة...)مقدمات المراشد،ص51 وقال في موضع أخر من نفس الكتاب:(...أنه عندما يفهم الخطاب ويخالط المقلد عند المراهقة يسمع منه...)، المصدر السابق، ص71، ومن نفس الكتاب في الصفحة الموالية في حديثة عن مراحل نمو الإنسان (إن العادات جرت لنا في الإنسان بأول الحاصلات من المعتادات، حتى يرى الإنسان في حال كبره يميل إلى ما تعوده في أول نشأته وبدء أمره حتى تراه يحن إلى زمن طفولته ومسقط رأسه ومعاهد شبيبته...)، المصدر السابق، ص72، نلاحظ أن ابن خمير تحدث عن مراحل نمو الإنسان من الميلاد إلى الوفاة وقد حددها بخمس مراحل وهي كالآتي: مرحلة الطفولة وهي من الميلاد إلى سن الخامس عشرة وهي على إثنين الطفولة غير المميزة من الميلاد إلى سن الخامسة والمميزة تمتد من السادسة إلى الخامس عشرة بقوله: (سني الطفولة)، ومرحلة المراهقة ولم يحددها ولكن تحدث عنها بقوله (عند المراهقة يسمع منه)، وعند علماء النفس بين السادسة عشرة إلى السابعة عشرة وهي بين الطفولة والبلوغ، والمرحلة الثالثة البلوغ وقد حددها بسن الثامنة عشرة بقوله (فسن البلوغ... تمام ثماني عشرة سنة)، المرحلة الرابعة الشباب ولم يحددها وتكلم عنها بقوله (ومعاهد شبيبته) وقد حددها علماء النفس من سن التاسعة

سن الكهولة وقد أخذ في تحصيل العلم ورحل من أجله وأصبح يتعامل مع القضايا والمسائل بالأدلة والحجج ويناقش ويرد على المخالفين من أهل البدع والوعاظ والقصاصين المنحرفين ويناظر أهل الديانات كاليهود والنصارى ويصنف ويؤلف[1] ويجاهد بالقلم حتى توفي رحمه الله تعالى عن سن ناهز الثالثة والستينن سنة[2].

الفرع الثاني: نشأة ابن خمير العلمية

سنتناول في هذا الفرع تحصيله العلمي وشيوخه ومصادره

أولا:تحصيله العلمي

بدأ ابن خمير تعليمه الأولي في المدرسة القرآنية في مدينة سبتة مسقط رأسه وذلك لتعلم حروف الهجاء وحفظ قصار السور كما هو معهود لدى المغاربة، حيث اعتنت به أسرته عناية كبيرة من حيث التعليم فعندما يبلغ الطفل السن بين الثالثة والرابعة يبدأ بمعرفة تعلم حروف اللغة العربية وحفظ قصار السور، وعندما يتمكن من حفظ الحروف وحفظ ما تيسّر من القرآن الكريم

عشرة إلى الأربعون، وتسمى كذلك بوسط العمر و الكهولة، والمرحلة الخامسة والأخيرة عنده الشيخوخة وقد حددها بسبعين سنة بقوله (عمر سبعين سنة هو رأس المعترك) وحددها علماء النفس من 60 سنة إلى الوفاة، ينظر: ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص208، ومقدمات المراشد، ص51، 71، 72، مصادر سابقة،محمد عويضة، علم نفس النمو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص61.

[1]- وذلك من خلال مصنفاته حيث سيأتي الحديث عن مواقفه ونبوغه في موضعها من هذا المبحث

[2]- قلائد الجمان، 387/4، مصدر سابق، قال ابن خمير عن سن الشيخوخة:(...فإذا عددت عمر سبعين سنة الذي هو رأس المعترك...)، تنزيه الأنبياء، ص208، مصدر سابق

ويداوم على تكرار ما حفظ تتفتح قريحته لاستقبال حفظ علوم أخرى وهذه عادة المغاربة في تعليم أبنائهم، وهكذا ففي هذه السنّ ما بين السابعة والعاشرة يكون ابن خمير قد حفظ ما تيسر من كتاب الله واكتسب المبادئ الأولية للعلوم الشرعية واللغوية[1]، فقد نشأ في جو علمي حيث كانت مدينة سبتة تموج في حركة علمية هائلة حيث أخذ العلوم عن كبار العلماء، كما رحل إلى الأندلس وأخذ عن شيوخها حيث يقول ابن خمير عن نفسه:"قد تذاكرت مع طالب من طلبة الأندلس ملحوظة بالطلب فقال لي وبالإجماع: أنه من ظن أن لا يقدر الله عزّ وجلّ عليه على وجه العجز عنه أو الفوت من قضائه وقدره فهو كافر"[2]،وهذا الكلام في قصة يونس عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿...فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾[3]، فكلامه يبين أنه كان يتعلم ويتدارس مع طلبة الأندلس، ومما يستنتج من كلامه طلبه للعلم بالأندلس دون أن يحدد المكان وكان حسب تاريخ حياته منذ ميلاده إلى وفاته حيث توفي سنة 614هـ وهذا يدل على أنه عاش في زمن الموحدين، وأن البلدة الوحيدة التي كانت في حكمهم هي مملكة غرناطة وهي أقرب مكان للمغرب عامة، وسبتة البحرية خاصة، ويفصل بين العدوتين مسافة 15 كيلومترتقريبا[4]،وكذلك نستنتج من كلامه تواضعه في أخذ العلم من نده، وهو مازال طالبا بالأندلس، وكذلك أمانته العلمية حيث أسند تفسير الآية السابقة إلى غيره دون أن يتبناه، وكذلك نستنتج محاوراته مع غيره من طلبة العلم.

ثانيا:شيوخ ابن خمير

[1]- جمال علال البختي، الحضور الصوفي، ص99، مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص109 مصدر سابق

[3]- سورة الأنبياء، الآية 87

[4]- وقد أكدّ ذلك الباحث المغربي ابن شريفة في دراسته لحياة وآثار ابن خمير فقال:"وقد ذكر ابن الآبار أن ابن خمير دخل للأندلس، وقد كان هذا غالبا زمن دولة الموحدين التي حكمت من سنة515هـ إلى 640هـ،وجمعت تحت لوائها بلاد المغرب والأندلس"،المقال(ابن خمير السبتي وآثاره)، ص 16، مصدر سابق.

من عادة التلاميذ أن يسجلوا برنامجا خاصا بهم يذكرون فيه شيوخهم[1]، وابن خمير لم نعثر على برنامج له يذكر فيه شيوخه إلا ما ذكره في ثنايا مصنفاته[2]، أو ما استنتجه بعض الباحثين والمحققين من خلال المقارنة بين شيوخ بعض تلاميذه[3]، وسنذكر ما وقفنا عليه وهم كالآتي:

- **أبو محمد الحجري**: وهو من أشهر أعلام سبتة بل هو شيخ المغرب والأندلس في وقته، توفي سنة 591هـ.[4]

- **أبو العباس** أحمد بن محمد اللخمي المتوفي سنة 633هـ[5]، وقد ذكره ابن خمير في كتابه تنزيه الأنبياء حيث أكد أنه أخذ عنه فقال:"حتى تذاكرت يوما فيها مع الفقيه العالم المتفنن أبي العباس

---

[1]- مثل الفهرست لابن جزي الغرناطي، وفهرس ابن عطية، ويطلق مصطلح فهرست على الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده، ومنهم من يسميه بالمشيخة مثل مشيخة ابن الجزري، أو البرنامج كبرنامج المجاري لعلي المجاري، وقد خصص الكتاني مصنفا خاصا لمن جعل لشيوخه فهرست أو برنامج بأسمائه وسمى هذا المصنف بـ (فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات)، في ثلاثة أجزاء، ينظر: رسالة ابن جزي الغرناطي وعرضه للإلهيات الفصل الأول في ترجمة ابن جزي، والكتاني،67/1 وما بعدها، مصادر سابقة.

[2]- كأبي العباس في قوله (...العالم المتفنن أبي العباس...)، تنزيه الأنبياء، ص109، مصدر سابق.

[3]- لم يذكر ابن الشعار شيوخه،ومن الباحثين والمحققين ابن شريفة،حيث قال(وإذا كنا لم نقف على شيء منصوص عليه فيما يتعلق بشيوخ ابن خمير فقد وقفنا على ذكره بين شيوخ أبي عبدالله محمد ابن عبدالله الأزدي السبتي، وهو من أشهر أعلام سبتة في وقته ومن أبرز تلاميذ أبي محمد الحجري)،ابن خمير السبتي وآثاره،ص19،مصدر سابق.

[4]- أكد ذلك ابن شريفة في مقاله (ابن خمير السبتي وآثاره)، ص19، وجمال علال البختي في كتابه الحضور الصوفي ص100، في مقدمته لتحقيقه كتاب مقدمات المراشد، ص36، مصادر سابقة (وذكر أنه معروف بأبي عبيد)، وقد ترجم له الذهبي حيث قال (تصدر للإقراء بسبتة وبعد صيته ورحل إليه الناس وهو رأس الصالحين وسمع العلم الكثير وأسمع وظهرت عليه كرامات توفي سنة 591هـ وأخذ عنه محمد ابن عبدالله الأزدي المتوفي سنة 660هـ)، وقال عنه أيضا (العلامة المعمر المقرئ المجود الحافظ الحجة شيخ الإسلام المالكي الزاهد الأندلسي نزيل سبتة المولود سنة 505هـ) الذهبي 251/21، مصدر سابق، وقال عنه ابن فرحون وقد عده في طبقات المالكية (روى عن أبي علي الصفدي وابن سعدون وابي وليد هشام بن أحمد الوقشي وغيرهم، وله رحلة حج فيها وعاد إلى بلده، وكان فقيها حافظا وصنف في الفقه مختصرا مقربا)، الديباج المذهب لابن فرحون، 224/1، مصدر سابق

[5]- وعرف كذلك بلقب العزفي وقد أكد ذلك جمال علال البختي في كتابه الحضور الصوفي ص100، ومقدمته في تحقيقه لكتاب مقدمات المراشد، ص36، والذهبي في سير أعلام النبلاء، 259/23، مصادر سابقة، وأبو العباس أحد أعلام سبتة المشهورين من الصالحين قال عنه الذهبي (رئيس سبتة الأمير العالم أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي العزفي كان زاهدا إماما مفتيا ألف كتاب "المولد" وجوده مات سنة 633هـ، وأولاده أصحاب سبتة)، الذهبي، 259/23، مصدر سابق،

أحمد بن محمد اللخمي أدام الله كرامته، فكان منه في درج المذاكرة ما يليق بمثله من التنبيه فيها على بعض نكت نادرة مؤيدة بالتوفيق الرباني، فثلج بها صدري إذ لا يصح سواها كما قدمناه وأخبرني مع ذلك أنه أتعبه النظر في حل مشكلاتها هامدة طويلة حتى فتح الله عليه، فشارك بحمد الله وأعان على ما كان تعذر منها، وبارك الله فيما منحه،وبارك لنا في حياته وبقائه وصحة معاملاته ومعونته"[1]، وهذه المسألة في قصة آدم عليه السلام وخاصة في معنى النسيان في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.[2] فتحيّر ابن خمير في معناها؛ ولكن الذي أبانها هو أبو العباس اللخمي حيث وصفه بالفقيه والعالم والموثق لصحة معلوماته وأورد له ابن خمير بيتا من الشعر فقال: "كما قال أبو العباس[3]:

لما رأى الخبر شيئا يدركه *** أحال بالدين والدنيا الخبر"[4]

أبو عبد الله بن زرقون المتوفي سنة586هـ، وهو فقيه مالكي متضلع في الفقه والحديث.[5]

(روى عن أبي القاسم عبد الرحمان ابن محمد ابن حبيش، وكان فقيها ذاكرا بصيرا بنوازل الأحكام واستقصى رحمه الله تعالى)، الديباج المذهب لابن فرحون، 214/1، مصدر سابق، ولم يذكر تاريخ وفاته.

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 109، مصدر سابق

[2]- سورة طه، الآية 115

[3]- قال عنه الصفدي: (ابن الخطيب العزفي وأجاز له ابن بشكوال وكان ذا فضل وصلاح وألف في الحديث أجزاء مفيدة توفي 633هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط، (د.ط)، دار إحياء التراث،بيروت، 2000م، 228/7، وقال عنه المقري: (أبو العباس أحمد الإمام العارف العالم ابن الشيخ اللخمي ثم العزفي من أهل سبتة)، أزهار الرياض،تح: علي عمر (د.ط)، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، 374/2، وقال عنه أحمد بابا التمبكتي: (هو أحمد بن محمد بن أبي عزفة السبتي أبو العباس فقيه عالم ضابط ناقد روى عن أبيه وأبي محمد الحجري وابن زرقون وابن بشكوال ومولده في 557هـ ووفاته في 663هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص63، ولأبي العباس كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم مات ولم يكمله وأكمله بعده إبنه محمد، ينظر: أزهار الرياض، 374/2، ورضا كحالة 99/3، والزركلي، 218/6، مصادر سابقة

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص48، مصدر سابق

[5]- أكد ذلك جمال علال البختي في كتابه الحضور الصوفي ص100، ومقدمته في تحقيقه لكتاب مقدمات المراشد،ص36 مصادر سابقة، وهو من أعلام سبتة وفقهائها المشهورين قال عنه الذهبي (الشيخ الفقيه الإمام المعمر المقرئ الأندلسي

- **محمد بن عامر** بن محمد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (ت بعد 580هـ).[1]
- **أبو القاسم عبد الرحمان** بن علي المعروف بالقراف والخراز (ت581هـ).[2]
- **الطالب الأندلسي**، وهو مجهول الاسم وتاريخ الوفاة، ولكنه كان معاصرا لابن خمير فقد أخذ عنه في رحلته إلى الأندلس حيث يقول ابن خمير عن نفسه:"قد تذاكرت مع طالب من طلبة

الإشبيلي المالكي ولد سنة 502هـ وسمع بسبتة من القاضي عياض"الموطأ" وغيره ولي قضاء سبتة، فقيها أديبا جمع بين "سنن أبي داود وجامع الترمذي"، ارتحل إليه الناس لعلوه توفي سنة 586هـ)الذهبي، 147/21، مصدر سابق وقد عده مخلوف في طبقات المالكيين في شجرته حيث قال (ابن زرقون هو القاضي أبو عبدالله محمد ابن سعيد الأنصاري أخذ عن القاضي عياض فأجاز له تآليف الباجي تولى القضاء ومولده 501هـ ووفاته 586هـ)، شجرة النور الزكية 384/1 مصدر سابق، وعده الزركي من الأعلام المشهورين وقال عنه (هو محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري أبو عبدالله بن زرقون ولد 502هـ وتوفي 586هـ، فقيه مالكي عارف بالحديث أندلسي ولد في شريش واستقر بإشبيلية ومات بها كان مسند الأندلس في وقته ولي قضاء شلب، وقضاء سبتة وحمدت سيرته ونزاهته له كتاب "الأنوار" جمع فيه بين المنتقى والاستذكار لابن عبد البر في شرح الموطأ، وكتاب آخر جمع فيه بين مصنف الترمذي وسنن أبي داود السيجستاني) الزركلي، 10/7، مصدر سابق، وقد عده ابن فرحون في طبقات المالكية في ديباجه حيث قال (ابن زرقون هو محمد ابن سعيد من أهل إشبيلية كنيته أبو عبدالله وزرقون لقب عن أبيه سعيد المذكور، لقب بذلك لحمرة وجهه، سمع من أبيه ومن عياض ولازمه كثيرا وأجاز له أبو عبدالله الخولاني ولي قضاء شلب وقضاء سبتة، حافظا للفقه ومشاركا في قرض الشعر من تآليفه "الأنوار" جمع فيه بين المنتقى والاستذكار، وجمع أيضا بين الترمذي وسنن أبي داود السيجستاني كان الناس يرحلون إليه للأخذ منه لعلو روايته، وكان مولده 502هـ ووفاته 586هـ بإشبيلية)، الديباج،260/2، ينظر: رضا كحالة، 216/3، مصدر سابق.

[1]- أكد ذلك جمال علال البختي في كتابه الحضور الصوفي ص100، ومقدمته في تحقيقه لكتاب مقدمات المراشد،ص36 مصادر سابقة، وهو من فقهاء المغرب ومتكلميها وقد أدرجه مخلوف في طبقة المالكية في شجرته فقال (الإمام الفقيه المقرئ العالم المتكلم، أخذ عن المازري بالمهدية بتونس وعن أبي جعفر بن برجان بفاس) وذكر أن وفاته سنة 582هـ، شجرة النور، 381/1، مصدر سابق كذلك أدرجه ابن فرحون في طبقات المالكية في ديباجه حيث قال عنه (كان فقيها حافظا للمسائل مفتيا بالرأي معروفا بالفهم والإتقان بصيرا بالفتوى)، الديباج، 128/2، مصدر سابق.

[2]- أكد ذلك جمال علال البختي في كتابه الحضور الصوفي ص100، ومقدمته في تحقيقه لكتاب مقدمات المراشد، ص36 مصادر سابقة، ولم أعثر على ترجمته.

الأندلس ملحوظة بالطلب فقال لي وبالإجماع: أنه من ظن أن لا يقدر الله عزّ وجلّ عليه، على وجه العجز عنه أو الفوت من قضائه وقدره فهو كافر".[1]

ثالثا: مصادر ابن خمير من المصنفات

زيادة على تتلمذ ابن خمير على يد شيوخه الذين ذكرناهم سابقا، فقد تتلمذ على عدة مصادر من كتب السابقين وأخذ منها واستفاد منها سواء كانت كتب نافعة بالنسبة إليه وتبنى آراء مؤلفيها وزاد عليها أو كتب غير نافعة من باب معرفة سلبياتها للتحذير منها والرد على آراء معتنقيها ففي حديثه عن علم الكلام، وأنه علم مستحدث كبقية العلوم الشرعية قال: "ثم أسألك:أكان بأيدي الصحابة رضي الله عنهم شيء مما يأتينا من الدواوين في فنون علوم الشريعة ديوان أو مدرس يدرسها ككتب الحديث والمدرسين لها، وكتب القراءات والناقلين لها وكتب الفقه والمدرسين لها، وكتب الإعراب والمعربين لها، وكتب اللغة والناقلين لها، وما يمت إلى الشريعة من أنواع العلوم غير ما ذكرناه؟"[2] ممّا يدل على اطلاعه على مجموعة من هذه المصنفات وأخذها عن مدرسيها في عصره.

وهذه المصادر سواء أكانت مشرقية أو مغربية نذكرها حسب تخصصها فقد ذكر عدة مصنفات متنوعة نقسمها إلى صنفين الأول في العلوم الاسلامية والثاني في العلوم الاجتماعية وهي كالآتي:[3]

أ. مصادر ابن خمير في العلوم الإسلامية:

تنوعت مصادر ابن خمير في العلوم الإسلامية وهي كالآتي:

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص109، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص31، مصدر سابق

[3]- لقد ذكر هذه المصادر في ثنايا كتابيه (مقدمات المراشد إلى علم العقائد)، وكتاب (تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء)، مصدران سابقان

1- تفسير القرآن وعلومه:

لقد ذكر ابن خمير مصادره في التفسير مرة يذكرها جملة دون تسمية ومرة يذكر المصنف أو كتابه، وممّا ذكره جملة عند حديثه عن آراء المفسرين قوله: وقد ذكر المفسرون أن النبي ﷺ لما طلب منه اليهود أن يخبرهم عن قصة أصحاب الكهف،... ".[1]

وعن حديثه عن قصة سيدنا موسى عليه السلام واستدلاله بقوله تعالى:﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ...﴾[2] قال ابن خمير: "قال المفسرون يعني إذ قضينا في فضلك ....".[3]

وعند تفسيره لقصة داود عليه السلام وما افتري عليه مما لا يليق بحقه ذكر بعض من التفاسير التي لا تليق أو جاءت ببعض الإسرائيليات فمن باب التنبيه عليها فقال:"فهذه من أقوالهم أقل شناعة وبشاعة مما سواها من الأقوال في كتب القصص والتواريخ، وبعض التفاسير الفاسدة**!**".[4]

وعند تفسيره لقصة سليمان عليه السلام وفي شرح قوله تعالى:﴿...وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾[5]، قال ابن خمير:"قال المحققون في شرح قوله تعالى:﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما كان ساحرا...".[6]

وعند تنبيهه عن بعض كتب الأباطيل وكتب القصص الباطلة ذكر منها بعض المفسرين جملة دون تفصيل فقال:"...وكذلك بعض المفسرين لظاهر القرآن من غير بناء على أصل صحيح يسطرون في قصص الأنبياء عليهم السلام قواصم تهوي بضحضاح سحيق...".[1]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 72 مصدر سابق

[2]- سورة القصص، الآية 44

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 200، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 52

[5]- سورة البقرة، الآية 102

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص234، مصدر سابق

وأما التفاسير التي ذكرها بأسمائها أو أسماء مفسريها هما اثنان (أحكام القرآن لابن العربي) و(الإكليل للهمذاني) فالأول ذكره عدة مرات، فعند حديثه عن قصة نبينا محمد ﷺ مع زينب وزيد حيث قال: "... ولذا كان الإمام أبو بكر بن العربي رحمة الله عليه يقول (يا الله من المؤرخين وجهلة المفسرين"[2]، وعند استخراجه للفوائد من قوله تعالى:﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾[3]،فذكر الفائدة حيث قال:"فسميّ بعد ذلك زيد بن حارثة، فعوضه الله تعالى بأن سمّاه في كتاب باسمه العلم، وهذه المقولة ليست لي ولا يبلغ نظري إلى هذا القدر،وإنما ذكرها أبو بكر بن العربي في بعض تواليفه...."[4].

- والكتاب الثاني (الإكليل للهمذاني)ذكره مرة واحدة حيث قال عندما تحدث عن شرح قصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث قال:"وقد ذكرها الهمذاني وغيره في شرح قصة يوسف عليه السلام.."[5].

2- الحديث وعلومه:

ذكر ابن خمير مصنفات هذا العلم في عدة مواضع منها حديثه عن قصة نبينا محمد ﷺ:مع زينب وزيد رضي الله عنهما حيث قال ابن خمير:"والأولى أن نقدم ما صحّ في القصة ثم نرجع إلى شرح الآية والذي صح منها أن المرأة وهي زينب بنت جحش،.."[6]، وقوله "جاء في الأثر أن رسول الله ﷺ مرّ برجل ينشد..."[7].

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص265، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 266

[3]- سورة الأحزاب، الآية05

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 92، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 76

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 82، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص84

وعند حديثه عن قصة مريم عليها الصلاة والسلام قال: "كما جاء في الصحيح..."[1] فبيّن أنه أخذ من كتب الصحاح كصحيحي البخاري ومسلم.

وعند حديثه عن معجزة الإسراء والمعراج قال:"كما جاء في الخبر ..." [2]،وقوله(مع ما جاء في الأخبار من الحض عليها (أي الصلاة)....".[3]

وعند حديثه عن الاستدلال والنظر قال:"ويعضد ذلك من السنة قصة أبي طالب، جاء في الخبر أنّه لما حمى رسول الله ﷺ...".[4]

وعند حديثه عن آيات وكرامات الأولياء، قال: "وأما ثبوتها من النقل فمن الكتاب والسنة أما الكتاب...وأما ما جاء في السنة كقصة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام...".[5]

وعند حديثه عما يجوز وما يجب وما يستحيل في حق الأنبياء عليهم السلام قال:"... ويعضد ما ذكرناه من التساوي شواهد الكتاب والسنة، أما الكتاب...،وأما السنة..."[6] يأتي بعدة أحاديث.[7]

عند حديثه عن أحداث يوم القيامة قال:(جاء في الخبر عن سيد البشر...)[1]، وأتى بالأحاديث[2]، وقال بعدها في موضع آخر:"وبذلك الكتاب والسنة، أما الكتاب،وأما السنة فجاء

[1]- المصدر السابق، ص 200

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص 202

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد ص57-58، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 225- 227

[6]- المصدر السابق، ص 266- 267

[7]- المصدر نفسه.

عنه،..."[3]، وقال (وأما الجنة فجاء في الخبر أنها مائة درجة)[4]وقال والنار سبع طبقات بالخبر ولها سبعة أبواب بالآية...)[5] وقال (والدليل أنهما الآن مخلوقتان الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى...،وكذلك أخبر ﷺ عن رؤيته الجنة ليلة الإسراء...)[6]، وأما ما ذكره من مصطلحات الحديث قوله(هذه المعجزات التي هي القرائن أبلغتكم تواترا وآحادا).[7]

3- العقيدة وأصول الدين:

لقد ذكر ابن خمير أنه استفاد من كتب المتقدمين في مجال العقيدة وأصول الدين منها ما ذكرناها على الجملة، ومنها على التفصيل وسمي بعض الكتب دون ذكر أصحابها،وفي بعض الأحيان يسمي صاحب الكتاب دون ذكر كتابه وفي بعضها أن يجمع بينهما وسنذكر هذه المصنفات التي استفاد منها على التوالي وهي:اللمع لأبي الحسن الأشعري والمختصر للاسفراييني والتمهيد للقاضي أبي بكر الباقلاني[8]،والعمدة لابن فورك،والإرشاد[9] والنظامية[10] للجويني.

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 210، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه.

[3]- المصدر السابق، ص 211- 212

[4]- المصدر السابق، ص 213

[5]- المصدر نفسه

[6]- المصدر السابق، ص 214

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 255، مصدر سابق

[8]- المعروف بالباقلاني وكتابه هو (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل) مطبوع ومحقق، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، 1402هـ

[9]- وهو كتاب (الإرشاد في قواطع الأدلة وأصول الإعتقاد)، وهو مطبوع ومحقق، تح: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية 1405هـ.

[10]- وهي الرسالة النظامية، نشرت بالقاهرة سنة 1992م، المكتبة الأزهرية للتراث.

حيث ذكر هذه المصادر فقال:"...وكيف تستتب لك هذه الدعوى وقد تقدمك إليها فحول العلماء ورؤساء الطريقة كالشيخ أبي الحسن في (لمعه) والاسفراييني في(مختصره)والقاضي أبي بكر في (تمهيده) وابن فورك في (عمدته) وإمام الحرمين في (إرشاده) و(نظاميته).... ".[1]

كتب المتأخرين دون أن يفصل فقال:"...إلى غير ذلك من عقائد المتأخرين، فإن أطنبت فقد أطنبوا، وإن اختصرت فقد اختصروا،...".[2]

الشامل للجويني حيث قال "فلو أن المبتدئ عندما يقصد التعلم اطلع على كتاب (الشامل) مثلا أو ما هو أبسط منه".[3]

تراث الفقهاء الأربعة وأهل السنة

- أبو حنيفة قوله (ويقتدى بقوله من فقهاء الدين والفضلاء المتدينين أنه ما ذم هذا العلم ولا طعن فيه، وحاشى لمن توسّم....)[4]،كتاب (العالم والمتعلم له ذلك:حيث قال عنه (وكذلك أبو حنيفة رحمة الله عليه في كتاب:العالم والمتعلم) وفي كتاب (الوصيّة).[5]
- الشافعي: حيث قال عنه (وإن ما حكى عن الشافعي رحمه الله من ذم علم الكلام فأغلب الظن به وبمنهجه أنه لم يقل ذلك...)[6]، كتاب القياس للشافعي،وكتاب الردّ على البراهمة له أيضا حيث قال عنه"فكيف الشافعي مع أنه صنف(كتاب القياس)في علم الكلام، ورد فيه على الملحدة وكتاب(الرد على البراهمة)".[7]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 21، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص 22

[4]- المصدر السابق، ص 26

[5]- المصدر السابق، ص 27

[6]- المصدر السابق، ص 26

[7]- المصدر السابق، ص 27

- مالك حيث قال عنه:"وكذلك مالك رحمه الله،كان يختلف إلى ابن هرمز في تعلم علم الكلام خمس عشرة سنة، لكنه لم يصنف فيه...".[1]
- أحمد بن حنبل حيث قال عنه:"وكان الأئمة رضي الله عنهم قبل انتشار البدع يدافعون تارة بالحجاج، وتارة بالطرد والتغريب والتعزير، وتارة بالسيف،...حتى ضرب الإمام أحمد بن حنبل بالسوط لأن يقول بخلق القرآن...".[2]
- الأئمة الأربعة قال عنهم"فكان أول من دوّن عقائد أهل السنة الأئمة الذين تقدم ذكرهم".[3]
- أهل السنة حيث قال عنهم:"..فإن علم الكلام من أجل المعتزلة وقع ودون ودرس وانتصب لإقرائه أهل السنة ليردوا به على الطاعنين المظلين...".[4]

- تراث المتكلمين، حيث قال عنهم: "إنهم يعلمون ذلك (أي الصحابة رضي الله عنهم) إلا أنهم كانوا يقعدون لتدريسه (أي علم الكلام)،ولا يتكلمون في الجوهر والعرض،ولا في العلل،والأحوال، والجزء والطفرة وما صنفه المتكلمون من دقيق الكلام وهذه غايتك".[5]
- تراث الأشاعرة حيث قال:"وكان أوّل من تمكن من تأليفها (أي العقائد) ونشرها في عقب المائة الثالثة ودرسها الشيخ أبو الحسن الأشعري...".[6]
- وقوله عن الأشاعرة:"...وذهب بعض أصاحبنا إلى أنه يلزم من مجموع آي من الكتاب وأحاديث الصحاح...".[7] في معرض حديثه عن النظر.

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 27، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص 26

[4]- المصدر السابق، ص 31

[5]- المصدر السابق، ص 35

[6]- المصدر نفسه

[7]- المصدر السابق، ص61

- قوله: "فهذه الصرفة التي أنكرها أصحابنا..."[1]، وقوله (والذي ذكرناه من الاستدلال هو مذهب أبي الحسنﷺ وهو الصحيح)[2] هذا في معرض حديثه عن معجزة القرآن.
- الاسفراييني حيث قال:"قال الأستاذ أبو إسحاق ﷺ(الخالق هنا المقدر في الأزل..."[3]، في شرح قوله تعالى:﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ...﴾.[4]
- الاسفراييني تحدث عنه في معرض كلامه عن الفرق بين الكرامات والمعجزات فقال:"قد جزم الأستاذ أبو إسحاق ﷺ بمنعها (أي الكرامة)...".[5]
- عموم المتكلمين حيث قال:"...اختلف المتكلمون فيها على أربعة أوجه...".[6]في معرض حديثه عن القدرة.
- الأشاعرة في معرض هذه القدرة قال: "أن من قال من أصحابنا أنها تتعلق بالحال..."[7]
- القاضي أبو بكر(صاحب التمهيد) حيث قال عنه في معرض حديثه عمّا يجب للأنبياء عليهم السلام وما يستحيل وما يجوز قال: "أمّا التسمية فقد قال القاضي أبو بكر ﷺ"قول القائلين نبي على وجهين..."[8]، (في تعريفه للنبي)
- أهل السنة والجماعة حيث قال عنهم في معرض حديثه عن البعث قال: "وأما الصنف المحق فهم أهل السنة والجماعة الذين يجوزون إعادة كل ما سبق من الجواهر والأعراض،...".[9]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 248، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص249

[3]- المصدر السابق، ص 148

[4]- سورة الحشر، الآية 24

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 223، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص 181

[7]- المصدر السابق، ص 255

[8]- المصدر نفسه

[9]- المصدر السابق، ص 295

- العلماء بصفة عامة في معرض حديثه عن الكبائر فقال "فنص العلماء على تسمية الصغائر من تخصيص النص على الكبائر لاسيما لمن قال منهم بدليل الخطاب".[1]

- الكتب الخاصة في شرح الأسماء الحسنى ذكر منها:

- التحبير
- المقصد الأسنى للغزالي
- الأمد الأقصى.[2]

حيث قال:"ولذلك صنع لها المحققون كتبا مختصة كالتحبير، والمقصد الأسنى، والآمد الأقصى وغيرها".[3]

- كتب العقائد عموما حيث قال:"وقد جرت عادة الأشياخ بذلك في خواتم كتب المعتقدات..."[4] في معرض حديثه عن خاتمة الكتاب بالحديث عن تاريخ الخلافة والحديث عن الإمامة وفضل الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

4- الفقه وأصوله[5]:

رغم أنه لم يصنف في الفقه وأصوله،ولكنه عالم في هذا المجال وقد وقفت على بعض مصطلحاته في مصنفاته وقد أخذ عن الكتب السابقة في هذا المجال نذكر ما ذكره.

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 309، مصدر سابق

[2]- وهو لابن العربي وقد ذكرناه سابقا في مصنفاته بالمبحث الأول من هذا الفصل عند التعريف به.

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 332، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 335

[5]- كان ترتيبي لهذه المصادر بحسب الأهمية فبدأت بالقرآن لأنه هو المصدر الأول والأساسي في التشريع والعقائد، ثم السنة ثم العقيدة وأصول الدين، باعتبارها أصل الدين، ثم الفقه وأصوله لأنها فرع لا أصل، ثم تأتي بقية المصادر ترتيبا منطقيا ومقبولا من الناحية الشرعية ومبررا.

- كتاب الأم للشافعي في أصول الفقه حيث قال عنه "وأما الشافعي فهو أول من أصل أصول الفقه، وتكلّم فيها وهي مبنية على علم الكلام...".[1]

ب.مصادره في العلوم الاجتماعية واللغوية والطبيعية:

1- الفرق والديانات:

لقد اطلع ابن خمير على آراء أصحاب الديانات السماوية وغير السماوية وأهل الملل والفرق والنحل وعلوم السابقين من الفلاسفة اليونانيين والفلاسفة المتأخرين من الإسلاميين وأورد ذكرهم في كتبه ورد عليهم بأسلوب منطقي نذكر بعضها كالآتي:

- **أصحاب الفرق:** تحدث عنهم في معظم مؤلفاته وذكرهم بالأسماء وأسماء رؤسائهم ومن أقواله قال: "ثم نبعت المعتزلة زمن التابعين ممن اعتزلوا مجلس الحسن البصري[2]...".[3]
- وقال:"...على إظهار البدع كالخوارج والقرامطة، والأزارقة، والعجاردة، والإمامية والإسماعيلية،وغيرهم من أهل الأهواء...".[4]
- قال:"...أو مخترعا سواه من العلية، والطبيعية، والنجومية، والمجوسية، والثنوية، والنسطورية والملكية، والقدرية والقرمطية، من غلاة الباطنية، ومن سواهم...".[5]
- وقال"وأما غلاة الباطنية فهم صنفان:الأول معطل قرمطي...والثاني القائلون بالإلهية والنبوة،...".[6]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص27، مصدر سابق

[2]- هو الحسن ابن يسار أبو سعيد تابعي إمام أهل البصرة وعالمها ولد في 21هـ وتوفي في110 هـ، الزركلي، 242/2 مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص33، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- المصدر السابق، ص107

[6]- المصدر السابق، ص 114 – 116

- وقال:"...وقد وافقهم على هذا المذهب أصناف من الروافض، كالكسائية، والمغيرية والمنصورية، والجناحية، والخطابية...".[1]
- في معرض حديثه عن مسألة خلق أعمال العباد، قال:"وهي شبهة فلسفية تلقفتها القدرية من الأوائل...".[2]
- في معرض حديثه عن مسألة كسب الأعمال قال:"وبهذا التفسير يرد على الجبرية ...".[3]
- في معرض حديثه عن مسألة كسب الأعمال،قال:"وأما الرد على القدرية من جهة الشرع...".[4]
- في معرض حديثه عن صفة القدرة قال:"ومن أجل هذا الغموض في هذا الوجه زاغت الدهرية حتى إدعت قدم العالم، وزاغت القدرية حتى ادعوا أن الجواهر والأعراض كانت أشياء ..."[5]
- في معرض حديثه عن إثبات النبوة قال:"من أثبت من الإسماعيلية والإمامية والقرمطية نبوة إبراهيم عليه السلام ونفى ما سواها...."[6]
- في معرض حديثه عن شروط المعجزة قال:"...هنالك شبهة للمعتزلة يجب الإعتناء بها..."[7]
- في معرض حديثه عن إثبات المعجزة قال: "...ثم نعطف على المعتزلة فنقول..."[8]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 116، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 170

[3]- المصدر السابق، ص 180

[4]- المصدر السابق، ص 181

[5]- المصدر السابق، ص 182

[6]- المصدر السابق، ص 185

[7]- المصدر السابق، ص 240

[8]- المصدر السابق، ص 218

- في معرض حديثه عن المعجزة قال:"قد زاغ بعضهم (أي المعتزلة) من هذا الإلزام منهم (ثمامة بن الأشرس) فقالوا: إنما المعجزة من قرائن الأحوال...".[1]
- في معرض حديثه عن الفرق بين المعجزات والكرامات قال:"ثم إن مجوزي الكرامات من الظاهرية ...".[2]
- في معرض حديثه عن إثبات السحر قال: "أنكر معظم المعتزلة السحر...".[3]
- في معرض كلامه على الأسماء التي أطلقها الشرع على المكتسبات قال:(..كما زعمت المعتزلة والخوارج..."[4]،وفي نفس السياق قال:(فقد بطلت دعوى المعتزلة والخوارج...).[5]
- حديثه عن الميزان قال: (... وبطل ما عوّلت عليه الخوارج والمعتزلة...).[6]
- حديثه عن الجنّة والنّار قال: (ولا أعلم من قال بقطع عذاب الكفرة في النار ونعيد المؤمنين في الجنّة إلا أبو الهذيل ومن تابعه من حثالة المعتزلة ....).[7]
- حديثه عن الشفاعة قال:"وإجماع السلف قبل ظهور المعتزلة والخوارج فإنهم أنكروها...".[8]
- في حديثه عن أحكام التوبة قال:"وهذا هو مذهب أهل الحق خلافا للبهشمية..."وفي نفس السياق قال:"...كما زعمت المعتزلة أنها تجب عقلا(أي التوبة)."[9]وفي نفس الموضع قال (ثم

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 219، مصدر سابق

[2]- المصدر سابق، ص 223

[3]- المصدر سابق، ص 231

[4]- المصدر سابق، ص 271

[5]- المصدر نفسه

[6]- المصدر سابق، ص 277

[7]- المصدر سابق، ص 307

[8]- المصدر سابق، ص 319

[9]- المصدر سابق، ص 326

العجب من تناقض المعتزلة...)[1]وفي نفس الحديث عن التوبة قال (وزعمت الخوارج ومعظم المعتزلة أن المعصية تحبط الإيمان...).[2]

- وعند كلامه عن ختم الكتاب قال:"ومنها الرد على أهل الملل والفرق الضالة والمضلة).[3]
- وفي حديثه عن فضل الصحابة والخلفاء قال:(وأطلق بعض الأئمة القول في الإمامية بتكفيرهم منهم الشعبي ﷺ...).[4]
- في معرض حديثه عن فضل الصحابة قال: (وأما الإمامية منهم فلاشك في كفرهم...).[5]
- وفي نفس الموضع السابق قال (وأما ما اختلقته الروافض...).[6]
- في حديثه عن فضل الصحابة قال:(أن معظمهم الأئمة كفروا جميع الروافض بتكفيرهم الصحابة ...).[7]
- في نفس الموضع قال: (وأما الإمامية منهم فلاشك في كفرهم ...).[8]
- في نفس الموضع قال(لما رأوا أن الجاحظ[9] يصنف الشبهات لأهل الملل قالوا: صنف لنا كتابا).[10]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 327، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص 328

[4]- المصدر السابق، ص 333

[5]- المصدر السابق، ص 337

[6]- المصدر السابق، ص 338

[7]- المصدر السابق، ص 337

[8]- المصدر السابق، ص 338

[9]- هو عمرو بن بحر أبو عثمان، أديب مؤسس فرقة الجاحظية من المعتزلة من البصرة ولد 163هـ وتوفي 255هـ من مصنفاته البيان والتبيين، الزركلي، 239/5، مصدر سابق

[10]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص338-339 مصدر سابق

- قال: "ولأجل هذه الإلزامات زاغ الكعبي[1]...".[2]
- قال: "فإن قال المعتزلي...".[3]، وقال: "...وأما المعتزلة فلم يرضوا...".[4]
- قال: "...زعمت المعتزلة أن الهدى من الله تعالى إنما هو تنبيه الخلق...".[5]
- في معرض حديثه عن موضوع الهدى والضلال، قال: "...أن المعتزلة لا يقولون بظاهر هذه الآية...".[6]
- في معرض حديثه عن إرادة الكائنات في قوله تعالى:﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ...﴾.[7]
- قال: "ولعلَّ هذه العادة جرت من حكمة الله تعالى ليبين للموفقين بطلان قول المعطلة ومقلديهم من المعتزلة وغيرهم..."[8]، وفي معرض حديثه عن موضوع رؤية الله تعالى، قال: "فأما من أنكر الأحوال من المعتزلة فلا يبقى لهم طعن في هذا الدليل....".[9]
- في معرض كلامه عن صفة الإدراك ومتعلق الإدراك، قال:"...ما تحمله حثالة الفلاسفة ومقلدوهم من المعتزلة...".[1]

---

[1]- وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي من أئمة المعتزلة، ت319هـ، الزركلي، 180/4، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 137، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 144

[4]- المصدر السابق، ص 154

[5]- المصدر السابق، ص 187

[6]- المصدر السابق، ص 194

[7]- سورة النساء، الآية 79

[8]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 162، مصدر سابق

[9]- المصدر السابق، ص166

- وفي معرض حديثه عن رؤية الله تعالى،قال:"واختلفوا في..حتى نبعت شرذمة الاعتزال..".[2]

أهل الكتاب وأصحاب الديانات الأخرى:

- قال: "... وأما الرد على النصارى، فنذكر طرفا منه...".[3]
- قال:"... وكذلك كان يفعل عيسى، وهو أولى بذلك، لأن الإنجيل أن عيسى ﷺ بكى وقال: (ربِّ إن كان في مشيئتك ....)".[4]
- وقال:"... وقد جاء في إنجيلكم أن عيسى ﷺ قال: (إنما بعثت معلما)...".[5]
- قال: "...فأما المجوسية فزعموا أن الله تعالى متكلم بحرف...".[6]
- وفي معرض حديثه عن إثبات النبّوة قال:"وأما الردّ على البراهمة فقد ذكر أصحاب المقالات أن البراهمة قوم ينتمون إلى برهم ..."[7]
- وفي نفس السياق قال:"فإذا أقروا بذلك فهو مذهبهم،فنقول:"أبلغت أيها البرهمي بعقلك الحصيف."[8]
- وفي نفس السياق قال: "والإلزام الثاني أن نقول لهم معشر البراهمة...".[9]
- وفي نفس السياق قال: (وأما من قال من البراهمة بحدث العالم...).[1]

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر نفسه

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 109، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 112-113

[5]- المصدر السابق، ص 114

[6]- المصدر السابق، ص 154

[7]- المصدر السابق، ص 225

[8]- المصدر السابق، ص 203

[9]- المصدر السابق، ص 204

- وفي نفس السياق قال: (... أن يقال لهم معشر البراهمة...).[2]
- وفي نفس السياق قال: "ولنقيض عنان الكلام عن البراهمة...".[3]
- وفي حديثه عمّا يجوز عن الأنبياء عليهم السلام قال: (كما تقدم عند ذكر مذاهب اليهود والنصارى، وغلاة الباطنيين...).[4]
- قال في تحذيره من النظر في كتب القصاصين من أهل الملل فقال:"الله الله أيها المقلد أن تنظر في كتب الأباطيل في قصص الأنبياء ممن لا يكترث بالدين...".[5]
- في حديثه عن الروح قال:"...فأما أهل الإلحاد وهم الدهرية والإلهية من الفلاسفة...".[6]
- وفي حديثه عن الصراط قال: (وأنكرت الملحدة وبعض المبتدعة الصراط..).[7]
- في حديثه عن فضل الصحابة قال: (وهذا صريح مذهب اليهود...).[8]

كتب الملل والنحل والمقالات:

- القرامطة: قال عنهم:"وكان الذي أسس لهم هذا المذهب (ميمون القداح)[9]، وكان عبدا لجعفر بن محمد وكان مجوسيا في الأصل، وكذلك (قرمط الأكارد)[10]، حكى ذلك عنهم أصحاب المقالات...".[1]

---

[1]- المصدر السابق، ص 205

[2]- المصدر السابق، ص 206

[3]- المصدر السابق، ص 210

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 264، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 265

[6]- المصدر السابق، ص 281

[7]- المصدر السابق، ص 312

[8]- المصدر السابق، ص 338

[9]- هو عبدالله بن ميمون بن داود المخزومي أصله فارسي، ت 180هـ، الزركلي، 286/4، مصدر سابق

[10]- هو حسن بن بهرام فارسي الأصل ينسب إليه مذهب القرامطة، ت301هـ، الزركلي، 191/2، مصدر سابق

- الباطنية: حيث ذكر كتاب (كشف أسرار الباطنية)[2] للقاضي الباقلاني حيث قال عنه:"في معرض رده عن غلاة الباطنية فقال: "... وقد صنّف القاضي كتابا للرد عليهم...".[3]

- البراهمة: قال عنهم:"فقد ذكر أصحاب المقالات أن البراهمة قوم ينتمون إلى برهم...".[4]
- الروافض: قال عنهم عند حديثه عن فضل الصحابة "وقد ذكر أصحاب المقالات أن معظم الأئمة كفروا جميع الروافض بتكفيرهم الصحابة...".[5]
- وفي نفس السياق قال: (وذكر أصحاب المقالات في قبيح دعاويهم...).[6]

2- الفلسفة:

- قال: "...وهذه أقوال غلاة الفلاسفة وغلاة الباطنية ....".[7]
- قال:"...وهي مختصة بالرد على منكري الشريعة من أصناف المعطلة الدهرية والإلهية ...".[8]
- قال:"...هذه المقولة متهمة باعتقاد القوة التي أشار إليها الفلاسفة حيث قالوا (النخلة في النواة بالقوة)...".[9]
- قال : "...ما تحمله حثالة الفلاسفة...".[10]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 115، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- أثبت ذلك محققا كتاب المقدمات، ص115

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 203، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 337

[6]- المصدر السابق، ص 338

[7]- المصدر السابق، ص 38

[8]- المصدر السابق، ص 88

[9]- المصدر السابق، ص 147

[10]- المصدر السابق، ص 166

- وفي معرض حديثه عن موضوع خلق الأعمال قال:"...وهي شبهة فلسفية نقلتها القدرية عن الأوائل...".[1]
- في حديثه عن إثبات النبوّة قال:"في جواز بعث الرسل والرد على الفلاسفة والبراهمة...".[2] وقال أيضا في نفس الموضع" والنفاة على ضربين: فلاسفة، وبراهمة...".[3]
- وقال أيضا في نفس الموضع:"والفلاسفة على ضربين دهرية، وإلهية".[4]وفي نفس السياق ذكر أسماء للفلاسفة فقال:"فقد قال عظماؤهم من أفلاطون، أرسطو، طاليس، وديواقطيوس[5] وأشباههم وفيتاغورس، ومن ساعدهم من الفلاسفة اليونانيين، إن الإله جوهر...".[6]
- وفي نفس السياق قال: "ثمّ إن من الفلاسفة الإلهية من أثبت النبّوة".[7]
- وفي نفس السياق قال:"وناشدتكم الله لو أن بقراطكم نشأة في جزيرة..."[8]وفي نفس السياق قال: "...وأن لهم: معاشر الفلاسفة..."
- وفي حديثه عن الروح قال:"وقد أشرنا إلى ذلك عند كلامنا في الردّ على غلاة الباطنية وبعض الفلاسفة في أمر الروح...".[9]
- وفي نفس السياق قال: "وأما أهل البدع فهم غلاة الباطنية يستترون بالتصوف..."[1] ثم قال في نفس الموضع:"وأما أهل الإلحاد وهم الدهرية والإلهية من الفلاسفة...".[2]

---

[1]- المصدر السابق، ص 170

[2]- المصدر السابق، ص 200

[3]- المصدر نفسه

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 202، مصدر سابق

[5]- لعله تحريف ولم أعثر عليه بهذا الإسم واسمه في المعجم ديمقريطس، سيأتي التعريف به

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 203، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص207

[8]- المصدر نفسه

[9]- المصدر السابق، ص281

- وفي حديثه عن الصراط قال:"كما اعتقدوا في سائر أحوال القيامة وهم الفلاسفة الإلهية وغلاة الباطنية...". [3]
- في حديثه عن إثبات النبوة ذكر مجموعة من الفلاسفة وكتبهم وهم:
- أخوان الصفا ورسائلهم
- ابن سينا وكتابه الشفاء
- ابن طفيل وكتابه قصة حي بن يقظان وكتابه آسال وسلامان فقال:"فلا يجدون إليه سبيلا سوى مجرد دعوى لقفوها من النصارى والقرمطية والفلاسفة وحكايات سطرها إخوان الصفا في رسائلهم، وابن سينا في شفائه، وحكاية حي بن يقظان وآسال وسلامان ....).[4]

3- التصوّف والزهد:

كما أخذ ابن خمير مسائل التصوّف والزهد من كتب الأولين والعارفين المحقين،وكذلك ردّ على بعض المنحرفين من المتصوقة، ونذكر ما جاء في مؤلفاته من إيجابيات التصوّف التي أخذ بها وسلبياته التي نبذها وردّ عليها ونبه عليها.

- في معرض حديثه عن قصة العزير قال ابن خمير:"قال المشايخ: العجب أن لا ترى عجبا،فإذا لم تر عجبا كنت أنت العجب...".[5]
- وفي شرحه لقصة موسى عليه السلام قال: "وقال بعض مشايخ الصوفية، وجدك ضالا، أي محبا له فهدى، أي فاختصك لنفسه خصوص الهداية والصحبة".[6]

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر السابق، ص312

[3]- المصدر السابق، ص213

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 119، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 147، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص155

- وفي سرده لمعجزة الإسراء والمعراج ومسألة فرض الصلاة في السماء قال: "قال بشر بن الحارث[1]،رحمة الله عليه:(لابن آدم في ماله ثلاث حسرات؛ يجمعه كله،ويتركه كله، ويسأل عنه كله!)"[2]،وفي نفس السياق قال:"قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في خطبة خطبها:(رفعتم الطين،ووضعتم الدين، وضيعتم المساكين،وتشبهتم بالدهاقين[3]،فألحقتم بالملاعبين)"[4] وكلام علي بن أبي طالب وخطبه مجموعة في كتاب نهج البلاغة.
- في معرض حديثه عن علم الكلام ورده على من أنكره ودفاعه عنه قال: "ومنهم من أنكره (أي علم الكلام) من باب سد الذرائع حتى نقموا على الحارث بن أسد[5]...".[6]
- وفي حديثه عن مسألة رؤية الله تعالى قال: "قالت رابعة[7] رحمها الله: (أن الله ربط العوائد ثم خرق بعضها ليتفطن العارفون)".[8]

---

[1]- وهو بشر الحافي من كبار الصالحين والعارفين من بغداد توفي سنة (227هـ) ينظر: سيرة أعلام النبلاء للذهبي (469/10)، والأعلام للزركلي (54/2)

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 219، مصدر سابق

[3]- الدهاقين: رؤساء القرية، وكبار القوم من التجار وأصحاب الأموال وأصل الكلمة فارسية جمعها دهاقنة ينظر: الفيومي المصباح المنير، (د.ط)، دار الحديث القاهرة، 2008، ص129، مجموعة من الأؤلفين بإشراف كرم البستاني، المنجد في اللغة والأعلام، ط31، منشورات دار الشرق، بيروت، 1991م، ص227

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 219، مصدر سابق

[5]- هو الحارث بن أسد المحاسبي المتوفي سنة 243هـ صاحب كتاب أعمال القلوب، وكتاب الرعاية لحقوق الله متصوف وعارف أصله من البصرة بالعراق، رضا كحالة، 517/1، الزركلي، 153/2، مصادر سابقة، محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، (د.ط)، مكتبة الشركة الجزائرية، 1979، ص 322

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 29، مصدر سابق

[7]- هي رابعة العدوية بنت إسماعيل العدوية أم الخير البصرية المعروفة بالزهد والتصوف المتوفية سنة135هـ الزركلي 31/3

[8]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 162، مصدر سابق

- وفي حديثه عن مسألة خلق الأعمال وعرضه لرأي القدرية قال:"..ولذا كفرهم(أي القدرية) معظم الأئمة حتى لم يرث الحارث المحاسبي رحمه الله والده ولم يصل عليه، فسئل عن ذلك فقال:(كان أبي يقول بالقدر، وأنا أكفر بالقدرية، وقال ﷺ: (لا يتوارث أهل ملتين)[1]".[2]
- وفي حديثه عن شروط المعجزة وشرحه لقوله تعالى:﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾[3] فقال: "وكيف الرضا وهو أعلى المقامات وهم(أي المعتزلة) لا يعلمون القرينة التي تعلم بها النبوة، فهذا رد على الله تعالى في شهادته لهم بالإيمان وإحلال مقام الرضا وهم(أي المعتزلة) يقرون بذلك...".[4]
- وفي حديثه عن الفرق بين المعجزات والكرامات قال:"سئل البسطامي[5]، رحمه الله عن تعلق الكرامة بأذيال المعجزة فقال:(إنما المعجزة زق عسل مليء ثم رشح،فنحن نتلمس ما حوله"[6] وأقول:"أن المعجزة بحر حقيقة تمزج بنقط زبد الكرامة على ساحل الاستقامة ".[7]
- وفي نفس السياق قال: "أما القوم الذين ينتمون إلى الولاية فهم بحمد الله أخوف من الله وأخشع له من أن يدَّعوا عليه الخروق، أو يروا لأنفسهم الحظوظ والحقوق، ولا سمع عن محق منهم أنه ادعاها تبجحا بها، بل يستترون منها إذا وقعت ويتحاشون عنها ما أمكنهم حتى كان أبو يزيد[8]-رحمه الله- إذا وقعت له يقول: "اللهم لا تجعلها حظي منك".[1]

---

[1]- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم 8474، تح: طارق عوض، (د.ط)، دار الحرمين، مصر، 1995م

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 171، مصدر سابق

[3]- سورة الفتح، الآية 18

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 220، مصدر سابق

[5]- البسطامي هو طيفور بن عيسى أبو يزيد المولود سنة 188هـ أحد العارفين من أهل التصوف والزهد أصله من بلدة بسطام بخرسان توفي سنة 261هـ، الزركلي، 339/3، معجم الفسلفة، يعقوبي، ص272، مصادر سابقة

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 225، مصدر سابق

[7]- المصدر نفسه

[8]- هو أبو يزيد البسطامي (سبق التعريف به)

- في معرض حديثه عن قصة آدم عليه السلام حيث قال: "ولتعلموا أن هذه النكتة الغريبة في أمر النسيان الذي خلّص هذه القصة من التخيلات، والآراء المضطربة، قد تقدم إليها غير واحد من العلماء وذكرها، لاسيما مشايخ الصوفية ...."[2].

في معرض حديثه عن المقدمات والممهدات في العقائد حيث أتى بأبيات لأبي القاسم الجنيد فقال: "كما قال أبو القاسم الجنيد-رحمه الله-

الطرق شتى وطريق الحق مفردة *** والسالكون طريق الحق أفراد[3]

في معرض شرح قصة نوح قال: (قال المشايخ (حسنات الأبرار سيئات المقربين).[4]

4- التاريخ والسير:

لقد ذكر ابن خمير أنه استفاد من السيرة النبوية وخاصة في حديثه عن تنزيه الأنبياء عليهم السلام ورجع إلى كتب الصحاح وأخذ منها الأدلة لتدعيم آرائه والرد على المنحرفين وذكر بعض مصطلحات علوم الحديث في ثنايا كتابه المراشد ونذكر هذه المصادر كما ذكرها هو جملة وتفصيلا، وممّا يدل أنه مطلع على كتب التاريخ قال: "فقد ذكرناها ممّا سواها من الأقوال في كتب القصص والتواريخ وبعض التفاسير الفاسدة..."[5] وهذا من باب معرفة الأقوال والرد عليها والتنبيه عليها، وليس الاعتماد عليها لأنه محقق ومدقق وباحث.

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 225، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 109، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 22، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 119، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص52

كما أخذ ابن خمير من المصادر التاريخية لمعرفة أحوال الأمم والسابقين وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم والخلفاء وأخبار التابعين وتاريخ الدول وأخبار الأمم، ومن المصادر التي تتلمذ عليها وأخذ منها على الجملة ومنها ما ذكرها تفصيلا وسنذكر ذلك فيما يلي:

في معرض حديثه عن قصة سيدنا محمد ﷺ مع زينب بنت جحش، ومولاه زيد بن الحارثة قال ابن خمير: "وعلى هذا مضت العادات وتناصرت الحكايات ولولا قصد الاختصار لأسمعتك في هذا الشأن أخبارا وأشعارا عن ظرفاء المحبين المتدينين وأهل الهمم من فتيان العرب، فقد قيل: إن قيس بن عامر[1] تعرضته ليلى بأرض فلاة..." [2] ويأتي بالقصة كاملة ويأتي بعدها بقصة أخرى لجارية أن عليّا كرم الله وجهه كانت له جارية تتصرف في أشغاله وكان بإزائه مسجد فيه قيم فكانت متى مرت به تلك الجارية قال لها: أما إني أحبك، فشق عليها ذلك..."[3]ويأتي بالقصة كاملة.

في معرض حديثه عن القصص القرآني يستند إلى كتب السابقين ويحقق فيها ومثاله في قصة عزير عليه السلام قال:"جاء في الأثر أنه كان في بني إسرائيل من بعد موت موسى عليه السلام نبيا وكان اسمه دانيال وإنما سمي عزيرا لكثرة تعزير[4] اليهود له..."[5]إلى نهاية القصة ويستدل عليها من القرآن والسنة في تصحيح بعض المفاهيم وحذف ما لا يليق بمقام النبوة وفي قصة إبراهيم عليه السلام قال:"...فكان قومه حرانيين[6]وينظرون إلى النجوم ويردون لها القضاء في الأفعال ويعبدون بعضها..."[1] فدليل على اطلاعه على كتب التاريخ في قوله (كانوا حرانيين).

---

[1]- هو قيس بن الملوح العامري الملقب بمجنون لبلى توفي سنة68هـ ينظر:الذهبي5/4،الزركلي 208/5، مصادر سابقة.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 85، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 85، مصدر سابق

[4]- المقصود به التعظيم والتوقير، ينظر: أبو بكر الرازي،مختار الصحاح،ط1،دار الغد الجديد، القاهرة، 2009م ص228.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 144-148، مصدر سابق

[6]- حرانيين نسبة إلى مدينة حران وهي بتركية في حدود الشام وهي مدينة قديمة ينتمي لها طائفة الصابئة الحموي،237/2 مراصد الإطلاع، 389/1، مصادر سابقة.

وفي حديثه عن الكرامة وأدلة أثباتها من تاريخ الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأهل الولاية، قال:"فإنه ما يكاد أحد من الصحابة إلا وقد ظهرت على يديه الكرامة كأبي بكر الصديق في قصة الطعام، وعمر في قصة سارية، وعثمان في قصته مع أنس بن مالك، وعلي في قصة النهر، وأبي هريرة في قصة حراسة التمر حين قبض على الجني، وغير ذلك ممّا لا يحصى وكذلك في التابعين.."[2]مما يدل على اطلاعه على أخبار وتواريخ الصحابة والتابعين.

في حديثه من إثبات معجزات سيدنا محمد ﷺحيث قال:"...وما حيلة هذا البائس إذا أنكر عليه وجود البلاد النائية، والكوائن الواقعة، وسخاء حاتم وشجاعة علي وخلافته، وتقدم خلافة أبي بكر رضي الله عنهما، وما كان من وقائع صفين والجمل وغير ذلك من الأخبار المتواترة الثابتة..."[3] دليل على اطلاعه وأخذه من كتب وتواريخ الأولين.

وممّا يدل على اطلاعه في جانب التاريخ وخاصة تاريخ الخلفاء تخصيصه فصولا في كتابه مقدمات المراشد إلى علم العقائد خاص بالإمامة وتاريخ الخلفاء وفضائل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قال: "ومنها الكلام في الإمامة... ولكن مع ذلك تذكر طرفا من الكلام في إمامة خلفاء الصحابة رضي الله عنهم وبعض من مناقبهم السنية ومثالب من طعن فيهم... وقد جرت عادة المشايخ بذلك في كتب المعتقدات..."[4] ثم ذكر فصولا في ذلك نذكرها:

- فصل في فضل الصحابة والخلفاء[5]، - فصل في فضل بعض الخلفاء.[6]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 125-144، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 225، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 245-246، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 334-340

[5]- المصدر السابق، ص 334- 339- 340

[6]- المصدر السابق، ص 339

5- اللغة والأدب:وكتب المصطلحات والمعاجم والتعريفات فقد اطلع على كتب اللغة والمعاجم ودواوين الشعر وأصحاب المعلقات وذكر ذلك في ثنايا كتبه وسنذكر نماذج من ذلك:

- حيث قال في معرض شرحه لقصة سليمان واستدلاله بمفهوم التمثال فقال: والتماثيل قد تكون على صورة الأناسي قال امرؤ القيس:

ويا رب يوم قد لهوت وليلة *** بآنسة كأنها خط تمثال[1]

- وفي معرض حديثه عن قصة سيدنا محمد ﷺ مع زينب بنت جحش ومولاه زيد بن الحارثة حيث قال "وعلى هذا مضت العادات وتناصرت الحكايات، ولولا قصد الاختصار لأسمعتك في هذا الشأن أخبارا وأشعارا عن ظرفاء المحبين المتدينين، وأهل الهمم من فتيان العرب..."[2] ثم يأتي بأمثلة عن ذلك لقصة قيس وليلى.[3]

- وفي قصة آدم عليه السلام أبيات للمتنبي:

لعل عتبك محمود عواقبه *** فربما صحت الأجسام بالعلل[4]

- في شرح قصة عزير عليه السلام ذكر مثل عربي حيث قال: "وقيل وكل إناء بالذي فيه يرشح"[5] وقال: "كما قيل: (رمتني بدائها وانسلت).[6]

- وفي قصة يونس عليه السلام قال: "قال الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ودّ *** ويبقى الود ما بقي العتاب"[1]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص67، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص85، مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه، ص 85-86

[4]- المصدر السابق، ص111

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص143، مصدر سابق، وأصل المثل (كل إناء يرشح بما فيه)، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال تح: محمد محي الدين عبد الحميد (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، 162/2

[6]- المصدر نفسه، ينظر: مجمع الأمثال للميداني، 286/1

وفي نفس الموضع ذكر بيت لشاعر آخر لم يذكر اسمه:

لـو كنـت عـاتبي لسـكن لـوعتي *** أملي رضاك وزرت غير مراقب صد

لكن صددت فما لصدك حيلة *** الملول خلاف صد العتاب. [2]

- وفي معرض حديثه عن مقدمات وممهدات الاعتقاد قال: كما قال أبو الطيب.[3]

يراد من القلب نسيانكم *** وتأبى الطباع على الناقل[4]

- هنا يصرح بذكر اسم الشاعر المعروف أبو الطيب المتنبي فقد أخذ من ديوانه المعروف والمملوء شعرا.
- وفي حديثه عن علم الكلام والردّ على من عابه قال كما قيل:

كل العداوات قد ترجى مودتها *** إلا عداوة من عاداك في الدين[5]

- وفي تعريفه للتقليد في اللسان (من القلادة في العنق....).[6]
- وأما استناده لكتب المعاجم والتعريفات فقال: "اختار بعض أرباب التحقيق أن حدّ التقليد هو (قبول قول من غير دليل) أو (إتباع من لم يقم على صدق قوله دليل)وهذه أولى حدود التقليد عند القوم ....".[7]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص159، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص160

[3]- هو أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي شاعر معروف ولد سنة303هـ وتوفي سنة354هـ الزركلي، 110/1 مصدر سابق.

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص22، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص25، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص42

[7]- المصدر السابق، ص40

- وكلامه اختار من بعض أرباب التحقيق، وقوله(عند القوم) يدل على أنه أخذه من أصحاب المصطلحات والتعريفات ومصادر العقيدة وأصول الدين،وتعريفه كذلك للعلم حيث قال: "وحد العلم: (معرفة المعلوم على ما هو به)".[1]
- وإيراده للشعر في كلامه عن التقليد والعلم فقال:"من غير نظر ولا استدلال كما قال أبو العباس[2]:

لما رأى الخبر شيئا ليس يدركه *** أحال بالدين والدنيا على الخبر"[3]

- وفي حديثه في المقدمة الأولى في إثبات حدوث العالم أورد شعرا لإمرئ القيس فقال:"قال أمرؤ القيس[4]:

فلله عينا من رأى من تفرق *** أشت وأنأى من فراق المحصب

فريقان منهم جازع بطن نخلة *** وآخر منهم قاطع نجد كبكب"[5]

- وأورد لشاعر آخر فقال: "وقال آخر:

أيّها المنكح الثريا سهيلا *** وعمرك الله كيف يلتقيان

وهي شامية إذا ما استقلت *** وسهيل إذا استقل يمان"[6]

- وفي رده على الباطنية في إثبات نبوة عيسى عليه السلام أورد أبيات شعرية لشاعر لم يذكر اسمه فقال: "ولم تفارق الجوهر الذي عندهم (أي الباطنية) الإله، فهم كما قيل:

إذا ما قلت أيّهم لأي *** تشابهت المناكب والرؤوس"[1]

---

[1]- المصدر السابق، ص48

[2]- هو أحمد بن محمد اللخمي العزفي، ت633هـ وهوم شيخ ابن خمير سبق التعريف به

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص48، مصدر سابق

[4]- هو جندب بن حجر شاعر جاهلي ولد سنة 497م وتوفي سنة 545م، الزركلي، 351/1، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص94، مصدر سابق

[6]- المصدر نفسه

- وفي ردّه على النصارى في مسألة التثليث أورد بيتا لشاعر فقال:"فعند ذلك يحلق رأسه ويلبس خيشه وينشد:

لعمري ما العيشة بالتأني *** ولكن ألف دلوك في الدلاء".[2]

- وفي معرض حديثه عن مسألة تسمية الله خالقا في الأزل استدل باللسان العربي فقال:"... وممّا يخبر به عن نفسه أنه خالق....،والثاني أن العرب تسمي المقدر لأشكال الأجسام خالقا..."[3].

- وفي نفس السياق يستدل بشعر العرب فيقول:".... وقال الشاعر:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض *** القوم يخلق ثم لا يفرى"[4]

واستدل بقول الحجاج فقال: وقال الحجاج في خطبته: (وإذا خلقت فريت)[5] وفي نفس المسألة يورد أبيات لبعض الشعراء فيقول: "كما قال:

يريد العبد أن يؤتى منا *** ويأبى الله إلا ما يريد

- وقيل:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه *** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن"

- وفي مسألة إثبات صفة الكلام لله تعالى استدل بقول الشاعر: فقال "قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما *** جعل اللسان على الفؤاد دليلا

كما قيل:

---

[1]- المصدر السابق، ص 112

[2]- المصدر السابق، ص 117

[3]- المصدر السابق، ص 147

[4]- المصدر السابق، ص 148

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص148، مصدر سابق

ليس تدري من رقة وصفاء *** هي في كأسها أم كأسها فيها

وقال آخر:

فكأنما الخمر ولا قدح *** وكأنها قدح ولا خمر فيه" [1]

- وفي مسألة إثبات الكسب استند إلى اللسان العربي في المعنى اللغوي لكلمة (الكسب) فقال: فلتعلم أولا أن العرب سمّت تصرفنا فيما نتناوله، ونحاوله (كسب) و(كدحا) و(اقترافا) و(اجتراحا)..."، وسمت أفعال الله تعالى (خلقا) و(ابتداعا) ... فهذه تفرقة لغوية تدل على أن العرب فرقت بين أفعال الخالق وأفعال المخلوق ... فهذا فرق لغوي".[2]
- وفي حديثه عن معجزة القرآن استند إلى اللسان العربي وأسلوبهم في الخطابة والنثر والشعر فقال:"فإنا نعلم أن العرب ما سمع منها ولا عنها قط أنهم كانوا يعلمون أسلوب القرآن قبل بعث نبينا ﷺ...كما كانوا يعلمون أساليب الأعاريض من الشعر الكامل والطويل والبسيط والهزج والرجز...إلى غير ذلك من أنواع النظم والنثر،... فإن قيل كل ما ذكرت من الأعاريض أساليب نطقت بها العرب،وهي مفتتحات لأول شاعر وأول خطيب،... قلنا، الفرق بينه وبين الأساليب أن العرب عارضت المفتتح الأول نظما ونثرا...".[3]
- وفي تعريفه للبلاغة قال: "فإن قيل: ما البلاغة التي يشيرون إليها من ضروب الكلام؟ قلنا: هي العبارة عن معنى شديد بلفظ شريف ينبئ عن المقصود من غير قرين...".[4]
- وعن معارضة وتقليد القرآن الكريم ذكر نموذجين هما:(مسيلمة الكذاب) فقال عنه:"... إلا ما كان من ترهات مسيلمة حين قال: (الفيل وما أدراك ما الفيل...)

---

[1]- المصدر السابق، ص 162

[2]- المصدر السابق، ص 179

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص248، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 249

- وعن المعري قال:"...وكذلك في المتأخرين المعري أخزاه الله قصد المعارضة بهذيانات تنزه الآذان عن سماعها ولكن نشير إلى ذكر شيء منها، وهو قوله (جاءك الملوك، ثم على نعش حملوك....) ويقول مثل هذا في معارضة القرآن مع قوله في الشعر:

يا ساهر البرق أيقظ راقد النمر *** .....

إلى قوله:

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني *** سري أمامي وتأويبا على أثري

وقوله في موضع آخر:

ودبت فوقه حمر الثنايا *** ولكن بعدما مسحت نمالا[1]

- وفي تعريفه للأسلوب قال:"الأسلوب مجموع أصوات لها أحوال فارقت بها سائر الأصوات"[2]
- وفي تعريفاته لبعض المصطلحات الشرعية منها:

1-الإيمان يعرفه من جانبين مجاز وحقيقة فيقول:"فأما الإيمان فعلى ضربين حقيقة، ومجاز فالحقيقة: هي التصديق وأما المجاز: هو ظاهر أعمال الدين".[3]

2-الإسلام: فهو الاستسلام والانقياد[4] إلا أن الشرع خصصه بإسلام مخصوص.

3-النفاق:فهو أسلوب بظاهر من القول وهو يخفي نقيض ما يظهر[5]، ويستدل في هذا التعريف بأبيات لامرؤ القيس فيقول: قال امرؤ القيس:

ترى الفأر في مستنقع القاع لاحبا *** على جدد الصحراء من سد ملهب

---

[1]- المصدر السابق، ص 249-250

[2]- المصدر السابق، ص 250

[3]- المصدر السابق، ص 272

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص272، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 273

خفاهن من أنفاقهن كأنما *** خفاهن ودق من عش مجلب[1]

4-والكفر: فهو الستر والتغطية، والكافر يجحد بقلبه ولسانه قال الشاعر:

..... *** ليلة كفر النجوم غمامها. [2]

5-الفسق: فهو الخروج عن الشيء، تقول العرب: فسقت الرطبة إذا خرجت عن كمها فاختصه الشارع بالخروج عن الطاعة.[3]

6-الصلاة: في اللسان الدعاء، ولكن الشرع خصص هذه التسمية بمجموع أكوان.[4]

7-الزكاة: في اللسان على وجهين: طهارة وزيادة، وسميّت في الشرع زكاة من الوجهين لكونها تطهر المال، .... وتزيد المنفق منه الجنة.[5]

8-الصوم: في اللسان الحبس لكل ما يحبس، قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة *** تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

فاختص في الشرع بحبس المكلف نفسه كل ما يصل إلى الجوف.[6]

9-الحج: وهو في اللغة القصد، واختص الشرع بقصد مخصوص إلى جهة مخصوصة على وجه مخصوص.[7]

10- الجهاد: مأخوذ من الجهد،...فاختص في الشرع بمفاقسة الأعداء .... كما قيل:

يجود بالنفس إذ من الجواد بها *** والجود بالنفس أقصى غاية الجود[1]

---

[1]- المصدر نفسه، ص273

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر نفسه

[4]- المصدر السابق، ص 276

[5]- المصدر نفسه

[6]- المصدر السابق، ص 277

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص277، مصدر سابق

11- وفي حديثه عن أحداث يوم القيامة ومنها الميزان وتحدث عن المجاز، فقال: "قلنا: ومتى أنكرنا المجاز وكتاب ربّنا ومأثور نبينا ﷺ، محشوان بالمجاز، وهو الأفصح في لسان العرب ولسان الحال وقال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني *** مهلا رويدا قد ملأت بطني

وقال آخر:

..... *** ولف الثريا في ملاءته الفجر

وجاء القرآن فصيحا مجازا ما اهتدت إليه العرب قط وهو قوله تعالى:﴿...وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾[2]، ومعلوم أنه أخبر بذلك على وجهة التمدح وقد شهد العقل أن الأعراض أشياء وأنه لا يجوز في العقل تسبيحها حقيقة ....."[3].

- وفي معرض حديثه عن مسألة خلود الجنة أو النار استدل بشعر فقال: "قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت *** إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا *** كاسفا باله قليل الرخاء"[4]

- وفي مسألة الشفاعة استدل ببيت شعري فقال: "قال الشاعر:

وقمير بدا ابن خمس وعشري *** ن له قالت الفتاتان قوما"[5]

- وفي طرحه لموضوع التقليد استدل يقول الشاعر: فقال: "كما قيل:

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- سورة الإسراء، الآية: 44

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص307، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 218

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص221، مصدر سابق

كم يرحل المرء لمطلوبه *** والسبب المطلوب في الرحل"[1]

- وفي قصة داود عليه السلام قوله: (إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم)[2]، فقد أوردها زهير بن أبي سلمى في إحدى أبياته فقال:

فشدّ ولم ينظر بيوتا كثيرة *** لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم[3]

5- الطبيعة والطب:

فقد تحدث عن أمور لها علاقة بالاعتقاد وهي علوم وفنون كتب فيها العلماء، وكذلك في الطبيعيات كالطب والهندسة والفلك، وغيرها مما لها علاقة بالكون والكائنات فنجده يتحدث عن بعض خواص المادة في الطبيعة وبعض خواص الحيوانات وهذا ما سنبينه ممّا يدل على اطلاعه على علوم الأولين الذين سبقوه وسنذكر طرفا منها ونشير إلى مظانها في مصنفاته، وفي طرحه لمسألة حدوث العالم استدل ببعض العلوم الطبيعية وخواص المادة،ومن الكونيات فقال: "...وهذا بعينه دليل حدث العالم لحصول تغير جسم الهواء..وكذلك القول في حدوث السحاب؟ أيضا... وحدوث الرياح،.. فإن زعم أن أبخرة السحاب ترفعه من البحور بواسطة حر الشمس...أقربها أن الماء عندكم من عنصر واحد، وهو يسفل بطبعه فكيف غيرت طبعه السحاب والشمس حتى رفعته،...ومن الأجسام ما يتزيد عادة بالإضافة إلى أصله،...كالبذور في الجمادات، والمنى في الحيوانات،...".[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص231

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 53، مصدر سابق، وأم قشعم كناية على المنية ومعنى العبارة إلى الموت وأسبابه، ينظر: الجوهري، الصحاح، ط1، دار الآفاق، القاهرة، 2017م، ص 1113.

[3]- ديوان زهير ابن أبي سلمى، تح: علي فاعور، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص108.

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص77، مصدر سابق

وفي ردّه على البراهمة إنكاره للنبّوات قال:"ألستم تزعمون أن علوم الطب وتفاصيل الأغذية والأدوية من أكمل المنافع في الأرض،... أن يستدلوا بالعقل على أن (السمفونيا) تطلق،وأن (الجلنار) يقبض، ... إلى غير ذلك من الأدوية والأغذية، والحميّة والترياقات والسموم ما دلهم العقل على ذلك".[1]

رابعا وفاته:

لقد فقد المغرب العربي والأندلس أحد جهابذة العلماء وكبار متكلميها تاركا آثارا دالة على سعة علمه وشهد له معاصروه وتلاميذته بذلك فقد توفي سنة 614هـ[2]،فرحمة الله عليه وطيّب ثراه وأسكنه فسيح جنانه ..... آمين.

المطلب الثاني: آثار ابن خمير ومنزلته العلمية

لقد ترك ابن خمير آثار علمية منها ما تجسدت في تلاميذه، ومنها ما ألفه من كتب ومصنفات وقد قسمته إلى فرعين،الأول بعنوان آثار ابن خمير العلمية والثاني منزلة ابن خمير العلمية.

الفرع الأول: آثار ابن خمير العلمية

وسنتحدث عن تلاميذه ومصنفاته وشعره

أولا: تلاميذه

لقد تتلمذ على يديه كثير من العلماء؛ ولكن المصادر شحيحة بالتفاصيل عن ذكر أسماء تلاميذه، وقد ذكر ابن خمير بنفسه أنه كان يدرس التفسير على طلبته فقال: (فإنني قد استخرت الله تعالى في إملاء شرح بعض آيات رغب في إملائها بعض الطلبة المحتاطين على الدين)[3]، حيث

[1]- المصدر السابق، ص207

[2]- وأكد هذا التاريخ ابن الشعار حيث قال: (توفي سنة أربع عشرة وست مئة)، قلائد الجمان، 387/4، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

لم يذكر ابن الشعار إلا تلميذا واحدا[1]، وذكر بعض المحققين أن لابن خمير تلاميذ كثر؛ ولكن لم يذكر اسم أحد منهم[2]، وقد حدد أحد المحققين اسمين لتلاميذ ابن خمير[3].

1. محمد بن عبد الله الأوسي السبتي: ولد سنة (567هـ) توفي سنة (660هـ)[4] وهو محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عبد الواحد الأوسي السبتي يكنى بأبي عبد الله، معاصر لابن خمير تتلمذ عنه وهو أديب من مدينة سبتة المغربية، هاجر إلى سورية وأقام بحلب ونقل شعر ابن خمير إليها[5]ودونه ابن الشعار في كتابه قلائد الجمان حيث قال ابن الشّعار "أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن عبد الواحد الأوسي السبتي بحلب المحروسة قال: أنشدني أبو الحسن علي بن خمير لنفسه:

---

[1]- وهو أبو عبدالله الأوسي الذي روى عنه شعر ابن خمير حيث قال أنشدني أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن علي ابن عبد الواحد الأوسي السبتي بحلب المحروسة قال: "أنشدني أبو الحسن علي بن خمير لنفسه... ثم ذكر الأبيات"، قلائد الجمان، 387/4، مصدر سابق

[2]- قال محققا كتاب المراشد أحمد السائح وزميله عن تلاميذه: "ولقد كان لابن خمير السبتي تلاميذ كثيرون سجلوا ما فتح الله به عليه..." ابن خمير، مقدمات المراشد، ص17 (ترجمة المحققان)

[3]- وقد زاد جمال علال البختي في تحقيقه لكتاب مقدمات المراشد وكذلك كتابه الحضور الصوفي تلميذا آخر وهو ابن عبدالله الطراز، مقدمات المراشد، مقدمة المحقق، ص45 والحضور الصوفي، ص101.

[4]- وقد أثبت هذا التاريخ المحقق جمال علال البختي في تحقيقه لكتاب مقدمات المراشد وكذلك كتابه الحضور الصوفي مقدمات المراشد، مقدمة المحقق، ص45 والحضور الصوفي، ص101، وكذلك بين أن لقبه الأزدي، كذلك ابن شريفة أكد ذلك حيث قال: "أبو عبدالله محمد ابن عبد الله الأزدي السبتي، وهو من أشهر أعلام سبتة في وقته ومن أبرز تلاميذ أبي محمد الحجري، ولد سنة 567هـ وتوفي سنة 660هـ وولي خطة القضاء بسبتة، وقد نص ابن عبد المالك المراكشي في ترجمته على أنه روى عن أبي الحسن علي بن أحمد بن خمير." ابن خمير السبتي وآثاره، ص19، كذلك أكد المراكشي فقال (محمد بن عبدالله الأزدي السبتي قرطبي الأصل انتقل أبوه إلى سبتة وأخذ عن علماء الأندلس والمغرب منهم ابن خمير وابن خروف النحوي وأبا محمد الحجري وابن زرقون وأبا العباس العزفي هاجر إلى المشرق وأخذ عن علمائها حيث كان فقيها جيد الخط ولي قضاء سبتة وولد بها567هـ وتوفي بها660هـ)، ابن عبد المالك المراكشي، الذيل والتكملة، تح: إحسان عباس وآخرون، ط1 دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، 191/5، وقال عنه الذهبي: "أخذ عن الحجري" 254/21.

[5]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 514/4 مصدر سابق

إذا شئت أن تبكي فقيدا من الورى *** فتندبه بعد النبي المكرم

فحامل علم عالم متورع *** حريص على التحريض للمتعلم"[1]

إلى آخر الأبيات الشعرية التي أوردها ابن الشعار في قلائده ممّا يدل على أن محمد بن عبد الله السبتي تتلمذ على يد ابن خمير السبتي وأخذ منه الكثير وممّا أخذه منه بعض من شعره ما ذكرناه آنفا.

2. ابن عبد الله الطراز(ت645هـ)وهو محمد بن سعيد بن علي ابن يوسف الأنصاري،عرف بابن الطراز الغرناطي درس عن شيوخ سبتة منهم ابن خمير.[2]

ثانيا: مصنفاته

لقد تبحر ابن خمير في العلوم ونال منها الكثير وتكلم في الكثير منها كالفقه وأصوله والتفسير والحديث وغيرها من علوم الشريعة وبرع في الأدب واللغة وقد ذكره أصحاب التراجم بأنه متفوق

[1]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 4/387-388 مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، بتحقيق جمال علال البختي، ص48 مصدر سابق والحضور الصوفي، ص101، حيث أكد المحقق أنه تتلمذ عن ابن خمير، قال عنه الذهبي "الإمام العلامة المقرئ المجود الحافظ المحدث أبو عبدالله محمد بن سعيد أخذ عن علماء عصره منهم أبو العباس العزفي ولازمه بسبتة..."، 23/260،وهذا الأخير (أبو العباس العزفي هو شيخ ابن خمير)، وقال عنه الذهبي كذلك "وأخذ علم الكلام عن أبي العباس بن البقال توفي سنة 645هـ بغرناطة، حيث توفي عن سبعة وخمسون سنة وكان مولده سنة 588هـ، وأنه شرح كتاب (مشارق الأنوار) للقاضي عياض، وجمع عليه أصول حافلة وأمهات هائلة من الأغربة وكتب اللغات، وعكف على ذلك مدة، وبلغ في البحث والتفتيش، ولقد كان من أشد الناس غيرة على السنة وأهلها وأبغضهم في أهل الأهواء والبدع"، 23/260، فهو مثل شيخه ابن خمير في حبه للسنة وبغضه لأصحاب البدع والوعاظ والقصاصين الكذابين، وقد عده ابن فرحون في طبقات المالكية فقال عنه "من أهل غرناطة كان مقرئا جليلا ومحدثا حافلا به ختم بالمغرب وكان ضابطا متقنا ومقيدا حافلا، بارع الخط حسن الوراق، عارفا بالأساليب والطرق والرجال، عارفا بالقراءات ومختلف الروايات، ماهرا في صناعة التجويد، مشاركا في علم العربية والفقه والأصول وتجرد أخر عمره إلى كتاب (مشارق الأنوار) من تأليف القاضي عياض وجمع عليه أصول حافلة وأمهات هائلة وأخذ بقرطبة عن أبي الحسن وأخذ بمالقة عن الحافظ أبي محمد القرطبي، وبسبتة عن أبي جعفر بن فرقد وأبي الحسن بن زرقون،...توفي بغرناطة 645هـ"الديباج، ص277

في عدّة علوم، فقال عنه صاحب القلائد: "كان فقيها مالكيا، شاعرا، مفلقا أصوليا، عالما، أديبا لغويا...."[1]،وسنذكر هذه الآثار على التوالي وهي: كتابه مقدمات المراشد، وكتابه تنزيه الأنبياء، وكتابه الوصية، وبعض ما أثر عنه من شعره.

1- كتابه مقدمات المراشد:

أ- وصف الكتاب:

واسمه الكامل (مقدمات المراشد إلى علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين).[2]

وموضوعه في العقيدة وعلم الكلام وهو عبارة عن مقدمات وقواعد هامة يسترشد بها المسلم في طريقه ويتحصن بها من أقوال المشككين من أصحاب الملل والنحل، وما يطرحونه من شبهات، وأسلوب ابن خمير فيه مختصر ومتوسط لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، عبارة عن عقيدة وسطى بين الكبرى والصغرى قال ابن خمير في مقدمة الكتاب:"أما بعد، فإني استخرت الله تعالى في إملاء عقيدة وسط تنبئ عن جل التحقيق، فوق ملمات التقليد، ودون الإطناب في مشكلات خفي التدقيق على جهة الإيجاز والاختصار...".[3]

وهذا التأليف يقل مثله في مصنفات المغاربة لقلة كتابتهم في مجال علم الكلام قال عنه الدكتور محمد بن شريفة: "تعتبر مقدمات المراشد من أقدم تآليف المغاربة في علم الكلام، وهي من أهمها إن لم نقل إنها أهمها على الإطلاق، وهي عبارة عن عقيدة وسطى تبتعد عن الإطناب وتقترب من الإيجاز".[4]

---

[1]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 387/4

[2]- وقام بتحقيقه جمال علال البختي، والمحققان السايح وزميله، سبق ذكر معلومات النشر عنهم

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص21، مصدر سابق

[4]- محمد بن شريفة، ابن خمير السبتي وآثاره، ص28

ب- تقسيمه للكتاب:

افتتحه بالحمد والثناء والشكر لله تعالى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، ثم بيان سبب إقدامه على هذا التآليف ورده عن التساؤلات المطروحة حوله، ثم بيّن أسباب إيراده للشبهات وأسلوبه في الردّ عليها، وختمه بالصلاة على النبي وآله وصحبه الكرام وآخر دعوته الحمد لله رب العالمين.

لقد قسّم ابن خمير هذا المصنف إلى تمهيد وسبع مقدمات وخاتمة، فأما التمهيد فخصصه للحديث عن الدفاع عن علم الكلام، والوسائل الموصلة إلى العلم وأما المقدمات فعدها سبعة وتحت كل مقدمة أبواب وفصول وضمنها أقسام العقيدة الثلاثة المعروفة (الإلهيات، النبوات السمعيات) فقسم الإلهيات خصص له المقدمات الخمس الأولى، وأما قسم النبوات فخصص له المقدمة السادسة،وقسم السمعيات خصص له المقدمة السابعة،ثم ختمه بفصلين الأول خصصه لبعض المسائل التي لم يتعرض إليها في المقدمات السبعة كالأسماء الحسنى وأشراط الساعة والفصل الثاني خصصه للحديث عن فضل الصحابة رضي الله عنهم عموما والخلفاء الأربع خصوصا، والخاتمة ركز فيها على نصحه للمسترشد للتمسك بالمقدمات السبع لكي تبرأ ذمته في العقيدة وعلم التوحيد.[1]

2- كتاب تنزيه الأنبياء:

أ. وصف الكتاب:

واسمه الكامل (تنزيه الأنبياء عمّا نسب إليهم حثالة الأغبياء).[2]

---

[1]- ينظر: مقدمة كتاب المراشد، ص21، مصدر سابق

[2]- وقد قام بتحقيقه كل من محمد رضوان الداية وأحمد عبد الجليل الزبيبي، سبق ذكر معلومات النشر عنهما

وهو كتاب خصصه في الردّ على القصاص المنحرفين الذين ذكروا ما لا يليق بالأنبياء-عليهم صلوات الله وسلامه-وما اختلقوه عنهم وما ذكره المفسرون من الإسرائيليات،ثم ذكر سبب تألفيه للكتاب فقال (فإنني قد استخرت الله تعالى في إملاء شرح بعض آيات رغب في إملائها بعض الطلبة المحتاطين على الدين غيرة منهم على أعراض النبيين...)[1]، ثم بيّن مصادر القصص المعول عليها ومنها القرآن والسنّة ثم بيّن منهجه في شرح القصص.

ب. ترتيبه للكتاب وتقسيمه له:

افتتحه بالحمد والثناء والشكر لله تعالى ثم ذكر نعمه علينا كالعقل، ونعمة إرسال الرسل عليهم السلام لهدايتنا ثم الصلاة على النبيّ المختار وجميع الرسل من آدم إلى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام، ثم تحدّث عن سبب هذا التأليف وأنه استخار الله في ذلك،وإملاء على تلاميذه شرح الآيات الخاصة يذكر قصص الأنبياء عليهم السلام ثم بيّن غايته بقصص الأنبياء وتحدث عمّا اختلقه القصاصون من روايات كاذبة عنهم، وبدأ كتابه بذكر أربعة أنبياء عليهم السلام وهم داود وسليمان، ويوسف،ومحمد ﷺ ثم شرح بعضا منها وبيّن صحيحها من سقيمها ثم بين سبب تقديمه لهؤلاء الأربعة لكثرة ذكرهم في مجالس القصاصين فقال(بيان وجه تقديم قصص بعض الأنبياء والعناية بها،...؛ لكونهم "أي القصاصين" يستعملون ذكرها لتحصيل أغراض لهم فاسدة...)[2]،وذكر في موضع آخر (...؛لكن قدمنا هذه القصص[يقصد بها القصص الأربع السابق ذكرها] لتأكيد اعتراض السفلة عليها وشناعة طبعهم فيها كما تقدم)[3]، ثم واصل حديثه في شرح قصص الأنبياء عليهم السلاة والسلام بالترتيب الزمني من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ حيث قال (وقدكنا نرتب الكلام فيها على ترتيب الزماني فنبدا بقصة آدم عليه السلامونختم بقصة نبينا

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 47

[3]- المصدر السابق، ص 97

محمدﷺ)[1]،فتعرض إلى بعض الأنبياء وليس كلهم وعددهم إحدى عشر، الأربعة الأولين وهم داود ثم سليمان ثم يوسف ثم محمد عليهم الصلاة والسلام والسبعة الآخرين وهم على الترتيب آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم العزير ثم موسى ثم يونس ثم أيوب عليم الصلاة والسلام وبعد شرح القصص بالترتيب الذي ذكره في المقدمة، زاد فصلين الأول خاص بذكر قصة مريم والثاني في ذكر قصة إخوة يوسف عليهم السلام وهم الأسباط وختمه بنصحه لطلبته في الأخذ من المصادر الصحيحة فقال (واجتهد في من تأخذ عنه دينك وجنب الجهال مرة، وجنب وعاظنا ومريدينا في هذا الزمان المنكوب المنكوس ألف ألف مرة فإنهم أضروا على دينك من الأفاعي الصفر، ...فإنهم انتهكوا حرمة الأنبياء عليهم السلام...)[2]، وآخر كلامه ختمه بالصلاة على النبي ﷺ فقال (والختم بالصلاة والتسليم على الأنبياء عموما وعلى نبينا خصوصا وعلى آله وآلهم وسلم تسليما).[3]

3- مجموع نكت من بعض ما خص به نبينا ﷺ من الكرامات ليلة الإسراء[4]:

وموضوعه يتحدث فيه عن معجزة الإسراء والمعراج الخاصة بنبينا محمد ﷺ، حيث يركز على معجزة المعراج ويخصص القول حول فرض الصلاة في السماء ولقاء النبي محمد ﷺ مع بقية الأنبياء عليهم السلام في كل سماء،ويكثر القول في لقائه مع موسىعليه السلام وما دار بينهما من الحوار في مسألة التخفيف عن أمته في كثرة الصلوات ويبرر اختصاص محاورته مع موسى عليه السلام دون إبراهيم عليه السلام فبين هذا الاختصاص من عدة أوجه[5]، ثم يخصص الكلام عن فوائد فرض الصلاة في السماء[6]، ويدعم كلامه هذا بأدلة من القرآن والسنّة ثم يخصص فصولا للحديث عن الطاعات

[1]- المصدر نفسه

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص192، مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه

[4]- وهو رسالة ملحقة بكتاب تنزيه الأنبياء حيث يبدأ من صفحة 197 إلى220

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص198، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص 201

وخاصة الصلاة، ويختم كتابه بتأكيده الوصية على الحفاظ على الصلاة وعدم تركها وفي الختام يطلب من الله التوفيق والاستعانة ثم يصلي على نبينا محمدﷺ حيث قال (وبالله التوفيق وبه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى وعلى سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما).[1]

4- كتاب الوصيّة:

وهو كتاب مفقود، ولكن المؤلف ذكره في ثنايا حديثه عن غلاة الباطنية، والمتصوفة المنحرفين والقصاصين،وذلك في كتابه(مقدمات المراشد إلى علم العقائد)[2]حيث قال:"...؛ولكن إذا أردت الشفاء من سماعها فقد ألفت في ذلك على حياله سميته (الوصيّة)"[3].

ونستنتج من ذلك أن هذا الكتاب موضوعه في الردّ على المتسترين بالتصوف وكشف أسرارهم حيث يقول في تعريف أهل البدع:"وأما أهل البدع: فهم غلاة الباطنية يستترون بالتصوّف فيقرون بحدثها(أي الروح) إلا أنهم يعظمونها تعظيما[4]، ينحو إلى الإلحاد فيقولون: إنها (أي الروح) جوهر بسيط لا يقبل التركيب، ...."[5].

ويقول ابن خمير عنهم في موضع آخر:"...؛ وهؤلاء ادعوا انتقال أبعاض الإله إلى أجسامهم وسمّوها فيضا...، وهؤلاء نسبوها (أي أبعاض الإله) للأئمة ثم غلوا في التواقح حتى نسبوها (أي أبعاض الإله) لكل فرد قذر منهم حتى يتعشق أحدهم بجارية أو بغلام فيقول له:"أنت إله" وكل ذلك ليتمكنوا من الفجور بهم، وصدهم عن سبيل الله...".[6]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص220، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص117، مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه

[4]- في معرض حديثه عن الروح وحقيقتها، ينظر: مقدمات المراشد، ص 280 – 281

[5]- المصدر السابق، ص281

[6]- المصدر السابق، ص 116-117

ثم يصف عصره بأنه منكوب ومنحرف بسبب هؤلاء فيقول:"وأشر ما ذهبنا إليه هذا الوقت النكوب بهؤلاء الدببة الأجلاف، فإنهم بهم أغمار وغوغاء غمار، فبينما رجل في حرفته وعلاجه ومهنته ممتحن بضيق المعيشة وكلف البطنة، إذ قرع مسمعه أن قوما انخلعوا انخلاعة من رق الأغلال،وقشور الأعمال إلى أعلى المقامات والأحوال، والحب والوصول، واتصفوا بالعظمة والجلال، والتحقوا بالإله، لحوق ووصولا واتصال ثم اتخذوا الوجود دولابا والناس دوابا يتحكمون في أموالهم ويمكرون بحالهم، لا يعثر عليهم الحكام، ولا تقام عليهم الحدود،... ولولا الخروج عن المقصود لأسمعتك من بعض مثالبهم الخسيسة،ولكن إذا أردت الشفاء من سماعها فقد ألفت في ذلك كتابا على حياله سميته (الوصيّة)..."[1].

5- تفسير سورة الكهف وما تيسر من سور القرآن[2]

ذكر ابن خمير في خلال حديثه عن تنزيه الأنبياء في قصصهم تفسير بعض الآيات التي تتناولهم كذلك في حديثه في كتابه مقدمات المراشد في الرد على أهل الفرق وأهل الديانات حيث تناول تفسير آيات في مواضعها للاستدلال بها، فقد قال عن نفسه في موضوع التفسير: "فإنني قد استخرت الله تعالى في إملاء شرح بعض آيات رغب في إملائها بعض الطلبة المحتاطين على الدين"[3]، ومن نماذج شرحه لبعض السور سورة الكهف في إثبات كرامات الأولياء فقال:"وأما

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص117، مصدر سابق، وعلى منواله كتب كذلك السيوطي كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص)،وهو كتاب مطبوع ومحقق بتحقيق محمد لطفي السباغ،ط2،المكتب الإسلامي،بيروت،1984م كذلك كتاب الحافظ العراقي(الباعث عن الخلاص من حوادث القصاص)حيث لخصه السيوطي في كتابه السابق، ينظر: ص195.

[2]- ذكرتفسير سورة الكهف محقق كتابه مقدمات المراشد الدكتور جمال علال البختي، ص 48، وذكرها ابن خمير في ثنايا كتاب مقدمات المراشد، ص225، مصادر سابقة، وأما تفسير ما تيسر من سور القرآن فقد تتبعت مصنفيه (مقدمات المراشد وتنزيه الأنبياء) تبين لي أنه مر على أغلب سور القرآن الكريم وفسر بعض أياتها في استدلالاته في العقائد وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما عدا بعض السور وبالتحديد 28 سورة أغلبها في الربع الأخير من القرآن الكريم ما عدا سورة النمل

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46 مصدر سابق

ثبوتها من النقل فمن الكتاب والسنة،وأما من الكتاب فمن قصة أهل الكهف،فإنهم لم يكونوا أنبياء إجماعا،وانخرقت لهم العادة من أوجه كثيرة ذكرتها في(شرح سورة الكهف)فمن معظمها نومهم ثلاثمائة سنة وتسع،ثم بعثوا...".[1]

6- شعره:

يعد ابن خمير أحد الشعراء المغاربة في عصره، وقد صف بأنه شاعر قدير ومتفوق في الأدب واللغة ووصفه ابن الشعار[2] في قلائده بقوله:"كان...شاعرا مفلقا..."[3]، ويذكره معاصره محمد الهاشمي المالقي[4] في قصيدته ضمن أعلام سبتة فيقول:

ولابن خمير في القريض تقدم *** به بزّ قيسا وازدرى بابن غالب[5]

وقد أورد شعره تلميذه محمد بن عبد الله الأوسي السبتي[6] والذي نقل عنه ابن الشعار في قلائه حيث قال ابن الشعار:"أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عبد الواحد الأوسي السبتي بحلب المحروسة قال: أنشدني أبو الحسن بن علي بن خمير لنفسه فذكر أبياتا مبتدئا بقوله:

إذا شئت أن تبكي فقيدا من الورى *** فتندبه بعد النبي المكرم"[7]

وقد تنوع شعر ابن خمير بين المدح والرثاء.

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 225 - 226، مصدر سابق

[2]- هو كمال الدين المبارك الموصلي أديب ومؤرخ عراقي 654هـ، من مصنفاته قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، رضا كحالة، 11/3، مصدر سابق.

[3]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 4/ 387، مصدر سابق

[4]- هو محمد الهاشمي المالقي المتوفى سنة 613هـ من أعلام سبتة وشعرائها معاصر لابن خمير كتب قصيدة سرد فيها أعلام سبتة في زمانه ومنهم: ابن خمير، تنزيه الأنبياء بتحقيق الزبيبي، ص23 (مقدمة المحقق)

[5]- مقدمة كتاب تنزيه الأنبياء، للمحقق الزبيبي، ص 24

[6]- ابن الشعار، قلائد الجمان 387/4- 388

[7]- المصدر نفسه

أ. الرثاء:

فقد ذكر في شعره رثاء خمسة أعلام لهم قيمة في الحياة بعد النبي ﷺ فقال:

إذا شئت أن تبكي فقيدا من الورى *** فتندبه بعد النبي المكرم حريص
فحامل علم عالم متورع وحاكم *** على التحريض للمتعلم يقول بحكم
عدل بالشريعة قائم وصاحب مال *** الله لا بالتحكم يجود به حقا
فاضل متفضل وساهر ليل شافع *** على كل معدم بكل نؤوم شابعه
متشفع وصاحب سيف للعدو *** متبشم يسد به في كل ثغر
مرابط هم خمسة يبكون حقا *** مثلم إلى حيث ألقت
وغيرهم *** رحلها أم قشعم"[1]

ب. المدح:

فقد مدح في شعره النبي ﷺ، والقرآن الكريم، والسيدة مريم عليها السلام.

1. في مدح النبي ﷺ والقرآن الكريم:

فقد ألف في المدح النبوي وكذلك في ذكر خصائص ومميزات معجزة القرآن حيث قال:"وقد مدحت رسول الله ﷺ بشعر وأشرت به إلى هذا المعنى[2]، فقلت:

وأنزل الله قرآنا يطهرنا ما *** من الخبائث في الآصال والبكر
زاد في العمر بدت فيه بينة يبلى *** تبدي شبيبته في غابر العصر وذا
الجديد على كر الجديد له هذا *** يجدد في أيامه الغبر فوق
لأحمد في أقوى دلائله *** الذراع ونبع الماء والقمر[3]

[1]- ابن الشعار، قلائد الجمان 4/387- 388

[2]- إشارة إلى خصائص معجزة القرآن بأنها خالدة عبر الأزمنة كما أشارت الخاصية الرابعة لمعجزة القرآن والتي ذكر أنها ثمانية خصائص،ينظر:مقدمات المراشد، ص 253

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 253، مصدر سابق

2. في مدح السيدة مريم:

وقد أورد ابن خمير لنفسه شعرا في معرض حديثه عن قصة مريم-عليها السلام-فقال: وقد نظمت في ذلك على نقيض ما نظموه في قولهم إذا قالوا[1]:

ألم ترَ أنّ الله أوحى لمريمٍ *** إليكِ، فهُزّي الجذعَ تَسَّاقَطِ الرُّطَبْ

فقلت:

لقدْ زعموا أنّ البتول تفرّقتْ أما *** مـنَ الجمـعِ بـالهزّ الّـذي هـو مكتسـبْ
عَلِمُـوا أنَّ المقـام سمَـا بهـا بـأن *** لأنْ جَمَعَتْ بين التوكّلِ والسَّبَبْ على
لمسـتْ جـذعًا فـأيْنَعَ رأْسُـهُ كمـا *** الحِين أفنانًا وأثْمر بالرُّطَبْ ففارت عيونٌ
مـسَّ أيّـوبُ اليبـيس برجلـه ومـسّ *** طهّرته من الصَّخَبْ ففجَّرَ من أرجائِهَا
كلـيمُ الله بـالعُود صـخرةً ومـسَّ *** المـاءَ فانسـكبْ طيـورًا بـإذن الله أحيـاءَ
المسـيحُ الطّـين بـالخلقِ فانتشَـا *** تضطربْ ففاضَتْ عيونُ الماءِ من خَلَلِ
ومست يمينُ المصطفى الماءَ نطفةٌ *** العصبْ[2]

الفرع الثاني: منزلة ابن خمير العلمية

لابن خمير منزلة علمية في عصره وذلك من خلال أقوال العلماء فيه، ومواقفه من خلال مؤلفاته وما تركه من آثار علمية سواء التلاميذ أو المصنفات وعند حديثي عن منزلته نستشهد على ذلك بما قالوه فيه، وما وصفه غيره به، وما ذكره هو بنفسه في كتبه ولنا أن نفصل في ذلك فيما سيأتي.

أولا: أقوال العلماء في منزلة ابن خمير العلمية

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص23، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص180، مصدر سابق

فقد وصف ابن خمير بأنه متمكن في الأدب، وهذا ما ظهر في مؤلفاته وخاصة كتاباه المراشد، وتنزيه الأنبياء، فله عبارات وجمل أدبية وسنوردها في موضعها، وكذلك وصفه بأنه أصولي فيدل على تمكنه من أصول الفقه وقد أورد بعض القواعد الأصولية في مؤلفاته منها مقدمات المراشد،ووصف بأنه لغوي وهذا ما ظهر في مصنفاته، ووصف بأنه شاعرا كما ذكرنا بعض من أبياته سابقا وأنه فقيها ينتمي إلى طبقة المالكية وهذا ما سنؤكده بأقوال العلماء.

- قول ابن الشعار فيه حين قال في قلائده عنه:"...كان فقيها مالكيا، شاعرا مفلقا، أصوليا عالما، أديبا لغويا...."[1].

وصفه ابن الشعار فذكر أنه فقيها فقد تكلم عن مسائل فقهية في كتابه المراشد وخاصة في تعريف الأحكام الشرعية الخمسة، وشروط التكليف، وكذلك في كتاب تنزيه الأنبياء تحدث عن الصلاة في معجزة الإسراء والمعراج، عن فرض الصلاة، وبين انتمائه للمذهب المالكي وهذا ما عليه غالبة علماء المغرب والأندلس،ووصفه بأنه شاعرا مفلقا أي أنه يقرض الشعر ويفلقه أي يشقه شقا وهذا دليل على تمكنه من قول الشعر وقد أوردنا شعره عند حديثنا عن آثاره العلمية، ووصفه بأنه عالم موسوعي متعدد المواهب وهذا ما سنتحدث عنه في ذكر مواهبه ونبوغه العلمي، وكذلك وصفه بأنه لغوي وهذا ما ظهر في مؤلفاته منها مقدمات المراشد وتنزيه الأنبياء، وسنورد له بعض الجمل والعبارات اللغوية وبعض التعريفات اللغوية لبعض الكلمات التي يستعملها في علم الكلام.

- قال عنه معاصره محمد الهاشمي المالقي[2]:

ولابن خمير في القريض تقدم *** به قيسا وازدرى بابن غالب[3]

[1]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 387/4، مصدر سابق

[2]- عالم وشاعر وأديب مغربي عاصر ابن خمير توفي سنة 613هـ، ينظر: تنزيه الأنبياء، بتحقيق الزبيبي، ص23

[3]- ينظر: تنزيه الأنبياء، بتحقيق الزبيبي، ص24

فقد وصفه معاصره بأنه شاعر متمكن بحيث ضاهى فحول الشعراء مثل قيس والفرزدق ممّا يدل على أن ابن خمير عدّ من فحول شعراء عصره لتمكنه من قرض الشعر.

- وقال عنه الأستاذ محمد عابد الفاسي وهو يصف ابن خمير بأنه متقدم في علم الكلام فقال: "محقق في ميدان علم الكلام إلى درجة قصوى".[1]
- وقال عنه رضوان الداية محقق كتاب تنزيه الأنبياء:"ابن خمير شخصية مهمة من شخصيات القرن السادس الهجري كان مرموقا منظورا إليه في عصره".[2]
- وقال عنه محمد ابن شريفة:"...أن ابن خمير كانت له مشاركة في الفقه والأصول واللغة والأدب...."[3]، وقال عنه أيضا:"...ويبدو أن السكوت عن ذكره في أثناء التراجم وعدم الإشارة إلى تآليفه في كتب البرامج يرجعان إلى أسباب منها: أنه لم يكن من المشتغلين بالروايات والرواة الذين يرد ذكرهم في الأسانيد وإنما كان من أهل الدراية ومنها: أنه مزاج حار ولسان حاد وقلم سيال في انتقاد بعض معاصريه لاسيما المحترفين للوعظ والمتكسبين بالتصوف في بلده سبتة، فهو ينعتهم بالبهائم والأوباش والأراذل والفجرة والكلاب، ونقدر أنه وقعت له خصومات معهم، ولا نستبعد أن تكون سببا في خمول ذكره".[4]
- قال عنه أحمد عبد الجليل الزبيبي محقق كتاب تنزيه الأنبياء :"...أن هذا المتكلم الأصولي كان شاعرا مفلقا، ويبدو أنه عرف بين معاصريه بالشعر أكثر ممّا عرف بسواه"[5]، فوصفه بأنه متكلم متمكن وكذلك وصفه بأنه شاعر وقد عرف أكثر مما عرف بالعلوم الأخرى،حتى حمل

---

[1]- المصدر السابق، ص29

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، بتحقيق: محمد رضوان الداية، ط2، 2007، مقدمة المحقق.

[3]- ابن شريفة، ابن خمير السبتي وآثاره، ص15، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص19

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، بتحقيق الزبيبي، ص 23، التعريف بالمؤلف ابن خمير

شعره إلى المشرق،وبالتحديد سورية،وأكثر تحديدا حلب قال الزبيبي:"...فهذا بلديه محمد بن عبد الله الأوسي[1]يحمل شعره إلى المشرق وينشد بحلب الشهباء"[2]، ثم يعلق الزبيبي فيقول:"ولعلَّ هذا ما يفسر لنا وجود نسخة من كتابه(تنزيه الأنبياء)في حلب ضمن مخطوطات المكتبة العثمانية،ولا نستبعد أن يكون هو(أي محمد بن عبد الله الأوسي السبتي – تلميذه) الذي أحضرها معه إليها"[3].

لأن تلميذه هاجر إلى حلب حيث نقل سيرته وعلمه وشعره إلى سورية، فأخذ عنه ذلك ابن الشّعار ودون ما أخذه في قلائده[4]، وضمه إلى جملة الأعلام فحفظ لنا ترجمته وشعره.

– وقال عنه محققا كتاب مقدمات المراشد:"نشأ في جو علمي حيث كانت سبتة تموج بحركة علمية هائلة وأخذ العلوم من كبار العلماء،كما رحل إلى الأندلس وأخذ من شيوخه وقد كان له تلاميذ كثيرون سجلوا ما فتح الله به عليه،كما خلف للمسلمين مؤلفات عديدة في العقائد والتفسير والنقد"[5]،فقد وصفه المحققان بأنه عاش في جو علمي مما ساعده على أخذ العلوم من شيوخه وكذلك أنه أعطى لتلاميذه مما تفوق به وخاصة علم الكلام ووصف أنه له تلاميذ كثر، وأنه رحل إلى الأندلس في طلب العلم، وأن له مؤلفات كثيرة في التفسير والعقائد والنقد؛ ولكن لم نعثر إلا على ثلاثة مؤلفات في مجال العقائد[6]، ومن خلال هذه المؤلفات يتبين لنا قدرته على التأليف والكلام في عدة علوم وهذا ما سنذكره في نبوغه ومواهبه العلمية فيما يأتي:

ثانيا: مواقف ابن خمير

---

[1]– سبق التعريف به في تلاميذه.

[2]– ابن خمير، تنزيه الأنبياء، بتحقيق الزبيبي، ص 23، التعريف بالمؤلف ابن خمير

[3]– ابن خمير، تنزيه الأنبياء، بتحقيق الزبيبي، ص23، بالهامش

[4]– ابن الشعار، قلائد الجمان، 387/4، مصدر سابق

[5]– ابن خمير، مقدمات المراشد، بتحقيق أحمد السابح وزميله، ص 17

[6]– وهي مقدمات المراشد، تنزيه الأنبياء، كتاب الوصية، وقد سبق ذكرهم في مصنفاته.

لقد كانت لابن خمير مواقف عدة في مجالات عدة وخاصة من أصحاب الملل والنحل والفرق ودون ذلك في كتابيه (مقدمات المراشد) و(تنزيه الأنبياء)، وسنذكر له مواقف منها:

أ. مواقفه من عدّة علوم وأصحابها:

سنتحدث عن بعض العلوم ومصنفاتها وأصحابها كالمؤرخين والقصاصين وأصحاب الفرق وموقفه منها.

1. موقف ابن خمير من القصص القرآني:

لقد اهتم ابن خمير بالقصص القرآني من جانب التحقيق والتنقيح لما رأى في هذا الجانب مما كتبوه عن قصص الأنبياء- عليهم السلام- ما يعارض صحيح المنقول وصريح المعقول فقد قال في هذا الجانب:"فإنني استخرت الله تعالى في إملاء شرح بعض آيات رغب في إملائها بعض الطلبة المحتاطين على الدين،غيرة منهم على أعراض النبيين لأن لاح في ضمنها بعض عتاب لهم في بعض هفوات لا تغض من أقدارهم،ولا تنقص من كمالهم،ولا تقدح في عصمتهم وكريم أحوالهم بما منّ الله به من فضله على من يشاء من عباده...".[1]

فقد طلب منه تلاميذه شرح الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء عليهم السلام فقام بإملاء شرحه للآيات، وتحدث عما ذكره غيره مما لا يليق بهم كالإسرائيليات في بعض التفاسير والآيات التي يظن فيها أنها عتاب للأنبياء عليهم السلام فبيّن أن هذا العتاب لا ينقص من قدرهم ولا يقدح في عصمتهم وبين ابن خمير كذلك مصادره في إيراد القصص الصحيح فاعتمد على مصدرين هامين هما القرآن والسنة، فقال:"والذي ينبغي أن يعول عليه في هذه القصة وما يضاهيها

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

من القصص،ما جاء به الكتاب العزيز أو ما صح عن الرسول ﷺ من الخبر وما سوى ذلك فيطرح هو ومختلقه وراويه...".[1]

ويذكر في مواضع أخرى الأسس التي تبنى عليها القصة القرآنية وكمثال على ذلك قصة داود عليه السلام، فقال:"...إعلموا أحسن الله إرشادنا وإياكم أن كل من تكلم في هذه القصة بما صح في حق داود عليه السلام، وبما لم يصح إنما بنوه على أسس هذه الخمس كلمات التي هي (أكفلنيها) و(وعزّني في الخطاب)و(لقد ظلمك)و(ليبغي بعضهم على بعض)، (وقليل ما هم) وهي بحمد الله تخرج له على مذهب أهل الحق بأجمل ما ينبغي له وأكمله...".[2]

فبيّن أن لكل قصة تبنى على أسس وهي كلمات الآيات التي تستخلص من القصة، ثم يبين في موضع آخر قواعد ومقدمات القصة عند التعرض لتفسيرها فيقول:"فأوّل ما ينبغي أن نقدم قبل الخوض في هذه المسائل وما يضاهيها ثلاث مقدمات:

إحداها: ما صحّ من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء من الكبائر.

والثانية: أن كل محظور كبيرة على قول من قال بذلك من أئمة السنّة،وهو الصحيح،لاتحاده في الحظر، وإنما يتصور كبير وأكبر بالتحريض على تركها وتأكيد الوعيد على فعل بعضها دون بعض.

والثالثة: شرح هذه الأقوال وما يضاهيها من القصص الموعود بها، على مذهب من قال بتنزيه الأنبياء عليهم السلام من الصغائر، وأنهم لا يواقعون صغيرة من الذنوب ولا كبيرة، وأن غاية أقوالهم وأفعالهم، التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنيّة".[3]

---

[1]- المصدر السابق، ص53

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 57، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 57- 58

فبين قبل الخوض في شرح القصة التركيز على هذه القواعد، حتى لا يذكر ما لا يليق بالنبوّة وما يقدح في عصمتهم فيتصدر لتفسير القصة مع مراعاة هذه الشروط الثلاثة حتى لا يخرج عن مسار التفسير الحقيقي والصحيح واللائق بمقامهم عليهم السلام.

2. موقف ابن خمير من القصاصين والمؤرخين وبعض المفسرين المنحرفين:

انتقد ابن خمير القصاصين والوعاظ الذين يتكلمون في قصص الأنبياء عليهم السلام من غير تحرز وتحقيق حيث قال عنهم:"...وذلك لما سلط الله على سادات المرسلين من غثاء الفريق المضلين من أوباش المعطلة الضالين، وأراذل اليهود والنصارى ومقلدة المؤرخين والقصاصين المجازفين الجاهلين بحقيقة النبوة،وما يجوز على أنبياء الله تعالى،وما يستحيل وما يجب على الكافة من تعزيرهم وتوقيرهم، وتدقيق النظر في استخراج مناقبهم على أتمّ الكمال وأعمه...".[1]

فهؤلاء المؤرخون والقصاصون يأخذون أخبار الأنبياء عليهم السلام دون تحري فيروون عليهم مما لا يليق بمقامهم وهذا جهلا منهم بأوصافهم وأحكامهم ممّا ذكره ابن خمير وما أجمع عليه العلماء فهناك أحكام خاصة بهم، ما يجوز في حقهم وما يستحيل عليهم،وما يجب لهم كالصدق والأمانة، والفطانة، وغيرها من أحكام النبوّة.

وقد وصف ابن خمير هؤلاء المؤرخين والقصاصين بأوصاف الحيوانات لعدم تورعهم في ذكر ما لا يليق بالأنبياء عليهم السلام، فقال:"فترى بهائم قد صرف الله قلوبهم وطبع عليها بطابع النفاق ينكبون عن هذه الواضحات من الحكم البالغة والبراهين الصادعة ويقصدون إلى أقوال وأفعال لهم يتخيلونها مثالب في حقهم، فيهلكون بها ويهلكون من حيث لا يشعرون"[2].

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 47

فنعتهم بالبهائم لأنهم لا يتورعون عن ذكر أوصاف ليست من النبوّة، ويبتعدون عن الحقيقة ويأتون بقصص من مخيلتهم فيضلون بهم العامة الذين لا يفرقون بين الحق والباطل، ولا يعرفون أحكام النبوّة، وفي موضع أخر وصفهم بالأوباش فقال"وما أرى أن هؤلاء أوباش الذين يعتقدون في عقائد أنبياء الله تعالى مثل هذا الاعتقاد، إلا أنهم يقيسونها بعقائدهم الفاسدة..."[1] وعن أهل بلدته سبتة المغربية موطنه الأصلي حيث ينعت بعض القصاصين بالكلب وذلك في قوله "وقد قال كلب من كلاب القصاص هذه القولة في هذا البلد على المنبر فما أنكروها عليه ولا طولب بها..."[2]، ويبين في موضع آخر أسباب وقصد هؤلاء القصاصين والمؤرخين من ذكر أخبار الأنبياء-عليهم السلام- بما لا يليق بهم فيقول عنهم:"فلنذكر الآن ما نذكر منها لكونهم يستعملون ذكرها لتحصيل أغراض لهم فاسدة،...، فيتأولنها تأويل من حل من عنقه ربقة الشريعة،ويئس من رحمة الله، ثم ينسبون بعض هذه الأقوال إلى كبار الصحابة والتابعين ليموهوا بها على العوام، لئلا يردوها عليهم ويقدحوا فيها ثم تراهم يترددون في نقل تلك الخرافات بالتكرار على أوجه مختلفة، تورعا في نقل الرواية، تورع الكلب الذي يرفع رجله عند البول وفمه في أعماق الجيفة!..."[3].

فبيّن أن لهم أغراضا وأهدافا ومقاصد فاسدة فيتأولون القصة حسب عقولهم ومخيلتهم وينحرفون بها لإرضاء العامة والاستمتاع بها، وحتى يثق بهم العامة ينسبونها إلى بعض الصحابة- رضي الله عنهم- والتابعين وقد وصف بعض التفاسير التي تنقل هذه القصص الغير لائقة بأنها

[1]- المصدر السابق، ص 143

[2]- المصدر نفسه

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص47-48، مصدر سابق

تفاسير فاسدة، فقال:"... فهذه من أقوالهم أقل شناعة وبشاعة مما سواها من الأقوال في كتب القصص والتواريخ، وبعض التفاسير الفاسدة!..."[1].

فنعت المصادر التاريخية وكذا التفاسير التي تعتمد على الإسرائيليات بأنها فاسدة وقد نهى عن الأخذ منها فقال:"الله الله أيّها المقلد أن تنظر في كتب الأباطيل في قصص الأنبياء ممن لا يكترث بالدين، ولا يحكم بتنزيه النبيين، وجعلها لإهلاك المقلدين..."[2].

فحذر القراء الذين لا يصل نظرهم إلى التمييز بين الصحيح وغير الصحيح من الروايات فنبّه عن الكتب والمصادر التاريخية والخاصة بالقصص النظر فيها وقراءتها من غير تمحيص.

وكذلك تحدث عن المفسرين الذين صاروا في هذا الركب فقال عنهم:"وكذلك بعض المفسرين لظاهر القرآن من غير بناء على أصل صحيح يسطرون في قصص الأنبياء-عليهم السلام- قواصم تهوي بضعفاء المقلدين إلى ضحضاح سحيق..."[3].

فهنا ركز على أصحاب التفاسير الفاسدة، والتي تعتمد على الإسرائيليات في نقل أخبار الأنبياء-عليهم السلام-دون تحقيق، ودون الاعتماد على مصادر صحيحة ودون مراعاة لأحكام النبوة، وعصمتهم من الوقوع في مثل هذه الانحرافات.

ويضرب ابن خمير أمثلة ممّا نقله لبعض المفسرين في قصص الأنبياء- عليهم السلام- فيقول: "...مثلما اختلقوه في قصة سيدنا داود عليه السلام مع إمرأة-أوريا- وكيف أشرف من محرابه ورآها تغتسل فرأت ظله فأسدلت شعرها على جسدها،فأرسل إليها يسألها عن بعلها فأخبرته أنه-أوريا-فأرسل إلى أمير الجيش بأن يقربه ويقدمه للحروب والتغرير، فأغراه مرات وقدمه للقاء العدو

[1]- المصدر السابق، ص 48

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 265، المصدر السابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 265، المصدر السابق

حتى قُتل ثم تزوجها، ثم تراهم يكررون هذه الطواغم ليتورعوا في نقلها تورع الكلب الذي يرفع رجله عند البول وفمه في أعماق الجيفة..."[1]، هذه القصة أوردها ابن خمير كاملة وقد فصل القول فيها، ورد عليها وأخرجها على مذهب أهل الحق تخريجا يليق بمقام النبوّة[2].

وردت معظم هذه القصص في كتب أهل الكتاب وأخذها المفسرون وهذا ما يعرف بالإسرائيليات، وتناقلها المؤرخون والقصاصون وأصبحت مبثوثة في كتب التراث.

وينقل ابن خمير عن المفسِّر المغربي أبو بكر بن العربي كلاما في التحذير من بعض المؤرخين والمفسِّرين فيقول:"...وما عسى أن تنقطع القلوب بسمع هذه القوارع، ولذا كان الإمام أبو بكر بن العربي –رحمه الله– يقول: (يا لله من المؤرخين، وجهلة المفسرين)...".[3]

فقد وجد من يسانده في كلامه هذا الإمام ابن العربي في التحذير من المؤرخين الجهلة والمفسِّرين الناقلين للإسرائيليات دون تأكد أو معيار لمعرفة الصحيح من السقيم، ويواصل ابن خمير في كلامه هذا عن المؤرخين والمفسرين والقصاصين على أنه خوفا من الغوص في الحديث عنهم بما يخرجه عن موضوع كتابه مقدمات المراشد فقال:"...ولولا التطويل وإخراج التأليف عن المقصود تجد فيه شفاء صدرك إن شاء الله تعالى،فنسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا والباطل باطلا..."[4]. وكلامه يدل على أنه خصص لهذا المجال كتابه(تنزيه الأنبياء)،وقد أورد فيه أقوال المؤرخين والقصاصين والمفسرين وغيرهم ممن تصدر لهذه القصص وتفسير آياتها.

3. موقف ابن خمير من التصوف :

[1]– المصدر نفسه

[2]– ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 51– 63، المصدر السابق

[3]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 266، المصدر السابق

[4]– المصدر نفسه

ذكر ابن خمير نوعين من التصوف الأول التصوف الإيجابي والثاني التصوف السلبي.

أ. **التصوف الإيجابي:**

وهو التصوف المحمود الذي لا يتعارض مع الدين وأصول الشريعة وقد أقره ابن خمير حيث قال:"لتعلم أن القوم كبار المقربين ورؤساء العارفين، وأنهم أهل الحضرة القائمون في نطاق الخدمة، والقاعدون على بساط القرب، وهم مع ذلك أهل المنازلات والمشاهدات، ومن كانت هذه حالته فجدير أن يطلب بالفترات والغفلات ودقيق الملاحظات حتى تكون حسنات الأبرار سيئات المقرّبين فلكل مقام مقال، ومن شأن الملوك الإغضاء عن العوام، والبحث والتنقير على الخواص ولله المثل الأعلى...".[1]

- وكذلك استعمل في استدلاله بعض مصطلحات التصوف منها مصطلح (المنازلات) ومصطلح(المشاهدات)[2]واستدل بأقوال الصوفية المعتدلة فقال:"وقال بعض المشايخ الصوفية: (وجدك ضالا: أي محبا له)...".[3]

ب.التصوف السلبي وموقف ابن خمير من المتصوفة المتكسبين والوعاظ المنحرفين:

وهو التصوف المذموم الذي يتعارض مع الدين وأصول الشريعة الذي يؤدي إلى الانحراف،فقد تكلم ابن خمير عن أصناف أخرى من الناس تقدموا لتفسير قصص الأنبياء–عليهم السلام–ونقل أخبارهم وهؤلاء غير الآخرين فهم ممن ادعى التصوّف لأغراض أخرى، وليس لهدف الزهد وكذلك ممن تصدر للوعظ والإرشاد على منابر المساجد،فقال عنهم:"...،ثم قيّض الله لتلك الحكايات في هذا الوقت النكوب شرذمّة من المقلدة المنتمين إلى الإرادة(أي التصوّف) والقصاص المدعين في غرائب العلم وبواطن المعاني المنتمين إلى الوعظ والتذكير فتراهم ينتقلون من المزابل إلى

[1]– المصدر السابق، ص 259

[2]– (حديثه في الرد على من قال أن النبي تجوز عليه الصغائر فاستدل بمذهب التصوف)، المصدر نفسه

[3]– ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 155، مصدر سابق

المنابر فيطرحون الكلام في وظائف التوحيد، ومزعجات الوعد والوعيد وأقسام أهل الدارين في الدرجات والدركات ويخوضون في أحوال الأنبياء عليهم السلام ويتمندلون بأعراضهم على رؤوس العوام والطغام، ولا مشفق على دين الله تعالى، ولا محتاط على أغمار المقلدة ولا زاجر ذا سلطان، حتى كأننا ملة أخرى، ولا نغار على ذممهم ولا نرقب في أعراضهم إلا ولا ذمة ...".[1]

حيث بيّن أن هؤلاء المتصوّفة والوعاظ ينقلون قصص الأنبياء عليهم السلام دون تحري ولا بحث ولا اعتماد على نقل صحيح من القرآن والسنّة وليس لهم معايير في الأخذ من المصادر ولا يتورعون في ذكر ما لا يليق بهم وما يتنافى مع عصمتهم فهمهم الحكايات والقصص وإسماع العوام بما هو غريب، ويواصل ابن خمير كلامه عن هؤلاء ويكشف مقاصدهم في سرد هذه القصص، فيقول:"وغرض هؤلاء الفسقة في سرد تلك الحكايات المورطة قائلها وناقلها في سخط الله تعالى أن يهونوا الفسوق والمعاصي على بله العوام، ويتسللوا إلى الفجور بالنساء يذكرها لواذا، حتى ترى المرأة تخرج من مجلس الوعظ إلى منزله، فتسأله على التفصيل فيزيدها أقبح مما أسمعها في الجمهور، ويقول لها: (هذا أمر ما سلم منه عظماء المرسلين، فكيف نحن؟!) فلا يزال يهون عليها ما كان يصعب من قبل...".[2]

هذا ما ذكره ابن خمير وهو منتشر في بلدته في الأسواق، والمساجد، فتجد في الأسواق الحكواتي يحكي ويقص على الناس حكايات وقصص الأنبياء- عليهم السلام- وكذا في حلقات المساجد وعلى منابرها قصص الأنبياء-عليهم السلام- وهذا منتشر بالمغرب العربي قاطبة، وما ذكره ابن خمير في بلدته ويعتبر ذلك نموذجا مصغرا حيث وصف عصره بأنه عصر منكوب،ولا يوجد من ذوي السلطان من يوقف هؤلاء على حدهم فقال:"ثم قد قيض الله لتلك الحكايات في

[1]- المصدر السابق، ص 49

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 49، مصدر سابق

هذا الوقت النكوب شرذمة من المقلدة..."[1]، وعن عدم محاكمة هؤلاء قال: "ولا مشفق على دين الله تعالى، ولا محتاط على أغمار المقلدة، ولا زاجر ذا سلطان حتى كأننا ملة أخرى، ولا نغار على ذممهم..."[2].

وضرب ابن خمير مثالا في قصة آدم عليه السلام، وخاصة في قوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[3] فقال ابن خمير عنهم:"فلمّا كان ذلك وجد أهل الدعاوي وأهل الحيرة، مع ما دهاهم من عدم التحقيق وكيد الوسواس سبيلا، إلى الإخلال بحقه عليه السلام، حتى سطروا في الضَّبائر وأفحصوا على المنابر بأن قالوا:(إذا كان رأس الدّن دردیا[4]فما ظنك بقعره؟) وهذه وصمة تجر إلى تنقيصة وتنقيص من بعده من الأنبياء عليهم السلام،وهو مقصودهم في ذلك، وشرحوا قوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتهما...﴾[5]، أنهما لما عصيا الله، سلب الله عنهما أنوار الربوبية الروحانية التي كانت فاضت عليهما منه- تعالى عمّا يصفون- فظهر لهما الجسم الترابي المجبول على المعصية، فعلموا إذ ذاك أنه منه أتى عليهما فأوجبوا المعاصي للأجسام الترابية وأنبياء الله تعالى كلهم أجسام ترابية وهي ظاهرة لهم، وهذا أقل ما نسبوه لآدمعليه السلام"[6] وقد ذكر ابن خمير كلامهم في أغلب قصص الأنبياء عليهم السلام، وممّا ذكر في قصة داود عليه السلام أقوالهم حيث قال:"فمن شنيع تخريصهم في قصته عليه السلام مع امرأة أوريا، وقلة مراعاتهم مع من جعله الله خليفة في الأرض، وشدّ ملكه، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وسخر له الجبال يسبحن معه والطير،وآلان له

---

[1]- المصدر السابق، ص48

[2]- المصدر السابق، ص49

[3]- سورة طه، الآية: 121

[4]- الدّن: الوعا الضخم،ينظر: مختارالصحاح،ص120، والدردي: ما رسب أسفل العسل، ينظر: مختارالصحاح، ص115 ويضرب بهذا المثال(أول الدن دردي) في الشيء الذي أوله كدر ينظر: مجمع الأمثال للميداني، 89/1، مصدر سابق

[5]- سورة الأعراف، الآية: 22

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص99-100، المصدر السابق

الحديد..."[1]،ثم يذكر أقوالهم ويرد عليها ويخرج القصة على مذهب أهل الحق،حتى يقول عند نهاية عرضه لأقوالهم:"فهذه من أقوالهم أقل شناعة وبشاعة ممّا سواها من الأقوال في كتب القصص والتواريخ وبعض التفاسير الفاسدة".[2]

فبيّن أن أقوال المتصوفة والوعاظ أقلّ ممّا أورده المؤرخون في مصادرهم والمفسرون في تفاسيرهم ومثال آخر في قصة سليمان عليه السلام حيث قال ابن خمير عليهم بعد سرد أقوالهم: "وهذا أسلم ما قالوه في قصته عليه السلام، وزاد فيها الفجرة، وأن الشيطان كان يقع على نساء سليمان عليه السلام وهن حيض، ولذا تفطنوا أنه لم يكن سليمان...".[3]

وهكذا في جميع القصص التي أوردها ابن خمير في كتابه تنزيه الأنبياء فيورد أقوالهم ويرد عليها ويخرج القصة على مذهب أهل الحق، وقد تكلم عن المتصوفة المتكسبين في مواضع عدة منها قوله عنهم في مسألة الإلهام فقال:"والقائلون به قوم لا خلاق لهم أيضا، وهم الصنف المدعي حيلة على أموال العوام من الرجال والنساء فيقول أحدهم:(جعت وواصلت والتزمت قعر بيتي فألهمني الله معارف بأحاديثه،ثلج بها صدري وأراحني من كل كدّ النظر في علم القشور) ويعنى به ما نحن بسبيله[4]،ويدعي أعلى مقامات المعرفة التي أشار إليها أرباب القلوب رضي الله عنهم، ويستشهد بما جاء عنه ﷺ:(من أخلص لله أربعين صباحا...)[5]، الحديث، فإذا طولب بالعبادات حاص عنها بأن يقول:(هي أعلى وأشرف من أن يفصح بها) وأيضا:(إن أفهامكم لا تصل إليها)،فيملون بها على العوام، وليشتروا بها من دنياهم ما يبيعون به آخرتهم فأول ما يطلب به

[1]- المصدر السابق، ص51

[2]- المصدر السابق، ص52

[3]- المصدر السابق، ص66

[4]- يتحدث عن مسألة النظر وما يتعلق بها من أقسام العلم الضروري والنظري، مقدمات المراشد، ص64، المصدر السابق

[5]- الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية، 189/5، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1357هـ.

هؤلاء السفلة، ردهم على كتاب الله تعالى فيما تضمن من الأمر بالنظر والاستدلال في العدد الذي تقدم ذكره، وما أثنى على المتدبرين المتفكرين والمعتبرين والمتوسمين وما وعدهم به من المثوبات،ورفع الدرجات،وما أوعد به تاركي النظر في الذم والعقوبات فلئن كانت الحقائق تحصل بالإلهام–على زعمهم– فلا فائدة في الحض على التدبر من الله تعالى، وأقل ما يلزم به هؤلاء الملاعين تعطيل كتاب الله والردّ عليه...".[1]

ثم يرد عليهم ابن خمير بأسلوبه المعتاد في الردّ على المخالفين ويحلّل كلامهم ويضربهم بأقوالهم ويستدل عليها بآيات وأحاديث وفي نهاية كلامه بعد الردّ على هؤلاء المدعين للتصوف ويقول:"ولولا رعاع من الطغام ينخدعون بقول هؤلاء الأوباش، لكان الإضراب عنهم أولى...".[2]

فهذا موقف ابن خمير من المتصوفة المتكسبين والوعاظ المنحرفين وقد عاصر بعضهم وسمع مقالتهم وحكاياتهم وما نقله له تلاميذه وشيوخه من أقوالهم الشنيعة وقد كثروا في عصره فقال: "هذه الفتنة العمياء التي شملت الأكثر في هذا الوقت المنكوب"[3]، فقد وصف عصره بأنه كثير الفتن ومليء بهؤلاء المتصوفة المتكسبين وبعض الوعاظ المنحرفين، فابن خمير يقف موقف الذام لهؤلاء أما التصوف وأهله المعتدلون فيثني عليهم في عدة مواضع منها قوله:"ويدعي أعلى مقامات المعرفة التي أشار إليها أرباب القلوب–رضي الله عنهم– ...".[4]

هنا إشارة إلى أصحاب التصوف المعتدلين لقبهم بأرباب القلوب وأثنى عليهم بقوله– رضي الله عنهم– ولكن المنحرفين والمتكسبين والمتسللين يدعون التصوف وهم ليسوا من أهله لأن

[1]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 64– 65، المصدر السابق

[2]– المصدر السابق، ص65

[3]– المصدر نفسه

[4]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 64، مصدر سابق

لهم أغراض خبيثة فيصفهم ابن خمير بالأوباش والسفلة وقد أفرد لهم كتاب "الوصيّة"[1] للكشف عن أسرارهم وأغراضهم وأهدافهم.

4. موقف ابن خمير من أهل الكتاب والفلاسفة:

لقد وقف ابن خمير من هؤلاء موقف الناقد والكاشف لأسرارهم وأهدافهم لمحاربتهم الدين والقول في الذات الإلهية والنبيين-عليهم السلام-فقال عن اليهود والنصارى في معرض حديثه عن القدح في أعراض النبيين:"...وذلك لما سلّط الله على سادات المرسلين من غثاء الفريق المضلين من أوباش المعطلة الضالين، وأراذل اليهود والنصارى..."[2]،وهؤلاء أخذ عنهم بعض المسلمين ونقلوا أقوالهم وأباطيلهم في التفاسير بما يعرف بالإسرائيليات ولقد رد على اليهود في مسألة الوحدانية وعرضه لدليل التمانع، وفي نهايته قال:"فتعسا للمجسمة فما أجهلهم بربّهم تعالى! فهذا دليل يشتمل الردّ به على المجسمة واليهود فإنهم يقولون بقول المجسمة، وعلى كل من تخيّل في الإله تبعيض"[3].

فهنا يرد على المجسمة واليهود القادحين في صفة الوحدانية، وفي ردّه على النصارى فقد خصّص لهم فصلا بعنوان (الردّ على النصارى القائلين بالأقانيم)، وذلك في معرض حديثه عن مسألة الوحدانية فقال عنهم:"وأما الرد على النصارى، فنذكر طرفا منه فإنهم ينحون إلى التشبيه الذي نحن نتولى الآن مناقضة آراء نظرائهم في نفيه،.."[4] ثم يواصل في الردّ عليهم في القدح في صفة الوحدانية وقولهم بالتثليث وأن عيسى عليه السلام جزء من الإله حيث قال:"...فأمّا الردّ عليهم من جهة، فإنهم زعموا أن الجوهر قديم، وأن الأقانيم أحوال له في الأزل، ثم انقلبت إلى جسد

---

[1]- أشرنا إليه في الحديث عن مصنفاته وموضوعه وأنه مفقود وذكره في كتابه مقدمات المراشد، ص117،مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص109، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص109، مصدر سابق

عيسىﷺ..."[1]،ويواصل في نقض أدلتهم وآرائهم حول مسألة التثليث فيقول: "...فأما الردّ عليهم في إدعاء التثليث فيقال لهم: بم تردون على من يزعم أن الأقانيم أربعة منها القدرة التي لا تعقل الإلهية دونها؟..."[2]، فيردّ عليهم من جنسهم أي مقابلة الفاسد بالفاسد كما عبّر عنه ابن خمير (وأما مقابلة الفاسد بالفاسد فيشد وثاقهم فيه من وجهين:.."[3]،وفي مواضع عدة رد على أهل الكتاب منه رده عليهم باعتقادهم أن عيسىﷺ كان يخلق باختياره، فقال عنهم:"فإن ادعوا بأن عيسىﷺكان يخلق باختياره وموسى كان يدعو ربّه فيفعل له ذلك عكست عليهم الدعوى،بعينها،فيقال لهم: وكذلك كان يفعل عيسى وهو أولى بذلك..."[4] ويواصل في الردّ عليهم من خلال كتبهم، مما يدل على أن ابن خمير مطلع على الكتب السماوية حيث قال:"...؛لأن في الإنجيل أن عيسىﷺ بكى وقال:(ربِّ،إن كان في مشيئتك أن تصرف هذا الكائن عن أحد فاصرفه عنّا)، يعني الموت"[5]، ثم يردّ على النصارى في اعتمادهم على أدلة القرآن الدالة على أن عيسىﷺ كان يخلق من الطين كهيئة الطير فقال ابن خمير في معرض رده عليهم"فإن قالوا، فقد جاء في كتابكم أن عيسى كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله، قلنا: هذا يبطل عليكم من وجهين...".[6]

ثم يواصل في الردّ بذكر الوجهين، ويفصل القول فيه وفي موضع آخر يرد عليهم في مسألة نبوة عيسى ﷺوخصص لذلك فصل بعنوان(عيسى يعترف بأنه نبيّ)فيقول ابن خمير في معرض الردّ عليهم في هذه المسألة:"فإن ادعى مدع منهم الخبر،فزعم أن عيسى أخبر أنه ابن

---

[1]- المصدر السابق، ص111

[2]- المصدر السابق، ص112

[3]- المصدر نفسه

[4]- المصدر نفسه

[5]- المصدر السابق، ص113

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص113، مصدر سابق

الله،قلنا:حاشى لأنبياء الله تعالى أن يتفوهوا بهذه الفاضحة الدهياء،مع عصمتهم..."[1]،ويواصل في الردّ على هذه المسألة من كتابهم المقدس فيقول:"...كيف،وقد جاء في أناجيلهم أن عيسىﷺ قال: (إنما بعثت معلما)، وفيه أيضا أنه قال للحواريين:(اخرجوا من هذه المدينة فإنه ما أكرم نبي في مدينته) وهذا اعتراف منه بأنه نبيّ مرسل مبعوث كسائر الرسل"[2]، وهذه نماذج من ردوده عليهم، فقد ردّ على أهل الكتاب اليهود والنصارى في عدّة مسائل في الإلهيات والنبوّات وكذلك، فنّد أقوالهم في قصص الأنبياء- عليهم السلام-بما لا يليق بهم.

وأما موقفه من الفلاسفة والفلسفة، فقد نقدهم في مسائل عدة لها علاقة بالعقائد منها مسألة خلق أفعال العباد،فقال:"هذه مسألة مهمة في الدين طالت فيها مكابدة الأولين والآخرين ولأنها مبنية على القول بالقدر،...وأنها محشر حرب،وشارة غلط قديم مبني على القول بتحسين العقل، وتقبيحه، وهي شبهة فلسفية تلقفتها القدرية من الأوائل...."[3].

فذكر أن المتكلمين من المسلمين وخاصة المعتزلة بنوا مذهبهم على قواعد فلسفية لا تتناسب مع ديننا وفي مسألة إثبات النبوّة رد على الفلاسفة حيث قال:"أعلم أيها المسترشد أن العقلاء في أمر النبوة على ضربين: مثبتون لها، ونفاة،والنفاة على ضربين:دهرية وإلهية، وكلاهما مجمع على القول بقدم العالم.."[4]،فصنّف الفلاسفة من نفاة النبوّة وقسّمهم إلى قسمين ممّا يدل على اطلاعه على آرائهم ومذاهبهم وأصنافهم ويواصل في الردّ عليهم فيقول:"وإذا روجع هذا

[1]- المصدر السابق، ص114

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص 170

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص200، مصدر سابق

الصنف الإلهي من الفلاسفة في أمر الأنبياء –عليهم السلام– ادعوا أنهم كانوا فلاسفة عقلاء وحكماء في غاية العقل والحكمة...".[1]

ويعرض أقوال بعض الفلاسفة القدامى في مسألة الإله فيقول:"فقد قال عظماؤكم من(أفلاطون) و(أرسطو، طاليس) و(ديو قبطينوس) وأشباههم و(فيتاغورس) ومن ساعدهم من الفلاسفة اليونانيين[2]:(أن الإله جوهر هو أبسط البسائط، أزلي لا صفة له، ولا وصف، ولا ينعت ولا يوصف... إلى غير ذلك)– فيقول ابن خمير–: وهذا هو النفي بعينه...".[3]

هذا قولهم في الإله وصفاته ما عارضه ابن خمير وردّ عليهم، وأما في مسألة النبوة فيقول عنهم ابن خمير ما يلي:"ثمّ إن الفلاسفة الإلهية من أثبت النبوّة حقيقة،إلا أنه ادعى أنها تكتسب".[4]ويواصل كلامه في عرض أقوالهم في كيفية اكتساب النبوّة ويردّ عليهم ويفنِّد أقوالهم ويذكر ابن خمير بعض من فلاسفة المسلمين بذكر اسمهم وآرائهم فيقول في معرض ردّه على القائلين بأن الإله جوهر بسيط يعرف بالدليل حيث قال:"...وإن قالوا، نعلمه بالدليل، طلبانهم به، فلا يجدون إليه سبيلا، سوى مجرد دعوى لقفوها من النصارى والقرمطية والفلاسفة وحكايات سطرها (إخوان الصفاء[5]) في(رسائلهم)، و(ابن سينا[1]) في(شفائه)وحكاية(حيّ بن يقظان)

---

[1]– المصدر السابق، ص201

[2]– أرسطو طاليس: فيلسوف يوناني يعرف بالمعلم الأول،ت 322 ق.م، له كتاب الخطابة، ينظر: روني إيلي ألفا موسوعة أعلام الفلاسفة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1952م،72/1 – أفلاطون: فيلسوف إغريقي ت348 ق.م له كتاب الجمهورية، المصدر السابق، 97/1،– ديموقريطس: (ديو قبطينوس، لعله تصحيف من الناسخ أوخطأ مطبعي)فيلسوف يوناني ت 370 ق.م، له كتاب في طبيعة الإنسان، المصدر السابق،455/1،–فيتاغورس: فيلسوف يوناني، ت500 ق.م،صاحب نظرية زوايا المثلث، المصدر السابق 194/2.

[3]– المصدر السابق، ص 202

[4]– المصدر السابق، ص 203

[5]– هم جماعة من الفلاسفة ظهروا في القرن العاشر الميلادي بالبصرة تجمعهم آراء متقاربة ولهم رسائل منها رسالة في الفلسفة، موسوعة أعلام الفلاسفة، 59/1، مصدر سابق.

و(آسال وسلامان)[2]..."[3]ثم يعرض قصة(آسال وسلامان)ويرد عليها ويتهكم بها فيقول عنها:"...فصار هو في خرفات عجائز، لو كان قاصا من القصاص ذكرها،في المتطاول،لصار أضحوكة لعوام العقلاء، فكيف بحذاقهم!!... فتعوذّ بالله من الخذلان..."[4] ثم يعرض قصة (حيّ بن يقظان) ويرد عليها معلقا عليها ومتعجب من عرضها كدليل لمعرفة الخالق حيث يقول: "فلا والله سوى مجرد خبر على جهة ذكر القدماء أن(حيّ بن يقظان)اتفق له في جزيرة كذا ثم اختلفوا في بداية أمره،...وهي طريقة هؤلاء المساكين في جميع ما يحكونه عن الأوائل في المعتقدات، ثم يدعون مع ذلك أنها براهين قاطعات...".[5]

فهذه نماذج من أقوال وآراء الفلاسفة التي عرضها ابن خمير وعلّق عليها وأبطل أقوالهم الفاسدة والتي لا تتناسب مع اعتقاداتنا وديننا.

5. موقف ابن خمير من أصحاب الفرق والديانات الأخرى:

لقد تعرّض ابن خمير إلى الكلام عن الفرق بأنواعها وأصنافها وذكر أسماء منها،ورد على بعضها وخاصة المعتزلة، ومن الفرق التي ذكرها بالاسم المعتزلة، الخوارج، والقرامطة والروافض والشيعة،...ومنهم من ذكر أعلامهم كالكعبي[6]، وكذلك أصحاب الديانات الأخرى كالمجوسية، والباطنية، وحتى أنه ذكر أسماء مؤسسيها منهم ميمون القداح[7] وقرمط الأكار[8] وذكر كيفية بداية

---

[1]- هو أبو علي الحسين الملقب بالشيخ الرئيس فيلسوف إيراني، ت 428هـ، من مصنفاته الشفاء، موسوعة أعلام الفلاسفة، 29/1، مصدر سابق.

[2]- هما مصنفان لابن طفيل وقد سبق التعريف به في الحديث عن معاصري ابن خمير من هذا الفصل

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص119، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- المصدر نفسه

[6]- المصدر السابق، ص137

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص219، مصدر سابق

[8]- المصدر السابق، ص 115

تأسيس الفرق وتاريخها[1] وسنذكر نبذة عن ذلك ممّا ذكره وموقفه من الفرق وتقييمه وموقفه من أصحاب الملل الأخرى فيما يأتي:

أما بالنسبة لبداية تاريخ ظهور الفرق فقال: "وذلك أن صدر الإسلام جاء بالقرآن العظيم والسيف الصارم بلسان العرب...ثم مع ذلك أمر الكل بالنظر والاستدلال...، فمر على هذ الحقيقة زمن الصحابة،ثم استشرى الفساد في آخر قرن الصحابة عن وقعة (صفين والجمل) بما ظهر من الخوارج ثم الروافض بعد، ثم نبعت القدرية،...ثم نبعت المعتزلة زمن التابعين،...ثم لم يزل الأمر يتفاقم والخطب يتلاطم، ودخل في الدين غلف الأعاجم واشتدت الأيدي بالمحاربة وسفك الدماء على إظهار البدع كالخوارج والقرامطة،والأزارقة والعجاردة، والإمامية والإسماعيلية وغيرهم من أهل الأهواء[2]... ".[3]

فبيّن ابن خمير بداية تاريخ ظهور الفرق والأسباب التي دفت ظهورها، وذكر أصول تسميتها ونسبتها، وكانت له مواقف اتجاه هذه الفرق فيعدّها من الفرق الضالة وسنذكر له بعض الردود وبعض المواقف من الفرق فيستدل بالحديث على ضلال هذه الفرق، والتي ذكر منها

---

[1]- المصدر السابق، ص 319

[2]- **الخوارج هم**: الذين خرجوا عن علي ابن أبي طالب ﷺ، ينظر: حسن أبو الخير، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان،ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة،2011م،51/1 – **الروافض**:وهم الذين رفضوا إمامة أبي بكر الصديق ﷺ،ينظر:عبد الأمير علي مهنا، وعلي خريس، جامع الفرق والمذاهب،ط1، المركز الثقافي العربي،بيروت،1992م،ص72 – **القدرية**: وهم القائلون بأن أعمال الإنسان كلها بقدر الله تعالى، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان، 311/1، مصدر سابق، – **المعتزلة**: وهم أتباع واصل بن عطا الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان 328/1، مصدر سابق، – **القرامطة**: هم فرقة من الطبيعية تنسب إلى قرمط، جامع الفرق والمذاهب، ص157، مصدر سابق، – **الأزارقة**: وهم أتباع نافع بن الأزرق من الخوارج، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان 60/1، مصدر سابق **العجاردة**: وهم اتباع عبد الكريم بن عجرد من الخوارج، المصدر السابق 61/1، – **الإمامية**: وهم القائليون بإمامة علي بن أبي طالبﷺ، جامع الفرق والمذاهب، ص26، مصدر سابق، – **الإسماعيلية**: وهم أتباع اسماعيل بن جعفر من الشيعة الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان 161/1، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص33، مصدر سابق

بأسمائها فقال:"...، وغيرهم من أهل الأهواء وظهر قول الصادق المصدوق- صلوات الله عليه-في الإثنين والسبعين[1]،كما تقدّم.."[2] وقال في موضع آخر:"...إنما فعلوا ذلك احتياطا على عقائد العوام لما نبع بين أظهرهم من فرق البدع المضلين الذين حصر عددهم سيد المرسلين ﷺ في إثنتين وسبعين مع ما سبق لأوهامهم من تخيل العوائد وتقليد المقلدة فيها".[3]

فقد صنّف هذه الفرق بأنها أصحاب أهواء وبدع وضلال واستدل بالحديث الذي يحصر عدد هذه الفرق.

وكأمثلة من ردوده على بعض هذه الفرق نذكر نماذج منها:

رده على الباطنية في مسألة الصفات الإلهية وإثبات النبوّات فيقول عنهم:"وأما غلاة الباطنية فهو صنفان.

الصنف الأول: معطل قرمطي، قائل بقدم العالم جاحد للنبوات...

والصنف الثاني: القائلون بالإلهية والنبوة، لأن أول المثبتون لها، فإنهم يدعون النبوة لأنفسهم في ثاني حال، ثم يدعون الإلهية بعد ذلك...".[4]

[1]- إشارة إلى الحديث (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرق، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)، أخرجه أبو داود في سننه برقم 4596، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص33، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 23

[4]- المصدر السابق، ص 114- 116

وفي ردّه عن الفرق وخاصة في موضوع الصفات الإلهية ومسألة (شبهة نفي الصفات) فيرد على المعتزلة عموما ويخصص بعض علمائها كالكعبي[1]،وأبو الهذيل[2]،وابن الأشرس[3] وغيرهم وسنذكر نماذج من ردوده عليهم.

وعن الكعبي وبعد رده العام عن المعتزلة وعرض الالتزامات في صفة الإرادة قال: (...وأما الإرادات التي أثبتوها حادثة له تعالى فيلزمهم فيها سبع التزامات كل إلزام منها يجر إلى نقض الحقيقة وهدم الشريعة وهي: حدث الصانع، وقدم العالم، والتسلسل...ولأجل هذه الالتزامات زاغ الكعبي عن إثبات الإرادة لله تعالى إكتفاء بالعلم،فألزم الإيجاب بالذات وعدم تأثير القدرة، وقدم العالم"[4].

وعند حديثه عن شروط المعجزة ذكر شبهة المعتزلة حيث قال: (هناك شبهة للمعتزلة يجب الاعتناء بها؛...)[5] ثم يذكر هذه الشبهة ويرد عليها ثم يعقد فصلا خاصا بالرد على المعتزلة في نفس المسألة ويذكر إلزامهم ثم يعين أحدى زعمائهم وهو (ثمامة بن الأشرس) فيقول عنه:"وقد راغ بعضهم من هذا الإلزام منهم (ثمامة بن الأشرس) فقالوا: إنّما المعجزة من قرائن الأحوال في النبيّ لاستقامته في جميع أموره قولا وفعلا وحالا".[6]

---

[1]- سبق التعريف به

[2]- هو محمد بن الهذيل بن عبدالله المعروف بالعلاف ولد سنة 135هـ بالبصرة من أئمة المعتزلة توفي 235هـ الزركلي 355/7، مصدر سابق.

[3]- هو ثمامة بن الأشرس النميري أبو معن من كبار المعتزلة توفي 213هـ، الزركلي، 86/2، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص137، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 216

[6]- المصدر السابق، ص 219

وفي ذكر زعيمهم أبو الهذيل، في معرض رده على المعتزلة عموما في مسألة خلود الجنة والنار، فقال:"...ولا أعلم من قال بقطع عذاب الكفرة في النار ونعيم المؤمنين في الجنّة إلا (أبو الهذيل) ومن تابعه من حثالة المعتزلة الذين لا يبالون بخروق الإجماع...".[1]

وهكذا في ردوده على الفرق كالروافض في قوله:"وأما ما اختلقته الروافض من إنكار علي ﷺ تقديمه ... وإكراهه على البيعة؛...".[2]

وأما الإمامية فقال عنهم:"وأما الإمامية منهم فلاشك في كفرهم فإنهم زادوا على تكفير الصحابة والغلو في التجسيم .....".[3]

وهكذا أسلوبه في الردّ على الفرق الضالة وأصحاب البدع المنتمين إلى الإسلام،وكتابه المراشد فيه الكثير من الردود على الفرق وذكر أسماءهم وآرائهم.

وأما موقفه من أصحاب الديانات الأخرى كالمجوسية، والبراهمة، وغيرهم نذكر نماذج من أقواله وردوده عليهم، فعن المجوسية قال:"وهؤلاء قوم قصدوا المجوسية لكن نكبوا عن ألفاظ المجوس في تسمية النور والظلمة بـ (يزدان) و(أهرمن) ...."[4]،وقال عن الدهريين:"ومن أجل هذا الغموض في هذا الوجه، زاغت الدهرية حتى ادعت قدم العالم،..."[5]،وهذا في ردّه عن المخالفين في مسألة القدرة وتعلقها بالحوادث.

وعن حديثه عن الفروق بين المعجزة وغيرها من الخوارق كالسحر،والكرامة،قال عن عبدة الكواكب:"وأما عباد الكواكب فهم قوم قلدوا الطبائعين في تأثير الكواكب في عالم

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص319، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 336

[3]- المصدر السابق، ص 337، ويقصد بالإمامية اليونسية في عهده

[4]- المصدر السابق، ص 115

[5]- المصدر السابق، ص 182

الأرض..."[1]،ثم يواصل الردّ عليهم بأسلوبه الخاص، وفي مسألة إثبات النبوّات فقد رد على البراهمة حيث قال:"وأما الردّ على البراهمة، فقد ذكر أصحاب المقالات أن البراهمة قوم ينتمون إلى(برهم)وهو أول من أسس لهم إنكار النبوة مع إثبات الإله..."[2]، ويواصل التعريف بهم وبأصنافهم فهو يقسمهم إلى ثلاثة أصناف.[3]

وكلامه في الردّ على أصحاب الديانات الأخرى كثير لا نستطيع جمعه في هذا المبحث وإنما أوردنا نماذج من مواقفه وردوده، وانتصاره لأصل السنة والجماعة عامة وللأشعرية خاصة:

والمعروف أن المذهب الأشعري هو المنتشر بالمغرب العربي قاطبة والأندلس، ولذا فعلماء هذه الأقطار آراءهم أشعرية، كما هو مذهبهم في الفقه المالكي وابن خمير، عرف بالمذهب المالكي في الفقه والأشعري في العقيدة، وهذا ما ذكرناه في إيراد أقوال العلماء فيه ويظهر هذا التمذهب من خلال مؤلفاته وخاصة كتابه (مقدمات المراشد) ويتبنى هذا المذهب بقوله وقال أصحابنا أي الأشعرية وسنذكر نماذج من ذلك فيما سيأتي:

أ. تقسيمه للمسلمين من حيث المعتقد:

لقد قسّم وصنّف الناس بصفة عامة عند حديثه عن مسألة الروح،وموقف عموم الناس مؤمنهم وكافرهم منها، فقد صنفهم إلى ثلاثة أصناف وهم:(أهل الإلحاد، وأهل البدع، وأهل الحيرة) فقال:"وأما حقيقتها(أي الروح)، فالناس فيها سبعة عشر قولا الحق منها ثلاثة أقوال،وما سوى ذلك فإلحاد وزيغ وحيرة:

- فأما أهل الإلحاد: وهم الدهرية والإلهية من الفلاسفة...
- وأما أهل البدع: فهم غلاة الباطنية يستترون بالتصوّف...

---

[1]- المصدر السابق، ص 234

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص202، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 202- 208

- وأما أهل الحيرة: فهم مقلدة الإسلاميين...".[1]

فنجده هنا صنفهم إلى ثلاثة أصناف، وفي موضع آخر كذلك صنّف الناس إلى ثلاثة أصناف في معرض حديثه عن موقفهم من علم الكلام فقال:"أعلم- رحمك الله- أن الذين طعنوا في هذا العلم الشريف (أي علم الكلام) الذي لا تصح القربة إلى الله إلا به، وعابوه ثلاثة أصناف: الزنادقة، وبعض المبتدعة، ومقلدو الظاهرية من المسلمين...".[2]

فقد قسّم الناس عموما من حيث موقفهم من علم الكلام، ثم يواصل التفصيل في الردّ عليهم صنفا صنفا، ثم عندها يصل في الردّ على الصنف الثالث(مقلدو الظاهرية من المسلمين) يقسمهم بدورهم إلى ثلاثة،فيقول:"وأما الصنف الثالث من المنتمين إلى الظاهر فمنهم على ثلاثة أضرب:

- الضرب الأول: قوم ينكرون أصله (أي علم الكلام) ....
- وضرب يعتقد أنه حق وأنه أصل علوم الشريعة ....
- وضرب ثالث: وهم قوم بله يقلدون هؤلاء الأصناف .....".[3]

ويواصل في الردّ على هؤلاء ويذكر أسباب إنكارهم لهذا العلم

وأما تخصيصه لأقسام المسلمين في مسألة التقليد والنظر فقد قسّم عامة المسلمين إلى ثلاثة أصناف من حيث المعتقد ولم يسم كل صنف باسمه كما سبق في التقسيمات المذكورة آنفا فقال:"والصحيح أن عامة المسلمين والسواد الأعظم في عقائدهم على ثلاثة أضرب:

1. فمنهم من نظر نظرا جميلا في خلق السمّوات .....

[1]- المصدر السابق، ص 281

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص25، مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه

2. والصنف الثاني: وهم أيضا قوم نظروا نظرا جميلا،فعرفوا الحق حقا، إلا أنهم لم يتمكنوا من العبارات؛ .....

3. والصنف الثالث: وهم قوم قلدوا آبائهم في عقائدهم وخرافاتهم ....."[1].

وعن هذه التقسيمات يفصل القول في الأصناف ويردّ عليهم ويبين لهم الحقائق بالأدلة وفي نهاية كلامه عنهم قال:"فهؤلاء ثلاثة أصناف صنفان محقان والثالث مبطل، فمن قال: أن جملة عامة المسلمين كلهم مقلدة ظانون في توحيدهم ربّهم، فقد نقصهم، وظلمهم وأخذ إيمانهم من قلوبهم من حيث لا يشعرون..."[2].

فخلص إلى خلاصة القول بأنه رغم الاختلاف،لكن هناك المعظم محق، ولا يجوز التعميم والحكم على العامة، والمقلدون على أنهم غير موحدين وهذا ظلم لهم كما ذكر.

ب. ذكر أهل السنة والجماعة:

لقد تحدث عن أهل السنة والجماعة في عدّة مواقف ومسائل اعتقادية وذلك بمدحهم وأنهم أصحاب الحق ومن جملة المواقف نذكر منها ما يأتي:

- **موقف أهل السنة من علم الكلام:** فقد ذكر موقف أهل السنّة من علم الكلام فقال: وأما أهل السنّة الذابون عن دين الله تعالى فحاشى لهم أن يقعوا في ذلك، فكيف للشافعي مع أنه صنّف (كتاب القياس)في علم الكلام ورد فيه على الملحدة وكتاب في(الردّ على البراهمة) وكذلك أبو حنفية رحمه الله في كتاب (العلم والمتعلم)وفي كتاب(الوصيّة) إلى عثمان الهذيلي صنّفها في علم الكلام والردّ على أهل الأهواء، وكذلك مالك–رحمه الله– كان يختلف إلى ابن

[1]– المصدر نفسه

[2]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص49، مصدر سابق

هرمز[1]، في تعلم علم الكلام خمس عشرة سنة، ولكنه لم يصنف فيه، وأما الشافعي فهو أول من أصل أصول الفقه، وتكلم فيها وهي مبنية على علم الكلام...". [2]

فهنا ذكر الأئمة الثلاثة وقد ذكر الإمام الرابع أحمد بن حنبل في موقف آخر فقال عنه:"وكان الأئمة رضي الله عنهم قبل انتشار البدع يدافعونهم تارة بالحجاج، وتارة بالطرد والتغريب والتعزير[3]، وتارة بالسيف،فلمّا تمكن إظهار هذه الأهواء[4]،ودونت ونصب لها المدارس وركنوا إلى ولاة جهلة فحموهم حتى ضرب الإمام أحمد بن حنبل بالسوط لأن يقول بخلق القرآن..."[5]، فبيّن إضطهاد أهل السنّة في زمن بعض الخلفاء عندما تمكن أصحاب الفرق كالمعتزلة والخوارج فعادوا أهل السنة واضطهدوهم.

- **موقف أهل السنة من مسألة البعث:** وفي مسألة البعث والإعادة فقد ذكر أهل السنة والجماعة في معرض المدح،فقال بعد عرض أقوال المخالفين:"وأما الصنّف المحقُّ فهم أهل السنّة والجماعة الذين يجوزون إعادة كل ما سبق من الجواهر والأعراض..."[6]، فذكرهم من الأصناف المحقة في مسائل الاعتقاد.[7]

ج. ذكر الأشعرية:

---

[1]- هو عبدالله بن هرمز الأصم أبو بكر فقيه المدينة شيخ مالك من التابعين، ت148هـ، أعلام النبلاء للذهبي، 379/6 مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص27، مصدر سابق

[3]- المقصود به في هذا الموضع هو التأديب، ينظر: مختار الصحاح للرازي، ص228

[4]- في معرض حديثه عن ظهور الفرق وتمكنهم من المجتمع وسيطرتهم على الخلفاء ومعاداتهم لأهل السنة، مقدمات المراشد ص33، مصدر سابق

[5]- المصدر نفسه

[6]- المصدر السابق، ص 295

[7]- ينظر: مقدمات المراشد في أغلب الصفحات

بما أن ابن خمير أشعري العقيدة، فقد يذكر الأشعرية مرّة بالاسم ومرة بالانتماء بعبارة (أصحابنا)، وسنذكر بعض أقواله في مواقف من مسائل اعتقادية منها كلامه عن مؤسس الأشعرية بأنه أوّل من دوّن عقائد أهل السنّة والجماعة، فقال في معرض حديثه عن تاريخ علم الكلام:"فكان أول من دوّن علم عقائد أهل السنّة والأئمة الذين تقدّم ذكرهم،وكان أول من تمكن من تأليفها ونشرها في عقب المائة الثالثة ودرسها الشيخ أبو الحسن الأشعري-رضي الله عنه- وهو من أولاد أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، ولهذا سمى أصحابه بالأشعرية...".[1]

فذكر أن الأشعرية من الأوائل في تدوين عقائد الأولين من المسلمين، وقد اعتمد ابن خمير في مصادره الأساسية على مصنفات الأشاعرة وقد ذكرنا هذا في معرض حديثنا عن تحصيله العلمي، ومنها مصادره المتنوعة[2]، وممّا قاله عن الأشعرية ومؤسسها في معرض حديثه عن علم الكلام"وقد تقدمك إليها فحول العلماء ورؤساء الطريقة كالشيخ أبي الحسن في (لمعة) والاسفراييني في(مختصره) والقاضي أبي بكر في(تمهيده) وابن فورك في(عمدته) وإمام الحرمين في (إرشاده)...، إلى غير ذلك من عقائد المتأخرين" .[3]

فذكر هنا مؤسس الأشعرية ويلقبه بالشيخ وكذلك برئيس الطريقة، ثم يذكر أتباعه كالاسفراييني والجويني وابن فورك وغيرهم كثير، وتارة يلقبهم بقوله (أصحابنا) وهنا يدل على الانتماء للأشعرية ففي مسألة العلم والنظر قال عن موقفهم:"ذهب بعض أصحابنا إلى أنه يلزم من مجموع أن من الكتاب وأحاديث الصحاح،..."[4]، فهنا يشير إلى انتمائه للأشعرية وهي المنتشرة

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص35، مصدر سابق

[2]- راجع تحصيله العلمي، مصادره في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص21، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 61

بالمغرب العربي والأندلس، وما عليها عامة الناس والعلماء والحكام وقد تمكنت منذ عصر الموحدين[1]، إلى وقتنا هذا مثلها مثل المذهب المالكي في الفقه.

6. مواقف ابن خمير من عدّة مسائل عقائدية:

سنعرض له نماذج من المسائل العقدية وموقفه منها، فله مسائل كثيرة في العقائد في الإلهيات والنبوات، والغيبات، ولا يسعنا المجال لذكرها وإنما نقتصر على ذكر نماذج منها[2]:

المسألة الأولى (علم الكلام):

ابن خمير من مؤدي علم الكلام، فهو يدافع عنه حتى أنه أفرد له فصلا في كتابه مقدمات المراشد بعنوان (الكلام في الردّ على من عاب هذا العلم وطعن فيه من أهل التعصب بالجزاف).[3]

واعتبره من العلوم التي تقرِّب إلى الله تعالى، فقال:"أعلم رحمك الله- أن الذين طعنوا في هذا العلم الشريف، الذي لا تصح القربة إلى الله إلا به، وعابوه ثلاثة أصناف الزنادقة،وبعض المبتدعة، ومقلدو الظاهرية من المسلمين،...".[4]

فنعته بأنه علم شريف، وجعله شرط من شروط التقرب إلى الله تعالى، وأن الذين طعنوا فيه وعابوه ثلاثة فئات وذكرهم بالاسم وردّ عليهم بالتفصيل[1]، وبيّن شبهات من عاب هذا العلم

---

[1]- راجع الحالة الدينية في المبحث الأول من هذا الفصل.

[2]- ينظر كتابي مقدمات المراشد، وتنزيه الأنبياء لابن خمير جميع الصفحات

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص25، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

وما اختلقوه عن أئمة الإسلام في ذمهم لهذا العلم، ففند أقوالهم حيث قال:"وإن ما حكي عن الشافعي–رحمه الله–من ذم علم الكلام فأغلب الظن به،وبمنصبه،أنه لم يقل ذلك.."[2].

وكذلك أبعد أهل السنّة من أنهم ذموا هذا العلم فقال مدافعا عنهم:" وأما أهل السنة الذابون عن دين الله تعالى، فحاشى لهم أن يقعوا في ذلك..."[3].

ثم أفرد فصلا في أن هذا العلم المستحدث كغيره من العلوم بعنوان (علم الكلام علم مستحدث) حيث قال:"وأما من طعن فيه فإن قال:(إن هذا لم يكن في زمن الرسول ﷺ ولا في زمن الصحابة بعده)..." [4]،ثم يواصل الرد عليهم بأسلوبه الخاص وممّا ردّ عليهم حسب مذهبهم حيث قال:"وإن قال إنه لم يكن قلنا:فتعال نطرح كل ما بأيدينا من الكتب ونطرد الأئمة،ونهدم المدارس على مذهبك فإنها بدع وافتيات،لأن كل ما ذكرناه لم يكن في عهد الرسولﷺ،ولا في زمن الصحابة بعده ..."[5]، ثم يقسم علم الشريعة إلى قسمين أحدهما هو علم الكلام، فقال:"إن صحّ وثبت أن علم الشريعة ضربان: معقول، ومنقول..."[6]، فبيّن أن علم الكلام هو (المعقول) ومدح الجدال حيث قال:"والعجب ممن ينكر الجدال في الحق ويذمه، والله تعالى يمدح الأنبياء عليهم السلام بالجدال في الحق ..."[7]،ويأتي بالآيات على ذلك والأحاديث الدالة على تأييد قوله ورأيه في علم الكلام، وقد فصل ورد على المخالفين والذامين لهذا العلم بأدلة من الآيات والأحاديث

---

[1]– ينظر: المصدر السابق، ص 25 – 50

[2]– المصدر السابق، ص 26

[3]– المصدر السابق، ص 27

[4]– المصدر نفسه

[5]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص27، مصدر سابق

[6]– المصدر السابق، ص 34

[7]– المصدر نفسه

وما صنفه الأئمة في هذا العلم،وبين الأسباب والدوافع لظهوره وذكر تاريخه وبدايته والأوائل الذين ألفوا فيه.

المسألة الثانية (التقليد في العقائد):

فموقفه منه أن لا يؤيد القائلين بأن التقليد يكفي في المعتقد فقد خصص فصلا في الرد على من قال بذلك بعنوان(في الردّ على من قال من المتكلمين من أهل السنّة إن التقليد يكفي في أصول الدين، وتبرأ الذمة به في الآخرة).

فعرف التقليد، وردّ على المخالفين وبين أن التقليد والظن ليسا من العلم، فقال: "...والتقليد ترك العلم، وترك الواجب حرام، فالتقليد حرام، والحرام مذموم بالشرع، فالتقليد مذموم"[1]، حيث استعمل الأسلوب المنطقي للوصول بأن حكمه حرام، واستخدم القياس في أصول الدين حيث قال"وهو ما لا جبر له أن يقال لهم: (لما أنتم مجمعون معنا على أن الدين مشروع، فأرونا أين شرع هذا التقليد في الكتاب أم في السنّة؟)..."[2]، ويواصل ردّه على المخالفين حتى يصل إلى نتائج مقنعة بتأييد رأيه وموقفه من هذه المسألة.

المسألة الثالثة (النظر):

فإنه من المؤيدين بالقول بأن النظر والاستدلال واجب، حيث قال:"وأما إيجاب النظر والاستدلال من الكتاب فعدد لا يحصى...".[3]

وبيّن في كلامه ارتباط العلم بالنظر فقال:"على أن إلزام العلم يكفي في إلزام النظر لكون العلم،لا يحصل على ما تقدم إلا بالنظر، وما لا يتأتى الواجب إلا به، من المكتسبات فهو

[1]- المصدر السابق، ص 45

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص45-46، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 63

واجب".[1] حيث استعمل الأسلوب المنطقي في بيان وجوب النظر، وذكر من الأئمة الذين قالوا بوجوب النظر، منهم ابن فورك، والجويني،وغيرهم فقال:"ومن الأئمة–رضي الله عنهم– من استدل على وجوب العلم والنظر بالإجماع، كالأستاذ أبي إسحاق، والقاضي، وابن فورك وأبي المعالي، وغيرهم، قالوا: أجمعت الأئمة على أن العلم بالله تعالى واجب، وهو لا يحصل إلا بالنظر والاستدلال، وما لا يصح الواجب إلا به، فهو واجب".[2]

فهؤلاء من جملة أئمة الأشاعرة القائلين بوجوب النظر والاستدلال في العقائد استشهد ابن خمير بأقوالهم في هذه المسألة.

المسألة الرابعة (الصفات الإلهية):

لقد تكلم ابن خمير في الصفات الإلهية وفصل فيها وقسمها إلى ثلاثة أقسام (نفسية معنوية، فعلية)[3]،وبيّن طرق إثباتها، فقال:"فأما الكلام في تفاصيل أوجه إثباتها فعلى أربعة أوجه:

- فمنها ما يثبت بالعقل ويعضده النقل.
- ومنها ما يثبت بالنقل ويعضده العقل.
- ومنها ما يثبت من جهة الكمال المجمع عليه ويعضده العقل ولم يأت به النقل.
- ومنها ما أثبته بعض الأئمة بالنقل ولا يعضده العقل"[1]،ثم يفصل القول في هذه الطرق الأربعة

[1]– المصدر نفسه

[2]– المصدر السابق، ص 124

[3]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص124، مصدر سابق

وأما موقفه من مسألة (تسمية الله تعالى خالق في الأزل) فأدلى رأيه فيها حيث قال: "والذي عندي أن الله تعالى يسمى خالقا في الأزل حقيقة من وجهين: أحدهما أن الله تعالى مخبر عن جميع معلوماته بخبر أزلي،...والثاني أن العرب تسمي المقدر لأشكال الأجسام خالق،..."[2] ويواصل في التفصيل وضرب الأمثلة والاستدلال بالآيات وكلام العرب شعرا ونثرا.

المسألة الخامسة (صفة الكلام وخلق القرآن):

فهو من المثبتين لصفة الكلام ورد على المخالفين حيث بين وجوه إثبات هذه الصفة، وأفرد لها فصلا خاصا لأهميتها فقال:"والسبب في تأخيره وإفراده أن ننبه المسترشد أن يحضر قلبه ويجمع أمره للنظر في هذا الأمر المهم من ثلاثة أوجه:

أولها: أن في إثباته كمال الألوهية،.....

والثاني: أنه لو لم يثبت للبارئ كلام، لما صحت النبوة ولا شريعة ولا طاعة .....

والثالث: التحرر ممّا موه به، عميان الفلاسفة والبراهمة، ومن ادعى نفيه، ....."[3].

ويواصل إثبات صفة الكلام لله تعالى ورده على المخالفين، فقال:"قلنا: الكلام الذي إدعيتم أنه حروف وأصوات، وإنما هو عبارة عن الكلام النفسي، كما قال المحققون وصح عند أهل اللغة،...فصح أن الكلام الحقيقي لنا هو كلام النفس بشهادة العقل والنقل، وما سواه من الأصوات والرموز، والإشارات والكتابة،...وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام النفسي".[4]

المسألة السادسة (الرؤية):

---

[1]- المصدر السابق، ص 137، وما بعدها

[2]- المصدر السابق، ص 147 وما بعدها (للمزيد ينظر في المصدر نفسه)

[3]- المصدر السابق، ص 149

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 154-155، مصدر سابق

فيستهل كلامه بمقدمات لإثبات هذه المسألة حيث قال:"أول ما ينبغي أن يقدم في هذه المسألة إثبات الإدراك شاهدا وإثبات متعلقة..."[1]، ثم يواصل في إثبات الرؤية في الجنّة، فيقول: "وأما وقوع الرؤية من الأولياء لربهم في الجنة فصح من الكتاب والسنة والإجماع..."[2]، ثم يقول عند وصوله للنتيجة بعد الردود وطرق الاستدلال:"فقد صحّ جوازا رؤيتنا للبارئ تعالى ووجوب رؤيته لنا لصحة وجوده ووجودنا،وصحة اشتراك الوجودات في الوجودية...".[3]

المسألة السابعة(خلق أفعال العباد):

حيث يبين أهمية هذه المسألة فيقول:"هذه المسألة مهمة في الدين طالت فيها مكابدة الأولين والآخرين، لأنها مبنية على القول بالقدر..."[4]، فيعرض أقوال المخالفين وخاصة المعتزلة والقدرية والفلاسفة وممّا ردّ عليهم قوله:"فإن طالوبنا في الكسب بما طالبناهم في الاختراع،قلنا: نحن لا ندعي الخلق والابتداع فلا يلزمنا علم ما نكتسب من أفعالنا ولا إرادته على أنكم تدعون خلق بعض الأفعال في بعض الأوقات..."[5]، ثم يواصل في الردّ عليهم ويستدل على ذلك من القرآن الكريم، فيقول:"وأما نصوص الكتاب فلا تكاد تحصى لكي نورد منها بعض ما نجتزئ به عن ذكر الغير..."[6]،وعند إيراده للآيات يشرح معقبا عليها وينزلها منزل المسألة فيقول:"تمدح تعالى بالانفراد بالوحدانية لكونه منفردا بالخلق،فلو كان معه من يخلق لم يصح على العموم لكونهم

[1]- المصدر السابق، ص 160

[2]- المصدر السابق، ص 165

[3]- المصدر نفسه

[4]- المصدر السابق، ص 171

[5]- المصدر السابق، ص 175

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص176، مصدر سابق

يخلقون"[1]،حيث يصل إلى نتيجة فيقول:"فهذا رحمك الله استدلال منتخب من جهة العقل والنقل،يكتفي به المسترشد في إفراد خلق الأعمال لله تعالى:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]...".[3]

المسألة الثامنة (العدل الإلهي):

تحدث ابن خمير في هذا الموضوع حيث اعتبره مسألة عظيمة الشأن فقال:"وهذا فضل له في الدين موقع عظيم وخضب جسيم، وعليه اعتراضات من أهل الأهواء لا تكاد تنضبط ولسنا الآن لها من أجل الاختصار ولكن نكتفي بوصف الحقيقة فيما لابد منه، ثم نرد على معترضيها فيها ردا قامعا مانعا بما فيه مقنع إن شاء الله تعالى"[4]، فبين أن لهذه المسألة معترضين كثر ولابد من الردّ عليهم بأسلوب مقنع ومفحم ثم يعرف العدل الإلهي ويقول رأيه فيه:"أن عدل الله تعالى هو تصريف مراده على وفق إرادته، فأفعاله كلها عدل ولا جوا فيها..."[5] ويواصل شرحه للمسألة ويقسم الأفعال إلى قسمين قسم يستند إلى الشرع، وقسم يستند إلى العادة، ويضرب عدة أمثلة لتقريب الفهم للقارئ.

المسألة التاسعة (خلود الجنة والنار):

فهو من القائلين بخلودهما وخلود أهليهما ورد على المخالفين فقال:"وأما خلود الفريقين في الدارين أحياء فصحّ بإجماع التواتر خيره للبر والفاجر في النار من أهل القبلة، عند كلامنا في

[1]- المصدر السابق، ص 177

[2]- سورة الصافات، الآية: 96

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص178، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 195

[5]- المصدر السابق، ص 196

فصل الشفاعة، فإن اعترضت الملحدة علينا في استبعاد بقاء الكافر في النار حيا مع الإحراق فقد تقدم الرد عليهم، في جواز خوارق العوائد في غير موضع..."[1]، ثم يواصل في الردّ عليهم من ثلاثة أوجه العقل، الخبر، الإجماع، ويفصل القول فيه.

المسألة العاشرة (الصحابة والخلفاء–رضي الله عنهم):

فقد أفرد لهذه المسألة فصل للردّ على المخالفين والذين طعنوا في الصحابة –رضي الله عنهم كالروافض والإمامية فبيّن فضل الأمة عموما بين الأمم، فقال:"أشهد الكتاب والسنة أن هذه الأمة أفضل الأمم..."[2]، ويأتي بالآيات والأحاديث لتأييد قوله، ثم يتحدث عن فضل الصحابة، رضي الله عنهم، فيقول:"وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم فلا يتحدد ما جاء في فضلهم، وتقدمهم،..."[3]ويأتي بالآيات والأحاديث الدالة على فضلهم، وقد خصص فصلا في فضل بعض الخلفاء، فقال:"وأما الأربعة الخلفاء–رضي الله عنهم–فقد تقدم الاستدلال على أن الفضل يترتب فيهم حسب ترتيبهم في الخلافة.."[4]،ويستدل على أفضليتهم بالآيات والأحاديث ويذكر فضل أبي بكر الصديق ﷺ وتقديمه للخلافة ورده على المعارضين من الروافض والإمامية هذه بعض مواقف الرجل من مسائل اعتقادية ولم نستطع حصر هذه المسائل وإنما أخذت أهمها باختصار وله تفاصيل في المسائل التي ذكرتها مع مسائل أخرى لم نذكرها وقد أوردها في كتابيه(مقدمات المراشد)،و(تنزيه الأنبياء) لمن أراد التفصيل فعليه بهما.

المسألة الحادية عشر (التحسين والتقبيح العقليان):

[1]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص218، مصدر سابق

[2]– المصدر السابق، ص 234

[3]– المصدر السابق، ص 235

[4]– المصدر السابق، ص 239

وفي معرض حديثه عن قصة سيدنا محمد ﷺ في زواجه من زينب تعرّض إلى هذه المسألة وعند ردّه على الشبهات في القصة وتبريره لخوفه من أن يقول الناس فيهلكوا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿...وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾[1]،قال:"الخامس:وهو أصل لكل رذيلة،وهو مراعاة التحسين والتقبيح وردّهما إلى العقول القاصرة،وما جرت به العادات، وهو داء عضال نغلت به قلوب الجهلة الضالين، ففندوا حكم الله تعالى، واعترضوا لفعاله وخلقه وكان أوّل من سنّ هذه الداهية الدهياء إبليس، حيث قال:﴿...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[2]، و﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3]، و﴿...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[4]،و﴿...أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾[5]،إلى غير ذلك من أقواله السخيفة، فانظر رحمك الله إلى أهل هذه المذاهب[6]،الخسيسة بمن اقتدوا وعلى من عوّلوا في اقتدائهم،﴿...قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[7]...".[8]

من خلال كلامه هذا في مسألة التحسين والتقبيح العقليين نجد أن موقفه من المسألة ناقد ومعارض وأنه يذم من قال به حيث بيّن أن هذه المسألة أصل وسبب كل رذيلة في الدين خاصة في مسائل الإعتقاد وبيّن أن ردّ بعض هذه المسائل إلى العقول وهي قاصرة أو إلى العادات وهي ما ابتدعه النّاس وأن أثر هذه المسألة يعتبر داء عضال فهو مرض مزمن عمّ في الأمة ووصل إلى قلوب

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 37

[2]- سورة الإسراء، الآية 61

[3]- سورة الحجر، الآية 33

[4]- سورة ص، الآية 76 وسورة الأعراف، الآية 12

[5]- سورة الإسراء، الآية 62

[6]- الإشارة إلى المعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين

[7]- سورة التوبة، الآية 30 وسورة المنافقون، الآية 04

[8]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص91، مصدر سابق

الجهلة بحيث فسدت قلوبهم مما نتج عنه اعتراض أحكام الله تعالى وأفعاله وخلقه للمخلوقات، وبيّن أنّ أوّل من سنّ هذه السنّة السيئة إبليس عليه اللعنة عندما أبى السجود لآدم عليه السلام، حيث تكبّر وتجبّر نتيجة حقده وحسده لآدم عند خلقه واعترض على ذلك وبرّر عصيانه بأنه خير من آدم عليه السلام، وكيف لله تعالى أن يكرمه عليه فتساءل إبليس كيف يسجد لمن كان أصله من طين لأن إبليس أصله من النار، وفي اعتقاده أن النّار أفضل من الطين وكانت نتيجته بأن طرد من رحمة الله تعالى، وأن مصيره النّار.

وفي نهاية كلام ابن خمير في موقفه من هذه المسألة حيث ينبه السامع والقارئ في كتابه أن أهل هذه المذاهب اقتدوا بإبليس اللعين وفيه إشارة إلى مذهب المعتزلة القائلين بهذه المسألة وفي الأخير يختم بآية قرآنية فيها ذمّ لمن سلك هذا المسلك وأمثالهم كالمنافقين كما أشارت الآية.

وخلاصة القول أن ابن خمير يعارض القول بالتحسين والتقبيح العقليين،وأن الشيء يحكم له بالتحسين والتقبيح شرعا، لا عقلا حيث عند تعرضه لقصة داود عليه السلام وعند قوله تعالى: ﴿...لَا تَخَفْ خَصْمَانِ...﴾[1]،قال:"ولم يكونا خصمين على الحقيقة،ولا بغى بعضهم على بعض ولا اتفق لهما مما ذكراه شيء،ففيه دليل على أن الكذب إنما يقبح شرعا،فمن أمره الله أن يخبر بما وقع،وبما لم يقع فأخبر به وهو مطيع ممتثل فاعل الحسن".[2]

حيث بيّن بهذا المثل عندما جاء ملكين لداود عليه السلام على هيئة بشرين مختصمين ليحكم بينهما وهما ليسا كذلك على الحقيقة؛ وهذا لا يعتبر كذبا، لأن الله تعالى أرسلهما لداود لامتحانه دون أن يعلم ذلك، فاشتق ابن خمير الدليل من هذه القصة على أن الكذب إنما يقبح شرعا لا

[1]- سورة ص، الآية 22

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص55، مصدر سابق

عقلا ومنه استدل على أن مسألة التحسين والتقبيح العقليين لا أصل لهما في الشرع ولا يوجد دليل على المسألة وإنما العكس التحسين والتقبيح شرعيين لا عقليين.

ثالثا: نبوغ ابن خمير ومواهبه:

لقد نبغ ابن خمير في عدة علوم وتحدث عنها بما يدل أنه موسوعي وله باع في مسائل كثيرة فهو متعدد المواهب، وهذا ما سنثبته من خلال أقواله في ثنايا حديثه، في مؤلفاته وما ذكره غيره، عنه وسنركز كلامنا على مسألتين هما: الأولى: منهجه وطبيعة أدلته في العقيدة والثانية: نبوغه في عدة علوم

1.منهجه وطبيعة أدلته في العقيدة:

فأما منهجه في العقائد فله أسلوبه الخاص في الدفاع عن مسائل عقدية وكيفية الرد على المخالفين وتتمثل طبيعة أدلته في ثلاثة هي (العقل، النقل، الإجماع).

- قال ابن خمير في مسألة أحكام التوبة:"وقد سبق الكلام في نفي الإيجاب على الله تعالى بشهادة العقل"[1]، فهنا استدل على استخدام دليل العقل.
- وأما الإجماع فقال في نفس المسألة السابقة:"وأما دليل السمع فإجماع الأمة على الرغبة إلى الله تعالى،...".[2]
- وأما النقل فقال في نفس المسألة السابقة:"وقد ورد في الكتاب الدعاء والابتهال..."[3]،وفي مسألة موقفه من الجنة والنار وخلود أصحابهما فقد استند إلى أدلة عقلية ونقلية والإجماع فقال:"أولها شهادة العقل أن ليس للموت والحياة ضد ثالث كالحركة والسكون،وهذا معلوم

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 326، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه، ص 226

[3]- المصدر نفسه

وضرورة"، والثاني: شهادة الخبر، وهو قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا..﴾[1]،والثالث:الإجماع على أن الكفار في النار معذبون إلى الأبد..."[2] ثم يتحدث عن أدلة النقل والسمع فيقول في مسألة الشفاعة:"والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف..."[3]،وفي مسألة إثبات الكرامات استدل عليها بالعقل والنقل فقال: "فقد وضح إثبات الكرامات جوازا في العقل ووقوعا في النقل..."[4]، وفي مسألة التسميات للمصطلحات الشرعية فتحدث عن دليل العقل والنقل، فقال:"ولولا الخروج عن الوسط الذي شرطناه لامتد الكلام في تفصيل تسمياتهما واعتراضات الملحدة المبتدعة على حقائقهما ودفع الاعتراض بالأدلة عقلا ونقلا...".[5]

هذه بالنسبة لطبيعة أدلة ابن خمير في مجملها للدفاع عن مسائل الاعتقاد والتصدي للرد على الشبهات.[6]

وأما بالنسبة للتقعيد نجد أن ابن خمير ينظر في مواضع عدة وكذلك يضع القواعد والأسس ويسلك منهجا للبناء وردوده والوصول إلى النتائج الصحيحة، نجده في بداية حديثه عن قصص الأنبياء عليهم السلام يبنى منهجا خاصا به فيقول ما ينبغي أن نقدم قبل الخوض في هذه المسائل وما يضاهيها ثلاث مقدمات:

أحداها: ما صح من إجماع الأئمة

والثانية: أن كل محظور كبيرة

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 28

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 318-319، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 322، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 228

[5]- المصدر السابق، ص 277

[6]- هذه الأدلة مبثوثة في مؤلفاته التي أشرنا إليها سابقا.

والثالث: شرح هذه الأقوال على مذهب من قال بتنزيه الأنبياء عن الصغائر...".[1]

وفي قصة داود عليه السلام قال:"أعلموا- أحسن الله إرشادنا وإياكم- أن كل من تكلم في هذه القصة بما صح في حق داود عليه السلام وبما لا يصح إنما بنوه على أسس هذه الخمس كلمات التي هي:(أكفلنيها) و(عزني في الخطاب) و(لقد ظلمك) و(ليبغي بعضهم على بعض) و(قليل ما هم) وهي بحمد الله تخرج له على مذهب أهل الحق،بأجمل ما ينبغي له وأكمله والله المستعان".[2]

وأما بالنسبة للتنظير فقد عرف كثير من المصطلحات في مجال الفقه والأصول أو العقائد منها فصل خاص أطلق عليه اسم (الأسماء التي أطلقها الشرع على المكتسبات) ثم عرف كل من (الإيمان- الإسلام-الكفر –النفاق- الفسق- الطاعة- المعصية- اللطف- التوبة...).[3]

وفي حديثة عما يجب على المكلف، فلقد لخص له ما يجب عليه في سبع قواعد أساسية وهي تشمل المعتقد حيث قال:"فإن قال: بيّن لي تفاصيل ما كلفت العلم به حتى أقف عليها قلنا له: جميع ما كلفت العلم، بتفصيله يأتي على سبع قواعد...".[4]

فقد وضع قواعد الاعتقاد في سبع قواعد أساسية.

وأما طرق الاستدلال عنده كثيرة التي طبقها على العقائد والدفاع عن المسائل العقدية ومناظرة الغير، وفي أسلوبه الاقناعي ومن الطرق التي استعملها ما يلي:

- الملاحظة، التجربة، السبر والتقسيم، مجاراة الخصم، منهج إقامة الحجة على مذهب الخصم

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 271-278، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 52

- منهج مقابلة الفاسد بالفاسد في معرض كلامه عن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه في إقامة الحجة عليهم قال:"وإبراهيم عليه السلام قال أقوالا من باب مقابلة الفاسد بالفاسد محق بها المنكر، وأقام عليه الحجة على قومه ...."[1].
- منهج التعميم في التسوية وهو قياس منطقي في الرياضيات والمنطق.[2]

وفي مجال المنطق فقد استخدمه في الردود والإقناع واستعمل مصطلحاته ومما أورده في تصانيفه قوله عند الحديث عن التكليف وعنون فصلا عن العقل بعنوان(الكلام في معنى العاقل،والعقل والتكاليف والمكلف).[3]

ومن أمثلة ذلك في كلامه عن مبادئ المنطق وأولويات العقل كالبديهيات والمسلمات حيث قال عند خطابه للمسترشد فقال:((فيقال له:أتعلم أن الجسم لا يكون أسود وأبيض متحركا ساكنا ميتا حيا في زمن واحد))[4] وكذلك نجد ذلك في أسلوبه التسلسلي عند رده على المخالف أو إيراده إقناع الآخر، وفي كلامه عن نفي التشبه بين الخالق والمخلوق قال: "وللمتكلمين فيها حدود صحاح،ومختلفة والأولى ما صح منها في حد المثلين أنهما:(كل موجودين ثبت لكل واحد منهما من جميع صفات النفس،ما ثبت للثاني).."[5]،ثم يواصل ويقول أحد الخلافين (كل موجودين ثبت لكل واحد منهما من بعض صفات النفس ما لم يثبت للثاني)..."[6].

---

[1]- المصدر السابق، ص 260

[2]- المصدر السابق، (في أغلب الصفحات)

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص50، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه، ص 50

[5]- المصدر السابق، ص 99

[6]- المصدر نفسه

قوله:"طريقة ثالثة وهي مختصة بالرد على منكري الشريعة من أصناف المعطلة الدهرية والإلهية القائلين بإيجاب العلة والطبع ونفي الاختيار...".[1]

فقد ردّ على هؤلاء في مسألة حدوث العالم وبين غلطهم وأخطائهم واستدل على ذلك من القرآن واستخدم الأسلوب المنطقي ووظف العلوم العقلية كالواجب العقلي في قوله (أتؤمن وتقرأ أن حد الواجب العقلي ما لا يجوز تبدله)[2]، وكذلك المستحيل العقلي في قوله: (وأن المستحيل ما لا يجوز وقوعه)[3]، وكذلك الجائز العقلي في قوله(وأن الجائز هو الممكن الذي تساوى طرفاه في الوجود والعدم؟)[4]، وبعض الأوليات العقلية كقوله (قد ثبت فيما تقدم أن القديم لا يتغير أصلا).[5]

ويستعمل طريقة السبر والتقسيم في طرق استدلاله للرد عليهم منها قوله:"إذا ثبت وجود فاعله فلا يخلو أن يكون علة، أو مولدا، أو طبعا، أو فاعلا مختارا".[6]

ثم بدأ يحصر هذه التقسيمات وإبطالها حتى يصل إلى إثبات ما هو معقول،وهكذا في ردوده على معظم الفرق.

قال:"وأيضا فإن الجوهر عند معظمكم ينقسم إلى غير نهاية،ومن المحال أن تكون علل متناهية لمعلومات لا تتناهى...".[7]

---

[1]- المصدر السابق، ص88

[2]- المصدر نفسه

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص88، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- المصدر السابق، ص 90

[6]- المصدر السابق، ص 93

[7]- المصدر السابق، ص 97

وقال أيضا في نفس السياق:"والثاني أن العلل عند أهل الحق إنما هي معان تقوم بالمحل،فتوجب حكما لما قامت به..."[1]،ثم يذكر النتيجة بعد الردود في مسألة حدوث العالم فيقول:"وقد ثبت حدث العالم، وثبت أن يقع عن موجب قديم مقدرا ومحدثا فثبت أنه وقع لفاعل مختار كونه بعد أن لم يكن...".[2]

وعند فراغه من طريقته في الاستدلال والردّ على أصحاب الفرق في مسألة حدوث العالم،قال: "فهذه طريقة جميلة يستدل بها على حدوث العالم،وثبوت فاعله أيضا على دقتها وبالله التوفيق"[3]

أما منهجه في ردّ الشبهات في قصص الأنبياء عليهم السلام والدفاع عنهم فقد امتاز منهجه بالخطوات الآتية:

- إيراده للقصة كما ذكرها القصاصون بما فيها من الشبهات
- إيراد القصة على حسب ما يناسبها من التفسير الصحيح خالية من الشبهات
- إيراد الأخبار الصحيحة في القصة من القرآن والسنة أو من أقوال العلماء والمفسرين أو من أثر الصحابة والتابعين وسلف الأمة
- الرد على الشبهات الواردة في القصة على لسان القصاصين المنحرفين أو الإسرائيليات معتمدا في ذلك على القرآن والسنة، وإجماع الأمة، وقاعدة تنزيه الأنبياء عليهم السلام.[4]

وأما بالنسبة للأمانة العلمية نجد أن ابن خمير قد اتّصف بها في النقل والإسناد، فهو يسند الأقوال إلى أهلها ومما جاء في ذلك ما يلي: قوله"قال الأستاذ أبي إسحاقﷺ:(الخالق هنا

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر نفسه

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء،(في أغلب الصفحات)، مصدر سابق

المقدر...)[1]، ثم يقول بعدها:"وهذه قولة نادرة ما أرى سبق إليها أحد،ونسأل الله بعد الاعتراف بالعجز والقصور السلامة، العفو من الخوض في تفاصيل أسمائه الحسنى وصفاته العلى بحوله وطوله..."[2]، كذلك نقله للمقولة السابقة مع طالب بالأندلس حيث قال:"وقد تذاكرت مع طالب من طلبة الأندلس ملحوظ بالطلب، فقال لي ذلك، وبالإجماع (أنه من ظن أن لا يقدر الله عزّ وجلّ عليه...)[3]، حيث نقل المقولة كما هي وأسندها إلى قائلها، وقوله كذلك في شرح الآية في قصة زواج الرسول ﷺ بزينب الآية:﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾[4]،قال: "فسميّ بعد ذلك زيد بن الحارثة فعوضه الله تعالى بأن سمّاه في كتابه باسمه العلم"، ثم قال بعدها مباشرة:(وإنما ذكرها أبو بكر بن العربي في بعض تواليفه، ولا أعلم هل هي له أو لغيره، ولأن من غاص عليها لغواص)..."[5]، مما يدل على أمانته العلمية في النقل والإسناد حيث أسند هذه المقولة لابن العربي؛ ويدل كذلك على تواضعه أمام العلماء بقوله:(ولا يبلغ نظري إلى هذا القدر).

وأما منهجه في النقد فيعتبر ابن خمير ناقدا ومرجحا للأقوال ومن نماذجه أنه يعنون بعض الفصول بعنوان(اعتراض ورده).[6] ومثاله في قصة يوسف عليه السلام قوله:" فإن قيل: فإذا لم يتصور في حق عليه السلام ذنب ولاعتب قلنا:ومن أين لك أن تقول: إنه قالها..."[7]،وأغلب كلامه وردوده بهذه الطريقة أي يورد أقوال المخالفين ثم ينقدها، وفي نفس السياق وعندما عنون فصل (بيان معنى الهم والقول الأظهر فيه) أورد تلك الأقوال الأربعة ثم عقب في الأخير بقوله:"فهذه أقوال تشاكه

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص148 مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص159، مصدر سابق

[4]- سورة الأحزاب، الآية 05

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص94، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص79

[7]- المصدر نفسه، ص 80

الصواب ولا تليق بالأكابر والأظهر القول الأخير من هذه الأقوال لكونه معضودا بالخبر والآية والله أعلم".[1]

2.نبوغه في عدة علوم:

لقد نبغ ابن خمير في عدة مجالات وله مواهب كثيرة نذكر منها ما اشتهر عليه وما قاله العلماء عنه، ونقل في مؤلفاته وأصحاب التراجم.

- ابن خمير متكلما ومتصوفا:

ويدل على ذلك كتابه الذي ألفه في العقيدة وأسلوبه الخاص في دحض الشبهات والرد على المخالفين فقد قال في مقدمة كتابه مقدمات المراشد:"فإني استخرت الله تعالى في إملاء عقيدة وسط تنبئ عن جلي التحقيق، فوق ملمات التقليد، ودون الإطناب في مشكلات خفي التدقيق على وجهة الإيجاز والاختصار"[2]، فهذا التأليف في علم العقائد، وفي ثنايا كتابه نجد أسلوبه وكلامه يدل على تضلعه في علم الكلام وسنذكر نماذج من كلامه الدال على ذلك وكذلك كتابه الخاص في الردّ على الشبهات في النبوات والقصص القرآني في كتاب(تنزيه الأنبياء)ومن أقواله في مجال العقائد كلامه عن معجزة الإسراء والمعراج فقال:"ومع ما قدمناه من الفوائد وهي الرابعة عشرة، ثلاث فوائد عظيمة الموقع في مسائل الاعتقاد عقلا وشرعا...".[3]

وكذلك حديثه عن مصطلحات المتكلمين منها قوله:"ولا تكلموا في الجوهر والعرض،ولا في العلل والأحوال،والجزء،والطفرة، وما صنفه المتكلمون من دقيق الكلام ...".[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص79

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص21، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 206، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 31، مصدر سابق

وعند كلامه عن تصنيف العلوم فقال:"أنه صح وثبت أن علم الشريعة ضربان معقول ومنقول...".[1]

وقوله في مقدمة كلامه عن أهمية علم الكلام: "فإن علم المعاملة فرع عن العلم بالتوحيد والنبوة اللذين صحت بهما المعاملة..."[2]، وفي نفس السياق قال:"ولا يصح أن يتفقه في فروع الدين من لم يعلم أصله"[3]، وفي حديثه عمّا يجب عن المكلف علمه في العقائد حيث اختصر علم العقائد في سبع قواعد هي:

قال: "جميع ما كلفت العلم بتفصيله يأتي على سبع قواعد:

القاعدة الأولى: أن تعلم أن هذا العالم بأسره حادث....

القاعدة الثانية: أن تعلم أن له فاعلا مختارا....

القاعدة الثالثة: أن تعلم أن مخترعه لا شبيه له ولا نظير.

القاعدة الرابعة: أن تعلم أنه واحد في ملكه.

القاعدة الخامسة: أن تعلم أن له صفات الكمال والإجلال.

القاعدة السادسة: أن تعلم أنه أرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات.

القاعدة السابعة: أن ما ألزموك العلم به من الغائبات...".[4]

ومن أمثلة ردّه على المخالفين وخاصة في مسألة الجوهر والعرض، فقال:"وبهذا الدليل يرد على من زعم أن الجوهر يعرى من العرض في أول حدوثه ثم يقبلها في ثاني حال،..."[5]وفي ردّه على

---

[1]- المصدر السابق، ص 34

[2]- المصدر السابق، ص35

[3]- المصدر نفسه

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 53، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 80

المخالفين في مسألة حدوث العالم قال:"وسنشبع القول في ذلك عند كلامنا في إثبات الصفات المعللة، إن شاء الله..."[1]، وهذا يدل على تمكنه من علم الكلام.

وفي ردّه على أصحاب الفرق في مسألة خلود النار والجنة وفي نهاية رده وإفحامهم قال: "فبعزة الله ما يبقى لهم بعد هذه الإلزامات مع تسليم مذهبهم لهم في التحسين والتقبيح جدلا..."[2]،وفي مسألة الزيادة الإيمان ونقصانه فاستدل عليها بأربعة أوجه فقال،"فأما زيادته فتتصور من أربعة أوجه"[3]، ثم يبدأ يفصل في هذه الأوجه الأربعة، وعند التعريفات لعدة مصطلحات فقد تمكن من تعريفها تعريفا شرعيا ومنطقيا كالإيمان، والكفر والإسلام...[4]، فمن خلال كلامه وردوده وتعريفاته نستنتج أنه متمكن من علم الكلام.

وبالنسبة للمصطلحات الخاصة بعلم الكلام فقد عرض الكثير منها نذكر على سبيل المثال لا الحصر: قوله:"فأما الجوهر فهو:(مفتقر إلى مخصص فاعل يفعله ويفعل فيه أعراضه في كل زمان) وأما العرض فهو:(المعنى القائم بالجوهر الفقير لكل ما افتقر إليه الجوهر مع زيادة افتقاره إلى المحل).."[5]،وفي نهاية كلامه عن الجوهر والعرض قال:"ولولم أفصل لك هذا التفصيل في الجواهر والأعراض، لاكتفيت في نفس المماثلة بما قدمت لك من الكلام في قطب الحقيقة التي هي وجوب الوجود الأزلي المعبّر عنه بالقدم والبقاء فيما بعد الجواز من الوجوب والقدم من الحدوث...". [6]

نبغ ابن خمير في جانب علم الكلام، وفاق أقرانه من المتكلمين، فقد أضاف أشياء لم يذكرها سابقيه، حيث زاد ما أغفله المتكلمون من مسائل منها في جانب المعجزات في باب النبوّات،فقد

---

[1]- المصدر السابق، ص 96

[2]- المصدر السابق، ص 317

[3]- المصدر السابق، ص 323

[4]- ينظر: المصدر السابق، ص 271 – 290

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص102، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص 252

خصّص مسألة بعنوان (زيادة إكمال أغفل أكثرها المتكلمون) حيث قال:"وهي أن معجزة القرآن العظيم زادت على سائر المعجزات بأشرف تقدمت عليها في ثمانية أوجه ملخصها:

1. أنه تحدى به العرب، ...، بخلاف سائر المعجزات.
2. أنه ﷺتلفظ به مكتسبا، فقال(له بكل حرف عشر حسنات)،...،بخلاف سائر المعجزات.
3. أنه تحدى به جمهور العقلاء، من أهل الأرض والسماء ...
4. أنه تحدى به مع طول الأيام إلى يوم القيامة ... وليست سائر المعجزات كذلك.
5. أنه عين الأبد.
6. حفظه من التبديل والتغيير الذي وقع في سائر الكتب.
7. أنه أثبت سائر معجزات الأنبياء على القطع.
8. أنه استدل به العوام على صحة معجزة القرآن أقرب من استدلال العلماء باللسان والأساليب...

فهذه ثمانية فوائد بثمانية شواهد زادت بها معجزة القرآن على سائر المعجزات.[1]

وأما التصوف فقد وظف المحمود منه؛ لأنه ينبذ المذموم منه والذي يتخذه أصحابه وسيلة للتكسب ويظهر ذلك في إيراده لعبارات التصوف ورجاله ففي قصة مريم عليها السلام قال:"ويبرهن عن ذلك أن مريم عليها السلام ما كانت قط في مقام هو أعلى من مقامها،في تلك الأزمة على ذلك الحال وعلى قدر الأزمات تأتي الفرج، وذلك أنها قبضت في ذلك المقام من سبعة أوجه:..."[2]

[1]- المصدر السابق، ص 253 – 254

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 167، مصدر سابق

ثم يذكر هذه الأوجه السبعة ومنها الوجه السابع فيقول فيه:"وذلك أن زكريا عليه السلام كان يجد عندها تلك الفواكه المذكورة في غير أوانها فيقول (أنى لك هذا) يعني بآي عمل بلغت هذا المقام؟ كان عليه السلام يستعظم ذلك المقام في حقها لغرارتها وضعفها، فتقول هي: (هو من عند الله) أي ليس ذلك مقاما بلغته بكبير عمل،وإنما هو من فضل الله تعالى، فإنها تشير إليه: أنتم عظماء! لكم المقامات والأحوال...".[1]

فقد ذكر مصطلحات صوفية منها المقام، والحال، وقد أورد من أقوال العارفين كبشر الحافي فقال:"قال بشر بن الحارث رحمة الله عليه: (لابن آدم في ماله ثلاث خسارات: يجمعه كله ويتركه كله، ويسأل عنه كله).[2]

وفي رده على النصارى، وإثبات نبوة عيسى عليه السلام قال:"إذ قرع مسمعه أن قوما انخلعوا انخلاعة من رق الأغلال،وقشور الأعمال،إلى أعلى المقامات والأحوال والحب والوصال...".[3]

ونجد مصطلحات الصوفية في تعريفاته مثل التوبة وأقسامها كقوله في تعريفها (وهي رعاية حق الله تعالى على التجريد)[4]،وهكذا عندما نتتبع كلامه من خلال مصنفاته نستخرج الكثير من المصطلحات الصوفية.

- ابن خمير مفسرا ومحدثا ومقرئا:

لقد تعرض ابن خمير إلى شرح الآيات وخاصة آيات قصص الأنبياء، وذكر بنفسه أنه سيفسر آيات القصص فقال:"أما بعد ، فإنني قد استخرت الله تعالى في إملاء شرح بعض آيات

[1]- المصدر السابق، ص 170

[2]- المصدر السابق، ص 219

[3]- المصدر السابق، ص 79

[4]- المصدر السابق، ص 325

رغب في إملائها بعض الطلبة،..."[1]، فهذا يدل على أنه شرح وأملأ شرحه لطلبته في تفسير القرآن الكريم ومن نماذج تفسيره عند تعرضه لقصة سيدنا محمد ﷺ وزينب في قوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾[2] فقال في شرحها:"وأعلم رحمك الله أن في هذه الآية فوائد جمة منها أن الله تعالى جعل فيها لزيد نصيبا وشرفا خصه به...ومنها أن الله تعالى سنّ لرسوله ﷺ هذه السنّة ومنها قوله تعالى لرسوله:﴿...زَوَّجْنَاكَهَا...﴾فأضاف تعالى تزويجها لنبيه إلى نفسه...ومنها ما هو تشريف لزينب زوجه، وذلك أن الله ما اختارها لنبيه عليه السلام حتى علم حصانتها ودينها وورعها،..."[3]، ثم واصل في ذكر الفوائد، فقال: "فتأمل رحمك الله- هذه القصة العجيبة فإنها تتضمن خمس عشرة فائدة منها في جانب الرسول ﷺ ستة:...".[4]

ومن نماذج تفسيره في حديثه عن الشفاعة وإثباتها في قوله تعالى:﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[5]، قال ابن خمير:"بشّر نبيهﷺببشارتين إحداهما بالمقربين الذين وفوا أعمالهم والثانية بأصحاب اليمين المقصرين أنه يسلمهم من أجله، أي بشفاعته لقوله (فسلام لك) واللام هنا لام لأجل أي لأجله، فتأمل هذه النادرة فإنها تتضمن استخراج الشفاعة من الكتاب إخراجا لطيفا..."[6]، وأكثر ما نجده مفسرا في كتابه تنزيه الأنبياء عند تعرضه لآيات القصص فيشرح ويستدل ويستنتج ويستخرج الفوائد فهو مفسر بارع ومقتدر.

وأما الحديث يعتبر ابن خمير رجل موسوعيا وله تمكن من علوم الحديث وعلوم القرآن فنجده يستشهد بالأحاديث في تخريج القصة القرآنية حيث يورد الأحاديث الكثيرة وعلى سبيل

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[2]- سورة الأحزاب، الآية 37

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 92 – 95، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 95 – 97

[5]- سورة الواقعة، الآيتين 88-89

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 320 – 321، مصدر سابق

المثال لا الحصر ففي قصة سليمان عليه السلام واستدلاله بقصة المنافقين في مسألة صنع الأصنام لزوجته قال:"وقد كان المنافقون يصلون خلف رسول الله ﷺ ويعبدون الأصنام في بيوتهم خفية عنه، جاء في الصحيح عنه عليه السلام ...".[1]

وأما القراءة خصوصا وعلوم القرآن عموما فاطلاعه على مواضع الآيات ومثاله عند حديثه عن النظر قال:"ثم مع ذلك أمر الكل بالنظر والاستدلال في حدوث العالم، في الكتاب العزيز في نيف على ستمائة وستين موضعا تصريحا وأما الضمن ففي الكتاب من أوله إلى آخره وشهرة آلاي في ذلك أغنت عن ذكرها، وسنذكر بعضها عند أمسّ الحاجة إليه إن شاء الله"[2] كذلك تحدث عن علم التجويد فقال:"فأما عدد حروف أم القرآن بالمضاعفة المشددة منها حروف المد واللين فمئة حرف وأحد وعشرون حرفا،...".[3]

ولولا التطويل والخروج عن المغزى، لاستخرجنا من مصنفاته الكثيرة في مجال الحديث، وعلوم القرآن وعلومه ولكن المقام لا يتسع لمثل هذا واكتفينا بأمثلة على ذلك.

- ابن خمير أصوليا وفقيها:

وصف أنه أصوليا حيث قال عنه ابن الشعار في قلائده"...أصوليا عالما...[4]، فقد شهد له بأنه أصولي وسنذكر نماذج من مسائل أصولية مبثوثة في مؤلفاته ومن نماذجه في قصة آدم عليه السلام قوله:"فمن أين بقائل أن يقول:(إن نهي آدم عليه السلام كان على وجهه الحظر أو الكراهة؟)..."[5] ومن نماذجه كذلك تعريفات للمصطلحات الأصولية كتعريفه وتقسيمه له فقال:"فإن قيل وما التكليف؟

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 67، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 32 – 33، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 209

[4]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 4/ 387

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 103، مصدر سابق

قيل له: إلزام المكلف ما في فعله أو تركه مشقة، فإن قال: وما الإلزام؟قيل: هو تعلق خطاب الشارع بالمخاطبين وهو ثلاثة أضرب:أمر ونهي وإذن..."[1]،ثم يواصل تقسيمات الأحكام وتعريفاتها بقوله:"فالأمر ينقسم قسمين:واجب ومندوب، والنهي على قسمين: محظور ومكروه، والإذن هو المباح"[2]، ثم يواصل في تعريفات هذه الأقسام.[3]

وفي نهاية كلامه يقول:"فقد بينت لك معنى العقل والعاقل والتكليف والمكلف، وتفاصيل أحكام التكليف على أرضي الحدود للمسترشدين وأسلمها من الطعن".[4]

ويتبين لنا أنه متمكن من علم أصول الفقه، وفي كلامه عن العلم والنظر استدل بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾.[5]

فعلق عليها، وقال: "وإن كان الخطاب خصوصا، فالمراد به العموم..."[6]، فيدل على أنه أصولي ومن كلامه أيضا في مسألة النسخ في الشرائع قوله:"ومعلوم أن شريعتنا أن الصلوات فرضت خمسين ونسخ منها خمس وأربعون، وبقي أجر الخمسين...".[7]

فهنا آثار مسألة أصولية وهي النسخ، ومن نماذج أقواله في المسائل الأصولية التعريفات للمصطلحات الأصولية حيث قال:" وجميع ما جاءت به الرسل قسمان: قسم يجب الإيمان به

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص51، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص 51- 52

[4]- المصدر السابق، ص 52

[5]- سورة محمد، الآية 19

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص61، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص 242

ويصح العمل بمقتضاه وهي الأحكام الخمسة المتقدم ذكرها في صدر المعتقد التي هي (الوجوب والندب، والحظر، والكراهة، والإباحة)..."."[1]

وفي حديثه عن مواقف الفرق من الصحابة والخلفاء- رضي الله عنهم-قال:"وسنثبت خلافته (أي أبي بكر الصديق)من الكتاب والسنّة فيما بعد إن شاء الله تعالى ولا خلاف بين المسلمين أن إجماع الصحابة حاكم على كل إجماع يأتي بعده، وهذه أول مسألة اجتهادية وقعت في الإسلام بعد فقد رسول الله ﷺ.[2]

وأما الفقه فقد وصفه ابن الشعار بذلك فقال:"...كان فقيها مالكيا..."[3]، وابن خمير أحد أتباع المذهب المالكي وهو من طبقة المغاربة في القرن السابع الهجري، وقد أكد هذا الانتماء ابن الشعار كذلك أكده ابن خمير بنفسه فقال: في مسألة التقليد"فاليطلب ناقلا حافظا ورعا ينقل عن الثقات آخر أقوال الإمام الذي استعمل مذهبه في إقليم المقلد كمالك رحمه الله في المغرب"[4]،حيث بين أن مذهب المغاربة على مذهب مالك وابن خمير هو أحد المغاربة المتبعين لمذهب مالك كمانفهم من كلامه، ولم نعرف له مصنفا في الفقه على مذهب مالك ولكن أقواله وآراؤه الفقهية مثبوتة في مؤلفاته، وسنذكر نماذج منها في حديثه عن قصة نوح عليه السلام قوله:"ومعلوم أن دعاء المؤمن على الكافر مباح ولا ذنب فيه صغيرا كان أو كبيرا"[5]،وعن حديثه عن معجزة الإسراء والمعراج وفرض الصلوات حيث استخرج فوائد فرض الصلاة في السماء حيث قال:"وأما

[1]- المصدر السابق، ص 270

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص336، مصدر سابق

[3]- ابن الشعار، قلائد الجمان 4/ 387

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص330، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص116، مصدر سابق

فوائد فرض الصلاة في ذلك المقام فلنذكر منها ما منه الله تعالى به على جهة الاختصار وهي تنقسم أربعة أقسام:...".[1]

ثم ذكر هذه الأقسام الأربعة بالتفصيل[2]، وفي مسألة تقليد مذهب معين، وموقف العامي من ذلك قال:"ومع ذلك يبقى أن للمقلد ضربا من الاجتهاد وهو أن يسأل عن أعلم من في بلده وأورعهم أو من يحوم ببلده، فإن لم يجد فيطلبه ولو بالصين، فإن لم يفعل ذلك أخطأ وآثم، فإذا طلب فلم يجد من هو على هذه الحالة فليطلب ناقلا حافظا ورعا ينقل عن الثقات آخر أقوال الإمام الذي استعمل مذهبه في إقليم المقلد كمالك، رحمه الله في المغرب...".[3]

وبالنسبة لتعريفات المصطلحات الفقهية فقد عرف منها الصلاة، الزكاة، الحج[4]، في قوله: "وكذلك التسميات المخصوصة كالصلاة، والزكاة، والصوم والحج، والجهاد ...".[5]

- **ابن خمير لغويا وأديبا شاعرا:**

كما عرف بأسلوبه الأدبي كذلك له تمكن في اللغة، وله عبارات وتعريفات لغوية لبعض المصطلحات التي سنوردها في مقامها وسنذكر بعضا منها من خلال مؤلفاته.

- ففي قصة داود عليه السلام وفي قوله:﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.[6]

قال ابن خمير في شرحها من الناحية اللغوية:"أعلم رحمك الله أن استفهام الله تعالى لخلقه لا يجوز أن يحمل على حقيقة الاستفهام لوجوب إحاطة علمه تعالى بجميع المعلومات على أتم التفصيل، لم يبق إلا أن يكون الاستفهام هنا بمعنى التقرير والتنبيه، لنبيه عليه السلام ليتهيأ لقبول

---

[1]- المصدر السابق، ص201

[2]- ينظر المصدر السابق، ص201- 206

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 330، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 276 – 277

[5]- المصدر نفسه

[6]- سورة ص، الآية 21

الخطاب...وأما إفراد الخصم وهم خصمان العرب تسمي الواحد بالجمع والجمع بالواحد، على وجه ما...، ومعنى (تسور المحراب) أتوه من عاليه ولم يأتوه من بابه، ولذلك فزع منهم فإنه خاف أن يكونوا لصوصا... والمحراب في اللسان صدر المجلس وأحسن ما فيه..."[1]، وفي نفس سياق القصة قال:"تسمية النساء نعاجا لتأنثهن وضعفهن و(اكفلنيها) كناية عن نكاحها".[2]

وفي قصة آدم عليه السلام عند قوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[3]،قال:"إنه عصى وغوى وظلم نفسه، قلنا: إذا لم يثبت تكليفه في الجنة فتخرج هذه الألفاظ على مقتضى اللغة فإن المعصية في اللسان عدم الامتثال كانت مقصودة أو غير مقصودة، وظلم النفس:(غبنها وبخسها في منافعها)لكونه وضع الفعل في غير موضعه،وكذلك غوى:(أدخل على نفسه الضرر) يقول:(غوى الفصيل،إذا رضع فوق حده،من اللبن فبشم)،فعلى هذه الوجوه تخرج هذه الألفاظ"[4]

وفي قصة سيدنا محمد ﷺمع زيد وزينب وفي قوله تعالى:﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾قال ابن خمير: "الأمر هنا يحتمل الحقيقة والمجاز،فإن كان الله أمره بتزويجها فيكون، وكان المأمور به مفعولا أي: واقعا، في ومعلوم الله تعالى، ويسمى المأمور به أمرا لمناسبة بين الأمر والمأمور...".[5]

وفي قصة آدم عليه السلام وفي قوله تعالى:﴿...وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾[6]، قال ابن خمير:"كان نهي إرشاد وإعلام على جهة الوصية والنصيحة لا على جهة التكليف...."[7].

وأما الأدب فله باع في هذا المجال، فقد وصفه ابن الشعار بذلك، فقال :"أديبا لغويا".[1]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 54، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 56

[3]- سورة طه، الآية 121

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 104، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 95

[6]- البقرة، الآية 35 وسورة الأعراف، الآية 19

[7]- المصدر نفسه، ص 101

ونجد أدبه مثبوتا في مؤلفاته وسنستخرج نماذج من أسلوبه الأدبي، ومما استشهد به من الأبيات الشعرية فحول الشعراء في استشهاده بأبيات لأمرؤ القيس في مفهوم التماثيل على صورة إنسي وذلك في قصة سيدنا سليمان عليه السلام، في قوله تعالى:﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ...﴾[2]، فقال والتماثيل قد تكون على صورة الأناسي، قال امرؤ القيس:

ويا رب يوم قد لهوت وليلة *** بآنسة كأنها خط تمثال[3]

ومرة يأتي بالأمثال العربية في مواضعها ومثاله في قصة العزير عليه السلام، حيث قال:"... إلا أنهم يقيسونها بعقائدهم الفاسدة وشكوكهم المضطربة! وقيل: (وكل إناء بما فيه يرشح)".[4]

واستعماله للسجع في عباراته،كما هو الحال في قصة سيدنا يوسف عليه السلام فقال:"فليت شعري إذا كان للتأويل في هذه القصة أو أمثالها مجرى سحب ومجال للسلامة رحب فما بالهم يضيقون هذا الواسع لولا الفضول".[5]

ومما يدل على أنه أديب اطلاعه على التراث الأدبي واستعماله في مواضعه من الكلام كما هو في قصة سيدنا محمد ﷺ مع زيد وزينب بعدها آتى بقصة رجل في عهد النبي ﷺ عندما أحب إمرأة وكتم حبه لها، وأنشد أبيات شعرية دالة على ذلك وقد سمعها الرسول ﷺ، ولم يعارضه فقال ابن خمير معلقا على ذلك:"وعلى هذا مضت العادات والتقاليد وتناصرت الحكايات ولولا قصر الاختصار لأسمعتك في هذا الشأن أخبارا وأشعارا عن ظرفاء المحبين المتدينيين، وأهل الهمم من فتيان العرب.."[6]ثم يأتي بقصتين أحداهما لقيس مع ليلى[1]،وأخرى لجارية كانت لعلي بن أبي طالب

---

[1]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 387/4

[2]- سورة سبأ، الآية 13

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 67، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 143

[5]- المصدر السابق، ص 81

[6]- المصدر السابق، ص 85

وقيم بمسجد رآها،ومن استعمالاته لعبارات أدبية،في ذلك في نفس القصة السابقة وبعد استخراج عدة فوائد من القصة، قال:"فهذه خمس عشرة فائدة صحت عن هذه القصة شاملة لرسول الله ﷺ، ولأمته سوى ما أغفله الخاطر، والجهلة (يخبطون عشواء الدجون)...".[2]

وفي قصة الإسراء والمعراج وفرض الصلاة في السماء استشهد ببعض الأمثال العربية منها قوله: "أفأنت مع ذلك في دنياك (أبطش من عقاب!)و(أحذر من غراب!) ذئب عتم، وضبع قرم،جماع مناع، عفرية نفرية تنتهز الفرصة، وتغتنم من قمامة أخيك القبضة وتخدع من سواك ولو في نفثة سواك لتحصل بها شهواتك، وتجاهر من يطلع عليك في خلواتك...".[3]

ثم يأتي بأبيات شعرية دالة على ذلك في نفس السياق ثم بواصل في خطابه للجاهل والقصاص المنحرف الذي يكذب في قصص الأنبياء عليهم السلام، فيقول له:"فإذا ادعيت الجهل بما يلزمك، فما أعلمك بما لا يلزمك وإلا فانظر كيف تجهد أيامك، وتصرف غوائلك وتنصب شراكك وحبائلك لتصيد نزر خسيس، بخبث مكائد لا يتفطن لها إبليس!".[4]

ويواصل خطابه بنفس السياق فيقول له:"أيها المغالط لنفسه المتغافل عن هيل التراب عليه في رمسه، راجع بصيرتك وسدد نحيزتك وقدر أنك المطلوب وحدك ...".[5]

ويورد كنايات من أمثله عربية وذلك في بداية كلامه في مصادر قصص الأنبياء عليهم السلام فيقول:"والذي يعول عليه في هذه القصة وما يضاهيها من القصص ما جاء في الكتاب

---

[1]- وهو قيس بن الملوح عرف بمجنون ليلى، شاعر غزل، ت68هـ، الزركلي، 60/6، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 96، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 218، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- المصدر السابق، ص 219

العزيز أو ما صح عن الرسول ﷺ، وما سوى ذلك فيطرح ومختلقة وراوييه إلى حيث (ألقت رحلها أم قشعم)".[1]

وفي قصة سيدنا محمد ﷺ مع زيد وزينب فقد أبدع ابن خمير في أسلوبه الرد في جملة ذكرها فقال:"فمن لام بعد هذه السنة، أحدا في أن يزوج مثلا بنته لعبده أو يتزوج إمرأة عبده من بعده فليفغر فوه بفهر يكسر قواضمه وخواضمه ويطرح في أمه الهاوية[2] ...".[3]

وفي قصة آدم عليه السلام في رده على الجهلة القصاصين فقال:"فلما كان ذلك وجد أهل الدعاوي وأهل الحيرة مع ما دهاهم من عدم التحقيق وكيد الوسواس سبيلا إلى الإخلال بحقه عليه السلام، حتى سطروا في الضبائر،وأفصحوا على المنابر بأن قالوا: (إذا كان رأس الدن دردیا فما ظنك بقعره)".[4]

وفي رده على بطلان عقائد الباطنية قال في أسلوبه الأدبي"(ثم يثب إليهم وثب ذئب عتم أو ضبع قرم)، فما هي عنده إلا (طفرة من محل الفرش إلى بطن العرش)...".[5]

ولو تتبعنا كلام وعباراته في مؤلفاته لاستخرجنا دراسة أدبية لأسلوبه الأدبي؛ ولكن المقام لا يناسب ذلك وإنما ذكرنا واختصرنا بعض الشواهد الأدبية من أسلوبه الأدبي في طرح المسائل.

وأما في مجال الشعر، فقد وصفه معاصروه ومترجموه وبعض تلاميذه بأنه متمكن من الشعر، والدليل على ذلك ما ذكرناه في آثاره من أنواعه كالرثاء والمدح وشعر الحكمة.

- **ابن خمير واعظا ومدرسا:**

---

[1]- المصدر السابق، ص 53

[2]- إشارة إلى قوله تعالى (وأمه هاوية) سورة القارعة، الآية 9

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 93، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 95، مصدر سابق

[5]- ابن خمير ، مقدمات المراشد، ص 117، مصدر سابق

يعتبر ابن خمير عالم موسوعي فعندما تقرأ له مصنفاته تجده مرة يعظ المقرئ ومرة مطلع على جميع العلوم وعارف بخبايا المجتمع وأهله والعلماء ومؤلفاتهم ويذكر من حين إلى آخر أنه ناظر غيره في مسائل عدة،وقد وصفه ابن الشعار في قلائده بأنه عالم فقال:"أصوليا عالما".[1]

ومما جاء في كلامه في الوعظ والإرشاد في حديثه عن فرضية الصلاة في السماء فقال:"فتأمل أيها العاقل الموفق العلقة الثمينة، والأمانة المصونة، والخطوة الضمنية، بالسلامة والعناية المكينة وشد عليها كف الضنين، وأحفظها حفظ المؤتمن الأمين، ذخيرة ليوم الافتخار، وجنة بينك وبين النار"[2]،حيث ذكر في بداية كتابه التنزيه بأن أملء على الطلبة بعض الآيات في التفسير فقال:"فإنني قد استخرت الله تعالى في إملاء شرح بعض آيات رغب في إملائها بعض الطلبة المحتاطين على الدين..."[3]، وفي وعظه وإرشاده ألف كتابه مقدمات المراشد حيث يكثر من لفظة المسترشد عند النصح والوعظ الموجه لقارئ الكتاب كذلك لتلاميذه وطلبته الذين يملي عليهم ما فتح الله له به من علم وذلك بقوله:"أعلم أيها المسترشد..."[4]، مما يدل على أنه مدرس بارع وواعظ حاذق.

- **ابن خمير مناظرا ومجتهدا:**

وفي مجال المناظرات وعلم الجدل فهو ينكر على من يقف منه موقفا سلبيا ففي حديثه عن مسألة النظر يقول:"والعجب ممن ينكر الجدال في الحق وندمه ....".[5]

[1]- ابن الشعار، قلائد الجمان، 387/4

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 216، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 46

[4]- المصدر السابق، ص 331

[5]- ابن خمير ، مقدمات المراشد، ص 35، مصدر سابق

وهو بنفسه قد ناظر غيره فقال:"ولقد ناظرت أحدهم بهذا الاعتراض فلما ضيقت عليه قال لي: فإذا أصبح القدح في المعجزتين فدعونا وندعكم..."[1]، والذي ناظره هو من أهل الكتاب بالمغرب، ومما يدل كذلك على أنه عالم عارف موسوعي قوله في مسألة الكبائر، حيث تحدث عنها بإسهاب وتفصيل دقيق، ومثاله قوله:"فنقول الكبائر تنقسم إلى قسمين:...ومن مات مصرا على كبيرة سوى الكفر كان ظالما لنفسه، وغيره، فهو بين إحدى ثلاث:...ولقد نص الله تعالى على الكبائر ولم ينص على الصغائر،...".[2]

ابن خمير أوتي القدرة على الكلام والإفحام وقوة الحجة، والإطلاع على كتب الديانات وأهل الكتاب، مما ساعده على مناظرة غيره في مسائل العقيدة وأصول الدين والديانات.

ومما يدل على أنه مجتهدا قوله:"وها أنا استنبط لك قولة رابعة:..."[3]، وذلك في مسألة تسمية الروح وحقيقتها، وفي نهاية كتابه مقدمات المراشد قال:"وقد أنبه على فصول أضربنا عن ذكرها لثلاثة أوجه..."[4]، فذكر الأوجه الثلاثة ثم بعدها ذكر الفصول وعناوينها التي لم يذكرها بالتفصيل في كتابه للمبررات التي قدمها، وكذلك مما يدل على أنه مجتهد قوله (وهذه قوله نادرة ما أرى سبق إليها أحد، ونسأل الله بعد الاعتراف بالعجز والقصور السلامة والعفو من الخوض في تفاصيل أسمائه الحسنى وصفاته العلى بحوله وطوله)[5]،وهذا في موضع حديثه عن شرح أسماء الله الحسنى في قوله:(ويسمى خالقا في الأزل حقيقة)[6]، وهذه التي يقصد بها قولة نادرة، وفي تفسيره

[1]- المصدر السابق، ص 240

[2]- المصدر السابق، ص 309

[3]- ابن خمير ، مقدمات المراشد، ص 284، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 331

[5]- المصدر السابق، ص 148

[6]- المصدر نفسه

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1]، قال: (...فتأمل هذه النادرة[2] فإنها تتضمن استخراج الشفاعة من الكتاب إخراجا لطيفا...)[3]، فهو العالم الموسوعي الواعظ الخطيب اللغوي الأديب الشاعر، فقد تعددت مواهبه ونبغ في عدة علوم ولكنه برز في مجال العقائد فهو المتكلم المغربي النادر وقد واجه مجتمعه وحارب المعتقدات الفاسدة وناظر غيره.

عاش ابن خمير بين القرنين السادس والسابع الهجريين في ظل دولة الموحدين حيث كانت ولادته مع أول خليفة للموحدين فنشأ وترعرع في مدينة سبتة المغربية وبدأ تعليمه الأول بها ثم رحل إلى الأندلس لطلب العلم ثم رجع إلى موطنه الأصلي وفيها نبغ في عدة علوم وألف وصنف وحارب المنحرفين من المتصوفة والقصاصين والوعاظ ورد على أصحاب الديانات والفرق والملل وناقش أمهات المسائل في العقيدة وعلم الكلام حتى توفي رحمة الله تعالى مع بداية القرن السابع الهجري وترك آثارا منها تلاميذه الذين نقلوا علومه إلى المغرب والأندلس والمشرق وترك لنا مصنفات منها ما حفظت في خزائن الكتب ثم حققت ومنها ما فقدت وبقي اسمها وقد عكف الباحثون على دراسة آراءه الكلامية ومواقفه العلمية إلى وقتنا هذا،هذا عصر ابن خمير وسيرته

[1]- سورة الواقعة، الآية 88

[2]- ويقصد بها استخلاصا من الآية بشارتين من النبي ﷺ الأولى أنه من المقربين والثانية أن أصحاب اليمين المقصرين أنه يسلمهم من أجله بشفاعته، ينظر: مقدمات المراشد، ص320، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 321، مصدر سابق

الذاتية فقد عاش عصره وأثر فيه وتأثر به وترك آثارا تعكس شخصيته وآراءه الفكرية والعقدية وهذا ما سنتناوله في الفصول القادمة في مجال النبوات.

الفصل الأول

مفهوم النبوّة وأسسها عند ابن خمير

المبحث الأول: مفهوم النبوة

المطلب الأول: تعريف النبوة

المطلب الثاني: خصائص النبوة

المبحث الثاني: أسس النبوة

المطلب الأول: أسس النبوة قبل البعثة

المطلب الثاني: أسس النبوة بعد البعثة

تمهيد:

تعتبر النبوة إحدى أصول الإيمان الستة، وهي أصل من أصول الدين، وهي الوسيلة التي تربط بين الخالق والمخلوق، وهي الطريقة التي يُبلغ بها الله تعالى أوامره إلى عباده وهي النموذج الإنساني الذي يجسده النبيّ الذي يصطفيه الله تعالى لرسالته، والنبوة لها أسس وأوصاف يجعلها الله تعالى في عبده المختار لكي يصدقه الناس، ويقتدوا به في حياتهم وأعمالهم فالنبيّ هو صنف من البشر مميز وله خواص يتصف بها، ولا توجد في بقية الناس.

ومن ذلك يستلزم أن نقسم هذا الفصل إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: مفهوم النبوة

المبحث الثاني: أسس النبوة

المبحث الأول

مفهوم النبوة عند ابن خمير

في هذا المبحث سنتطرق إلى أمرين أساسيين،وهما الأول تعريف النبوة،والثاني خصائصها وذلك في مطلبين.

المطلب الأول: تعريف النبوة

سنتطرق في هذا المطلب إلى التعريف اللغوي والإصطلاحي في فرعين[1].

الفرع الأول: تعريف النبوة لغة

سنتناول تعريف النبوة من الناحية اللغوية ثم نستنتج مدلولها اللغوي،ورد تعريف النبوة في المصادر اللغوية[2] بشكلين مهموز وغير مهموز، وله أربعة معاني وهي:

أ. النبؤة: وهو مهموز:(نبؤة، نبيء، نبأ)وأصله من النبأ، وهو الخبر لقوله تعالى:﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[3]، وتعني الخبر العظيم، أي يوم القيامة، وقد ورد في القرآن الكريم برواية ورش مهموزا منها

---

[1]- لم نعرف الرسالة في الجانب اللغوي باعتبار أن هذا المبحث اقتصر على النبوة فقط،وقد أشارت كتب اللغة إلى تعريف الرسالة بمعنيين، وهما: المعنى الأول: (التوجه بأمر ما)، المعنى الثاني: (التتابع)،واشتق من قولهم: جاء الناس إرسالا إذا اتّبع بعضهم بعض، ينظر المصادر اللغوية الآتية: أحمد رضا، معجم متن اللغة، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م 585/2-586 (مادة رسل)، الرازي، مختار الصحاح،ص136، والجوهري،الصحاح، ص518، مصادر سابقة، والسيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، (د.ط)، 1965م مطبعة الحكومة الكويت، لجنة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء- 350/29، 360 (مادة رسل)، وأبو هلال العسكري،الفروق اللغوية،تح: إيهام محمد إبراهيم،ط1، مكتبة ابن سينا،القاهرة،2013، ص192 والقاضي عياض الشفا،ط1،تح: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة، ج1-2009م، ص203

[2]- مختار الصحاح للرازي، ص 331، والصحاح للجوهري، ص1312، تاج العروس للزبيدي 442/1، مصادر سابقة

[3]- سورة النبأ، الآية 2

قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ...﴾[1]، وقوله تعالى:﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّئنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾[2].

قال صاحب المصباح:"والنبأ مهموز: الخبر، ونبأته به: أعلمته، والنبيء على فعيل مهموز؛ لأنه أنبأ عن الله أي أخبر".[3]

- فيكون نبيء، منبأ (فعيل) بمعنى (مفعول)، (مُنَبِأ) أي (مخبرا)، عما بعثه الله به
- ومُنَبِّئا (فعيل) بمعنى (فاعل) منبئا بما أطلعه الله عليه
- تعريف ابن خمير للنبوة: من الناحية اللغوية قال ابن خمير:"النبيء مهموز، من النبأ وهو: الخبر".[4]

إذن فالنبوة من جهته أنها مهموزة تعني في اللغة: الخبر، ومشتقاته أي كل ما دلّ على الخبر والإعلام.

- قال ابن منظور[5]: النبأ مهموز بمعنى الخبر والنبيء هو المخبر عن الله تعالى.[6]

ب. النبوة (غير مهموز): نبا، نبيّ، نبوة، وقد ورد في القرآن الكريم برواية حفص غير مهموز وذلك في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...﴾[7]،وقوله تعالى:﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾[8].

---

[1]- سورة الطلاق، الآية 1

[2]- سورة البقرة، الآية 213

[3]- الفيومي، المصباح، ص370، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص25، مصدر سابق

[5]- هو جمال الدين أبو الفضل ابن مكرم لغوي مصري ولد سنة 630هـ وتوفي سنة 711هـ، رضا كحالة، 731/3 الزركلي، 329/7، مصادر سابقة.

[6]- ابن منظور، لسان العرب،(د.ط)(د.ت)، دار لسان العرب، بيروت، 561/3

[7]- سورة الطلاق، الآية 1

[8]- سورة البقرة، الآية 213

وتعني من الناحية اللغوية ما ارتفع من الأرض، قال ابن منظور:"النبيّ غير مهموز من النبوة والنّباوة وهو الارتفاع عن الأرض أي أنه أشرف على سائر الخلق".[1]

- تعريف ابن خمير ذكر ابن خمير النبيّ غير مهموز بمعنى الارتفاع حيث قال:"...والنبيّ غير مهموز من النبّوة وهو ما ارتفع من الأرض..".[2]

- وهناك معنى ثالث للنبوة وهو الطريق الواضح

- قال ابن منظور:" النبي الطريق الواضح ...".[3]

- قال التهانوي[4]:"النبي يعني الطريق الواضح وسميّ بذلك لأن النبيّ هو الطريق إلى الله تعالى.."[5]

- وقال الإيجي[6]:"إنه من النبيّ وهو الطريق لأنه الوسيلة إلى الله تعالى،والطريق الموصل إليه..".[7]

إذن للنبوة في التعريف اللغوي ثلاث معاني، وهي:

1.الخبر والإعلام

2.الارتفاع والعلم

3.الطريق الواضح والوسيلة

---

[1]- ابن منظور، 562/3، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص25، مصدر سابق

[3]- ابن منظور، لسان العرب، 562/3، مصدر سابق

[4]- هو محمد ابن علي باحث هندي صاحب كشاف إصطلاحات الفنون متوفي سنة 1158هـ، رضا كحالة، 537/3 الزركلي، 188/7، معجم الفلسفة لليعقوبي، ص277 مصادر سابقة.

[5]- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: أحمد حسن سبج، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، 1998م، 165/4

[6]- هو عبد الرحمان بن أحمد عضد الدين متكلم أشعري المولود سنة 708 صاحب المواقف توفي سنة 756هـ، رضا كحالة، 76/2 الزركلي، 66/4، مصادر سابقة.

[7]- الجرجاني، شرح مواقف الإيجي، تح: محمود عمر الدمياطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 242/8

– وأورد ابن خمير معنى رابع للنبوة وهو (النيابة) قال ابن خمير :"النبي غير مهموز مأخوذ من النيابة، فهو ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره".[1]

وأما المدلول اللغوي للنبوة فنستنتجها من المعاني الأربعة سابقة الذكر والتي لها دلالة على النبوة ولها علاقة بشخصية النبيﷺ ومكانته ودوره في المجتمع وهذه المدلولات هي كالآتي:

– المدلول الأول وهو المخبر عن الله تعالى، حيث أن له علاقة بالنبوة لأن النبي ﷺ يتلقى الخبر عن طريق الوحي، كذلك يعلم غيره بما أوحاه الله تعالى له.

– المدلول الثاني هو الرفيع الدرجة،حيث أن النبي ﷺرفيع الدرجة عند ربه والمنزلة في مجتمعه.

قال ابن خمير: "...وبالمعنى الثاني هو الرفيع المنزلة عنده تعالى..."

قال ابن منظور: "...أي أنه أشرف على سائر الخلق".[2]

– المدلول الثالث هو الوسيلة حيث أن النبي ﷺ يعتبر الطريق الموصل إلى الله تعالى، لأنه يدل قومه على الطريق الصحيح

قال التهانوي:"...وسميّ بذلك لأن النبيّ هو الطريق إلى الله تعالى...".[3]

وقال الإيجي:"إنه من النبيّ وهو الطريق لأنه الوسيلة إلى الله تعالى،والطريق الموصل إليه...".[4]

– المدلول الرابع هو النائب عن ربه، حيث أن النبي ﷺ ينوب مناب مرسله في تبليغ أحكامه

قال ابن خمير"وقيل: إنما مأخوذ من النيابة كأنه ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده".[5]

---

[1]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 255، مصدر سابق

[2]– ابن منظور، 562/3، مصدر سابق

[3]– التهانوي، 165/4، مصدر سابق

[4]– الجرجاني، شرح مواقف الإيجي، 242/8، مصدر سابق

[5]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص255، مصدر سابق

الفرع الثاني: تعريف النبوة اصطلاحا

وردت عدّة تعاريف للنبوة من الناحية الاصطلاحية نورد[1] منها تعريف الجرجاني[2] والتفتازاني[3]،ثم تعريف ابن خمير، حيث عرفه الجرجاني بقوله:(من أوحي إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة)[4]، وعرفه التفتازاني بقوله:(النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه وكذلك الرسول).[5]

وأما تعريف ابن خمير للنبوة فسنستنتجه من خلال كلامه،حيث يقول"نبي على وجهين: مهموز وغير مهموز فمن همز عني به النبأ وهو الخبر، ومن لم يهمز عني به الأول الذي هو النبأ لكن خففه وهو لغة غريبة، أو عني بها النبوة وهو ما ارتفع من الأرض، فالنبي بالمعنى الأول

[1]- وعرفه عبد الرحمن حنبكة الميداني بتعريفين الأول(اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي)والثاني(التعريف الثاني:من أوحى إليه خبر دون تبليغه) ينظر:عبد الرحمن حنبك الميداني، العقيدة الإسلامية،ط11، دار القلم، دمشق، 2002، ص 266 وعرفه كل من مصطفى الخن ومستو بأنه (إنسان أوحي إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر)، ينظر: الخن ومستو العقيدة الإسلامية،(د.ط)، دار الكلم الطيب، بيروت، 1996، ص 282، وعرفه أبو هلال العسكري بأنه (النبي هو المنبأ بالوحي ولم يؤمر بتبليغه)، ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ص 192، مصدر سابق، وعرفه حمادي العبيدي بأنه(النبوة هي الخبر الصادق عن الله تعالى، والنبيّ المخبر عن الله تعالى)، ينظر:حمادي العبيدي مفهوم النبوة،ط1 دار وحي القلم، بيروت، 2004م، ص08

[2]- هو علي بن محمد أبو الحسن السيد الشريف المولود سنة 740هـ بجرجان متكلم أشعري صاحب التعريفات والمتوفي سنة 816هـ، رضا كحالة، 515/2 الزركلي، 159/5، معجم الفلسفة لليعقوبي، ص281 مصادر سابقة.

[3]- هو مسعود بن عمر سعد الدين المولود سنة 712هـ متكلم أشعري صاحب المقاصد توفي سنة 791هـ بسمرقند رضا كحالة، 849/3 الزركلي، 113/8، معجم الفلسفة لليعقوبي، ص277 مصادر سابقة.

[4]- الجرجاني، التعريفات، تح: محمد علي ابو العباس، ط1، دار الطلائع، القاهرة، 2014، ص 232

[5]- التفتازاني، شرح المقاصد، تح: عبد الرحمان عميرة، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1998م، 5/5

والمهموز والمخفف هو المخبر عن الله، وبالمعنى الثاني هو الرفيع المنزلة عنده تعالى، وقيل: إنما مأخوذ من النيابة كأنه ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده".[1]

وفي موضع آخر عند شرحه لسورة الكهف في قوله تعالى:﴿...إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾[2]، حيث يقول:"رده إلى نعته فشرفه بوحيه"[3]، وفي موضع آخر عند حديثه عن النبوة يقول: "ترجع (أي النبوة) إلى أحد وجهين: إما لقول النبي: أنا نبي ثم يأتي بمعجزة تصدق قوله، أو يخبر الله عنه على لسان نبي آخر أنه نبي..."[4]، وفي موضع آخر في إثبات نبوة أدم عليه السلام أنها بعد أكله من الشجرة لا قبلها حيث إستدل بقوله تعالى:﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[5]، يقول: "عطف بثم التي تعطي المهلة، ثم ذكر الاجتباء والهداية، والاجتباء هنا النبوة بدليل قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام عندما عدد الأنبياء عليهم السلام ومناقبهم على التفصيل قال:﴿...وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا...﴾[6]،يعني من النبيين أجمعهم،وقال في قصة يونس عليه السلام بعد قصة الحوت﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ...﴾[7]،وهذا وجه من الوجوه يثبت أكله من الشجرة قبل نبوته).[8]

في تأيد الله رسله بالمعجزات قال ابن خمير "وتأييدهم بالمعجزات"[9]، وقال أيضا: "وشهدت المعجزات على صدقهم في كل ما أخبروا به عنه شهادة لا ترد"[10]، وقال أيضا: "أن تعلم أنه أرسل

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص255، مصدر سابق

[2]- سورة الكهف، الآية 110

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- سورة طه، الآية 122

[6]- سورة مريم، الآية 58

[7]- سورة القلم، الآية 50

[8]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص100، مصدر سابق

[9]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص212، مصدر سابق

[10]- المصدر السابق، ص53

الرسل وأيدهم بالمعجزات، وأنزل عليهم الكتب، فبلغوا وأدوا لنا أمره ونهيه ووعده ووعيده"[1]،نستنتج من كلام ابن خمير أن النبوة حصرها في المعاني الآتية:

- المعنى الأول (المخبّر): بمعنى المخبر عن الله تعالى، قال: (هو المخبر عن الله)
- المعنى الثاني (الرفيع): بمعنى رفيع المنزلة عند الله
- المعنى الثالث (النيابة): بمعنى أنه ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره.[2]
- المعنى الرابع (تشريفه بالوحي): أي أنه لا نبوة إلا بالوحي
- المعنى الخامس (التأييد بالمعجزة): لابد لكل نبي معجزة تأييد نبوته.
- المعنى السادس (إثباتها بالخبر): لابد من خبر صحيح يثبت نبوته
- المعنى السابع (الاصطفاء): وعبر عنه بالاجتباء وهو اختيار الله عبدا من عباده للنبوة

- **تعريف ابن خمير**

من خلال كلامه نستنتج تعريفه الآتي: النبي هو (**من أخبر الله تعالى باصطفائه ورفع منزلته عنده وأوحى إليه بأن يخبر عنه وينوبه في تبليغ أوامره مع تأييده بالمعجزة لتصديقه**).[3]

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص255، مصدر سابق

[3]- كذلك لم نتعرض لتعريف الرسالة إصطلاحا باعتبار أن ابن خمير جعل كل من مصطلحي الرسالة والنبوة بمعنى واحد ومنهم من سلك نفس المسلك كالتفتازاني حيث قال:"يسمى رسولا من حيث أنه أرسل إلى الناس ويسمى نبي من حيث أنه نبئ وأوحي إليه"، ينظر: شرح المقاصد، 6/5،كذلك الإيجي في شرح مواقفه 243/7 مع القائلين بعدم الفرق بينهما وهناك من فرق بينهما كالجرجاني في تعريفاته، ص233 والعسكري في فروقه، ص193 والقاضي عياض في كتابه الشفا قال: "والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول"، الشفا، 204/1، أشار ابن خمير إلى التفريق بين النبوة والرسالة في معرض رده على أهل الكتاب فقال: "فقد قيل إن المقصود بقوله ﷺ (لا نبي بعدي) يعني شارعا متبوعا مثله، وعيسى عليه السلام إنما ينزل تابعا لشريعة محمد ﷺ لا شارعا لغيرها، ومنازعتنا إنما هي في إثبات نبي شارع، وهذا القول معترض ولتجويز ورود نبي غير شارع، لكن على مذهب من قال(إن النبي غير الرسول) والأصح أنه معنى قوله (لا نبي بعدي) أي نبي أخر بعدي شارع كان أو غير شارع وهذا الصحيح المعول عليه"، مقدمات المراشد ص244 ، مصادر سابقة، وحديث (لا نبي بعدي) أخرجه البخاري في صحيحه رقم 3455، تح: فؤاد عبد الباقي، ط1 دار الريان، مصر، 1986م.

وأما المدلول الإصطلاحي للنبوة فنستنتجه من تعريف ابن خمير وهوعلى خمسة:

المدلول الأول الاختيار:ويتمثل في عنصر الاصطفاء وهو اختيار الله عبدا من عبادة لتهيئته للنبوة.

والمدلول الثاني مصدر التلقي: ويمثله الوحي الذي يرجع إلى المصدر الأول وهو الله تعالى.

والمدلول الثالث الدرجة الرفيعة: ويمثله عنصر الرفعة بمعنى المنزلة عند الله.

والمدلول الرابع الرسالة: ويمثله عنصر التبليغ؛ لأنه ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره.

والمدلول الخامس التأييد: ويمثله عنصر المعجزة لتأييد نبوته من الله تعالى.

المطلب الثاني: خصائص النبوة

وسنتحدث عن خصائص النبوة من وجهين الأول خصائص شخصية، والثاني خصائص وظيفية وذلك في فرعين.

الفرع الأول: الخصائص الشخصية

نستنتج من خلال تعريف ابن خمير للنبوة ومن خلال مدلولها اللغوي والإصطلاحي أن هناك نوعين من الخصائص الأول الخصائص الذاتية والثانية الخصائص الخارجية.

أولا: الخصائص الذاتية

وهي خصائص لصيقة بشخصية النبي ﷺ وهي المميزات التي تميزه عن غيره من البشر وتتمثل في الصفات والعصمة حيث نجدها محتواة في مدلول النبوة كالرفعة والاصطفاء وذلك لتأهيله للنبوة قال ابن خمير:"...الجاهلين بحقيقة النبوة، وما يجوز على أنبياء الله تعالى وما يستحيل وما يجب على الكافة من تعزيرهم وتوقيرهم، وتدقيق النظر في استخراج مناقبهم على أتم الكمال وأعمه..."[1]،كذلك إبتعادهم عن الذنوب والخطايا، قال ابن خمير:"...ووصف أنبيائه بالصدق

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

والعصمة والتنزيه من الخطأ والخطل..."[1]، وسنفصل القول في هذه الخصائص الشخصية في مبحثين من الرسالة الأول الحديث عن أسس النبوة والثاني مفهوم العصمة فيما يستقبل.

ثانيا: الخصائص الخارجية

وهي المميزات الخارجة عن ذات النبي عليه السلام ولكنها تابعة له وهي من تأييد الله تعالى له ولها دلالة واضحة على النبوة فتعتبر قرائن يعرف بها النبي عليه السلام وتتمثل في خوارق العادات منها ما تكون قبل نبوته وهي الإرهاصات كحادثة شق الصدر للنبي محمد ﷺ والكلام في المهد لعيسى عليه السلام ومنها ما تكون بعد نبوته وهي المعجزة، كذلك ظاهرة الوحي والتي منها تبدأ نبوته ونجدها محتواة في عناصر النبوة في التعريف، وسنفصل القول في هذه الخصائص الشخصية في مبحثين من الرسالة الأول الحديث عن أسس النبوة والثاني مفهوم العصمة فيما يستقبل.

الفرع الثاني: الخصائص الوظيفية

حيث نستنتج من تعريف ابن خمير للنبوة اصطلاحا خصائص وظيفية والمتعلقة بمهام النبي عليه السلام حيث نجدها محتواة في مدلول النبوة كالخبر والنيابة والوحي وهذه المهام هي تلبية لحاجة البشرية للنبوة، حيث نبدأ بالحاجة ثم المهام.

أولا: حاجة البشرية للنبوة

حيث نجد أن الإنسان لا يستطيع معرفة طريق الهداية بعقله ولا يمكنه الاستغناء عن النبوة ولذلك كانت الحاجة ماسة إليها، قال ابن خمير:"...أنه يجوز أن يبعث رسلا إلى خلقه متفضلا عليه في ذلك يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم بالإله ويحذرهم من عقابه..."[2]،ويذكر في موضع آخر الحكمة من بعث الرسل عليهم السلام فقال: "فما المانع أن يكون جعل في إرسال الرسل ألطافا

[1]- المصدر نفسه

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص212، مصدر سابق

وحكما لا تبلغها العقول..."[1]،وفي موضع آخر ذكر أن الحكمة تتمثل في سعادة الانسان في الدنيا والآخرة قال: "...أن ما كلفه الأنبياء عليهم السلام من تعب منقطع أخبروا بالبرهان إلى أنه يؤدي إلى راحة أبدية في الأخرة"[2]، وقال في موضع أخر في حديثه عن الحكمة والهدف والغاية من بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام:"إنه قد آمنا وآمنت الأمم من ذلك فيما سلف لما تواتر من أخبار الأمم أنه لم يقع قط وأرسل الله رسلا إلا بالهداية والموعظة الحسنة والوعد على فعلها، والوعيد على تركها"[3]،ونجمل هذه الحاجات في ثلاث هي:

أ- المعرفة

وذلك لتكميل النفس البشرية بالعلوم والمعارف رغم أن للإنسان عقل وعلوم ضرورية كالعلوم الفطرية والضروريات العقلية كالبديهيات والأوليات العقلية، ولكنها لا تكفي ولا تروي غليل الإنسان الباحث عن الحقيقة؛ لأن هناك معارف لا يستطيع الإنسان الاهتداء إليها إلا عن طريق الوحيّ الإلهي الذي يصل إلى البشرية عن طريق النبوة، كأخبار الأمم السابقة أو الأشياء التي ستقع مستقبلا كالمعارك الدائرة بين الأمتين العظيمتين آنذاك الفرس والروم، وليس في استطاعة أي إنسان العلم أو التنبؤ به أنه سيقع كما أخبر به، ويدخل تحت المعرفة أمور هي:

01. الاطلاع على الغيب

الإنسان يعيش في عالمه المادي المحسوس وقد زوّده الله تعالى بالحواس الخمس، وهي وسائل الإدراك، وأعطاه عقلا يوازن به، ويتعرف بواسطته على المحسوسات، ولكن هذا العقل محدود الإدراك فلا يستطيع أن يعرف أمور الغيب إلا بواسطة الوحيّ الإلهي وذلك عن طريق النبوة قال

[1]- المصدر السابق، ص205

[2]- المصدر السابق، ص209

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص216، مصدر سابق

تعالى:﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾[1]، فالإنسان في حاجة إلى معرفة الغيب الذي يهمه وخاصة في أمور دينه، كالصفات الإلهية وأخبار اليوم الآخر وعلامات الساعة، يقول ابن خمير:"وكذلك ما أخبر به الأنبياء عليهم السلام من الجنة النار والملائكة والموت والزبانية وغير ذلك مما وقع ويقع...".[2]

02. إعلام الإنسان بأنه مكلف ومسؤول

النبوّة تعلم الإنسان بأنه مكلف من قبل خالقه، وكذلك أنه مسؤول على أعماله في الدنيا، حتى لا يحتج على الله يوم القيامة، فالإنسان لا يستطيع أن يعلم ما الذي يطلبه منه خالقه إلا عن طريق النبوّة،وكذلك لا يستطيع أن يعرف العمل الصالح والصحيح إلا عن طريق النبوّة فجميع الأوامر والنواهي يتلقاها الإنسان من النبوة قال تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[3]،فهؤلاء عبّروا عن حاجتهم للنبوة حتى لا يُعذبون ويذلون يوم القيامة.

03. الإيمان بالغيب

وهي الأمور الغائبة عن حواسنا كوصف الملائكة، والجنّ، والجنّة والنّار، والذات الإلهية وعالم الغيب عموما، فلا يمكن معرفته ووجود هذه الأمور من عدمها، إلا عن طريق الوحيّ الإلهي بواسطة النبّوة، يقول ابن خمير: "وما أخبروا به من المغيبات...".[4]

---

[1]- سورة آل عمران، الآية:179

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص80، مصدر سابق

[3]- سورة طه، الآية 134

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

04. الإيمان باليوم الآخر

الإيمان لما بعد الموت وما يقع للإنسان بعد موته من الحياة البرزخية، وعذاب القبر ونعيمه،وملك الموت المسؤول على قبض الأرواح،ومراحل الموت، ومصير الروح، وكذلك يوم البعث والحساب من جزاء وعقاب، وما يوجد في يوم القيامة من وسائل وأدوات الإنعام والعذاب كالجنة والنار ووصفهما وكيفية الحساب كالميزان والصحائف والملائكة المسؤولين عن ذلك فهذه الأمور وعالم الآخر لا نعرفه إلا عن طريق الوحي الإلهي بواسطة النبوة.

ب- السعادة

قد يتصور الإنسان أنه يستطيع تحقيق السعادة في جلب الأمور المادية، وبواسطة عقله وعلمه،ولكن هذا جانب مادي كما اعتقد قارون[1]، بأن ما تحصل عليه من الكنوز أنه جلبها بعلمه وسعيه عندما ذكره قومه بذلك، وتمنى غيره المكانة التي هو عليها؛ ولكن كبرياؤه وعجبه بنفسه عاقبه الله تعالى بالخسف هو وكنوزه، وندم الذين تمنّوا ما عند قارون فعرفوا أن السعادة ليست بالمال والكنوز، وإنما في الإيمان بالخالق لأنه هو المعطي والمانع؛ لأن الإنسان مركب من مادة وروح فالجانب المادي والذي يتمثل في هيكل الإنسان الخارجي المرئي وغذاؤه مادي وأحلامه مادية، ويسعى لسدّ الحاجات والرغبات المادية كالغذاء والمال، وهذه ما عبّر عليها القرآن أنه زينة الحياة الدنيا[2]،وأما الجانب الخفي والداخلي والذي يمثل مشاعر الإنسان ووجدانه وقلبه ونفسه،

[1]- قصة قارون أوردها القرآن الكريم﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، سورة القصص، الآية 76

[2]- الآية:﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ سورة الكهف، الآية 46

فإنه يحتاج إلى غذاء روحي ومعنوي وهذا لا يكون إلا عن طريق الوحي الإلهي ويتحقق بواسطة النبّوة، ويدخل تحت السعادة الأمور الآتية:

01. القدوة الحسنة

ولكي تتم السعادة فلا بد من نموذج مشاهد يقتدي به الانسان وهو النبي عليه السلام والناس في حاجة إلى نماذج بشرية تتجسد فيهم الأخلاق الفاضلة،والسلوك المثالي، لكي يقتدوا به، ولا يكون هذا إلا في الرسل والأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾[1]،فبيّنت الاقتداء بالنبّوة لأنهم هم الأسوة الحسنة، وقد عمّم هذه الأسوة على جميع الأنبياء عليهم السلام في قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ...﴾.[2]

02. تهذيب الغرائز

من الأمور التي تحققها النبوة هي تهذيب الغرائز، ودوافع الإنسان الكامنة فيه بطرق حكيمة وسليمة وآمنة، لنفسه ولغيره، ولمجتمعه، الذي يعيش فيه والإنسانية جمعاء، ومن بين هذه الأمور الغريزة الجنسية فقد أودعها الله تعالى في الإنسان لأجل التناسل للحفاظ على السلسلة البشرية ولكن شرع لها الإطار الذي تودع فيه بأمان وهو الزواج الشرعي، حيث شرع له أركان وواجبات وشروط وجعله نصف الدين وجعله إحدى الطرق والوسائل التي تحافظ على الكليات الخمسة[3]، منها حفظ النسل وذلك للتمكن من معرفة الأنساب والقضاء على مجهولي النسب،

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية21

[2]- سورة الأنعام، الآية 90

[3]- الكليات الخمس، هي(حفظ الدين، والنفس، العقل، النسل،والمال) ينظر: للشاطبي،كتاب الموافقات، تح: عبدالله دراز (د.ط) (د.ت)، دار المعرفة بيروت، 10/2، قال ابن خمير في حفظ ضروريات الحياة (...وأما هلاك الأبدان في الدنيا، فإنه كان يؤدي إلى تعطيل المعايش والحرف التي بها قوام الأبدان في الدنيا به، فإذا لم يكن حارثا ولا تاجرا ولا بانيا ولا قينا ولا

لأن مجهول النسب يعيش حياة غير سوية من الناحية النفسية وينتقم من المحيط الذي يعيش فيه، وينبذه المجتمع، وكذلك الزواج يحافظ على صحة الإنسان لأن العلاقة غير الشرعية تنتج عنها أمراض جنسية منها المرض الخطير السيدا وهو مرض فقدان المناعة المكتسبة،ولقد جاء سيدنا لوط عليه السلام لإصلاح مجتمعه من الفاحشة الجنسية وذلك لأجل تهذيب الغرائز الجنسية ووضعها في نصابها[1]، ولكن قومه عارضوه، فأصابهم الله بالعذاب وكذلك اعتبار الزواج ميثاقا غليظا ومسؤولية اجتماعية وأسرية وهو أساس بناء المتجمع فالنبوة جاءت لتبين ضرورة بشرية تتمثل في تهذيب الغريزة الإنسانية فخالق الإنسان ومودع فيه الطاقة الجنسية هو أدرى بما يصلح له، وحتى يوصلها للبشرية فلابد من المرور عن طريق النبّوة.

فهذه الأمور السالفة الذكر تعبّر عن حاجة البشرية للنبوة وأن هذه الحاجة ضرورية لحياة الإنسان فعقله وحده لا يستطيع أن يلبي حاجاته الروحية ورسم منهج حياته الدنيوية والنبوة مكملة للعقل البشري، فالعقل وحده لا يستطيع الاستقلال بمعرفة كل الأمور.

قال عياض:"أن الله تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وصفاته وجميع التكاليف ابتداء دون واسطة لو شاء الله تعالى".[2]

ج- المنهج الرباني

إيجاد منهج صالح يكفل للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة وذلك باستقامة حياته وفق الشرع، لأن الإنسان محدود العلم فلا يستطيع الإحاطة بكل ما حوله،ويقع تحت المؤثرات المادية الكثيرة كالمال، والجاه، والحبّ وغيرها مما تشتهيه النفس وتميل إليه، ومهما بلغ الإنسان من علم

إسكافا ولا ناسخا إلى غير ذلك من الحرف والمتحرفين هلكت الأبدان لعدم المنافع لامحالة). مقدمات المراشد، ص320 مصدر سابق

[1]- حيث خاطب قومه بقوله:﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، سورة الشعراء، الآية 165

[2]- الشفا، 203/1، مصدر سابق

وحكمة فيحتاج إلى منهج رباني يعطيه الأسس والقواعد التي يبنى عليها مخطط حياته لكي يسير على بصيرة واضعا نصب عينيه تحقيق الأهداف المستقبلية مع المحافظة على غاية وجوده وهي عبادة ربّه مع علمه بأن مصيره رجوعه إلى خالقه يوم القيامة وأن الموت ليس نهايته، وإنما هناك دار الخلود يعمل من أجل الفوز برضا الرحمن والراحة في الجنان وهذا المنهج لا يستطيع الحصول عليه إلا بواسطة النبوة، قال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾[1]، ويدخل تحت المنهج الرباني أمور هي:

01. الإختبار

من الأمور التي تحققها النبوة هي إختبار إرادة الإنسان وسلوكه في الحياة، فقد خلق الله الإنسان حر الإرادة وزوده بالعقل والقدرة،فهل سيسخر الإنسان هذه المواهب الثلاثة (الإرادة العقل، القدرة) فيما خلقه الله من أجله، وهي العبادة أم أنه سيسخرها لتلبية طلباته المادية وما تمليه عليه نفسه وهواه مسايرة لملذات الدنيا وزينتها وتلبية لنداء الشيطان وأتباعه، فلم يجبره على إتباع الطريق المستقيم بل ترك له الإختيار بعد بيان الحق من الباطل لقوله:﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2]، فالله تعالى لم يجبر الإنسان على الاعتقاد وإتباع الدين والعبادة والطاعات وما تأتي به النبوّة وإنما تركه حرا مختارا؛ ولكن بعد ما بيّن له طريق الحق وتبين له الرشد من الغيّ، قال تعالى:﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾[3]، ولقد ساق القرآن الكريم عدّة آيات في مسألة حرية الاعتقاد والإتباع والفعل، وحتى لا يحتج الإنسان على ربّه يوم القيامة أنه لم يجد من يُبين له الطريق، فقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام للبشرية لإقامة الحجة عليهم قال

[1]- سورة الحديد، الآية25

[2]- سورة البلد، الآية 10

[3]- سورة البقرة، الآية 256

تعالى:﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾[1] وزيادة على ذلك فقد أنزل الكتب والشرائع لقوله تعالى:﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾[2]، مع أن الله تعالى زوّد الإنسان بالعقل وميّزه عن غيره وألقى فيه العلوم الفطرية والعلوم الضرورية لكي يكون له منطلق للبحث عن الحقيقة ومهدا للهداية وزرع فيه الفطرة السليمة التي خلق عليها الإنسان، قال تعالى:﴿...فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾.[3]

وأشهد ذريته على نفسه أنه هو ربهم منذ أن خلق آدم عليه السلام، حتى لا يغفل الإنسان عن الحقيقة قال تعالى: ﴿...وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[4]،ولا يحاسبه الله تعالى إلا بعد وصول بلاغ النبوة قال تعالى: ﴿..وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.[5]

فكل هذه العلامات والقرائن والحجج أقامها الله تعالى على الإنسان لكي لا يعتذر ويتحجج إلا إذا فقد مقومات وأسس التكليف وهي ثلاثة: وصول الدعوة،والعقل، والبلوغ[6] قال ابن خمير في أحكام التكليف:"...فأما الشروط فهي كل ما يدل تحت الكسب كالوقوت والعقول والبلوغ وبلوغ الدعوة وطهارة المال إلى غير ذلك..."[7]،وقال في موضع أخر"فهو بلوغ وقت الزام التكليف لمن اتصف بإحدى هذه الأوصاف الحسية عند بلوغ دعوة الرسول ﷺ..."[8] لقوله

---

[1]- سورة النساء، الآية 165

[2]- سورة النحل، الآية 44

[3]- سورة الروم، الآية 30

[4]- سورة الأعراف، الآية 172

[5]- سورة الإسراء، الآية 15

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص50، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص270

[8]- المصدر نفسه

تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾[1]، وكذلك أنه تعالى لا يكلف الإنسان أكثر مما يتحمله لأن القدرة كذلك مناط التكليف فهناك عبادات لا يستطيع الإنسان القيام بها لفقده القدرة سواء أكانت مادية أو جسمية كالحج لقوله تعالى: ﴿...وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ...﴾[2]،فإن فقد الإنسان إحدى مقومات التكليف فهنا يعذر ولا يحاسب لأنه يعتبر فاقد آلة من آلات التكليف التي يستقبل بها الأوامر والنواهي كالعقل والبلوغ، أو أن الدعوة لم تصله لبعده عن المجتمع الإنساني أو اعتراه عارض في جسمه كالمرض أو إعاقة، أو فقد حاسة من الحواس التي يقوم بها الأمر، أو ليس له وسيلة مادية لكي يؤدي ما أوجبه الله عليه كالزكاة والحج فالله تعالى أبصر بعبده من نفسه لقوله تعالى: ﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] وقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.[4]

والعبد أدرى بنفسه وقدراته التي تتيح له القدرة على استقبال المعلومات وتطبيقها، وكل هذا لكي يضع الإنسان أمام الإختبار في الدنيا هل يتبع ما جاء عن طريق النبوة أم لا؟ ومسألة الإختبار تكون من الله تعالى نحو عباده عن طريق الوحي الإلهي والذي يصل إلى الإنسان بواسطة النبوة.

02. الهداية

الأصل في الإنسان الفطرة السليمة حيث أن الله تعالى عندما خلق آدم عليه السلام، وعرّفه بنفسه وأنه هو الخالق الذي يستحق العبادة،وزرع هذا الإحساس والشعور في نفوس البشرية ولكن بسبب البعد الزماني والمكاني تحدث الغفلة لدى الإنسان فينحرف عن الطريق وتغلف فطرته بغطاء

[1]- سورة البقرة، الآية 286

[2]- سورة البقرة، الآية 286

[3]- سورة ق، الآية 16

[4]- سورة غافر، الآية 19

الضلال، قال تعالى:﴿...وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...﴾[1]، فبيّنت الآية أن الفطرة متأصلة في الإنسان ولكن الغفلة التي تصيبه بسبب البعد الزماني،عمّا ذكره والبعد المكاني عن المتجمع المؤمن بالله تعالى، وقد حثّ الله تعالى الإنسان بأن يتمسك بالدين الحق، لأنه موافق للفطرة السليمة قال الله تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...﴾.[2]

وللشيطان دور في انحراف الإنسان عن الفطرة لأنه العدو الوحيد للإنسان، منذ خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة وقد جاء في الحديث القدسي ما يعبّر على أن الله تعالى خلق الإنسان على الفطرة؛ ولكن الشيطان تسبب في انحرافه عن الحق ونص الحديث كما يلي:"إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..."[3]،وهنا دور النبوة إرجاع الإنسان إلى الأصل الذي خلق عليه.

03. العبادة والطاعة:

لا يمكن معرفة كيفية عبادة الخالق،إلا بما شرع هو كتحديد الصلوات ومقادير الأشياء والحدود والمواريث والحقوق والواجبات، ومعرفة أصناف العبادة كالصلوات، الصوم، الزكاة والحج وأعمال البرّ،والنوافل والقربات وحقوق الخالق وحقوق المخلوق،ومعايير الأشياء ومقاديرها كأن يكون الصوم شهرا فلا يستطيع الإنسان وضع عبادات وقربات من تلقاء نفسه ربما يخترع ويبدع

[1]- سورة الأعراف، الآية 172

[2]- سورة الروم، الآية 30

[3]- أخرجه ابن حبان في صحيحه،برقم654،بترتيب الأمير بن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت 1993م.

عبادة لا تليق بالخالق، كما هو في بعض الديانات الأرضية كالبوذية أو الفرعونية فهي عبادات لا تليق بالذات الإلهية، والذي يحدد لنا ما يليق بالذات الإلهية الوحي الذي لا يكون إلا عن طريق النبوّة.

04. الخلافة

الإنسان خليفة الله في أرضه، لقوله تعالى:﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾[1] فبيّنت الآية أن الله تعالى جعل الإنسان يخلفه في الأرض،وعند خلقه لآدم عليه السلام وهو الإنسان الأول عرض عليه الأمانة وهي الخلافة فقبلها بعد أن عرضها على السموات والأرض ورفضهما لها وهي تحمل المسؤولية والمهام والتكاليف الربانيّة لقوله تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2] فبيّن أن الإنسان تحمل المسؤولية المتمثلة في الخلافة ولكن ضيعها ولم يقدر عليها ولم يعطها حقها كما أمر ربّه بذلك والله تعالى يعلم أنه ظالم لنفسه وجاهل لقيمتها، وهذه الخلافة تحمل بنود المسؤولية وهي عبارة عن أوامر ونواهي، وواجبات وحقوق، ولا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحيّ الإلهي، بواسطة النبوة فلا يمكن أن تكون الخلافة [3]بالاجتهاد من قبل الإنسان فلابد له من أسس ومعايير ومقاييس يبنى عليها قواعد الخلافة، ويكون اجتهاده وفق النصوص الشرعية وهذه النصوص تحدد له مجال الاجتهاد عبر الزمان والمكان، عند تغيير الأحوال وتطور الوسائل في الحياة الدنيا وهذه النصوص تصله عن طريق النبوة.[4]

---

[1]- سورة ص، الآية 26

[2]- سورة الأحزاب، الآية 72

[3]- ينظر: عبد المجيد النجّار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل،ط3، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 2000م ص 52 وما بعدها

[4]- للمزيد ينظر: العقيدة الإسلامية، للخن وزميله، ص264 وما بعدها، مصدر سابق.

ثانيا: مهام النبوة

للنبوة رسالة تحققها في الحياة، وهي الوساطة بين الخالق والمخلوق، وذلك لتبليغ أحكام الله تعالى لخلقه والمتمثلة في المهام المكلف بها النبي عليه الصلاة والسلام، قال ابن خمير "... وكذلك ما جاءوا به من وظائف العبادات وما أخبروا به من المغيبات والمواعظ بالوعد الوعيد والنظر في الفرق بين الحلال والحرام والمشتبهات، إلى غير ذلك مما لا تحويه الرقوم ولا تحيط به ثاقبات الفهوم..."[1]،إنطلاقا من تعريف ابن خمير للنبوة والذي حصره في ثلاثة معاني وهي (المخبر عن الله)و(رفيع المنزلة)و(ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره)ومنها نقسمها كالآتي:

القسم الأول: (الإخبار والإعلام)

وهو كما ذكره ابن خمير في تعريفه للنبوة حيث قال:"النبيّ المخبر عن الله تعالى".[2]

فيدل على عنصر الخبر سواء بطريق مباشر بذكر النص الإلهي(الكتاب) أو بطريق غير مباشر وهو التفسير والتفصيل والبيان، قال ابن خمير: "...وكذلك ما أخبر به الأنبياء عليهم السلام من الجنة والنار والملائكة والموت والزبانية وغير ذلك مما وقع ويقع..."[3]،وقال أيضا: "...وكذلك ما جاؤوا به من وظائف... وما أخبروا به من المغيبات...".[4]

وفي هذا القسم ندرج أربعة عناصر أساسية، وتدخل في الإخبار عن الطريق غير المباشر[5].

وهذه العناصر هي: البيان، الفتوى، التذكير، الدلالة، وسنفصل القول في هذه العناصر مما يلي:

1- البيان:

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص:25، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص80

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[5]- في الأقسام الأخرى، نذكر بواسطة الطريق المباشر، وهو التبليغ

وهذه إحدى الوظائف الهامة للنبوة، بحيث يقوم النبيّ عليه السلام، بشرح وتفصيل الأحكام وتفسير الشريعةقال ابن خمير:"...ووعدوا وأوعدوا وأوضحوا السبيل..."[1] قال تعالى:﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾[2]، فهو خطاب للنبيّ عليه السلام لتفصيل ما نزل عليه مجملا ويتمثل هذا التفصيل في قيامه بتطبيق الأوامر والنواهي والجانب التطبيقي للعبادات والمعاملات، يقول ابن خمير: "وقيض لنا من السادة الأعيان المؤيدين بواضح البرهان المعصومين من كل صغير وكبير من اللمم والعصيان سفراء من خاصة الأخيار المرسلين الأبرار المشهود لهم بخالصة ذكرى الدار ليفصلوا بين الحلال والحرام والترك والامتثال"[3]، وقال أيضا في كلامه عن النظر وذم التقليد:"...فكان خصاما من مسائل النظر في المشروع وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿...فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا...﴾[4]، أي ظاهر البيان بما أعلمتك من خبر أصحاب الكهف...".[5]

وعند القائلين بالفرق بين النبيّ والرسول فيقولون بأن دور النبيّ هنا أنه يقوم ببيان شريعة رسول سابق وشرح أحكامها وتطبيق أحكام العبادات والمعاملات؛لأنه لم ينزل عليه كتاب أو شريعة جديدة، فهو يقتدي بمن قبله من الرسل عليهم السلام، وابن خمير لم يفرق بين النبوة والرسالة بل جعلهما أمرا واحدا.

2- الفتوى:

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص269، مصدر سابق

[2]- سورة النحل، الآية 44

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص45، مصدر سابق

[4]- سورة الكهف، الآية 22

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص36، مصدر سابق

وهي كذلك إحدى الوظائف والمهام التي تقوم بها النبوة؛ لأن المتجمع قد تطرأ عليه أمورا لا يعرف حكمها فيرجع إلى النبيّ ﷺ لمعرفة الحكم، وقد تتبادر عدة أسئلة لإتباع النبيّ ﷺ فيطرحونها عليه فيجيب عليها، قال ابن خمير في دفاعه عن علم الكلام: "فأما زمن الرسول ﷺ فأنى والمعلم الأكبر بين أظهرهم والقرآن يتلى عليهم... وعنصر النبوة ينبع فلا حاجة لأحد في ذلك الوقت لهذا العلم ولا إلى سواه"[1]، وقد يجتهد في أمور الشرع بناءا على النصوص الشرعية يقول ابن خمير:"والنظر في الفرق بين الحلال والحرام والشبهات إلى غير ذلك..."[2]،هذا بالنسبة لمن أنزل عليه شرع جديد أما عند القائلين بالفرق بين النبوة والرسالة فإن النبيّ ﷺ يبنى فتواه على شرع رسول سابق فمن خلاله يفتي ويجب على أسئلة أتباعه ويجتهد بناءا على الشرع الذي يتبعه أما ابن خمير فلا يرى فروق بين النبوّة والرسالة.

3- التذكير:

وهي مهمة تضاف إلى مهام النبوّة والتذكير هو تكرار أمر سابق تمّ نسيانه والغفلة عنه إما أن يكون عن طريق ورود شرع جديد هذا بالنسبة للرسالة لمن فرق بين النبوة والرسالة؛وإما عن طريق إحياء شرع رسول سابق بالنسبة للنبوة لمن فرق بين النبوة والرسالة فتكون مهمة النبي ﷺ أن يدعو قومه بالعمل برسالة سابقة، وذلك بإتباعها والتمسك بها كسيدنا إسماعيل ﷺ كان تابعا لملة أبيه سيدنا إبراهيم ﷺ، وسيدنا يوسف ﷺ كان تابعا لملة أبيه يعقوب ﷺ وأما عند ابن خمير فيجعل النبوة والرسالة عنوانا واحدا في مصطلح النبوة؛ لأنها هي المصطلح الغالب، وهي العامل المشترك بين مصطلح النبوة والرسالة عند القالين بالفرق بينهما وأنها هي أساس الرسالة عندهم كذلك فلا رسالة دون نبوة، فعند إطلاق مصطلح النبوة فهو شامل يقصد به النبي والرسول

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص30، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

معا، وفي هذه الوظيفة قال ابن خمير:"...أنه يجوز أن يبعث رسولا إلى خلقه متفضلا عليهم في ذلك يأمرهم وينهاهم ويذكرهم بالإله"[1]،وتحدث عنها القرآن الكريم كمهمة يتولها النبي ﷺ في قومه قال تعالى:﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[2]، يقوا ابن خمير: "وما أخبروا به من المغيبات والمواعظ للوعد والوعيد...".[3]

4- الدلالة:

والدلالة إحدى المعاني اللغوية للنبي لأنه هو الطريق الصحيح إلى الله تعالى وكذلك هو الوسيلة الموصلة إلى طريق الحق؛ لأن النبيّ ﷺ يعتبر دليل في قومه، لأنه يدلهم على الطريق الواضح والبيّن الذي يجب إتباعه، قال ﷺ: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيرا لهم"[4]،وهذه الوظيفة تحقق إحدى حاجات البشرية للنبوة،وهي الهداية والمنهج والقدوة، والمعرفة والسعادة، وهي غاية كل إنسان، يقول ابن خمير: "...إنه قد آمنا وآمنت الأمم من ذلك فيما سلف لما تواتر من أخبار الأمم أنه لم يقع قط وأرسل الله رسلا إلا بالهداية والموعظة الحسنة والوعد على فعلها والوعيد على تركها...".[5]

القسم الثاني: الرفعة

وهي إحدى المعاني الثلاثة التي ساقها ابن خمير في مصطلح النبوة حيث قال:"إن من معاني النبوة رفيع المنزلة عند الله تعالى"[6]، "والنبيّ غير مهموز من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض..."[1]،

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص212، مصدر سابق

[2]- سورة الغاشية، الآية 21-22.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[4]- أخرجه أحمد في مسنده برقم 6614،(طبعة وترقيم جمعية المكنز الإسلامي)، ومسلم في صحيحه برقم 1844(تغيير طفيف في الصيغة)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط) دار إحياء التراث العربي بيروت، (د.ت).

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 216، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص 225

فهو عند الله تعالى رفيع المنزلة كما جاء في الدعاء:"اللهم أبعثه مقاما محمودا"[2] أي الدرجة الرفيعة كما سئل عمّ النبيّ ﷺ عندما سماه محمد فقال:"لكي يكون محمودا في السماء والأرض"[3]، وقد رفعه الله تعالى في الدنيا إليه ليلة الإسراء والمعراج، وكذلك رفع سيدنا عيسى عليه السلام، ووجود الأنبياء في السماء رفيع الدرجة والمكانة في المجتمع قال ابن منظور: "والنّباوة وهو الارتفاع عن الأرض أي أنه أشرف على سائر الخلق"[4]،قال ابن خمير في رفعة الأنبياء ودرجاتهم: "مناصبهم السنية ومناقبهم الرضية"[5]،وقال أيضا:"في حق مناسبهم السنية"[6]،وقال في حق آدم عليه السلام "فكيف في حق من كلمه الله بلا ترجمان على جهة الإكرام"[7]، وفي حقه أيضا قال: "ولا يصح في حقه عليه السلام مع شهادة القرائن وعظم المكانة غير هذين الوجهين..."[8]، وفي حقه أيضا قال: "أنه لما أسجد له ملائكته على جلالة قدره وصيره قبلة لهم".[9]

وقد تحقق للنبي محمدﷺ،حيث إختاره من بين أحسن وأشرف القبائل وأشرف الأنساب سلالة سيدنا إسماعيل عليه السلام؛ وقد بيّن النبيّ محمد ﷺأنه أختير من أشرف القبائل والسلالات[10]

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- أخرجه ابن ماجة في سننه برقم 906، تح: فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، عيسى البابي الحلبي بمصر، 1954م.

[3]- القحطاني، كتاب رحمة للعالمين، (د.ط)، مطبعة السفير، الرياض، (د.ت)، ص33

[4]- اللسان، 561/3، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص97، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص58

[7]- المصدر السابق، ص109

[8]- المصدر السابق، ص105

[9]- المصدر السابق، ص110

[10]- ابن هشام، السيرة النبوية، تح: عمر عبد السلام تدمري،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م، 127/1 المباركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت، (د.ت)، ص44.

ومن المهام والوظائف التي تدخل تحت هذا القسم ثلاثة وهي (القيادة، الإصلاح، التربية والتهذيب)، وسنفصل القول في كل واحدة على حدة:

1- القيادة:

وهي من المهام الكبرى للنبوة،وفي المجتمعات يختار القائد الكفء لتولي زمام أمور مجتمعه وللقائد صفات تؤهله لمنصب القيادة منها رجاحة العقل والفطانة والحنكة والعلم والحكمة وهذه الصفات موجودة في النبوة وتزيد عليها صفات أخرى كالعصمة،وفي النبوة تتدخل العناية الإلهية لكي تصنع القائد المثالي لقوله تعالى:﴿...وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[1]، وقوله ﷺ: "أدبني ربيّ فأحسن تأديبي".[2]

وهذه القيادة تشمل الدنيا والدين وقد طلبها بنو إسرائيل من الله تعالى حتى يجعل فيهم نبيّ يقودهم قال تعالى:﴿... ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا...﴾.[3]

والنبيّ محمد ﷺ تصرفاته تختلف حسب المقام فمرة يكون تصرفه كقاضي، ومرة كقائد سواء في السلم أو الحرب، قال ابن خمير في قيادة الأنبياء بصفة عامة:"وقيض لنا من السادة الأعيان المؤيدين لواضح البرهان"[4]،وقال أيضا في السياق:"فكيف بسادات المرسلين المعصومين"[5] وقال أيضا: "النظر في هذه القصص الأربعة في حق السادة القادة صلاوات الله عليهم"[6]، وفي حق داود

---

[1]- سورة طه، الآية 39

[2]- أخرجه السخاوي في المقاصد الحسنة برقم45، تح: محمد عثمان الخشت، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1985م والعجلوني في كشف الخفاء برقم 164، تح: محمد الخالدي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

[3]- سورة البقرة الآية 246

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص45، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص84

[6]- المصدر السابق، ص97

عليه السلام قال: "كيف يكون داود عليه السلام من خلفاء الله في أرضه ويقطع على الظلم"[1] وقال عنه أيضا: "مع من جعله الله خليفة في أرضه".[2]

والقيادة تحقق بعض الحاجات البشرية التي ذكرت سابقا، كالقدوة الحسنة، لأن القائد متبوع فهو قدوة لمن اتبعه فبالنسبة للقائلين بالفرق بين النبوة والرسالة يرون أن القيادة وظيفة مشتركة وابن خمير حيث لم يفرق بينهما فعنده سواء، وما تحققه القيادة من حاجات الإنسان الخلافة لأنها فيها تطبيق أوامر الخالق وأوّل من يطبقها القائد المتمثل في النبي عليه السلام.

2- الإصلاح:

وهي مهمة اجتماعية يقوم بها النبي عليه السلام لقوله تعالى:﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ...﴾[3] والإصلاح مصطلح شامل لحياة الإنسان من كل جوانبها ومما غفل عنه الإنسان، وما أدخله من تحريفات على الديانات السمّاوية السابقة سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات، وكذلك العادات والتقاليد، فيبقي على الأمور الحسنة،وينهى عن الأمور السيئة،كما هو في عرف وتقاليد الجاهلية كوأد البنات وأنواع الزواج الفاسد، وفقد حاربه الإسلام وأقر بعض الأعراف الحسنة كالكرم والشجاعة والمروءة،وكذلك يشمل الإصلاح الأمور السلم،والحرب، والقضاء والحكم والإصلاح يحقق مجموعة من الحاجات البشرية ممّا ذكرناه في حاجة البشرية للنبوة كالاختيار وأعلام الإنسان، أنه مسؤول عن أعماله فبتأكيد إختيار الإنسان في الدنيا ممّا يقدمه من أعمال تبيّن له النبوة أن هذه الأعمال سيحاسب عليها في الآخرة، فتحثه النبوة على أعمال البرّ وتجنبه أعمال السوء وكذلك بالإصلاح تؤكد له مسؤوليته عن أي عمل يقوم به، لقوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

[1]- المصدر السابق، ص60

[2]- المصدر السابق، ص51

[3]- سورة هود، الآية 88

كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]،وقوله:﴿..وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.﴾[2]،وقولهﷺ "كلكم راع ومسؤول عن رعيته"[3]، وذلك حتى يحسّ الإنسان أنه وحده مسؤول عما صدر منه من عمل.

3- التربية:

وهي من المهام الأساسية للنبوّة، فالنبيّ عليه السلام هو المربيّ لأتباعه، وذلك بتأثيره على الإنسان بحيث ينقلب من إنسان منحرف إلى إنسان مستقيم، قال ابن خمير في دفاعه عن علم الكلام: "فأما زمن الرسولﷺ فأبى والمعلم الأكبر بين أظهرهم والقرآن يتلى عليهم... وعنصر النبوة ينبع فلا حاجة لأحد في ذلك الوقت لهذا العلم ولا إلى سواه"[4]، ثم إستدل بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾[5]،كما فعل عيسى عليه السلام مع حواريه ومحمد ﷺ مع صحابته الكرام،حيث مدحهم بقولهﷺ:"خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[6]، حيث يفرغهم من الأمور والأفكار السيئة ثم يملؤهم بالأمور والأفكار الحسنة، وهذا بأسلوبه الحكيم وهذه التربية أنجبت قرن من أحسن القرون كما ذكر في السابق، وهذه الوظيفة التي تلبي إحدى الحاجات منها تهذيب الغرائز؛ لأن النبوة ترشد الإنسان إلى الأصلح وتبعده عن الفسّاد وما يضر بالإنسان سواء في عقله كالخمر أو نسبه كالزنا أو في ماله كالربا، وكذلك تحقق حاجة الإنسان للعبادة وهو جانب روحي يقرّب الإنسان من خالقه وبالعبادة تهذب نفسه ويستقيم سلوكه لقوله تعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

---

[1]- سورة المدثر، الآية 38

[2]- الآية موجودة في سورة الأنعام رقم 164 وسورة الإسراء رقم15 وسورة فاطر رقم 18 وسورة الزمر رقم 7

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم (2409)، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص30، مصدر سابق

[5]- سورة الجمعة، الآية 02

[6]- أخرجه البخاري في صحيحه، برقم 6695، مصدر سابق

وَالْمُنْكَرِ...﴾[1]،قال ابن خمير في حق آدم عليه السلام باعتباره معلما:"وعلمه الأسماء كلها، وجعله معلما لهم..."[2]، وقال عنه أيضا: "وصيره قبلة ومعلما"[3] وقال عنه أيضا: "رأس العقلاء ورئيس الحكماء ومعلم الملائكة"[4]،وأما في حق النبي ﷺ قال: "وهو المعلم الأكبر صلاوات الله عليه وتسليمه".[5]

القسم الثالث: النيابة

والنيابة هي إحدى المعاني الثلاثة للنبوة والتي ذكرها ابن خمير:"ينوب مناب مرسله في تبليغ أمره"[6]، أي أنه ينوب عن الله تعالى في إيصال الأوامر والنواهي والشرائع وكل ماله علاقة بالوحيّ الإلهي الذي يحتاجه المجتمع البشري، قال ابن خمير: "وجعلهم سفرة بينه تعالى وبين أبناء جنسهم من خلقه"[7]، ومن الوظائف التي تدخل تحت هذا القسم خمسة وظائف هي(التبليغ البشارة، الإنذار، الشهادة، إقامة الحجة)، وستفصل القول في هذه الوظائف الخمسة كالآتي:

1- التبليغ:

وهي أسمى مهمّة للنبوة باعتبارها الواسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ أوامره ونواهيه وممّا تحققه هذه الوظيفة بالنسبة لحاجة البشر للنبوة الإطلاع على الغيب وكذلك المنهج،وكذلك الإيمان

[1]- سورة العنكبوت، الآية 45

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص107، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص110

[4]- المصدر السابق، ص108

[5]- المصدر السابق، ص59

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 255، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص 269

بالغيب عموما، وكذلك المعرفة، وهذه الأمور كلها نجدها في النصوص التي توحي للنبيّ من أجل تبليغها للعباد؛ فهناك أمور تدخل تحت الغيب الإلهي، ولا يعرف إلا عن طريق النبوّة وكذلك رسم المنهج الذي وضعه الله تعالى لعباده لكي يسيروا عليه فتبليغه يكون عن طريق النبوة،وكل المعارف التي يحتاجها الإنسان في حياته الدنيا سواء في جانب العبادات أو المعاملات تكون عن طريق النبوة فوظيفة التبليغ تمكن الإنسان من تحصيل المعرفة والعلوم سواء في الأمور الدينية أو الدنيوية لكي يعمل وفقها وعلى بصيرة، فإذا فقد الإنسان المنهج والمعرفة فإنه يضل وعن هذه الصفة قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾[1]، يقول ابن خمير: "وأنزل عليهم الكتب فبلغوا وأدوا لنا أمره ونهيه ووعده ووعيده".[2]

2- البشارة:

وهي كذلك من مهام النبوة؛لأنه بعث مبشرا لقوله تعالى:﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ...﴾[3]والبشارة سابقة عن النذارة، لأنها الأصل فيأتي قومه ليبشرهم بالجنة والمصير الحسن عندما يتبعون المنهج الربّاني ويحثهم على العمل الصالح،وعبادة الخالق وعدم الشرك به،حتى يكون مصيرهم الجنّة،قال ابن خمير:"..وأنذروا وبشروا.."[4]،وقال أيضا:"وكذلك ما جاؤوا به من وظائف.. بالوعد..".[5]

3- الإنذار:

[1]- سورة المائدة، الآية 67

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 53، مصدر سابق

[3]- سورة النساء، الآية 165

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 269، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

وفي مقابلة البشارة كذلك الإنذار، وهذا مطلوب من النبيّ لكي يحذر قومه من الخطر والعدو وهو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، حتى لا يتبع سبيلهما فيضل ويكون مصيره النار عكس مصير البشارة لقوله تعالى:﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾[1]، أي يُبينون لهم الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في النار وهي الأعمال السيئة للابتعاد عنها وكل ما جاءت به النصوص والأحكام الشرعية من المحرمات؛ لأن اقترافها يؤدي إلى غضب الخالق والحساب يوم القيامة،والخاتمة السيئة والمصير السيئ وهو النّار، وهاتين الوظيفتين تحققان حاجة البشرية للنبوة من ناحية الإيمان باليوم الآخر؛لأن يوم الآخر دار حساب لا دار عمل وأهم ما فيه مصيران الجنّة لمن كانت له البشارة وعمل صالحا أو النار لمن أنذر ولم يستمع للإنذار وضل الطريق بإتباع هواه، والشيطان لقوله تعالى:﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[2]، قال ابن خمير:"..وأنذروا وبشروا.."[3]،وقال أيضا: "ويذكرهم بالإله ويحذرهم من عقابه"[4]،وقال أيضا:"وكذلك ما جاؤوا به من وظائف... والوعيد...".[5]

4- الشهادة:

وهي من مهام النبوة؛ لأنه عندما كلف النبيّ عليه السلام بالرسالة وبلغها يكون شاهدا على قومه لقوله: ﴿...يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[6]، قوله:﴿...إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.[7]

5- إقامة الحجة:

---

[1]- سورة النساء، الآية 165

[2]- سورة الفرقان، الآية 28

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 269، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 212، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[6]- سورة النساء، الآية 159

[7]- سورة الأحزاب، الآية 45 و سورة الفتح، الآية08

ومن مهام النبّوة كذلك إقامة الحجة على قومه؛ لأنه بلغ ما أمر به وبيّن الشرع للناس ولم يكتم شيئا ممّا أمر بتبليغه؛ وهذه المهمة تعتبر إحدى أسس التكليف الثلاثة (العقل، البلوغ وصول الدعوة) وعنصر وصول الدعوة لمن بعث إليهم فمن وصلته الدعوة وهو بالغ عاقل، فقد أصبح مكلفا بالقيام بالأحكام واعتقادا ما جاءت به النبوة حتى لا يحتج على الله يوم القيامة أنه لم يبعث إليه نبيّ يرشده لقوله تعالى: ﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.[1]

فهذه الآية دلّت على أنه لا يكون حساب ولا عقاب إلا بعد إقامة الحجة عن طريق النبوة فالنبوة حجة ودليل قاطع، على وصول الدعوة للناس، قال ابن خمير:"أجمع المسلمون على إيجاب النظر في صحة النبوة والعلم بها عند بلوغ الدعوة للعاقل البالغ..."[2]قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾[3]،حيث بيّنت الآية أهم مهام النبوة وهي البشارة والإنذار لأنهما إعلام النّاس وإعذارهم حتى لا يحتجون، على الله تعالى يوم القيامة أنه لم يبعث إليهم نبيّ ينذرهم بما سيؤول إليه مصير الإنسان، ولذلك كانت النبوة هي الحجة الوحيدة على البشر لوصول الخطاب الإلهي إليهم، والمهمتان الأخيرتان تحققان حاجة البشر للنبوة من جهة الإيمان باليوم الآخر؛ لأن البشارة والإنذار يتحقق أمرهما يوم القيامة فالبشارة نتيجتها الجنّة والإنذار نتيجته النّار، قال ابن خمير:"وجعل لهم علامات من آيات بينات تقوم بها حجتهم وتصدق لهجتهم..."[4]،ثم استدل ابن خمير على هذه المهمة بقوله تعالى:﴿...لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...﴾[5]، وقال أيضا في دفاعه عن علم الكلام: "والعجب ممن ينكر

[1]- سورة الإسراء، الآية 15

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 221، مصدر سابق

[3]- سورة النساء، الآية 165

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 259، مصدر سابق

[5]- سورة النساء، الآية 165

الجدال في الحق ويذمه والله تعالى يمدح الأنبياء عليهم السلام بالجدال في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ...﴾[1] أي بالحجة البالغة..."[2] وقال في النظر وذم التقليد: "ألا ترى كيف ربط الله التصديق بالبرهان في قوله تعالى: ﴿...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]، وقال تعالى:﴿...لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ...﴾[4]، أي بالحجة فمن لا برهان له لا صدق له، ومن قبل بغير برهان فلا علم له ولا صدق بخبره...".[5]

6- النصح:

والنصح هنا الدلالة على ما فيه خير الأمة ونجاتها والنصح في اللغة الخالص والنقي من كل شيء[6]،وفي الإصطلاح إخلاص العمل عن شوائب الفساد[7]، وقد جاء في القرآن الكريم على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مخاطبة أقوامهم بالنصح منهم نوح عليه السلام في قوله تعالى ﴿...وَأَنْصَحُ لَكُمْ...﴾[8]، وقوله:﴿...أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ...﴾[9]، وصالح عليه السلام كذلك قال الله تعالى على لسانه ﴿...وَنَصَحْتُ لَكُمْ...﴾[10]، وكذلك شعيب عليه السلام مع قومه قال لهم﴿...وَنَصَحْتُ لَكُمْ...﴾[11]، والنصح هنا الدلالة على ما فيه خيركم ونجاتكم[12]، قال ابن خمير في مهام الرسل

---

[1]- سورة الأنعام، الآية83

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص35، مصدر سابق

[3]- سورة النمل، الآية64

[4]- سورة الكهف، الآية15

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص45، مصدر سابق

[6]- الرازي، مختار الصحاح، ص 340، الجوهري، الصحاح، ص1351، مصادر سابقة.

[7]- الجرجاني، التعريفات، ص235

[8]- سورة الأعراف، الآية 62

[9]- سورة هود، الآية 34

[10]- سورة الأعراف، الآية 79

[11]- سورة الأعراف، الآية 93

[12]- وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز،ط2، دار الفكر، دمشق، 1416هـ، ص159

عليهم السلام:"وذلك ليأمرهم وينهاهم ويذكرهم بالإله ويحذرهم من عقابه"[1]، فالنصح هنا شامل للأمر والنهي والتذكير والتحذير، والمواعظ تشمل النصح بصفة عامة وهذه أهم مهام النبوة في هذا المجال[2]، وقال أيضا:"وكذلك ما جاؤوا به من وظائف... والمواعظ...".[3]

المبحث الثاني

أسس النبوة عند ابن خمير

للنبوّة أسس تقوم عليها، وهي ما يميّزها عن غيرها من المفاهيم كالعبقرية، والدهاء والذكاء والحكمة، والفلسفة، مما يمتاز به بعض من البشر سواء عن طريق الموهبة الإلهية أو الوراثة، دون كسب منه أو عن طريق التعلم والمجاهدة بالعبادة والتقرب إلى الله تعالى كالأولياء فقد يوصف

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 212، مصدر سابق

[2]- للمزيد ينظر: العقيدة الإسلامية للميداني، ص 274، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

بعض من النّاس بهذه الصفات فيطلق عليه هذا الاسم كالفيلسوف والحكيم والمفكر، والعبقري، والداهية والذكي، والولي والعالم، فالعلم يكسب بالتعليم وإتباع أسبابه وكذلك الفلسفة والحكمة، أما النبوة فلا كسب فيها؛ لأنها اصطفاء ربّاني وهو اختيار من الله لعبد من عباده لأداء وظيفة معينة عن طريق الوحي الإلهي، وذلك لتلبية الحاجات البشرية،وتنفيذ الأوامر الإلهية التي خلقوا من أجلها، والمختار إليها يكون النموذج الإنساني والمثالي في المجتمع لأنه يؤدي رسالة سماوية فهو القدوة الحسنة للإتباع؛ إذا فما هي الأسس التي تقوم عليها النبوّة؟

إنطلاقا من تعريف ابن خمير للنبوة وخصائصها، وشرحه للآية في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾[1]،قال ابن خمير"...أخبر تعالى أن نبيناﷺ مثلنا في البشرية والتركيب...إلى غير ذلك من صفات الأجسام ثم شرفه علينا بالوحي والاصطفاء والعصمة،إلى غير ذلك من صفات الإكرام..." [2]، فإننا نستنتج أربع أسس وهي على الترتيب: الاصطفاء، الصفات المناسبة، الوحي، المعجزة، ويمكننا تبرير هذا الترتيب كالآتي:

البدء بالاصطفاء باعتبار أنه الحلقة الأولى في تحديد وتعيين الشخص المؤهل للنبّوة من قبل الله تعالى ودون علم الشخص المصطفى، ثم يأتي الأساس الثاني وهو الصفات المناسبة باعتبار أن الشخص المصطفى سابقا من قبل الله تعالى يخصّه بصفات تولود معه، وتنمو حتى يتوفاه الخالق على هذه الصفات؛ ثم يأتي بعد هذه الصفات الوحيّ وهو أول إعلام للشخص المصطفى بأنه نبيّ فيعلم أنه سبق اصطفاؤه وسبق أن خصّ بصفات مميزة عن غيره وبعد هذا الأساس يأتي الأساس الرابع والأخير وهو المعجزة ومنطقيا أن تكون المعجزة بعد الوحيّ الدال على النبوّة وهي علامة على تصديقه من قبل النّاس هذه مبررات ترتيب أسس النبوة الأربعة وسنفصل القول فيها كل على

[1]- سورة الكهف، الآية 110

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص199، مصدر سابق

حدة، في مطلبين الأول: أسس النبوة قبل البعثة، والثاني: أسس النبوة بعد البعثة مستدلين عليها من القرآن والسنّةبعد تعريفها وذكر موقف ابن خمير منها، ونعضد القول بآراء بعض العلماء ممّا لهم باع في هذا المجال وفي نهاية هذا المبحث نكون قد أجبنا على السؤال الذي طرحناه في بدايته، ونبرز رأي ابن خمير في هذه المسألة.

المطلب الأول: أسس النبوة قبل البعثة

سنتحدث في هذا المطلب عن الأسس التي تكون قبل البعثة وهما أساسان الأول الاصطفاء والثاني الصفات وذلك في فرعين:

الفرع الأول: الاصطفاء

الاصطفاء هو الأساس الأول للنبوة وهو اختيار الله تعالى لعبده ليقوم بمهام النبوة، حيث نعرفه ثم نذكر مراحله ثم نذكر رد ابن خمير على القائلين بأن النبوة كسبا.

أولا: تعريف الاصطفاء

01. **لغة:** وهو الاختيار والاجتباء، وأخذ من الشيء صفوته، أي نقاوة الشيء[1]، وعرفه الجرجاني بقوله: هو اختيار ما هو نفيس وهو ما اتصف بالصفاء عن كدر الغيرية.[2]

02. **اصطلاحا:** نشير إلى تعريف ابن خمير للإصطفاء حيث نستنتجه من كلامه عن النبوة حيث عبر عنه بالاجتباء،وذلك عند إثبات نبوة أدم عليه السلام أنها بعد أكله من الشجرة لا قبلها حيث استدل بقوله تعالى:﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[3]، قال (عطف بثم التي تعطي المهلة،ثم ذكر الاجتباء والهداية،والاجتباء هنا النبوة بدليل قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام

[1]- مختار الصحاح للرازي، ص196، مصدر سابق

[2]- التعريفات للجرجاني، ص 137، مصدر سابق

[3]- سورة طه، الآية 122

عندما عدد الأنبياء عليهم السلام ومناقبهم على التفصيل قال: ﴿...وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا...﴾[1] يعني من النبيين أجمعهم، وقال في قصة يونس عليه السلام بعد قصة الحوت﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ...﴾[2]، وهذا وجه من الوجوه يثبت أكله من الشجرة قبل نبوته)[3]، وفي قصة يوسف عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾[4]،قال ابن خمير "وأجمعوا على أن هذا الحكم والعلم في حق يوسف عليه السلام أنهما النبوة..."[5]،حيث جعل الاجتباء وهو الاصطفاء إحدى أسس النبوة وعدد عناصره وهي الهداية والحكم والعلم وفسر النبوة بهذه العناصر، وأطلق مصطلح الاصطفاء في عدة مواضع منها في قصة يوسف عليه السلام حيث قال ابن خمير"...والافتراء على أنبياء الله تعالى، مع صفاقة الوجوه وعدم الحياء، والتهاون بذكر المصطفين الأخيار..."[6] فمرة يطلق عليه مصطلح الاصطفاء ومرة يطلق عليه مصطلح الإجتباء والقرآن الكريم أطلق هذين المصطلحين على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد مصطلح آخر هو الاختيار.

تعريف ابن خمير للإصطفاء: ومن خلال ذلك نستنتج أن تعريفه للإصطفاء هو"اجتباء الله عبدا من عباده لتهيئته للنبوة مستقبلا وتأييده بالهداية والعلم والحكم".

ثانيا: مراحل الاصطفاء

وهي على مرحلتين قبل الميلاد وبعد الميلاد

---

[1]- سورة مريم، الآية 58

[2]- سورة القلم، الآية 50

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص100، مصدر سابق

[4]- سورة يوسف، الآية 22

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص74، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص76

أ. مرحلة الاصطفاء قبل الميلاد

وتتمثل في سلسلة النسب الشريف للنبيّ المختار، كما ذكر النبيّ محمد ﷺ، حينما قال: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[1].

وقوله ﷺ: "إن الله خلق الخلق، فجعلني من خير فرقة، ثم جعلهم خير الفريقين، ثم تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا".[2]

ممّا يدل على أن الاصطفاء سابق عن ميلاد النبيّ المختار، وهذا الاصطفاء في سلالته ونسبه منذ القدم حتى يصل إلى الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام ثم يتسلسل إلى ذرية آدم إلى سلالة الأنبياء السابقين إلى القبائل والأمهات والآباء حتى يصل إلى الأبوين المباشرين فينتج عنهما المولود الجديد الذي سيكون مؤهل للنبّوة حيث اختاره الله تعالى في الأزل بعلمه، وقدرته تعالى من آدم عليه السلام، أبو الأنبياء إلى آخر نبي البشرية محمد ﷺ وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام يكون نسبهم شريف ولم يقع فيه اختلاط النسب فهو نسب صافي وواضح.

هذا ما نطلق عليه الاصطفاء قبل الميلاد والمرحلة الثانية تتمثل في الاصطفاء بعد الميلاد

ب. مرحلة الاصطفاء بعد الميلاد

وهذه المرحلة تكون بعد ميلاد النبيّ المختار وتبدأ هذه المرحلة من الميلاد مباشرة إلى بدأ الوحي وهو العلامة الدالة على أنه مختار للنبوة؛ لأنه بالوحي يعلم أنه نبيّ ومصطفى من قبل الله تعالى ولهذه المرحلة علامات وإرهاصات من شأنها أن تبين لمن لهم خبرة سابقة بأن هذا الشخص

[1]- المباركفوري، الرحيق المختوم، ص44، سيرة ابن هشام،127/1،رواه مسلم في صحيحه رقم 2276، مصادر سابقة

[2]- رواه الترمذي في سننه برقم3607،تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، (د.ط) دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

سيكون نبي في المستقبل كمن لديه علم من أهل الكتاب كما وقع للنبيّ محمد ﷺ مع بحيرى الراهب[1]، وورقة بن نوفل[2]، وهما لديهما علم من التوراة والإنجيل[3]، وهناك علامات تظهر عند ميلاده كعيسى عليه السلام عندما تكلّم في المهد، وميلاد النبيّ محمد ﷺ، عندما أخبرت أمه آمنة أنه خرج منها نور وانطفأت نار المجوس، وسقطت شرفات إيوان كسرى، وغيرها من العلامات التي ظهرت منذ ولادته إلى بعثته ﷺ[4]، إلى أن نزل عليه الوحيّ عن طريق جبريل عليه السلام وأخبر أنه نبيّ من ثم علم أنه نبيّ مصطفى أما قبل ذلك فلم يعلم إلا أن العلامات والإرهاصات[5] التي ظهرت عليه كانت تدل غيره ممن له خبرة في ذلك أنه سيكون له شأن عظيم ولم يعلم هذا الشأن ما هو حتى نزل عليه الوحي، وبعد استفسار ورقة بن نوفل علم أنه نبيّ وكذلك ما أكدّه جبريل عليه السلام عدّة مرات أنه نبيّ هذه الأمة بعد نزول أول الآيات، في شرح الآية في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾[6]،قال ابن خمير"...أخبر تعالى أن نبينا عليه السلام مثلنا في البشرية والتركيب...إلى غير ذلك من صفات الأجسام ثم شرفه علينا بالوحي والاصطفاء والعصمة،إلى غير ذلك من صفات الإكرام...وكذلك ما جاء عنه عليه السلام (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى،ولكن قولوا: عبد الله ورسوله)[7]، بدأ بالإقرار بالعبودية التي ليست بينها وبين الله تعالى نسبة سوى مجرد الملك... فوصف عليه السلام نفسه بالعبودية الواجبة له ثم ثنى بالرسالة التي وقع

[1]- وهو راهب بالشام أخبر عمّ النبي ﷺ بأنه سيكون له شأن عظيم، سيرة ابن هشام، 204/1، مصدر سابق

[2]- حكيم جاهلي من قريش تنصر، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد، توفي سنة 12 قبل الهجرة، الزركلي، 131/9

[3]- سيرة ابن هشام، 206/1، 269 مصدر سابق

[4]- الرحيق المختوم، ص 173، سيرة ابن هشام، 204/1، مصادر سابقة

[5]- يقول البوطي:"تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه السلام أثناء وجوده في مضرب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله تعالى إياه لأمر جليل". فقه السيرة، (د.ط)، دار الشهاب باتنة، الجزائر، 1985م، ص62

[6]- سورة الكهف، الآية 110

[7]- رواه ابن حبان في صحيحه رقم 6239، مصدر سابق

بها الاصطفاء..."[1]، فقد بين ابن خمير اصطفاء النبي ﷺ من قبل الله تعالى له والمتمثل في نبوته لتبليغ رسالته عن طريق الوحي، وقال في موضع آخر في حديثه عن الدنيا وأهلها: "فاختار منهم أفذاذا من عقلائها، واصطفاهم لقربه، وهداهم برحمته وعصمهم بفضله وجعلهم سفرة بينهم وبين أبناء جنسهم من خلقه حتى يبلغ الكتاب أجله.."[2]،وفي حق آدمعليه السلام قال: "وإجتبائه وإصطفائه كما أخبر تعالى عنه"[3]

ثالثا: رد ابن خمير على القائلين أن النبوة كسب

فالنبوة ليست كغيرها، من الطفرات التي تظهر في المجتمعات على بعض البشر كالعبقريات والفلاسفة والحكماء والمفكرين والأذكياء والعلماء فهذه الأمور، منها ما تولد مع الإنسان كالذكاء والعبقرية والفراسة والدهاء، وتعتبر مواهب إلهية يهبها لمن يشاء وهناك أمور تأتي عن طريق الكسب والعمل والمجاهدة والمرابطة كالعلم؛ يأتي بالتعلم وتوفير أسبابه، وكذلك الفلسفة لابد من تعلم أصولها وكذلك الفكر لابد من اتخاذ الأسباب واستخدام العقل، قال ابن خمير في تعريفه للكسب لغة:"فالتعلم أولا أن العرب سمت تصرفنا فيما نتناوله ونحاوله كسبا وكدحا واقترافا واجتراحا،...إلى غير ذلك وأما التفريق العقلي فهو تقسيم الضروريات وذلك أن العاقل يفرق بين حالتيه في حركة ينتقل بها إلى جهة ما،إلى غير ذلك في سائر المكتسبات والضروريات كالعلم والإرادة والحب والبغض إلى غير ذلك"[4]،أما النبوة فلا كسب فيها ومهما عمل الإنسان على أن يرتقي إلى مرتبة النبوة وأعدّ الأسباب لذلك من قربات وتعلم العلم وروض النفس بالمجاهدة والمرابطة واختلى بنفسه للتدبر والتفكر وهذب نفسه،وأصبح يشار إليه بالتقوى والعبادة وأطلق عليه وليّ الله فإنه مهما

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص199، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 269، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 108، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 279، مصدر سابق

عمل فقد يصل إلى مرتبة الولاية؛ لأنه أخذ بأسبابها وهي ميسرة لمن أخذ بأسبابها ووفر شروطها وسلك طريقها لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[1]،فالإيمان والتقوى شرطان أساسيان لكسب الولاية وما جاء في الحديث القدسي في شروط الولاية لقوله:"إذا تقرّب إلي عبدي باع تقربت إليه ذراع..وكنت سمعه الذي يسمع به،وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها..".[2]

وقد يوهب المؤمن جزء من النبوة، وهي الرؤيا الصداقة لما جاء في الأخبار أنه لم يبق من النبوة إلا المبشرات[3]، وهي الرؤيا التي يراها الإنسان ثم تقع له كما رأى وقد يكتسب المؤمن ميراث الأنبياء وهو العلم وذلك عن طريق التعلم، ولما جاء في الحديث أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينار وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، فقد أخذ بحظ وافر[4]، ويعتبر العلم ميراث النبوة، ولكن لا يستطيع الإنسان مهما بلغ درجة التقوى والإيمان وعمل جاهدا في طلب النبوة عن طريق الطاعات والعبادات والقربات فإنه لن ينالها، ولن يصل إليها؛ لأنها لا توهب ولن تنال عن طريق الكسب والارتقاء إلى درجات الإيمان والتقوى فهي خاصية إلهية يصطفي إليها من يشاء من عباده، وهذا الاصطفاء والاختيار أزلي يضعه الله تعالى في سلسلة بشرية معينة كما وضعها الله تعالى في ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿...وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ...﴾[5]، فقد كان إبراهيم عليه السلام هو نبيّ ولقب بأبي الأنبياء؛ لأنه نبي وابنه إسحاق نبي وابن إسحاق يعقوب نبي وابن يعقوب يوسف نبي، وكذلك إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام نبيّ، وقد جاء في ذرية إسماعيل عليه السلام آخر الأنبياء محمد ﷺ،

---

[1]- سورة يونس، الآية62-63

[2]- رواه البخاري في صحيحه برقم 7536، مصدر سابق

[3]- "لم يبق من النبوة إلا المبشرات"، البخاري في صحيحه، رقم 6990، مصدر سابق

[4]- "إن العلماء ورثة الأنبياء"، سنن الترمذي، رقم 2682، مصدر سابق

[5]- سورة العنكبوت، الآية 27

وقد دلت الآيات القرآنية على أن النبوة تكون بالاصطفاء لا بالكسب وهذه الآيات كالآتي: قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ...﴾[1]،قوله تعالى:﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى...﴾[2]،قوله تعالى:﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ...﴾[3]،قوله تعالى:﴿...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾.[4]

وقد تحدث ابن خمير عن اصطفاء الله تعالى لموسى عليه السلام فقال:"وأما الكليم عليه السلام فقال له:﴿...يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي...﴾[5]،وقال له:﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[6] وقال له:﴿..أَنَا اخْتَرْتُكَ..﴾[7]،..إلى غير ذلك،فهذا مثاله هو سماع الكلام على جهة الإكرام.."[8]

وقد رد ابن خمير عن القائلين بأن النبوة كسبا فهي ليست كذلك بل هي اصطفاء من الله تعالى وذلك في معرض رده على الباطنية في أن النبوّة لا تكون كسبا، حيث قال:"...ولا ترجع لقربة تمت إلى الله تعالى بصفة نفس ولا بصفة معنى كما زعم الباطنية..."[9]، فبين أنها لا يمكن كسبها عن طريق التقرب إلى الله تعالى بالأعمال، وفي رده على الفلاسفة قال: "ثم إن من الفلاسفة الإلهية من أثبت النبوة حقيقة، إلا أنه إدعى أنها تكسب بأسباب مجحفة؛ منها الصوم والخلوة والزهد في الدنيا والعزوف عنها والتخلي عن الأخلاق الذميمة والتحلي بالأخلاق الشريفة ثم يستمر المكتسب على ذلك حتى تفيض عليه بواسطة هذه المجاهدة أنوار من العقل الفعال،

---

[1]- سورة, آل عمران، الآية 33

[2]- سورة النمل، الآية: 59

[3]- سورة الحج، الآية 75

[4]- سورة الأنعام، الآية 124

[5]- سورة الأعراف، الآية 144

[6]- سورة طه، الآية 41

[7]- سورة طه، الآية 13

[8]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص297، مصدر سابق

[9]- المصدر السابق، ص 255

يكتسب بها الحقائق، وقوة نفسانية تنخرق له بها العوائد، وقد تبعهم على ذلك شرذمة من غلاة الباطنية المنتسبين إلى الإسلام، ويشيرون إلى تزمله عليه السلام وتدثره وتحنثه في حراء الأشهر العديدة، وسنحسم شغب هؤلاء الأصناف عند إثبات حقيقة المعجزة إن شاء الله"[1]، حيث رد على الفلاسفة القائلين بالكسب والمستدلين بما قام به النبي ﷺ قبل نبوته كخلوته في غار حراء وهذا خطأ في استدلالهم، وأشار إلى أعمال المتصوفة كالزهد في الدنيا فلا يمكن لأي بشر أن يصل إلى النبوة بهذه الطرق، وفي رده على المعتزلة في حديثه عن المعجزة فقال: "وأما بطلان النبوة فمن ستة أوجه إحداها اكتساب النبوة، فإنه إذا لم يعقل التكليف عند بلوغ الدعوة للنبوة إلا من الأفعال،لزم أن يكون من وجدت منه تلك الأفعال نبيا وهذا مذهب بعض الفلاسفة وغلاة الباطنية كما تقدم"[2]، فقد رد على المعتزلة كما وعد في السابق أن النبوة إذا كانت عن طريق الاكتساب حسب اعتقادهم فباطلة، وفي موضع آخر قال ابن خمير "إذ النبوة لا تثبت بالعقول ولا بخبر الواحد الذي لا يحصل به العلم ولا تثبت بقرينة الحال ولا بجميل الأعمال كما زعمت المعتزلة وغلاة الباطنية القائلين باكتساب النبوة، فإن غير النبي من الأولياء قد يصح منه ذلك وقد يصدر من أهل الرياء من الأعمال والقرائن مثل ذلك"[3]، حيث بين ابن خمير أن النبوة لا يمكن اكتسابها بأي طريق كان ولو بالعمل الصالح والتقرب إلى الله تعالى، إلا الولاية فيمكن اكتسابها عن طريق العمل الصالح والتقرب إلى الله تعالى للنص على شروطها في القرآن لقوله تعالى:﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[4] فقد بينت الآية شرطين أساسيين للوصول للولاية وهما الإيمان والتقوى قال ابن خمير ناصحا المسترشد: "وأطمع فيما سوى

[1]- المصدر السابق، ص 202

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص219، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص185، مصدر سابق

[4]- سورة يونس، الآيتين 62-63

النبوة التي لا مطمع فيها والله يؤتي فضله من يشاء"[1]، وقال أيضا: "فعلينا أن نطمع في كل مكرمة سوى النبوة التي لا مطمع فيها،فارغب فيما سواه".[2]

الفرع الثاني: الصفات المناسبة

للنبوّة صفات خاصة بها، بحيث لابد أن تتوفر في شخص معين تميّزه عن بقية الأشخاص العاديين سواء كانت قبل النبوة أو بعد النبوة؛ فإن قبل النبوة تهيئه وتؤهله حال بعثه إلى المجتمع حتى يشهد له المتجمع بالتميز في حياته الخاصة والعامة،من سلوك حسن واتصافه بأخلاق عالية وابتعاده عن العادات السيئة والانحرافات الأخلاقية،والاعتقادات الباطلة،قال ابن خمير: "الجاهلين بحقيقة النبوة وما يجوز على أنبياء الله تعالى وما يستحيل، وما يجب على الكافة من تعزيرهم وتوقيرهم،وتدقيق النظر في استخراج مناقبهم على أتم الكمال وأعمه...،ووصفه أنبيائه بالصدق والعصمة والتنزيه من الخطأ والخطل،..."[3]، فبين أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفات تليق بهم، وفي موضع أخر قال"...وإطراد ما يأتي به من الاستقامة قولا، وفعلا وحالا، وسلامة ما يبلغه عن الله من التناقض، مع إثبات بعض الأحكام، ونسخ بعضها، وزيادة فيها، ونقص منها وعصمتهم من الخطأ والخطل، دليلا على صحة نبوتهم"[4]، حيث بين أن هذه الصفات لازمة للنبي وتعتبر دليلا على نبوته، وعند شرح قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص340، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 321

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص221، مصدر سابق

أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]، قال ابن خمير "فقد زكى الله تعالى أنبيائه بأنهم أفردوه بالخشية..."[2]،فقد بين ابن خمير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد زكاهم الله تعالى ووصفهم بالخشية الخالصة لله وحده، وقوله في موضع رده على المعتزلة قال"ويلزمكم أن يصح صدقه في نبوته وتبليغه"[3]، فبين أن الصدق والتبليغ صفتان أساسيتان للنبوة وسنفصل في هذه الصفات ونجملها في أربعة هي: الفطانة والصدق والأمانة والتبليغ، وهي الصفات التي اتفق عليها علماء العقيدة والتي تدل على أخلاقه ومعاملاته مع النّاس من مكارم الأخلاق التي تميّز النبي عن بقية أفراد مجتمعه؛ ولقد امتدح الله تعالى نبيّنا محمدﷺفي هذا الجانب قال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4]،وسنفصل القول فيها:

1) الفطانة:

حتى يتميّز النبيّ عن بقية الناس، فإنه يتصف برجاحة العقل والرأي السديد، والحكمة ووضع الشيء في محله لأنه يقابل المجتمع، وجميع أفراده وكل له درجة من الذكاء والبديهة،وقوة العقل والناس يختلفون في عقولهم ومدركاتهم كما يختلفون في أجسامهم وألوانهم ومكانتهم فمن المنطقي أن يكون النبيّ المبعوث إليهم أرجحهم عقلا وأكثرهم ذكاءا كما أنه أرفعهم درجة ومكانة اجتماعية وأشرفهم نسبا ومما يتصف به من الناحية العقلية الفطانة؛ لأنه بها يخاطب أفراد المجتمع، ويدعو إلى دينه وعبادة خالقهم فما هي الفطانة من الناحية اللغوية والاصطلاحية؟.

وما هي أهميتها بالنسبة للنبيّ كصفة خلقية؟ وهذا ما سنجيب عليه فيما يلي عند تفصيلنا للمصطلح؟.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 39

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 222

[4]- سورة القلم، الآية 04

1- **تعريف الفطانة لغة:**وهي سرعة الفهم والإدراك.[1]

2- **تعريف الفطانة اصطلاحا:** هي قوة يقع بها التميز بين الأمور الحسنة والقبيحة[2]، الفطانة عبارة عن ملكة يخلقها الله تعالى في النفس البشرية، بها يميز بين الأشياء وغوامض الأمور وبالقرائن يعرف حقائق الأشياء فهي ملكة جامعة للعقل، والذكاء وبها يتميز عن بقية الناس.

قال الماوردي[3] في معرض حديثه عن العقل والفطنة والذكاء والعلاقة بينهم:"..والعقل الذي به يدرك حقائق الأمور، والفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم، والذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوّره وفهم ما علمه...".[4]

عندما نتأمل في كلام الماوردي نجد أنه فرّق بين ثلاثة ملكات العقل، الذكاء، الفظنة فجعل مهمة العقل الإدراك لحقائق الأشياء ومهمة الفطنة التصور لما هو غامض من العلوم ومهمة الذكاء استقرار حفظ ما تصوره وفهم ما علمه.

فهناك علاقة ثلاثية بين العقل والفطنة والذكاء فالعقل يقوم بمهمة الإدراك للأشياء والفطنة تقوم بتحليل دقائق الأشياء،وغوامضها أما الذكاء فإنه وسيلة لحفظ ما أدركه العقل وما فهمته الفطنة إذا فالفطنة هي ملكة تقوم بالتحليل والتركيب للأشياء بسرعة فائقة وهذه ميزة يخلقها الله

[1]- المصباح المنير، ص297، ومختار الصحاح، ص266، مصادر سابقة

[2]- الجرجاني، التعريفات، ص 168

[3]- هو أبو الحسن فقيه شافعي ولد بالبصرة 364هـ، ولي القضاء في بغداد توفي 450هـ، له مصنفات منها: أعلام النبوة، وأدب الدين والدنيا، رضا كحالة، 499/2، مصدر سابق

[4]- الماوردي، أدب الدين والدنيا،تح: محمد كريم راجح، ط5، دار إقرأ، بيروت، 1986م، ص 76

تعالى في من يعده للنبوة مستقبلا حتى يتميز بهذه الصفة وتكبر معه إلى حين وصوله إلى درجة النبوة ومن أمثلة ذلك ما امتاز به سيدنا إبراهيمعليه السلام بالحجة حيث قال ابن خمير عنه"بأن إبراهيمعليه السلام كان نبي الحجة، وهو أول من أصل أصول الدين بالاستدلال على علم التوحيد، وبه اقتدى رؤساء المتكلمين في استدلالهم بالثلاثة الكواكب التي وردت في الكتاب كما سيأتي فيما بعد إن شاء الله، قال تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1]، نرفع درجات من نشاء؛ أي بالحجة البالغة والعلوم العالية فكان قومه حرانيين ينظرون في النجوم ويردون لها القضاء في الأفعال ويعبدون بعضها فكان هو يقصد الاحتجاج عليهم في حدوثها بتغييرها وتبدل أحوالها فخرج مع أهل الرصد للكواكب ليلا لينبههم على حدوثها بتغييرها مع تسليم مذهبهم الفاسد لهم جدلا، وقصده مقابلة الفاسد بالفاسد فإنه من وجوه النظر، والأظهر في طريقة التنبيه على الحدوث والاستدلال بالأكوان؛ فإن الحركة يعلم حدوثها ضرورة لكونها يقطع الحيز بعد الحيز بحركة بعد حركة فمن رأى ساكنا يتحرك علم تغيره ضرورة، فنظر عليه السلام فرأى كوكبا فقال لقومه﴿...هَذَا رَبِّي...﴾[2]،يعني على ظنكم وحسابكم ففرحوا بقوله وظنوا أنه رجع إلى مذهبهم، فلما أفل رجع لهم عن قوله الأول بقوله: ﴿...لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[3]، فعلموا إذ ذاك أنه رجع عن مذهبهم بحجة بالغة، والدليل على صحة ما رمناه من أنه قال:﴿هَذَا رَبِّي﴾ على جهة التعنيت لهم وإقامة الحجة عليهم لعلهم يتفطنون ويتعلمون منه وجوه الاستدلال"[4]، حيث بين ابن خمير سرعة بديهة سيدنا إبراهيمعليه السلام في الاستدلال على بطلان ألوهية الكواكب وإثبات عكسها وهو ألوهية الله تعالى الخالق لهذه الكواكب، وذلك بما حباه الله

[1]- سورة الأنعام، الآية 83

[2]- سورة الأنعام، الآية 76

[3]- سورة الأنعام، الآية 76

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص126، مصدر سابق

تعالى من الفطنة الدالة على قوة حجته في الاستدلال، وفي حق سيدنا آدم عليه السلام قال عنه"...بل كان رأس العقلاء ورئيس الحكماء ومعلم الملائكة..."[1]، هذا في رده على القائلين بأن آدم عليه السلام أكل من الشجرة لشهوة غلبت عليه في قصته فوصفه برجاحة العقل والحكمة والعلم ولا تكون هذه الصفات إلا من كان صاحب فطنة، وقال في شأن النبي داود عليه السلام "وقلة مراعاتهم مع من جعله الله تعالى خليفة في الأرض وشد ملكه وأتاه الحكمة وفصل الخطاب..."[2]،فقد وصفه بأنه خليفة الله في أرضه وأن حكمه متين وأنه صاحب حكمة وصاحب قضاء حيث أنه يفصل في قضايا الناس ولا تكون هذه الأوصاف إلا لمن اتصف بالفطانة وهذا في معرض رده عن الشبهات حول قصته.

2) الأمانة:

والأمانة هي سلامة الشيء وحفظه وصونه مما يشوبه[3]، وهي على نوعين معنوية وهي ذاتية وشخصية لصيقة بالنبي عليه السلام وتمثلها الأخلاق النفسية والتي يعبر عليها بالعصمة والتي سنتناولها في المبحث القادم إن شاء الله والنوع الثاني مادية وهي خارجة عن ذات النبي عليه السلام وهي الأخلاق الاجتماعية والتي سنتحدث عليها هنا، وهي أهم صفة يتصف بها الشخص المعدّ للنبوّة لما لها من أهمية في الجانب الاجتماعي ولها دور في المعاملات مع الغير، فإذا ما شهد الناس لهذا الشخص منذ نشأت وحياته بين أفراد المجتمع بأنه أمين كبر في أعين المجتمع، وإرتفعت مكانته بينهم وأصبح موضع حفظ الأمانات والأسرار والعهود، هذا من الجانب الاجتماعي والعلاقة بينه وبين الناس أما

[1]- المصدر السابق، ص 108

[2]- المصدر السابق، ص 151

[3]- المصباح، ص21، مختار الصحاح، ص24، مصادر سابقة

من الجانب الشرعي والعلاقة بينه وبين ربّه فمهم جدا وفي هذا الجانب التبليغ عن الله تعالى لشرائعه وكتبه وحفظها فإذا ما توفرت في النبيّ المعدّ فإنه يحظى بالقبول من قبل النّاس لما اشتهر به بين أفراد المجتمع، بهذه الصفة ولم يعهد قومه منه خيانة حتى لا يأخذوا عنه حجة أو عتابا يقدح في نبوته فإذا كان حافظا لأمانات الناس وعهودهم فالأولى حفظه لشرع ربه ووحيه، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في وصف الأنبياء بهذه الصفة وهذا ما شهدت به ابنتا شعيب عليه السلام لموسى عليه السلام،قبل نبوته قال تعالى:﴿...إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[1]

وكذلك بالنسبة لنبيّنا محمد ﷺ ومن خلال سيرته فقد شهد له قومه بهذه الصفة قبل نبوته فقد كان أعداؤه من المشركين والذين عارضوا دعوته ولم يؤمنوا به يضعون ودائعهم عنده لثقتهم به بأنه أمين، وحريص على حفظ الأمانات، ولم يشهدوا بخلاف ذلك، ولقد شهدت له خديجة بنت خويلد قبل زواجها به بأنه أمين حيث بعثته في تجارة بمالها إلى الشام مع أحد القوافل بمعية غلامها ميسرة وكان يراقب حركاته وتصرفاته وأقواله وأفعاله ومعاملاته مع الناس والتجار وبعد رجوعه من الشام أخبر ميسرة خديجة بكل تفاصيل الرحلة فتعجبت وأعجبت به وقالت هذا الرجل الذي أتمناه وأبحث عنه فأرسلت إليه عن طريق صديقتها نفيسة تطلبه للزواج لما رأت ما رأت من خصاله منها الأمانة، فقد حافظ على مالها وصانه، ولم تشهد رجلا أمينا مثله من قبل، وبعد زواجها منه ونزول الوحيّ عليه كانت أوّل النساء إيمانا به وذكرته بخصاله حيث قالت له:"... والله لا يخزيّك الله! إنك لتصل الرحم..."[2]، وعمه أبو طالب كذلك اعترف له بأمانته فقال في بيت شعري:

ودعوتني وزعمت أنك صادق *** فلقد صدقت وكنت قبل أمينا[3]

قال ابن خمير معلقا على هذا البيت وهذا الإعتراف:"ولقد أقر بصدقه في دعواه وأمانته"[1]

---

[1]- سورة القصص، الآية 26

[2]- الرحيق المختوم، ص 46، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 58، مصدر سابق

ولقد اعترف له كذلك شخصيات من خارج قومه، من خلال سيرته والسؤال عن تصرفاته وأهدافه وأخلاقه بأنه شخصية عظيمة وممن اعترف له بذلك ملك الشام هرقل عندما سأل أقرب الناس إليه أبو سفيان[2]، وكذلك علماء الغرب[3].

وهذه الصفة حباها الله له، وأعدّه عليها لتدريبه منذ صغره على أداء الأمانات حتى إذا بعث وجد نفسه أنه متصف بها حتى إذا ما نزل عليه الوحيّ بلغه كما هو دون زيادة ولا نقصان،وقد بيّن القرآن ذلك فقال:﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[4] فإنه ينقل الوحيّ كما هو ولو كان فيه ملامة أو عتابا له، وقد وقع عليه العتاب ونقله كما هو منها قوله تعالى:﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[5]،ومنها عتابه ما وقع بينه وبين زوجاته قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ...﴾[6]،وكذلك في مسألة التبنيّ وإبطالها مع زيد قال تعالى:﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾.[7]

ولقد أدرج علماء المنهجية في مسائل البحث العلمي من أخلاقيات الباحث التحلي بالأمانة العلمية[8] فنجد أن أنبياء الله تعالى كلهم اتّصفوا بهذه الصفة قبل وبعد نبوّتهم وقد أعدّهم الله بهذه الصفة، فهذه الصفة لها دور كبير في نقل الأخبار فقد اتصف بها الأنبياء عليهم السلام منذ خلقه لآدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، قبل أن يضعها علماء المنهجية والتاريخ كصفة

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- حديث هرقل أخرجه البخاري في صحيحه رقم 7، مصدر سابق.

[3]- مايكل هارت، الخالدون المائة، (أعظمهم محمد ﷺ)، (د.ط)، دار الرشاد، قسنطينة، الجزائر، 2009م، ص9-14

[4]- سورة الحاقة، الآيتين 44-45

[5]- سورة عبس، الآية 01

[6]- سورة التحريم، الآية 01

[7]- سورة الأحزاب، الآية 37

[8]- مكي مصطفى، البحث العلمي آدابه وقواعده ومناهجه، (د.ط)، دار هومة الجزائر، 2013م، ص18

يتصف بها الباحث في نقل المعلومات، ونقل أخبار الماضي لتدوين التاريخ والمحافظة عليه، كما هو، وقلّ ما نجد في العلماء والباحثين التقيّد بهذه الصفة فكم من ناقد للتاريخ وكم من سرقات علمية للبحوث والرسائل الجامعية منها ما يُكتشف بعد جهد جهيد ومنها ما لا يستطيعون كشفه، فالأمانة العلمية تولد مع الشخص وتتغلغل في كيانه وضميره وفؤاده، ويعيها جيدا فلم يستطيع أحبار اليهود التقيّد بها ممّا جعل التوراة تحرّف، وكذلك قساوسة النصارى لم يستطيعوا التقيّد بها فوصل التحريف إلى كتابهم المقدّس الإنجيل، وقد فلتت هذه الصفة، فيمن كذبوا في أحاديث النبيّ ﷺ، وزادوا فيها ووضعوا الأحاديث حتى اصطلح على تسميتها بالأحاديث الموضوعة وقد سخر الله علماء الحديث لوضع قواعد تمنع الوصول إلى تحريف أوزيادة في حديث النبيّ ﷺ، فالأمانة العلمية أساس كل معلومة وهي حافظة للشرائع فعندما قلت في البشر ماعدا الأنبياء عليهم السلام، تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن لقوله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[1] فلو ترك للبشر لكي يحفظونه لحرّف كما حرفت الكتب السماوية السابقة وفقدان الأمانة قد جعلها الشرع إحدى علامات الساعة "إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة".[2]

فعدم أداء الأمانات أو الخيانة تعتبر علامة من علامات الساعة،وذلك لأهميتها في الحفاظ على الأمن العام الاجتماعي والنفسي لدى المجتمعات وهي إحدى الأركان الأساسية لبناء المجتمع لأن فقدانها يؤدي إلى الخوف والفساد والظلم، مما يزعزع أركان المجتمع ويشرد أسره ويشتت أفراده فتوفر عنصر الأمانة ضرورة اجتماعية تساعد على تماسك المجتمع، وتطوره وتحضره، ولذا أكدّ عليها ديننا وجميع الديانات السابقة السماوية وجعلت صفة أساسية في النبيّ المبعوث لقومه حتى يطمئنوا إليه وتسكن نفوسهم إليه، ويثقوا فيه فيتربى بين ظهرانيهم على هذه الصفة ويشهدوا له بها

[1]- سورة الحجر، الآية 09

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6496، مصدر سابق.

ممّا يدعم ويسهل أداء رسالته إليهم، وضد الأمانة الخيانة وهي صفة سلبية يتنزه عنها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد عصمهم الله تعالى منها، لقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ...﴾[1]،لفظ يغل[2]: بمعنى يخون فقد نفى عنهم الخيانة.

3) الصدق:

والصدق لغة مطابقة الحكم للواقع[3]، وفي الإصطلاح قول الحق وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان، قال القشيري:"الصدق ألا يكون في أحوالك شوب،ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب"[4]، وهو الإخبار بالحقيقة الموجودة في الواقع كما هي أو هو الخبر المطابق للواقع دون زيادة ولا نقصان من الناقل، والصدق صفة أساسية في الإنسان الكامل،وهي صفة أساسية في الأنبياء عليهم السلام والهدف منها إعداده واستعداده لنقل الوحيّ إلى الناس وتصديقهم إيّاه لما علموه من خلال سيرته لقوله تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5] ولقد وصف القرآن الكريم الأنبياء عليهم السلام بهذه الصفة كقوله تعالى:﴿...إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[6]،وسيّر الأنبياء عليهم السلام شاهدة على اتصافهم بهذه الصفة الأساسية وقد شهد عليهم أقوامهم بها، ولم يرد عكسها عليهم، فلم يعلموا منهم كذبا قطا كما شهدت قريش على النبيّ محمد ﷺ بأنه صادق في حديثه ولم يرد عليه كذبا ولو مرة واحدة طوال عيشه معهم.

---

[1]- آل عمران، الآية 161

[2]- أغل بالألف خان في المغنم وغيره، المصباح، ص281، مصدر سابق

[3]- مختار الصحاح للرازي، ص193، مصدر سابق

[4]- الجرجاني، تعريفات، ص135.

[5]- سورة النجم، الآيتين 3-4

[6]- سورة مريم، الآية 41

ولقد أخذ عليهم هذه الشهادة قبل علمهم بأنه نبيّ حيث جمعهم وأخبرهم بأنه نبيّ هذه الأمة، فقال لهم:"لو أخبرتكم بأن هناك خيل ستغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا: ما شهدنا عنك كذبا قط".[1]

فسيرته ﷺ دالة على أنه منذ صغره لم يرد كذب على لسانه وهذه الصفة قلّ ما توجد عند الإنسان المثالي إلا للأنبياء عليهم السلام وهذه الصفة إحدى دلائل النبوة ولقد استدل بها هرقل عندما سأل أبا سفيان عن أوصاف النبيّ محمد ﷺ فقال له:"..هل كذب عليكم يوما فقال أبو سفيان: لم نشهد عليه كذبا،..فقال له هرقل: كيف يدع الكذب على الناس،ويكذب على الله".[2]

فقد أخذ هرقل من قوم النبيّ ﷺوأقرب الناس إليه، وهو عدوه في ذلك الوقت، شهادة بأنه غير كاذب ولم يرد عليه الكذب طوال حياته، وهرقل ركز على هذه الصفة؛ لأنه من أهل الكتاب ويعرفون صفات الأنبياء عليهم السلام،فاستنتج من خلال حواره مع هرقل عدة صفات تنطبق على النبيّ محمد ﷺ، ومنها صفة الصدق وطبّق عليه قياس الأولى فإذا كان محمد ﷺلم يكذب على الناس طيلة عمره، وهو يعيش بينهم فمن باب أولى أنه لا يكذب على الله تعالى وهو ربّه وربّ الناس وطاعته أولى من طاعة الناس والخوف منه أولى من الخوف من النّاس وتقديسه واجب ومقدم على احترام الناس،ولذلك فعندما يُخبر عن الله تعالى فهو صادق فهرقل هنا استدل بسيرته على نبوته وكذلك سيرة سيدنا يوسفعليه السلام وحكايته مع امرأة العزيز وشهادة الرضيع على صدقه حيث قال تعالى على لسان الرضيع:﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3]،وعندما تأمل عزيز مصر في ذلك وجد أن قميصه قد من دبر ممّا يدل على أنه كان هاربا إلى الأمام وهي تجري وراءه للقبض عليه مما تبين أنه صادق في قوله وبعد خروجه من السجن

[1]- الرحيق المختوم، ص56، مصدر سابق

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 7، مصدر سابق.

[3]- سورة يوسف، الآية 27

أقرت امرأة العزيز بالحقيقة بعد عدة سنين حيث قال: ﴿...الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾.[1]

فقد وصفه الشاهد الرضيع بالصدق وأقرت امرأة العزيز بصدقه رغم أنها في بداية الأمر مقرّة بذلك ولكن أخفت هذا الإقرار لكي لا يفضح أمرها وتظهر كاذبة أمام زوجها فأصرت الحقيقة لعدة سنوات ثم أظهرتها بعد ذلك،وكذلك شهد عليه ممن دخل معه السجن بأنه صادق حيث قال تعالى على لسان خادم الملك عندما أراد منه تفسير رؤيا الملك:﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيقُ أَفْتِنَا...﴾[2]،وكذلك في جميع الأنبياء عليهم السلام أنهم موصفون بهذه الصفة منذ ولادتهم وذلك استعدادا لقبول الناس كلامهم عند النبّوة وإعداد الله تعالى إيّاهم منذ ولادتهم إلى بعثتهم واستمرارا إلى وفاتهم حتى يتطبعوا على هذه الصفة المهمة في حياتهم قبل النبوة وبعدها فإذا ما شهد الناس عليهم بالصدق قبل نبوتهم فالأولى صدقهم بعد النبوة ولذلك كانت هذه الصفة مهمة جدا أن تبدأ قبل النبوة وتستمر بعدها حتى تكون دليلا وعلامة واضحة للناس لقبول أقوالهم وإخبارهم عن الله تعالى عن طريق الوحي؛ وهذه الصفة تدخل في السلوك العام للنبوة حيث قال تعالى في وصف نبيّه محمد ﷺ:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]،ووصفته عائشة-رضي الله عنها- بأنه:"كان خلقه القرآن.."[4]،فهذا الوصف ينطبق على جميع أنبياء الله تعالى عليهم السلام لأنهم نماذج بشرية فريدة من نوعها وأنهم يتصفون بصفات الإنسان الكامل فالوصف بالخلق العظيم يتضمن كامل الأخلاق الحميدة والعالية جملة وتفصيلا منها صفة الصدق لأنها مهمة جدا في تبليغ الرسالة والوحيّ الإلهي وقول عائشة في وصف النبيّ ﷺبأنه كان خلقه القرآن وهو وصف دقيق وشامل لما

[1]- سورة يوسف، الآية 51

[2]- سورة يوسف، الآية 46

[3]- سورة القلم، الآية 04

[4]- رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم 72،تح: طارق ابن عوض الله ابن محمد، (د.ط)، دار الحرمين، القاهرة، (د.ت)

جاء في القرآن من الأخلاق، فالنبي ﷺ طبقها على أرض الواقع، ومع قومه، وقد استدل ابن خمير على صدق النبي ﷺ من السنة والسيرة النبوية حيث يقول: "ويعضد ذلك من السنة قصة ابي طالب جاء في الخبر أنه لما حمى رسول الله ﷺ أنزل عليه﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ...﴾[1]،فقال (يا عم نزلت فيك آية) ثم قصها عليه فأنشد أبياتا يقول في آخرها:

ودعوتني وزعمت أنك صادق *** فلقد صدقت وكنت قبل أمينا

لولا الملامة أو حذار مذمة *** لوجدتني سمحا بذلك يقينا

يعني لسمحت لك بظاهري كما علمت بقلبي،فقد أقر بصدقه في دعواه وأمانته إلا أنه لم يتلفظ بالكلمات"[2]، وقال في موضع آخر واصفا أن هذه الصفة واجبة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"ووجب أيضا صدق أنبياءه عليهم السلام في ما يخبرون به عنه بتصديق الله أياهم لكون المعجزة تتنزل منزلة التصديق بالقول"[3]،وتحدث ابن خمير عن هذه الصفة فقال"...ووصف أنبياءه بالصدق والعصمة والتنزيه"[4]، وقال في حديثه عن المعجزة وذكر شروطها "فإذا صحت هذه الشروط الأربعةصح صدقه..."[5]،وفي موضع رده على المعتزلة قال:"ويلزمكم أن يصح صدقه في نبوته وتبليغه..."[6]، واستدل على إثبات هذه الصفة عن طريق المعجزة لأن ظهور المعجزة لا تكون إلا على يد نبي عليه السلام وهي دالة على صدقه، ويستحيل ظهورها على يد كاذب، وهذا ما سنفصل القول فيه في الفصل الأخير في طرق إثبات النبوة وذلك أنها تثبت بطريقين حسب منهج ابن خمير إحداهما المعجزة فإذا ثبتت ثبت صدقه ومنه تثبت نبوته.

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 26

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص58، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص104

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص214، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص221-222

4) التبليغ:

والتبليغ لغة الإيصال[1]، وقد تحدثنا عن هذه الصفة في خصائص النبوة باعتبارها إحدى مهام الأنبياء عليه الصلاة والسلام وهدفه تلبية لحاجة البشرية للمعرفة الشرعية لرسم المنهج الرباني ليسيروا عليه وغايتهم في ذلك الوصول إلى السعادة، وهنا نتحدث عنه كصفة أساسية لصيقة بشخصية النبي ﷺ وهي من الصفات المهمّة بعد النبوة، وهذه الصفة مبنية على صفتين مهمتين قبل النبوة، وهما الأمانة والصدق، وهي نتيجة حتمية لهما فكون النبيّ أمين وصادق يقتضي أنه مبلغ عن الله تعالى، وهذه الصفة كان يتصف بها حتى قبل النبوة ولكن ليست لها علاقة بالوحيّ الإلهي، الذي يكون بعد النبوة؛ ولكن لها علاقة بالناس،وذلك في المعاملات الاجتماعية بينه وبين الناس فعندما يتلقى خطابا أو كلاما من أي إنسان حوله وأراد تبليغه أو كلّف بتبليغه لإنسان معين فإنه يبلغه، كما هو دون زيادة ولا نقصان ودون أن يخبئه، أو شاهد واقعة في مكان ما وحتم عليه الأمر أن يبلغها للغير بلغها كما هي، والتبليغ يعتبر مهمة ووظيفة نبوية لما ذكرناه في وظائف النبوة باعتباره علاقة بينه وبين ربّه من جهة علوية، وبينه وبين الناس من جهة سفلية وهو الرابط والواسطة البشرية من الوحيّ الإلهي والمجتمع البشري وإبراء للذمة وإقامة الحجة عليهم وإشهاد النبي ﷺ عليهم يوم القيامة لقوله تعالى:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2] كذلك مثلها مثل وظيفة الشهادة والبشارة والإنذار، أما كونها صفة في هذا الموضع، من ذكر صفات النبوة كونها بعد النبوة؛ لأنها صفة لصيقة بالنبيّ ﷺ، لأنه لا يسمى نبيّ إلا إذا تمت هذه الصفة فيه وكانت أساسية والتعريف قائم عليها سواء كان التعريف اللغوي من النبأ وهو الإخبار والإخبار يحمل معنى التبليغ، أو من جهة الإصطلاح فالنبيّ هو من أوحى إليه وأنبأ من الله تعالى كذلك في تعريف الرسول سواء

[1]- الجوهري، الصحاح، ص125، مختار الصحاح، ص43، مصادر سابقة

[2]- سورة الأحزاب، الآية45 وسورة الفتح، الآية 08.

لغة أو اصطلاحا فإنه يحمل معنى التبليغ فالرسول لغة من أرسل لتبليغ أمر ما، وفي الاصطلاح كذلك ممن أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ولذلك كانت صفة التبليغ أساسية، وهي خاصية وعنصر مكون للتعريف والتعريف سواء اللغوي أو الاصطلاحي مبني عليها فلا يمكن تعريف النبيّ أو الرسول لغة دون إدخال عنصر التبليغ بأي صفة كانت وأي مرادف لها فالتبليغ كما ذكرنا أن له وجهان الأول من ناحية الوظيفة والثاني من ناحية الصفة، وكل منهما مكمل للآخر فالصفة لصيقة بشخصية النبيّ عليه السلام، وتدخل في الجانب الخلقي له ولكنها تظهر بعد الوحي الإلهي،ومن جهة الوظيفة القيام بأداء ما أوحي إليه من الشرع وأحكام وكتاب ولا يمكن أن يمتنع عن أداء هذه الوظيفة؛ لأنه أعدّ لها وأهل لها وهيئ لها منذ ولادته كما قال تعالى:﴿... وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[1]، وقد تحدث ابن خمير عن هذه الصفة في عدة مواضع منها في رده على المعتزلة قال: "ويلزمكم أن يصح صدقه في نبوته وتبليغه..."[2]، وقوله كذلك "...وسلامة ما يبلغه عن الله من التناقض..."[3]، وفي قصة يونس عليه السلام قال:"...فاحتمل أذاهم حتى ضاق صدره، ويئس من فلاحهم ففر بنفسه بعدما بلغ غاية التبليغ كما أمره الله تعالى"[4]، وقال ابن خمير "وأنزل عليهم الكتب فبلغوا وأدوا لنا أمره ونهيه ووعده ووعيده..."[5]، حيث بين تبليغ الأنبياء عليهم السلام بعد إنزال الكتب، وقال أيضا: "فيستحيل عليهم الكذب في ما شأنه التبليغ لأنه يناقض دليل المعجزة المتضمنة التصديق".[6]

---

[1]- سورة طه، الآية 39

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص221-222، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص158، المصدر السابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص221-222، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص53

[6]- المصدر السابق، ص104

المطلب الثاني: أسس النبوة بعد البعثة

وسنتحدث عن أهم أساسين هما: الوحي والمعجزة في فرعين باعتبارهما أنهما لا يكونا إلا بعد البعثة فالبدء بالوحي ثم المعجزة.

الفرع الأول: الوحي

يُعتبر الوحي أحد أسس النبوّة، وهو العلامة الفاصلة بين مرحلة النبوّة وما قبلها؛ وهو نقطة البداية في مرحلة النبوة وهو العلامة الدالة على النبوة بالنسبة لشخصية النبيّ فعند إحساسه بالوحيّ، وتأكده منه هنا يعرف أنه نبيّ موحى إليه، والوحي هو إعلام الشخص المعدّ للنبوّة، أنه أصبح نبيّا، والوحي هو العنصر الأساسي الذي يدخل في تعريف النبيّ؛ لأن في تعريفه هو من أوحي إليه وفي هذا المطلب نتعرض إلى ثلاثة مسائل هي: تعريف الوحيّ وطرقه وأنواعه.

أولا: تعريف الوحي

سنتناول تعريف الوحي من وجهين الأول لغوي، والثاني إصطلاحي

أ- تعريف الوحي لغة

الوحيّ لغة هو السرعة، والإلقاء في النفس بمعنى من المعاني.[1]

ب- تعريف الوحي اصطلاحا:

الوحيّ اصطلاحا هو إلقاء المعنى في النفس بكلام أو إشارة أو غيرهما[2].

- تعريف الوحي عند ابن خمير

[1]- المنجد في اللغة والإعلام،ص891، معجم مقاييس اللغة، ص1085،مختار الصحاح،ص1207، الصحاح ص1460 مصادر سابقة.

[2]- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: أحمد ابن علي، دار الحديث، القاهرة، 2001، د.ط، 56/1، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013 ص29، مجموعة من المؤلفين موسوعة الأديان الميسرة،ط4، دار النفائس، بيروت، 2007، ص490.

لم يصغ ابن خمير تعريفا للوحي ولكن تحدث عنه في عدة مواضع حيث نعرض أقواله ثم نستنتج تعريفه ثم طرقه ثم أنواعه.

القول الأول: كلامه في قصة آدم عليه السلام حيث قال:"فكان أمره تعالى لآدم عليه السلام بسكنى الجنان والأكل الرغد ونفوذ المشيئة من باب الإعلام وتأنيس بالبشارات بأنه لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وكان نهيه له على جهة الإرشاد..."[1]، فبين أن الوحي هو عبارة عن إعلام الله تعالى نبيه، وفي نفس القصة تحدث عن موسى عليه السلام فقال "وقد أمر الله موسى عليه السلام بأخذ الحية ونهاه عن الخوف منها حيث قال له:﴿...خُذْهَا وَلَا تَخَفْ...﴾[2]، والخوف أمر ضروري فلا يقع الأمر به جزما، فكان الأمر له على جهة التانيس والإعلام بأنها لا تؤذيه إذا أخذها"[3].

القول الثاني: قال ابن خمير:"فأما الكلام فجاء في الكتاب بلفظ الفعل مؤكدا بالمصدر، قال تعالى:﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[4]،وقال تعالى:﴿...مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ...﴾[5]، فلو كان الكلام هنا الوحي بالواسطة لم يصح التبعيض لأن الكل أوحي إليهم، وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[6]،"فلو اتحد الكلام بالواسطة لم يصح هذا التقسيم"[7]،إنطلاقا من كلام ابن خمير نستنتج أنه قسم الوحي إلى طريقين بواسطة ودون واسطة.

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص101، مصدر سابق

[2]- سورة طه، الآية 21

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص102، مصدر سابق

[4]- سورة النساء، الآية 164

[5]- سورة البقرة، الآية 253

[6]- سورة الشورى، الآية 51

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص138، مصدر سابق

القول الثالث: قال ابن خمير: "وقد ثبت كلامه تعالى كما تقدم، فإذا أراد الله تعالى أن يسمع كلامه من شاء من خلقه، رفع الموانع من جارحة السمع، وخلق فيها الإدراكات التي تتعلق بوجود كلامه، وخلق معها للسامع العلم بوجود الكلام وحوَّله على وجه الأمر والنهي والخبر والاستخبار وقد جمع الله تعالى هذه الأربعة أوجه في كتابه العزيز لموسى عليه السلام عندما ناجاه: فالخبر قوله تعالى له:﴿...إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]،والاستخبار قوله تعالى:﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[2]،والأمر قوله تعالى:﴿...أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾[3]، والنهي قوله تعالى:﴿...وَلَا تَخَفْ...﴾[4] فجمع له من أول خطابه الأربع أوجه..."[5]،حيث بين أن أنواع الوحي أربعة المتمثلة في الخبر والإستخبار،والأمر،والنهي،وقد تحدث في السابق عن أنواع الكلام من أمر ونهي ووعد ووعيد.

وذكر الاجماع في ذلك فقال:"ومنهم من ركن إلى الإجماع، إذ قد أجمع الموالف والمخالف من الإسلاميين على أن البارئ تعالى متكلم آمر ناه متوعد"[6]، حيث بين أن الوحي هو عبارة عن كلام الله تعالى المتضمن أمره ونهيه ووعده ووعيده.

وواصل ابن خمير رده على المخالفين فقال "فإن الأمر والنهي والوعد والوعيد لا يصح إلا بعد إثبات الكلام لله تعالى..."[7]، فبين أنه لا يثبت الوحي إلا بعد إثبات الكلام لله تعالى المتمثل في الأمر والنهي والوعد والوعيد، وفي مواصلة رده عن المخالفين قال "فخرج من مجموع هذه الإلزامات أن من نفى كلام النفس للبارئ تعالى مع استحالة الحرف والصوت عليه لا تثبت له نبوة

---

[1]- سورة القصص، الآية30

[2]- سورة طه، الآية 17

[3]- سورة طه، الآية 19

[4]- سورة طه، الآية21

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص167، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص 149

[7]- المصدر السابق، ص 157

ولا شرع ولا تكليف ولا يكون لله تعالى أمر ولا نهي ولا وعد ولا وعيد"[1] فبين أن نفي صفة الكلام عن الله تعالى تؤدي إلى نفي النبوة وما جاءت به من الشرع والأحكام.

وفي رده كذلك قال "فلو لم يكن البارئ تعالى متكلما لما صح أن يكون آمرا ناهيا؛ فإن الأمر والنهي من أوصاف الكلام"[2]، فبين أن الكلام يوصف بالأمر والنهي، مواصلة في رده عن المخالفين قال"الطريقة الثالثة: وهي منبئة عن صحة النبوات، وذلك أن النبوة قد ثبتت وقامت الأدلة عن صحة ثبوتها جوازا ووقوعا، والمخالفون من أهل القبلة مجموعون معنا على صحة ذلك، ومعظم ما جاءوا به على الله تعالى إنما هو الأمر والنهي والوعد والوعيد وهذه الجملة لا تعقل إلا لآمر ناه واعد متوعد..."[3]، حيث بين بالإجماع إثبات صفة الكلام لله تعالى المتمثلة في الأمر والنهي والوعد والوعيد.

القول الرابع: وذلك في شرحه لقوله تعالى﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾[4]،فقال: "رده إلى نعته ثم شرفه بوحيه"[5]،وفي كلامه عن صفة الكلام لله تعالى في إثباتها قال"فأعلم رحمك الله أن إثبات الكلام لله تعالى هو بعينه إثبات المملكة التامة والوصلة بين الله تعالى وبين خلقه في إلزام الشرائع بتخصيص الجائزات وكيفية المعاملات وتحصيل المنازلات ورفع الدرجات ونيل المثوبات في دار الكرامات"[6]،حيث بين أن الوحي واسطة بين الخالق والمخلوق عن طريق النبوة.

كذلك قال في رده عن المخالفين "فإذا أنكر هذا الصنف الغبي كلام النفس واستحال على البارئ تعالى ما أضافوا إليه من كلام هو حروف وأصوات يخلقها ويتكلم بها، لم يبق لهم

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص152، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص154

[4]- سورة الكهف، الآية 110

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص 157

مستروح على إثبات النبوات، لأن إثباتها إنما يصح بعد إثبات كلام الله تعالى"[1]، فبين أن النبوة لا تثبت إلا عن طريق الوحي فيثبت كلام الله تعالى أولا ثم النبوة، وفي رده عن المخالفين قال "والثاني أنه لو لم يثبت للبارئ تعالى كلام لما صحت نبوة ولا شريعة ولا طاعة ولا معصية ولا عقوبة ولا مثوبة ولا كان بيننا وبينه وسيلة ولا قربة"[2] حيث بين أن من أسس النبوة الوحي باعتباره مثبت للشريعة وواسطة بين الخالق والمخلوق.

وواصل رده على المخالفين فقال"فلا سبيل إلى إثبات النبوة والتكليف إلا على مذهب أهل الحق الذين أثبتوا لله تعالى كلاما أزليا ليس بحرف ولا صوت"[3]، فبين مذهب أهل السنة في إثبات كلام الله تعالى ومنه إثبات الوحي والنبوة، حيث نستنتج من أقواله الأربعة العناصر الأساسية للوحي ففي القول الأول أشار إلى الإعلام وفي الثاني أشار إلى طرق الوحي مباشر وغير مباشر وفي القول الثالث أشارإلى محتوى الوحي من خبر واستخبار وأمر ونهي، وفي القول الرابع أشار إلى العلاقة بين الله تعالى ونبيه بواسطة الوحي ومنه يمكننا صياغة تعريفه كالآتي: **"هو إعلام الله تعالى نبيه بأمره ونهيه وخبره واستخباره إعلاما مباشرا أو غير مباشر"**

ثانيا: طرق الوحيّ

من خلال القول الثاني لابن خمير نستنتج أن للوحي طريقان مباشر وغير مباشر

1- الطريق الأول: الوحي المباشر

وهو الكلام المباشر بين الله تعالى ونبيه عليه السلام المذكور في قوله تعالى:﴿...أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾، وقد ثبت هذا لآدم، وموسى ومحمد عليهم السلام فأما لآدم عليه السلام فقال ابن خمير في قصته عند ذكر خصاله "...وأسجد له ملائكته وجعله قبلة لهم وعلمه الأسماء كلها وجعله

[1]- المصدر السابق، ص 156

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص149، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص 157

معلما لهم، وكلمه بلا ترجمان على جهة الإكرام والإعلام والنصيحة، جاء في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"آدم نبي مكلم"[1] يعني بغير واسطة، إذ من الأنبياء غير مكلمين..."[2]، فبين أن آدم عليه السلام كلمه الله تعالى كلام مباشر واستدل بالحديث.

وأما موسى عليه السلام فقد استدل ابن خمير بقوله تعالى:﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[3].

وأما محمد ﷺ فكان ذلك في ليلة الإسراء والمعراج عند فرض الصلاة، قال ابن خمير "...وأما فرض الصلاة في ذلك المقام فالنذكر منها ما منى الله تعالى على جهة الإختصار، وهي تنقسم إلى أربع أقسام... وقسم في فضل نبيا عليه السلام على سائر الأنبياء وإظهار إكرامه في ذلك المقام عند الملأ الأعلى...".[4]

2- الطريق الثاني: الوحي غير المباشر

ويدخل تحته ثلاثة أقسام الأول بواسطة الملك جبريل والثاني بواسطة الإلهام والثالث الرؤيا.

القسم الأول: الوحي بواسطة الملك

---

[1]- أخرجه البخاري في التاريخ الكبير برقم 37، تح: محمد عبد المعيد خان، (د.ط)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد باكستان، 29/1، و أبو زرعة، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، تح: عبدالله نوارة، مكتبة الرشد، الرياض، 1999م ص220، تحت رقم 659.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص108، مصدر سابق

[3]- سورة النساء، الآية 164

[4]- ابن خمير،تنزيه الأنبياء، ص201 (ملحق مجموع نكت من بعض ما خص به نبينا عليه السلام من الكرامات ليلة الإسراء)،وقد عدد ابن خمير خصائص النبي ﷺ في لية الإسراء ما يدل على الوحي المباشر منها: قوله: "وأما ظهور نبينا عليه السلام وتقدمه في ذلك المحل فلا تحويه الرقوم وتحيط به ثاقبات الفهوم،لكن نقتصر منه على بعض ما تضمنه إكرام الله تعالى له في أمر الصلاة- الثاني عشر وهو ما اختص به من السرعة في قطع المسافة في تلك الليلة وذلك أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم صعد به إلى سدرة المنتهى...، ألا ترى حيث فرضت بالملأ الأعلى بحضرة الملائكة الكروبيين،ومشهد الرسل الكرام والسادات الأعلام..." المصدر السابق، ص 202-215

ويمثله قوله تعالى:﴿...أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ويشمل: الكتب السماوية، الحديث القدسي، الأخبار والتعاليم،وهو على ضربين جلي وخفي:

وقد أشار ابن خمير إلى هذا القسم بنوعيه فقال:"وقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ لما خاطبه الملك في أول أمره كاد أن يتردى من حالق الجبل[1]خيفة من فجأة الملك وفجأة الخطاب وكان عليه السلام في ثاني حال يأتيه الوحي في اليوم الشديد البرد فيتفصد عرقا[2]هيبة من فجأة الوحي وإعظاما للملك"[3].

أولا: الوحي الجلي

وهو على وجهين الأول بالصوت فقط والثاني بالصورة والصوت معا،وهي أشهر أنواع الوحي وأكثرها والقرآن كله من هذا القبيل والمصطلح عليه بالوحي الجلي[4]، لقوله تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[5]،

الوجه الأول: بالصوت فقط(صوت صلصلة الجرس)

وهذه الصورة غالبا ما كان يأتي جبريل بها وينزل عليه القرآن الكريم[6]، قال ابن خمير في هذا الوجه:"...ودخول الملك على عائشة رضي الله تعالى عنها وهو معها في لحاف واحد، وهو يراه ويكلمه، وهي لا تراه ولا تسمع كلامه،...".[7]

---

[1]- ينظر: الرحيق المختوم، ص46، مصدر سابق، البيهقي،دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1985م، 14/2.

[2]- قالت عائشة: (...وإن جبينه ليتفصد عرقا)، أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص168

[4]- الزرقاني، مناهل العرفان، 57/1، مصدر سابق

[5]- سورة الشعراء، الآيتين 193-194

[6]- الرحيق المختوم، ص 47، مناهل العرفان، 57/1، مصادر سابقة

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 289، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2781، مصادر سابقة

الوجه الثاني: بالصورة والصوت معًا

وهي على قسمين حقيقية وعلى هيئة بشرية

أ. الصورة الحقيقية الملكية

وهذه الحالة نادرة جدا فقد رآه النبيّ محمد ﷺمرتين في حياته مرة في الأرض عندما فتر عليه الوحي حيث قال:"...فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض..."[1]، ومرة في السماء ليلة الإسراء والمعراج، عند سدرة المنتهى، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[2]،وقد روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها في تفسير ذلك قالت: "إنما هو جبريل عليه السلام رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض".[3]

1- على هيئة بشرية

وهذه الصورة قليلة جدا وكان يأتيه فيها على هيئة بشرية ولا يستطيع الصحابة رضي الله عنهم التعرف عليه وهذه الحالة تكون في إعطاء المواعظ وبيان تعاليم الدين وتعليمه للغير كما هو في حديث جبريل المعروف حينما قال عمر رضي الله عنه:"لا يعرفه منّا أحد"[4]،عندما غادر جبريل

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 4، مصدر سابق

[2]- سورة النجم، الآيتين 13-14

[3]- أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم 11372، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1991م.

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه رقم 50، مصدر سابق

عليه السلام مجلس النبي ﷺ مع أصحابه الكرام قال لهم رسول الله ﷺ:"جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم"[1]، وقوله ﷺ: "وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول".[2]

ففي هذه الحالة جاء إلى النبيّ ﷺ يسأل عن أمور الدين وهو يعلمها ولكن من باب تعليم الصحابة رضي الله وهو أسلوب لتوضيح تعاليم الدين والشريعة وليس إنزال للقرآن، قال ابن خمير في هذه الحالة: "وكذلك بمحضر الصحابة رضي الله تعالى عنهم...".[3]

ثانيا: الوحي الخفي(الإلقاء في الروع)

والروع هو القلب[4] وهو ما يقذف فيه من أخبار وعلوم بحيث يكون عبارة عن وجدان تستيقنه النفس وتستقر إليه، وهذه الحالة لا تخص القرآن الكريم ولا يرى فيها النبيّ محمد ﷺ جبريل، ولكن يحسّ به أنه هو حيث يلقى في نفسه أمرا ما من الله تعالى ولكن ليس قرآنا وإنما من أخبار الوحيّ في المواعظ والتعاليم، وقد عبّر عنه النبيّ محمد ﷺ بقوله: لقد نفث جبريل في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها".[5]

القسم الثاني: بواسطة الرؤيا الصالحة

ورؤيا الأنبياء عليهم السلام تُعتبر وحيّ من الله تعالى وقد ذكر لنا القرآن الكريم بعض الأنبياء عليهم السلام، مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام، وسيدنا يوسف عليه السلام فبالنسبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام فإنه رأى في المنام رؤيا وهي وحي وأراد أن يطبقها في اليقظة فأبدله الله بأمر آخر، وهي من

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه رقم 50، مصدر سابق

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه رقم 2، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 289، مصدر سابق، إشارة إلى حديث جبريل المشهور

[4]- مختار الصحاح، ص145، مصدر سابق

[5]- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم1141،تح:عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م

أجل امتحانه بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام قال تعالى على لسانه:﴿...يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾.[1]

وبالنسبة ليوسف عليه السلام حيث قال تعالى على لسانه:﴿...يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾.[2]

وفي النهاية حقق الله له هذه الرؤيا، حيث قال:﴿...وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ....﴾.[3]

وبالنسبة للنبي محمد ﷺ كان يرى الرؤيا فيجدها في الصبّاح كما رأى، وأول ما بدأ به الوحي الرؤيا الصادقة لمدة ستة أشهر[4]، حيث قالت عائشة رضي الله عنها"أول ما بدأ به الوحي الرؤيا الصالحة"[5]، وهذه الحالة لم يكن فيها إنزال كلام من الله تعالى أو أوامر أو مواعظ كما سبق وإنما هي رؤى في المنام تتحقق في اليقظة وهذا تمهيدا للوحي المنزل بواسطة جبريل عليه السلام وهو القرآن الكريم، وكذلك من الدلائل والعلامات التي تسبق النبوة والخاصة بشخصية النبي ﷺ. دون أن يراها أحد عليه مثل هذه الصفات الظاهرة أو الإرهاصات التي يراها عليها غيره. وإنما أمور يجدها هو فقط إلا ما أخبر بها غيره كزوجاته مثل ما نقلت عائشة رضي الله عنها في الرؤيا الصالحة.

القسم الثالث: الوحي بواسطة الإلهام

[1]- سورة الصافات، الآية 102

[2]- سورة يوسف، الآية 4

[3]- سورة يوسف، الآية 100

[4]- سيرة ابن هشام، 264/1، مصدر سابق.

[5]- أخرجه البخاري في صحيحه رقم 3، مصدر سابق

والإلهام ما وقع في القلب من علم[1]،حيث يقذفه الله في قلبه على أنه علم ضروري لا يستطيع دفعه ولا يجد فيه شكا[2]، ويمثله قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا...﴾ ويشمل هذا النوع تصرفات النبي ﷺ وما يصدر عنه من قول وفعل وإقرار واجتهاد وفتوى والحديث النبوي، وهو جزء من الوحيّ ويعتبر إلهام إلهي للنبيّ ﷺ؛ لأن حديثه كله شرع بعد النبوة وقد أوتي جوامع الكلام وفي حديثه جانب الإعجاز سواء في الأخبار الماضية أو الحاضرة أو المستقبلية وقد أخبر بأشياء في الماضي من أخبار الأمم السابقة وأكدت صحتها الكتب السمّاوية السابقة كالتوراة والإنجيل، وأخبر بأشياء أنها ستقع فوقعت كإخباره سراقة بأنه يلبس أساور كسرى وبأشياء أخرى تأكد منها في هذا العصر في عدة مجالات كالطب، وما يعرف بالإعجاز العلمي للسنة النبوية ومما يؤكد أن أقواله وحيّ بقوله تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[3]،وفي جانب كلامه وتصرفاته بيان للشرع، وإثبات للأحكام الشرعية لأن السنة هي المصدر الثاني للتشريع.

ثالثا: أنواع الوحي:

حيث ذكر ابن خمير في القول الثالث أن الوحي على أربعة أنواع وهي على قسمين الأول من حيث التركيب والثاني من حيث المحتوى:

أولا: من حيث التركيب

ونقصد به تركيب الكلام والنص من حيث اللفظ والمعنى وهو على ثلاثة أنواع:

1. الكتاب السماوي كالقرآن الكريم فلفظه ومعناه من الله تعالى.
2. الحديث القدسي فلفظه من النبي ﷺ ومعناه من الله تعالى.

[1]- الجرجاني، تعريفات، ص41، مصدر سابق

[2]- الزرقاني، مناهل العرفان، 56/1، مصدر سابق

[3]- سورة النجم، الآيتين3-4

3. الحديث النبوي فلفظه ومعناه من النبي ﷺ.

ثانيا: من حيث المحتوى

ونقصد به هنا محتوى الكلام والنص من جهة الأحكام والعلوم على أربعة أنواع والتي ذكرها ابن خمير في قوله الثالث (على وجه الأمر والنهي والخبر والاستخبار) وهي:

1. الأمر: قال ابن خمير"فالأمر ينقسم قسمين واجب ومندوب".[1]
2. النهي: قال ابن خمير"فالنهي ينقسم قسمين محظور ومكروه".[2]
3. الخبر:ويدخل تحته أخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الماضي قال ابن خمير:"وأما أخبار الأمم السابقة فمقتضبة من كتاب الله تعالى.."[3]،كذلك أخبار المستقبل كعلامات الساعة ويوم القيامة والجنة والنار،قال ابن خمير:"..وكذلك ما أخبر به الأنبياء من الجنة والنار والملائكة والموت والزبانية وغير ذلك مما وقع ويقع..."[4] وأمور الغيب بصفة عامة المتمثلة في قول ابن خمير الوعد والوعيد[5].
4. الاستخبار: هي كل الصيغ الإستفهامية التي وردت في الكتب السماوية كالقرآن الكريم والحديث النبوي والقدسي عموما.

الفرع الثاني: المعجزة

المعجزة هي إحدى أسس النبّوة وهي من أقوى الدلائل التي يشهدها الناس ويطلبها القوم لكي يصدقوا ما جاء به ويقرون له بالنبوة،وتأتي في المرحلة الثانية من الأسس التي تكون بعد البعثة

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص51، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص231

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص80، مصدر سابق

[5]- عرف ابن خمير كل من الوعد والوعيد فقال: "وأما الوعد فهو في اللسان بالخير...وأما الوعيد في اللسان فلا يقع إلا في الشر..." مقدمات المراشد، ص275-276، مصدر سابق

فهي تلي الوحي؛ لأن الوحي هو بداية علم الشخص المصطفى بنبوته ثم إثباتها للناس وسنتناول في هذا الفرع تعريفها ثم أنواعها.

أولا: تعريف المعجزة

تُعرف المعجزة من وجهين الأول لغة والثاني اصطلاحا

أ. المعجزة لغة:

من العجز وهو ضد القدرة، وهو عدم استطاعة الإنسان الإتيان بشيء معين[1] لقوله تعالى: ﴿...أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ...﴾[2]، عندما قتل قابيل أخيه هابيل وعجز عن دفنه،في التراب، فبعث الله إليه غرابا يعلمه كيف يدفن أخيه في التراب، بحيث قتل الغراب غرابا آخر ثم أخذ جثته، وحفر في التراب ودفنها لكي يُعلم قابيل ذلك فتعلّم قابيل منه ودفن جثة أخيه واستراح، ففي هذه الحالة الإنسان له قدرة على الأمر؛ ولكن لم تخطر على باله فكرة معينة لحل المشكلة فهنا عاجز من ناحية إيجاد الحل، ولكن عندما يعلمه غيره، فإنه بإمكانه أن يطبقه هذا من الناحية اللغوية.

ب.المعجزة اصطلاحا:

لقد عرفها العلماء بعدة تعريفات نجملها في التعريف التالي:

– أمر خارق للعادة يجريه الله على يد النبيّ يفوق طاقة البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة يتحدى النبيّ به قومه فلا يقدر أحد على معارضته.[3]

[1]– معجم متن اللغة،380/5، مختار الصحاح، ص413، تاج العروس، 405/30، الصحاح، 250/6، مصادر سابقة.

[2]– سورة المائدة، الآية 31

[3]– إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص150،شرح المقاصد 11/5 شرح المواقف،246/8،موسوعة الأديان الميسرة،ص453،مصادر سابقة.

– ويقول الجرجاني:" المعجزة أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول من الله"[1]

تعريف ابن خمير: لم يصغ ابن خمير تعريفا خاصا للمعجزة، ولكن يمكننا استنتاجه من خلال كلامه على المعجزة كدليل على النبوة، وما ذكره من شروطها.

القول الأول:"أولا أن تسمية ما ينخرق من العوائد في الأفعال عند إدعاء الأنبياء عليهم السلام النبوة معجزة تجوزا في انتساب الإعجاز إليها، وكذلك تسمية المتحدى لهم عاجزين، فإنهم لا يعجزون عن معارضة النبي حقيقة، فإنه لم كان ذلك، لوجدت المعارضة في محلهم ضرورية والعجز مقترن بها، لكون العجز مقارن للمعجوز عنه، متعلق له في محل العاجز كما بيناه عند ردنا على القدرية، فالمعنى بالإعجاز إنما هو الإنبائي عن امتناع المعارض، لا عن العجز الذي هو ضد القدرة، وقد يسمى الغبي الكسلان عاجزا مجازا ولم يقم به عجزه..."[2]، حيث بين معنى الإعجاز والمعجزة والذي يقع عليه الإعجاز هو امتناع المعارضة، ويسمى ما ينخرق من العوائد معجزة،وللمعجزة عدة أسماء منها الآية لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾[3] وتسمى كذلك برهان لقوله تعالى:﴿...فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ...﴾[4]، وتسمى كذلك بالبينة[5] لقوله تعالى:﴿...هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾.[6]

[1]– الجرجاني، التعريفات، ص 215، مصدر سابق

[2]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص212، مصدر سابق

[3]– سورة الإسراء، الآية 101

[4]– سورة القصص، الآية 32

[5]– ابن تيمة، النبوات، تح: عبد العزيز صالح الطوبال، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية، 2000م، 225/1

[6]– سورة البقرة، الآية 185

القول الثاني: قال ابن خمير:"أن يأتي في زمان تصح فيه النبوة فيدعي النبوة ويتحدى الناس بالمعجزة فيفعلها الله له على وفق دعواه"[1]،وفي موضع آخر قال: "أنا نبي ثم يأتي بالمعجزة تصدق قوله".[2]

القول الثالث: قال ابن خمير:"للمعجزة أوصاف هي شروط في صحتها فيتعين على المكلف الإحاطة بها، وهي أربعة أوصاف ان تكون فعلا لله تعالى من غير كسب العبد، وأن يخرق بها المعتاد من أفعال، وأن يسبق وقوعها دعوى النبي لها، وان لا يفعل الله تعالى لمعارضة فيها فعلا يناقض دعوى النبي فيها، فإذا كملت هذه الأوصاف الأربعة صحت المعجزة".[3]

تعريف المعجزة عند ابن خمير

من خلال عرض أقواله في المعجزة وكلامه عن شروط المعجزة[4]، وحديثه عن دلالة المعجزة على النبوة[5]، نستنتج تعريفه للمعجزة إصطلاحا كالآتي:(المعجزة هي أمر خارق للمعتاد من فعل الله تعالى يجريه على يد نبيه ﷺ من غير كسب منه على وفق دعواه يتحدى بها الناس دون قدرتهم على المعارضة وذلك لتصديق قوله).

ثانيا: أنواع المعجزة

تنقسم المعجزة بصفة عامة إلى قسمين القسم الأول المعجزة الحسية، والقسم الثاني المعجزة المعنوية، وسنذكر أمثلة على ذلك للتوضيح، وذلك بعد عرض أقوال ابن خمير في هذا الموضوع:

القول الأول: قال ابن خمير"وهي أن معجزة القرآن العظيم زادت على سائر المعجزات بأشراف تقدمت به عليها من ثمانية أوجه أحدها أنه تحدى به العرب وهو بلسانهم الذي كانوا به يتفاهمون

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص185، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص212

[4]- سنتحدث عن التفصيل في هذه الشروط في الفصل الأخير من الرسالة عند حديثنا عن طرق إثبات النبوة

[5]- سنتحدث بالتفصيل عن هذه الطرق عند ابن خمير في الفصل الأخير من الرسالة.

ويتخاصمون ويتهاجون ويتمادحون فعجزوا عن معارضته ونكلوا وأقروا بذلك مع أنه من تكليف ما يطاق على أصل الجواز كما تقدم بخلاف سائر المعجزات، الثاني أنه عليه السلام تلفظ به مكتسبا،فكان له في كل حرف عشرة حسنات وكذلك لأمته بخلاف سائر المعجزات كقلب العصا وأحياء الموتى إلى غير ذلك لكونها لا تدخل تحت كسب المتحدين بها ولا المتحدى لهم الثالث انه تحدى به جمهور العقلاء من أهل الأرض والسماء بدليل قوله تعالى: ﴿...وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، والرابع أنه تحدى مع طول الأيام إلى يوم القيامة... وليس سائر المعجزات كذلك، بل أعربت عن صدق صاحبها ثم إنصرمت بزمانها".[2]

القول الثاني: قال ابن خمير في شعره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

وأنزل الله قرآنا يطهرنا مازاد *** من الخبائث في الآصال والبكر

في العمر بدت فيه بينة يبلي *** تبدي شبيبته في غابر العصر وذا

الجديد على كر الجديد له هذا *** يجـــــدد في أيامـــــه الغـــــبر

لأحمد من أقوى دلائله *** فوق الذراع ونبع الماء والقمر.[3]

القول الثالث:قال ابن خمير في خصائص معجزة القرآن وما يميزها عن المعجزات الأخرى "السابع: أنه أثبت سائر معجزات الأنبياء على القطع لكونه لم يدخله الريب في التبديل، فكأنك ترى عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى، وكأنك ترى موسى يفلق البحر ويخرج يده البيضاء

[1]- سورة هود، الآية 13

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص252- 253، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص255، وتنزيه الأنبياء، ص87-97، مصادر سابقة

ويقلب الخشب حية تسعى، وكذلك صالح في خروج الناقة من الصخرة، وإبراهيم وناره الجحيم وهود وريحه العقيم...إلى غير ذلك".[1]

القول الرابع: وفي مدحه للسيدة مريم عليها السلام في شعره قال:

كما مس أيوب اليبيس برجله *** ففارت عيون طهرته من الصخب

ومس كليم الله بالعود صخرة *** ففجر من أرجائها الماء فانسكب

ومس المسيح الطين بالخلق فانتشا *** طيورا بإذن الله أحياها تضطرب

ومست يمين المصطفى الماء نطفة *** ففاضت عيون الماء من خلل العصب.[2]

من خلال أقواله السابقة نستنتج أنه قسم المعجزة على نوعين أساسيين حسية ومعنوية

القسم الأول: المعجزة الحسية

وهي التي يراها النّاس، ويلمسها وهي الغالب في معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد ذكر القرآن الكثير منها، وكذلك ما جاءت به السنة والأحاديث والسيرة النبوية ومما ساقه ابن خمير من أمثالها:معجزة موسى عليه السلام كالعصا التي تنقلب ثعبان وإخراج يده بيضاء من جيبه وتفجيره بعصاه ينابيع الماء، ومعجزة عيسى عليه السلام كإبراء الأبرص والأعمى وإحياء الموتى وخلق الطير من الطين، ومعجزة محمد ﷺ كنبع الماء من بين يديه وتكثير الطعام وانشقاق القمر، وومعجزة صالح عليه السلام خروج الناقة من الصخرة، ووومعجزة هود عليه السلام الريح العقيم، ومعجزة أيوب عليه السلام في ضربه برجله الأرض فإنفجر الماء وتطهر به وبرئ من مرضه، وغيرها من المعجزات الحسيّة له وللأنبياء الآخرين.[3]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص254، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص180، مصدر سابق

[3]- وقد فرق ابن خمير بين المعجزة الحسية وبين الخوارق الأخرى التي يوهم أنها تشبهها منها في الجانب السلبي كالسحر والخوارق التي يأتي بها الدجال في آخر الزمان، ومنها في الجانب الإيجابي كالكرامة، وقد خصص ابن خمير فصلا للحديث عن

القسم الثاني: المعجزة المعنوية (العقلية)

وهي ليست حسيّة يراها الناس ويلمسها ولكنها تخاطب العقول وتظهر آثارها فيما بعد كالقرآن الكريم وهو أكبر معجزة عقلية وفي إثبات ذلك قال (والأولى بنا أن نقدم الكلام في الإثبات، معجزة القرآن العظيم وكونه أم المعجزات ورأس البينات والخارق للعادات) حيث بين ابن خمير خصائص هذه المعجزة وامتيازها عن بقية المعجزات الحسية السابقة حيث عدها ابن خمير ثمانية خصائص حيث تفرد بها عن بقية علماء العقيدة وأهل الكلام فقال:"زيادة إكمال أغفل أكثرها المتكلمون وهي أن معجزة القرآن العظيم زادت على سائر المعجزات بأشراف تقدمت به عليها من ثمانية أوجه..."[1]، وقد ذكرنا منها بعض الأوجه في القول الأول منها أنه تحدى العرب وفصحائها الإتيان بمثله واستمر إعجازه في الاكتشافات العلمية والشرعية والغيبية وقدتحققت كثير منها وما زال التحدي مستمر إلى قيام الساعة.

تعتبر النبوة منحة إلهية يهبها الله تعالى لمن يشاء فهي اصطفاء من الله تعالى ولا يمكن اكتسابها بالعمل والقربة إلى الله تعالى كالولاية مثلا فإنه يمكن اكتسابها بالعمل الصالح كماقال ابن

الفرق بين المعجزة والغيرها من الخوارق الأخرى حيث فرق بين المعجزة الخاصة بالنبوة واعتبرها هي الأقوى وغيرها من الخوارق الأخرى حيث قال (والذي تصح به التفرقة بين الكرامة والمعجزة أنه أمر مجموع من الخرق ودعوى النبوة قبل الخرق ووقوع الخرق على الوجوه الذي تقدمت فإذا وقعت على ترتيبها وتوفر شرائطها فحين إذ تكون معجزة...)،ثم قال في التفرقة بين السحر والكرامة والمعجزة (وأما صحة التفريق بينه وبين المعجزة فعلى الوجه الذي تقدم في تفريق الكرامة من المعجزة حرفا بحرف وهو إدعاء الساحر أنه ساحر فلو إدعى النبوة لم يقع له الخرق بالسحر لتساوي دعواه بدعوى النبي وهو كاذب)،وقال في التفرقة بين المعجحزة والخوارق التي تظهر على الدجال (ولا تقدح دعوى الدجال في النبوة لأنه لم يدعيها فلو إدعى النبوة لم تخرق له العادة)، ينظر للمزيد مقدمات المراشد، ص222-237

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص252، مصدر سابق

خمير "...فإن غير النبي من الأولياء قد يصح منه ذلك..."، وقد بينا أن للنبوة من حيث التعريف اللغوي والإصطلاحي مدلول تمثل في عدة معاني وهي الإخبار والإعلام والرفعة والنيابة والتأييد، وأن للنبوة خصائص تتعلق بذات النبي ﷺ وهي الصفات ومن ما كانت خارجة عن ذاته كالوحي والمعجزة وهناك خصائص وظيفية تتمثل في مهام الأنبياء عليهم السلام كالتبليغ والدلالة على الطريق والهدف من هذه المهام تلبية لحاجة الإنسان وأهمها السعادة الدنيوية والأخروية، وأن النبوة تقوم على أربعة أسس هي الاصطفاء والصفات وهي قبل البعثة وأما بعدها فأساسان الوحي والمعجزة فلا يمكن تصور نبوة دون هذه الأسس لإحتوائها على دلائل النبوة وخاصة المعجزة باعتبارها أقوى دليل على إثبات صدق النبوة، هذه أهم المفاهيم الأساسية للنبوة وأسسها التي تقوم عليها من منظور ابن خمير وهي تمهيدا لما سنتناوله في موضوع العصمة في الفصل الموالي.

الفصل الثاني

العصمة مفهومها ومجالها عند ابن خمير

المبحث الأول: مفهوم العصمة

المطلب الأول: تعريف العصمة

المطلب الثاني: خصائص العصمة

المبحث الثاني: مجال العصمة

المطلب الأول: المجال الزمني

المطلب الثاني: المجال الفعلي

تمهيد:

العصمة هي إحدى الصفات الأساسية للنبوة وتمثل قرينة لها، فهي تنشأ مع ميلاد النبي عليه السلام وتبقى معه حتى وفاته وهي ظاهرة أخلاقية تمثل جانب الأخلاق النفسية الباطنية والأخلاق الاجتماعية الظاهرية والتي يشاهدها الناس في الواقع وهذه الصفة خص الله تعالى بها أنبيائه عليهم السلام عن بقية البشرية لتمييزهم عنهم ورفعهم عليهم كذلك ومكانتهم العلية عند الله تعالى لكي يستدلوا بها على نبوتهم، فما مفهوم العصمة وما حدود مجالها؟.

من خلال هذا الفصل يمكننا الإجابة عن هذا التساؤل وذلك في مبحثين الأول نخصصه لمفهوم العصمة وهو في مطلبين الأول تعريفها والثاني خصائصها وأما والمبحث الثاني أخصصه لمجال العصمة وهو على مطلبين الأول يمثله المجال الزمني وهو على مرحلتين قبل النبوة وبعد النبوة، والثاني يمثله المجال الفعلي وهو على ثلاثة فروع كبائر وصغائر وأعراض، وسنفصل القول في ذلك.

المبحث الأول

مفهوم العصمة

سنتناول في هذا المبحث تعريف العصمة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم نستخلص خصائصها.

المطلب الأول: تعريف العصمة

ونقسم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع الأول التعريف اللغوي والثاني الإصطلاحي والثالث العلاقة بينهما.

الفرع الأول: تعريف العصمة لغة

العصمة من عصم عصمة يعصمه عصما أي منعه ووقاه، وهو الأصل في معناها والعصمة في كلام العرب المنع، وكذلك أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه.[1]

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ العصمة في عدّة آيات قرآنية بالمعنى اللغوي منها قوله تعالى حكاية عن ابن نوح عند الطوفان عندما طلب منه أبوه عليه السلام الركوب معه في السفينة فقال له ابنه:﴿...سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...﴾[2]، أي: يمنعني من الماء، بمعنى من تغريق الماء، فردّ عليه أبوه بقوله:﴿...لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ...﴾[3]، أي لا مانع من الماء،

---

[1]- معجم متن اللغة، 124/4، مختار الصحاح، ص 232، تاج العروس،7/ 317، الصحاح،ص916، لسان العرب 354/4، مصادر سابق، علي إسماعيل بن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: مصطفى السقا وحسين نصار،ط1 1958م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) 284/1 أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد الرحمان مخيمر، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت، ط2004/1م، 477/1، نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري،ومن معه، دار الفكر المعاصر،بيروت ط1، 1999م،4565/7.

[2]- سورة هود، الآية 43

[3]- سورة هود، الآية 43

وفعلا حدث له الغرق ولم يمنعه الجبل من الغرق في الماء، وهذا هو أمر الله تعالى الذي يمنعه منه أي بسبب من الأسباب التي تمسك بها، قال ابن خمير في تفسير الآية "وفي إيبائه أن يركب مع أبيه السفينة مع عقوق أبيه والرد عليه واعتصامه بغير السفينة، دليل على إثبات كفره إذ لو صدق أباه في أن النجاة في السفينة والهلاك في غيرها لم يقل ذلك"، وفي قوله أيضا"مع اعتقاده أن الجبال تعصم من الماء تسفيه حلم أبيه، إذ لو كان الاعتصام بغير السفينة، لكان الاعتصام بالسفينة سفها من جهة الضيق والتغرير، ونوح عليه السلام أعلم الناس بهذه الوجوه..."."[1] حيث بين ابن خمير أن معنى الاعتصام هنا المنع من الجانب اللغوي.

وكذلك حكاية عن إمرأة العزيز في شأن يوسف عليه السلام عندما طلبت منه فعل السوء فحكى القرآن ذلك قال تعالى:﴿...وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...﴾.[2]

قال أصاحب اللغة:"فاستعصم أي فأبّى عليها،ولم يجبها إلى ما طلبت منه، واعتصم واستعصم بمعنى امتنع وأبّى، واستعصم به إذ تقوّى وامتنع"[3]،فالعصمة هنا بالمعنى اللغوي تعني: الامتناع.

وقد ورد في الحديث لفظ العصمة بمعنى المنعة قال رسول الله ﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم"[4]،حيث ورد اللفظ بالمعنى اللغوي عصموا بمعنى منعوا.

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص112، مصدر سابق

[2]- سورة يوسف، الآية 32

[3]- لسان العرب354/4، تهذيب اللغة،477/1، معجم متن اللغة،124/4، تاج العروس 317/7،الصحاح، ص916 المحكم والمحيط 284/1 مصادر سابقة.

[4]- رواه البخاري في صحيحه برقم 25، مصدر سابق

والعصمة تعني كذلك الاستمساك لقوله تعالى:﴿...وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، قال صاحب اللسان:"أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه عصم بمعنى استمسك،يقال عصمه الطعام أي منعه الجوع"[2]،لأن الإنسان أو الحيوان أو أي كائن حيّ إذا لم يأكل فإنه يجوع أو إذا لم يشرب فإنه يصيبه العطش، ويؤدي به إلى التهلكة والموت ولذا من حكمة الله تعالى أن جعل الأكل يمنعه من الجوع، والشرب يمنعه من العطش.

وهناك ألفاظ أخرى تدور في معنى العصمة وهي كالآتي:

- لفظ الحفظ، والحفظ لغة: هو صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك[3]، والعصمة: الحفظ.[4]
- لفظ الرعاية، والرعاية لغة: هي فعل السبب الذي يصرف المكاره عن الشيء.[5]
- لفظ الحراسة، والحراسة لغة هي صرف الآفات عن الشيء قبل أن تصيبه صرفا مستمرا.[6]

فالحراسة هي الحفظ المستمر ودوامه

- لفظ الحماية، والعاصم هو الحامي والمانع[7].
- لفظ الصون[8]، وهي الحماية والمنعة.

- **فروق ابن خمير بين العصمة والألفاظ التي تدور حولها:**

---

[1]- آل عمران، الآية 101

[2]- لسان العرب 354/4، مصدر سابق

[3]- العسكري، الفروق اللغوية، ص 150، مصدر سابق

[4]- متن اللغة، 125/4، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 150

[6]- المصدر نفسه

[7]- الفروق اللغوية، ص 151، متن اللغة، 125/4، مصادر سابقة

[8]- رضا ديب عواضة، قاموس المترادفات والأضداد، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط/2009، ص 69

حيث فرق ابن خمير بين العصمة واللطف والحفظ، قال ابن خمير: "وأما اللطف في الشرع هو خلق القدرة على الطاعة التي هي سبب التنعيم في الآخرة، فإذا كان متصلا سمي عصمة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وحفظا في حق الأولياء رضي الله عنهم، والفرق بينهما أن المعصوم لا يعصي ولا يجوز أن يعصي إجماعا وأصله في اللسان (التوفيق والعصمة) والمحفوظ لا يعصي يجوز أن يعصي إجماعا، وأصله في اللسان (فعل الخير بالمطلوب به على أي وجه كان)"[1] إذن فالعصمة لها عدة ألفاظ ومترادفات وهي: الحفظ،الرعاية،الحراسة، الحماية الصون والمنع والوقاية، وإن كان هناك فروق طفيفة بين هذه الألفاظ[2] وبعضها مترادف مع البعض[3]. فكل هذه الألفاظ تدور حول لفظ العصمة والمنعة؛ إذن فالعصمة في اللغة لفظة جامعة مانعة حيث تشمل جميع الألفاظ التي تؤدي إلى معنى المنع، وكذلك مانعة كل الألفاظ التي تؤدي إلى ضدها كالإهمال واللامبالاة والتعريض والإضاعة.[4]

الفرع الثاني: تعريف العصمة اصطلاحا

سنعرض في هذا الفرع تعريف العصمة في الاصطلاح، ثم نأتي بتعريف ابن خمير .

أولا: تعريف العصمة عند علماء الاصطلاح والعقيدة

قال الجرجاني:"العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها..".[5]

قال التهانوي:"العصمة ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الفجور".[1]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص274، مصدر سابق

[2]- العسكري، الفروق اللغوية حيث فرّق بين بعض هذه الألفاظ (الفرق بين الحفظ والرعاية، الفرق بين الحفظ والحماية) والفرق بين (الحفظ والحراسة) للمزيد ينظر الفروق للعسكري، ص 150، 151، مصدر سابق

[3]- حيث جعل صاحب قاموس المترادفات كل من اللفظين(الحماية- الصون) لفظان مترادفان للمزيد ينظر القاموس لرضا ديب عواضة، ص 69 مصدر سابق

[4]- قاموس المترادفات، ص 69، الفروق للعسكري، ص 150، مصادر سابقة.

[5]- الجرجاني، التعريفات، ص 153، مصدر سابق

وعرّفها صاحب المعجم الإسلامي بقوله:"العصمة هي حفظ الله تعالى لأنبيائه أولا بما خصهم به من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم ثم إنزال السكينة عليهم، وبحفظ قولهم وبالتوفيق".[2]

وعرّفها صاحب شارح الشفا للقاضي عياض بأنها:"لطف من الله تعالى يحمل النبيّ على فعل الخير، ويزجره عن الشرّ مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء.."[3].

والعصمة عند الأشاعرة هي:"ألا يخلق الله في العبد ذنبا"[4]، قال الإيجي: "في حقيقة العصمة وهي عندنا أن لا يخلق الله فيهم ذنبا"[5]، وكذلك عرّفت عندهم بأنها: "خلق قدرة الطاعة"[6].

ففي التعريفات السابقة نلاحظ أن تعريف الجرجاني بأن العصمة عبارة عن ملكة يخلقها الله تعالى في النبيّ حتى تمنعه من ارتكاب المعاصي رغم التمكن من فعلها، وأما تعريف التهانوي قريبة من تعريف الجرجاني حيث ركز على وجود ملكة نفسانية مخلوقة في النبيّ تمنعه من إتيان الفجور ولكنه أهمل عبارة التمكن من إتيان الفجور باعتباره بشر، أما تعريف صاحب كتاب شرح الشفاء فعرّفها على أنها لطف ومنّة من الله تعالى يلهم النبيّ على فعل الخير ويمنعه من فعل الشرّ؛ ولكنه مع بقاء الاختيار وذلك لتحقيق الابتلاء باعتباره بشر معرّض للابتلاء، وكذلك له إرادة واختيار وليس جبرا، وأما عند الأشاعرة فقد عرفوها: أن الله تعالى لا يخلق في النبيّ ذنبا وأن يخلق فيه القدرة على الطاعة حيث ينفى عنه الذنوب بعدم خلقها فيه، وتكون له قدرة على فعل الطاعات فقط.

---

[1]- التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، 1047/4، مصدر سابق

[2]- زيدان عبد الفتاح قعدان،المعجم الإسلامي،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،عمان،ط3،2012،1/1415-1417

[3]- شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1327هـ 546/3.

[4]- التعريفات للجرجاني، ص 153، مصدر سابق

[5]- شرح المواقف، 306/8، مصدر سابق

[6]- التعريفات للجرجاني، ص 153، مصدر سابق

وهذه التعريفات السابقة نلاحظ أنها ترتكز على أمور عدة وهي كالآتي:

- جانب سلبي وهي سلب الذنوب والشرور من ذات النبيّ وذلك بعدم وجودها في نفسه وقلبه وهذا هو معنى المنع.
- جانب إيجابي وهي إيجاد جانب الخير والطاعات في ذات النبيّ وهذا مضاد للجانب السلبي
- وجود ملكة تحثه على اجتناب المعاصي
- لطف من الله تعالى يحمله على اجتناب الشرّ وفعل الخير.
- حفظ الله تعالى نبيّه عليه السلام في الباطن والظاهر من التلبس بالمعاصي
- بقاء الاختيار لدى النبيّ عليه السلام في أفعاله باعتباره بشر
- تحقيق الابتلاء للنبيّ عليه السلام لأنه مكلف شرعا.

ثانيا: تعريف ابن خمير للعصمة

لقد عرّف ابن خمير العصمة كالآتي: قال ابن خمير في تعريفها:(**العصمة وهي أن يخلق الله تعالى لهم القدرة على الطاعات ولا يخلق لهم القدرة على المعصية**)[1]،حيث ركز ابن خمير في تعريف العصمة على جانبين الجانب الإيجابي وهو خلق الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام قدرة على الطاعات، والجانب السلبي عدم خلقه تعالى لهم قدرة على المعاصي فنلاحظ هنا في تعريفه أن معنى العصمة يقتصر على فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ومقارنة مع التعاريف السابقة نجد أن تعريفه قريب من تعريف الأشاعرة عندما ركزوا على خلق الله تعالى في العبد القدرة على الطاعة في الجانب الإيجابي وعدم خلقه تعالى في العبد القدرة على ارتكاب الذنب في الجانب السلبي؛ فنجد في تعريفه أنه لم يورد بقاء الاختيار وذلك تحقيقا للابتلاء وهذه العبارة أوردها أغلب من عرّف العصمة عند المتكلمين، وأما أصحاب الاصطلاح فقد ركزوا على الجانب السلبي فقط وهو المنع

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدر سابق

من ارتكاب المعاصي وعبروا عنها بأنها ملكة في نفس النبيّ عليه السلام تمنعه من الفجور والمعاصي أو أنها لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير واجتناب الشر.

الفرع الثالث: العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي:

نجد في التعريف اللغوي التركيز على الجانب السلبي وهو المنع وكل المعاني اللغوية تدور حول المنع، أما في التعريف الاصطلاحي هناك تعاريف ركزت على الجانب السلبي وهو المنع كتعريف الجرجاني (ملكة اجتناب المعاصي) وتعريف التهانوي (ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الفجور)، وأما التعاريف الأخرى فأغلبها يركز على الجانبين السلبي وهو المنع من فعل المعصية والجانب الإيجابي وهو فعل الخير، وأما تعريف ابن خمير فعبّر عنها بوجود قدرة تحمله على فعل الطاعة وعدم وجود القدرة على فعل المعصية.

والعبارة الثانية وهي (عدم القدرة على فعل المعصية) تدل على المنع من ارتكاب المعاصي فتعريفه يدل على أن للنبيّ عليه السلام قدرة واحدة وهي قدرة الفعل للطاعة.

إذن فالعلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي نجد أن التعريف الاصطلاحي أشمل وأعمّ ويحتوي على اللفظ اللغوي الذي يعني المنع فالعصمة في الاصطلاح تمثل فعل الخير واجتناب فعل الشرّ، جانب الاجتناب يمثل لفظ المنع لغة، وابن خمير عبّر عن المنع بعدم خلق الله تعالى في النبيّ عليه السلام قدرة على المعصية.

المطلب الثاني: خصائص العصمة وعلاقتها بلفظي (التنزيه والأمانة)

سنتناول في هذا المطلب خصائص العصمة، ثم علاقة العصمة بلفظي (التنزيه، الأمانة) وذلك في فرعين:

الفرع الأول: خصائص العصمة:

من خلال التعريف الاصطلاحي وتعريف ابن خمير يمكننا استنتاج خصائص العصمة كالآتي:

- أنها إحدى الصفات الأساسية للنبيّ ﷺ، قال ابن خمير عند شرحه لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾[1]، "...ثم شرفه علينا بالوحي والاصطفاء والعصمة...".[2]
- أنها إحدى دلائل النبوة قال ابن خمير في رده على المعتزلة في كلامه عن المعجزة "... وعصمتهم من الخطأ والخطل، دليل على صحة نبوتهم.."[3]،قال ابن خمير في رده على اليهود "وأقرب ما يرد به على هذا الصنف أن يقال لهم:(أنتم قد أقررتم بنبوتهم عليهم السلام) وإذا صحت وجب أن يستحيل الكذب الذي يناقض دليل المعجزة"[4] حيث بين عن طريق نفي النفي[5]،وهو عصمتهم من الكذب وهو إثبات عكسه وهو الصدق عن طريق المعجزة ومنه إثبات النبوة.
- أنها تسلب عنهم أضداد الصفات الأربعة "الفطانة، الأمانة، الصدق، التبليغ" حيث يستحيل وصفهم بـ "البلادة، الخيانة، الكذب، الكتمان".
- أن من شروط صحتها إتصافهم بالصفات المناسبة، قال ابن خمير في معرض رده على المعتزلة وبعد ذكره للصفات التالية: "... وإطراد ما يأتي به من الاستقامة قولا، وفعلا، وحالا وسلامة ما يبلغه عن الله تعالى من التناقض..." قال:"...لكنها –أي الصفات المذكورة سابقا– شروط في صحة عصمته...".[6]

---

[1]– سورة الكهف، الآية 110

[2]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 199، مصدر سابق

[3]– المصدر السابق، ص 221

[4]– المصدر السابق، ص 242

[5]– لأن القاعدة العقلية والمنطق يقولان (أن نفي النفي إثبات)، ينظر: المعجم الفلسفي لليعقوبي، ص234، مصدر سابق

[6]– ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 221، 222، مصدر سابق

- أنها لطف من الله تعالى خصّ به أنبيائه عليهم السلام، قال ابن خمير: "وأما اللطف في الشرع هو خلق القدرة على الطاعة التي هي سبب التنعيم في الآخرة، فإذا كان متصلا سمي عصمة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.[1]
- أنها ملكة يخلقها الله تعالى في ذات النبيّ عليه السلام
- أنها تحمل جميع المعاني اللغوية الدالة على المنع
- أن من شأنها أن تمنع النبيّ عليه السلام من المعاصي
- أنها لا تعدم الاختيار في ذات النبيّ عليه السلام
- أنها ميزة تميّز بها النبيّ عليه السلام عن غيره من البشر
- أنها لا تعدم سلامة الابتلاء على النبيّ عليه السلام
- أنها تحفظ بواطن وظواهر النبيّ عليه السلام من التلبس بالمعاصي
- أنها قدرة خلقها الله تعالى في النبيّ عليه السلام لفعل الطاعة
- من خصائصها عدم وجود القدرة في النبيّ لفعل المعاصي
- أنها تمثل طهارة النبيّ عليه السلام ونزاهته من المعاصي والفجور
- أنها تبعد الشيطان عليه وعدم الوسوسة بالشرّ
- أنها إلهام من الله تعالي يحثه على فعل الطاعة واجتناب المعصية
- أنها تمثل حماية الله تعالى له ظاهرا وباطنا في ذاته من التلبس بالمعاصي. وكذلك حمايته من الغير بكل معانيه ماديا ومعنويا.

الفرع الثاني: العصمة وعلاقتها بلفظي التنزيه والأمانة:

[1]- المصدر السابق، ص274

قبل إيراد العلاقة بين المصطلحات الثلاثة (العصمة، التنزيه، الأمانة)نعرّف كل من الأمانة والتنزيه لغة واصطلاحا، ثم إيراد العلاقة بين المصطلحات الثلاثة.

أولا: الأمانة لغة وإصطلاحا

أ- لغة: هي الثقة، ويقال ناقة أمون أي وثيقة الخلق أي يؤمن فتورها وعشارها وهو مجاز (أي الموثوقة الخلق التي آمنت أن تكون ضعيفة)، وأمنة مأمون أي به ثقة وآمِنُ الحِلم أي وثيقة الذي قد آمن اختلاله وانحلاله، والآمنةُ هو الذي يثق بكل أحد والأمانة كذلك هي النيّة التي يعتقدها الإنسان في الدين، فيما يظهره باللسان من الإيمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر؛ لأن الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لأحد خلقه فمن أظهر التوحيد ومن التصديق مثل ما أظهر فقد أدىّ الأمانة، وتطلق كذلك على الأهل والمال المودع[1].

ب- إصطلاحا: وقد عرفها شارح جوهرة التوحيد كما يلي:

"هي حفظ الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم من التلبس المنهى عنه، ولو نهي كراهة، أو خلاف الأولى"[2]. وقد ورد لفظها في القرآن الكريم كصفة للنبوة قوله تعالى:﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[3].

[1]- تاج العروس، 288/1، مصدر سابق، وقد تناولت الأمانة في الصفات المناسبة للنبوة في الفصل الأول على أنها صفة خلقية اجتماعية لها علاقة بالناس والمجتمع.

[2]- الباجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تح، علي جمعة محمد الشافعي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، مصر 2002، ص75.

[3]- الشعراء، الآية موجودة في الآيات 107، 125، 143، 162، 178 وفي سورة الدخان، الآية 18.

فعندما نلاحظ العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي نجد أنها في اللغة هي الثقة، وفي الاصطلاح أن الله تعالى إئتمن نبيه ﷺ ووضع فيه الثقة لتبليغ دينه، وأن يكون قدوة للبشر، ومنه فإنه لا يأتي بالمعاصي في الباطن ولا في الظاهر، فالأمانة صفة تلازم النبيّ ﷺ بتوفيق الله له وعنايته له حتى يلتزم الصدق، ويبتعد عن الكذب ويلتزم فعل الخير، ويبتعد عن فعل الشرّ، ولا يخون هذه الأمانة التي أودها الله فيه.

ثانيا: التنزيه لغة واصطلاحا

أ- **لغة:** هو التبعيد من نزّه بعدّ وتباعد ونزه كذلك كرّم، فلان ينزه نفسه عن الأقذاري أي يباعدها عنها، رجل نزه الخلق، أي عفيف متكرم، والنزاهة البعد عن السوء نزّه الرجل باعده عن القبح ، ونزه نفسه أي رفعها عن الشيء تكرّما ورغبة عنه، رجل نزيه، أي ورع يتنزه عن ملائم الأخلاق، أي يرتفع عما يذم منها[1].

إذن فالتنزيه في اللغة هو الابتعاد عن السوء وكل ما يعيب وينقص.

ب- **اصطلاحا:** هذا المصطلح خاص بالصفات الإلهية قال الجرجاني:"التنزيه عبارة عن تبعيد الربّ عن أوصاف البشر".[2]

وقال صاحب التاج:"إذا أطلق (التنزيه) على البارئ تعالي يقصد به التقدس عن الأنداد وعما لا يجوز عليه من النقائص".[3]

[1]- الزبيدي، تاج العروس، 152/10 (نزه) مصدر سابق

[2]- التعريفات، ص 74، مصدر سابق

[3]- تاج العروس،153/10، مصدر سابق.

وقد أطلقه علماء العقائد على الأنبياء عليهم السلام (تنزيه الأنبياء)[1]. وأورده عياض في الشفاء فقال:"فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات"[2].

ويقصد بمصطلح التنزيه بالنسبة للنبوّة هو تبعيد النبيّ ﷺ عن الأوصاف التي لا تليق به وهي الصفات التي تستحيل في حقهم (البلادة، الكذب، الخيانة، الكتمان) وهي ضد الصفات الواجبة لهم، والتي سبق ذكرها.

ثالثا: بيان العلاقة بين العصمة والتنزيه والأمانة

هناك من عبّر عن العصمة على أنها هي:"الأمانة[3]فتعتبر العصمة هي نفسها الأمانة،وهناك من ذكر أن العصمة جزء من الأمانة[4]،فالعصمة تدخل في صفة الأمانة.

وابن خمير عندما تحدث عما يجب ويستحيل ويجوز في حق الأنبياء عليهم السلام لم يذكر مصطلح الأمانة وإنما ذكر مصطلح العصمة وعرّفها على أنها قدرة على الطاعة وعدم المعصية وكذلك أورد مصطلح التنزيه في عدة مواطن نذكر منها على سبيل المثال كالآتي:

قوله:" ... ووصف أنبيائه بالصدق والعصمة والتنزيه عن الخطأ والخطل[5].."[6]

[1]- منها كتاب ابن خمير، تنزيه الأنبياء، وللسيوطي كتاب تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء.

[2]- الشفا، 90/2، مصدر سابق

[3]- حبنكه الميداني، العقيدة، ص 336

[4]- الخن ومستو، العقيدة، ص 291

[5]- الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب، مختار الصحاح، ص104، المصباح، ص112، مصادر سابقة

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 46، مصدر سابق

هنا نجده ذكر المصطلحين معا (العصمة، والتنزيه) وفي موضع آخر قال:"شرح هذه الأقوال وما يضاهيها من القصص الموعود بها على مذهب من قال بتنزيه الأنبياء عليهم السلام عن الصغائر...".[1]

وأما حديثه في فصل خاص بما يجوز وما يستحيل وما يجب للأنبياء عليهم السلام، فعقد تحته عنوان باسم (عصمة الأنبياء) وهنا ذكر مصطلح العصمة صراحة على أساس أنه من الأمور الأساسية التي تجب للأنبياء عليهم السلام[2]

وفي مواضع أخرى يذكر مصطلح العصمة منها قوله:" ..وقيّض لنا من السادة الأعيان المؤيدين بواضح البرهان، المعصومين من كل صغيرة وكبيرة من اللمم والعصيان.."[3].

فابن خمير عبّر بالمصطلحين معا،فمرة يعبر بالتنزيه،ومرة بالعصمة،ومرة يجمع المصطلحين معا في عبارة واحدة كما ذكرنا سابقا، نستنتج أنهما لفظان لمعنى واحد عنده.

ولكن نجد من تحدث عن العصمة على أنها أشمل من الأمانة والتنزيه باعتبار أن الأمانة حفظ الباطن والظاهر من المنهيّات وهي المعاصي والذنوب وكل ما هو قبيح،وأن التنزيه هو عبارة عن تبعيد كل ما هو نقيضة في حقهم، وأما العصمة فهي تشمل حفظهم من المعاصي باطنا وظاهرا وهذا يدخل في العمل الكسبي زيادة على ذلك حفظهم من الغير، مما لا يدخل في الكسب كحفظهم من القتل وأعمال الاغتيال كما حفظ الله تعالى عيسى عليه السلام فرفعه إليه وإبراهيم عليه السلام من الاحتراق بالنار، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾[4]،وهي شاملة لكل ما يؤذيه.

---

[1]- المصدر السابق، ص 57

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 256، مصدر سابق.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص45، مصدر سابق

[4]- سورة المائدة، الآية67

وقد كتب الكثير عن العصمة في عدة جوانب سواء في الأعمال الكسبية، كالذنوب والمعاصي أو مما يؤذيه من المخلوقات الأخرى سوى كان الإنسان أو الجن أو غيرهما من الحيوان حيث ذكروا أن العصمة شاملة لكل شيء يؤدي إلى النقص في أداء الرسالة أو شخصه.[1]

وعلى هذا الأساس تكون العصمة أشمل من الأمانة والتنزيه، وهناك من خصّص كتاب للعصمة فقط.[2]

المبحث الثاني

[1]- ممن كتب في عصمتهم الشاملة من القدماء كالقاضي عياض، الشفا، مصدر سابق، ومن المعاصرين كعماد السيد الشربيني: رد الشبهات حول عصمة النبي محمدﷺ في ضوء القرآن والسنة،ط1 دار اليقين للنشر، المنصورة، مصر، 2008.

[2]- ومن القدماء، الفخر الرازي (ت 606هـ) كتابه (عصمة الأنبياء)، ومن المعاصرين، منصور بن رشاد التميمي،كتابه العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2014.

مجال العصمة

سنتناول في هذا المبحث أمرين أساسيين هما: المجال الزمني للعصمة ويشتمل على زمن ما قبل النبوة وزمن بعد النبوة،والمجال الفعلي للعصمة ويشتمل الكبائر والصغائر من الذنوب والمعاصي، ثم الأعراض البشرية العادية، ونفصل ذلك في مطلبين إثنين الأول المجال الزمني والثاني المجال الفعلي.

المطلب الأول: المجال الزمني

وقدمنا المجال الزمني على الفعلي للمبررات الآتية:

- أن الزمن مقدم على خلق الإنسان في الوجود.
- أن الزمن مقدم على ميلاد الإنسان.
- أن الزمن يتقدم على الفعل الصادر من الإنسان.
- أن الأفعال تحددها الأزمان في اللغة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

ونقصد بالمجال الزمني هو ما قبل النبوة وما بعدها في مجال العصمة فمنهم القائلون أنهم معصومون قبلها، وبعدها، ومنهم القائلون بأنهم معصومون بعدها فقط، وسنبين ذلك فيما يلي وموقف ابن خمير من الفريقين.

الفرع الأول:عصمة النبيّ ﷺ قبل النبوة

وقدمنا زمن قبل النبوة على ما بعدها باعتبار التسلسل الزمني في وجود النبي ﷺ،لقد اختلفت المذاهب والعلماء في عصمة النبيّ ﷺ قبل النبوة فمنهم القائلون بعصمتهم ومنهم القائلون بعدم عصمتهم، وسنذكر آراء الفريقين ثم نختم ذلك بموقف ابن خمير في هذا المجال.

أولا: القائلون بعدم عصمة النبيّ ﷺ قبل النبوة

من القائلين بعدم عصمتهم قبل النبوة بعض العلماء والمذاهب كالأشاعرة والمعتزلة، ومن الأشاعرة الفخر الرازي[1]، حيث قال:"...وأما قبل النبوة فهي غير واجبة، وهو قول أكثر أصحابنا، وقول(أبي الهذيل) و(أبي علي الجبائي) حيث بيّن الرازي أن العصمة غير واجبة للنبيّ ﷺ في سياق حديثه عن العصمة واختلاف الأمة في ذلك فذكر الأشاعرة بقوله(وهو قول أكثر أصحابنا) وهو منهم حيث ضم رأيه إلى الأشاعرة وكذلك المعتزلة وذكر منهم شخصيتين (أبو الهذيل) و(أبوعلي الجبائي).

وذكر القاضي عياض اختلاف الأمة في عصمة النبيّ ﷺ قبل النبوة فقال:"وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعنا قوم وجوزها آخرون..."[2]،حيث ذكر القاضي عياض الاختلاف ولم يسم القائلين بذلك وإكتفى بقوله (فمنعها قوم، وجوزها آخرون) فقسّم الفريقين القائلين بالعصمة قبل النبوة، والقائلين بعدها.

يقول البغدادي[3]:"...وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة، وتأولوا على ذلك كل ما حكى في القرآن من ذنوبهم...".[4]

كلامه هذا في سياق حديثه عن الأشاعرة في قوله (أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها...)[5]، ثم يواصل كلامه إلى قوله (وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة)[1]، وهو يؤيد هذا الرأي ويقول به، وهو أشعري العقيدة.

---

[1]- هو محمد بن عمر متكلم ومفسر وفيلسوف من تصانيفه الأربعين في أصول الدين المتوفي 606هـ،رضا كحالة 559/3، الزركلي، 203/7، مصادر سابقة.

[2]- الشفا، 134/2، مصدر سابق

[3]- هو عبد القاهر بن الطاهر متكلم صاحب كتاب الفرق بين الفرق،المتوفي429هـ،رضا كحالة189/2،مصدر سابق.

[4]- البغدادي، أصول الإيمان، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2003، ص 135

[5]- المصدر نفسه

- **دليل القائلين بعدم عصمة النبيّ عليه السلام قبل النبوة**

لقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة عدة من القرآن من هذه الأدلة ما ذكرها الرازي منها:

01. قصة آدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى:﴿...وعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.[2]

قال الرازي في تفسيرها:"لما دلت هذه الدلائل على صدور الذنب، ودلت الدلائل التي ذكرناها على أن الأنبياء عليهم السلام لا يصدر عنهم الذنب حال كونهم أنبياء، لم يبق هاهنا وجه في التوفيق إلا أن تحمل هذه الواقعة على ما قبل النبوة".[3]

حيث استدل الرازي، وهو من القائلين بعدم عصمته النبيّ عليه السلام قبل النبوة بقصة آدم عليه السلام وأن الواقعة كانت قبل النبوة لا بعدها وأيد ذلك بقوله تعالى:﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.[4]

حيث قال:"فدلّ هذا على أن الاجتباء إنما حصل بعد واقعة الذنب.."[5] لأن بعد حصول الذنب اصطفاه الله تعالى بالنبوّة.

02. قوله تعالى:﴿...فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾.[6]

قال الرازي:" إن هذه الواقعة كانت قبل النبوة ....".[7]

حيث وقعت هذه الواقعة لموسى عليه السلام، وهو في مصر وبعدها خرج منها، وتوجه إلى مدين حيث النبيّ شعيب عليه السلام، ومكث بها مدة تقارب عشرة سنوات وفي عودته إلى مصر أكرمه الله

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- سورة طه، الآية 121

[3]- الفخر الرازي، كتاب الأربعين في أصول الدين، تح: أحمد حجازي السقا، ط1، دار الجيل بيروت، 2004،ص331

[4]- سورة طه، الآية 122

[5]- كتاب الأربعين، ص331، مصدر سابق

[6]- سورة القصص، الآية 15

[7]- كتاب الأربعين، ص341، مصدر سابق

تعالى بالنبوة،وذلك من خلال سياق الآيات[1]. إلى قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[2].

03. قوله تعالى:﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾.[3]

والخطاب للنبيّ محمد ﷺ،قال الرازي:"إنه محمول على الوزر الذي كان قبل النبوّة...".[4] ثم قال: "وإنما سميّ الذنب بالوزر، لأنه يثقل فاعله[5] حيث بيّن أن الوزر هو الذنب وقد وضعه الله عليه، وهذا الوزر كان قبل النبوة.

04. قصة يونس عليه السلام في قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾.[6]

قال الرازي:"..وعلى التقدير فذلك الغضب ذنب عظيم[7]حيث فسّر بأن غضبه هذا هو ذنب وكذلك قوله تعالى: ﴿...سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.[8]

قال الرازي:" وهذا اعتراف بالذنب".[9]

ففسر أن نسبة الظلم إليه هي اعتراف بالذنب ثم بيّن أن هذا كله قبل النبوة فقال:"قال بعضهم: (هذه الواقعة كانت قبل النبوة)؛ لأنه تعالى قال بعد واقعة الحوت:﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]...".[2]

---

[1]- عفيف طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص 220، وما بعدها

[2]- سورة القصص، الآيتين 33 – 34

[3]- سورة الشرح، الآية 2

[4]- كتاب الأربعين، ص 256، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص 356

[6]- سورة الأنبياء، الآية 87

[7]- كتاب الأربعين، ص 351، مصدر سابق

[8]- سورة الأنبياء، الآية 87

[9]- كتاب الأربعين، ص 351، مصدر سابق

فاستدل الرازي على أنه بعد الواقعة اصطفاه الله تعالى وأرسله إلى قومه.

هذه أدلة القائلين بعدم عصمة النبيّ عليه السلام قبل النبوة، وبعدها نعرض رأي القائلين بعصمتهم قبل النبوة وأدلتهم على ذلك وردّهم على الأدلة التي استدل بها القائلون بعدم العصمة قبل النبوة.

ثانيا: القائلون بعصمة النبيّ عليه السلام قبل النبوة

ومن القائلين بعصمة النبيّ قبل النبوة طائفة من أهل السنّة وكذلك الروافض، قال الرازي: "واختلفت الأمة أيضا في وقت وجوب هذه العصمة فالروافض قالت: إنها من أول الولادة إلى آخر العمر"[3]، فهذه فرقة الروافض تقول بعصمة النبيّ عليه السلام قبل وبعد النبوة ويقولون بعصمة إمامهم وقد رد عليهم ابن خمير في ذلك فقال: "وإن زعمت الروافض أنهما متوقفان[4] على الإمام المعصوم، فيكفي في الرد عليهما نقطتان، إحداهما إشتراط العصمة في ولادته وقضاءه وحياته وهو لا يصح..." [5].

ومن أهل السنّة القاضي عياض حيث قال:"وعصمتهم من هذا الفن[6]،قبل النبوة، فللناس خلاف، والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته في التشكيك بشيء من ذلك قد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والإيمان"[7].

---

[1]- سورة الصافات، الآية 147

[2]- كتاب الأربعين، ص 351، مصدر سابق

[3]- كتاب الأربعين، ص 330، مصدر سابق

[4]- المقصود بهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 332، مصدر سابق

[6]- يقصد به الجهل بالله وصفاته

[7]- الشفا، 103/2، مصدر سابق

حيث بيّن القاضي عياض أن النبيّ ﷺ معصوم منذ ولادته، وهو الصواب وأيّد قوله بتعاضد الأخبار والآثار على ذلك، وقال أيضا:"وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم، وجوزها آخرون والصحيح إن شاء الله تنزيهم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ...."[1].

فقد بيّن القاضي عياض أن الأنبياء عليهم السلام معصومون قبل النبوة، وهو الرأي الصحيح الذي رجحه، وبعد تقديم رأي القائلين بعصمتهم قبل النبوة نذكر أدلتهم على ذلك.

- **أدلة القائلين بعصمة الأنبياء عليهم السلام قبل نبوتهم**

وقد استدل هذا الفريق بعدّة أدلة من القرآن الكريم، والسنّة النبوية والسيرة النبوية وقصص الأنبياء عموما وسنعرض هذه الأدلة كالآتي، فقد عرض القاضي عياض أدلة وهو من القائلين بعصمة النبيّ عليه السلام قبل وبعد النبوة.

أ. من القرآن الكريم:

فقد عرض القاضي عياض آيات دالة على عصمتهم منذ ولادتهم منها:

- قوله تعالى:﴿وَإِذْأَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2]،حيث استدل بها الإمام القشيري على تنزيه وعصمة الأنبياء جميعا عليهم السلام.
- قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾.[3]

[1]- المصدر السابق، 134/2

[2]- الشفا، 103/2، مصدر سابق

[3]- سورة آل عمران، الآية 81

قال عياض:"وقال القشيري فطهره الله في الميثاق،وبعيدا أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه،ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ولا يجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب،هذا ما لا يجوزه إلا ملحد".[1]

فقد استبعد الإمام القشيري تجويز الذنوب على الأنبياء-عليهم السلام- قبل النبوة بدليل أخذ الميثاق والعهد منهم قبل ولادتهم وقد اتهم من قال بتجويز الذنوب عليهم قبل النبوة بالإلحاد وهذا المعنى أيّده عياض وهو من القائلين بعصمتهم قبل النبوة كذلك ما كان عليه الإمام القشيري.

ب.من السنّة: حيث استدلوا بالحديث الآتي:

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجنّ، وقرينه من الملائكة، قالوا: (وإيّاك يا رسول الله؟) قال:وإيّاي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير".[2]
- قال عياض:"فأسلم يعني القرين انتقل من حال كفره إلى الإسلام، فلا يأمر إلا بخير، كالملك وهو ظاهر الحديث..."[3].
- فبيّن أن القرين الذي يأتي منه الشرّ ويأمر به طوعه الله تعالى، وأصبح يأمره بالخير، والقرين يكون مع الإنسان منذ ولادته إلى موته، فمصدر الشر قطع على النبيّ ﷺ، منذ ولادته، فلا يتصور جواز الذنوب قبل النبوة.

ج. من السيرة النبوية:

[1]- الشفا، 104/2، مصدر سابق

[2]- أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم 6417، مصدر سابق

[3]- الشفا،111/2، مصدر سابق

كثير من الحوادث التي وقعت للنبيّ ﷺ قبل النبوة كعدم وصوله إلى عرس بمكة وهو يرعى الغنم، وقد همّ بذلك مرتين عصمه الله تعالى منه[1]، وكذلك حادثة التعري وهو يحمل الحجر على عاتقه مع عمه العباس عند بناء الكعبة وقد عصمه الله تعالى من ذلك[2].

وأشهر حادثة التي وقعت له وهو في صغره عند مرضعته حليمة السعدية حادثة شق الصدر[3]،قال عياض:"وكيف يكون ذلك وقد آتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج علقة منه وقال: (هذا حظ الشيطان منك) ثم غسله وملاه حكمة وإيمانا"[4].

فهذه الحادثة تكفي للاستدلال على صفاء قلبه وطهر نفسه، وبُعد الشيطان عنه؛ وهذه أسباب وضعها الله فيه لكي يعصمه من الذنوب.

أ. الردّ على أدلة القائلين بعدم عصمتهم قبل النبوة:

حيث استدل القائلون بعدم عصمتهم قبل النبوة بعدة قصص من القرآن الكريم والتي أوردها الرازي وذكرناها سابقا، وقد ردّ عليها القاضي عياض ونذكرها كالآتي:

1. استدلوا بقصة آدم عليه السلام إذ إرتكب الذنب قبل النبوة بأكله من الشجرة قال عياض في رد الشبهة:" وتصريحه تعالى بالمعصية بقوله:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[5]،أي: جهل،وقيل:

[1]- ينظر: الرحيق المختوم، ص42، مصدر سابق

[2]- أخرجه مسلم في صحيحه رقم 340، مصدر سابق

[3]- ينظر: الرحيق المختوم، ص 38، وردّ الشبهات حول عصمة النبي للشربيني،ص 28 وما بعدها، مصادر سابقة

[4]- الشفا، 104/2، مصدر سابق، الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه رقم 3949، تح: مصطفى عبد القادر عطا ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

[5]- سورة طه، الآية 121

أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1]؛قال ابن زيد:(نسي عداوة إبليس له)، وقيل:(لم يقصد المخالفة استحلالا لها؛ ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما، وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله حانثا)، وقيل: (قبل أكلها متأولا، وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها؛ لأنه تأول نهيّ الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس) ولهذا قيل: (إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة)..."[2].

حيث ردّ عياض شبة القائلين بأنها مخالفة قبل النبوة وبيّن أنه لم يقصد مخالفة نهي الله تعالى وتأوّل ذلك وأكل منها ناسيا والناسي معذور ويخرج في هذه الحالة عن التكليف قال عياض: "فإن كان ناسيا لم تكن معصية؛وكذلك إن كان ملبسا عليه غلطا، وإذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف"[3].

2. استدلوا بقتل موسى عليه السلام للقبطي على أنها معصية وكانت قبل نبوته، وقد أوردها الرازي عند القائلين بجواز الصغائر قبل نبوتهم وردّها عياض.

قال عياض:"قال قتادة وكزه بالعصا، ولم يتعمد قتله، فعلى هذا لا معصية في ذلك، قال ابن خريج:(قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبيّ أن يقتل حتى يؤمر)إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾[4]،وقال النقاش:(لم يقتله عن عمد مريدا للقتل، وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمة)[5].

فقد ردّ عياض بهذه الأقوال بأن موسى عليه السلام قبل نبوته لم تكن فعلته ذنب لأنه لم يتعمد ذلك.

---

[1]- سورة طه، الآية 115

[2]- الشفا، 148/2، مصدر سابق

[3]- الشفا، 148/2، مصدر سابق

[4]- سورة القصص، الآية 15

[5]- الشفا، 151/2، مصدر سابق

3. استدل القائلون بجواز الصغائر عليهم قبل النبوة بقوله تعالى:﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾[1]؛ فرّد عليهم عياض بقوله:"قيل:معناه أنه حفظ قبل نبوته منها وعصم،ولولا ذلك لأثقلت ظهره وقيل:(المراد بذلك من أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها) وقيل:(ثقل شغل سرّك وحيرتك، وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك)، وقيل: (خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت، وحفظ عليك)..."[2]، حيث ردّ عليهم عياض بتأويل مخالف لما أورده وبيّن أن الوزر ليس الذنب كما ذكروا ذلك بل فيه دليل على حفظ الله تعالى لعباده قبل اصطفائهم للنبوة.

4. أما استدلالهم بقصة يونس عليه السلام فقد ردّ عليها عياض بقوله:"في قوله تعالى:﴿...فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾[3]،قال مكي:(طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه) وقال أبو زيد: معناه:(أفظن أن لن نقدر عليه؟ على الاستفهام،ولا يليق أن يظن في أنه يجهل صفة من صفات ربّه)، وقوله تعالى:﴿...إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا...﴾[4]، الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس، والضحاك وغيرهما:لا لربّه عزّ وجلّ إذ مغاضبة الله معاداة له،ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء؟"[5]،حيث ردّ عليهم عياض بأن الذي صدر من يونس عليه السلام لا يعتبر ذنبا قبل نبوته قال عياض تعليقا على قصة يونس عليه السلام: "وليس في قصة يونس نص على ذنب"[6].

فبيّن عياض أن ما ورد في قصة يونس عليه السلام ليس فيها ما ينص على الذنب أو المعصية.

---

[1]- سورة الشرح، الآية 2

[2]- الشفا، 144/2، مصدر سابق

[3]- سورة الأنبياء، الآية 87

[4]- سورة الأنبياء، الآية 87

[5]- الشفا، 99/2، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، 148/2

قال عياض:"وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب عنه"[1]. فأكدّ أنه لا يوجد لفظ المعصية، وإنما ذكر ذلك بعض المفسرين ظنا منه أنه معصية وذنب عندما خرج يونس عليه السلام مغاضبا وهذا كلام لا يؤيده عياض.

وأما استدلالهم بقوله تعالى في حق يونس عليه السلام ﴿...سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] على أنه اعتراف بالذنب، قال عياض ردّا على ذلك: "فالظلم وضع الشيء في غير موضعه؛فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه؛ فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه، أو لضعفه عما حمله، أو لدعائه بالعذاب على قومه، وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ قال الواسطي في معناه: (نزه ربه عن الظلم، وأضاف الظلم إلى نفسه، اعترافا واستحقاقا)"[3].

إستدل عياض بدعاء نوح عليه السلام على قومه وأنه لم يؤاخذ على ذلك، وكذلك استدل بتفسير الواسطي في معنى الآية أنه أضاف الظلم لنفسه اعترافا واستحقاقا وهذا ليس بذنب.

فهذه ردود واعتراضات أوردها القاضي عياض في مسألة الذنوب التي نسبت للأنبياء عليهم السلام قبل نبوتهم فردّ عليها وأوّلها تأويلا حسنا وأوجد لها مخارج وأيّد كلامه بأقوال بعض المفسرين.

الفرع الثاني: عصمة النبيّ عليه السلام بعد النبوة

أجمع العلماء على عصمة النبيّ عليه السلام بعد النبوة، وهي شرط أساسي للنبوة لأنه أصبح محل اقتداء وإتباع ولا تتصور عدم عصمته بعد الوحي لأن الصفات الأربعة الواجبة للنبوة وهي: (الأمانة، الصدق، الفطانة، التبليغ) كلها متعلقة بالوحيّ وتبليغ الرسالة والشرع، لأن المهمة الأساسية للنبيّ المرسل هو تبليغ ما أوحي إليه من الله تعالى إلى النّاس.

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- سورة الأنبياء، الآية 87

[3]- الشفا، 149/2، مصدر سابق

وقد أورد الفخر الرازي إجماع الأمة على عصمتهم بعد النبوة فقال:"واختلفت الأمة أيضا في وقت وجوب هذه العصمة فالروافض قالوا:(إنها من أول الولادة إلى آخر العمر)؛ وقال الأكثرون: (هذه العصمة! إنما تجب في زمان النبوة وأما قبل النبوة فهي غير واجبة) وهو قول أكثر أصحابنا وقول (أبي الهذيل) و(أبي علي الجبائي)..."[1]،حيث بيّن الرازي إجماع الأمة على القول بعصمة النبيّ ﷺ بعد النبوة وذكر حتى الفرق الأخرى من الروافض والمعتزلة، وأشار إلى الأشعرية بقوله (وهو قول أكثر أصحابنا) وذكر من المعتزلة قول أبي الهذيل المعتزلي وكذلك أبي علي الجبائي المعتزلي.

وقد بين القاضي عياض عصمة النبي ﷺ بعد النبوة حيث قال: "قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه، وما هو الحق من عصمته ﷺ عن الجهل بالله وصفاته، وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا...."[2]، فقد بيّن قاضي عياض أن الأمة أجمعت على عصمة النبيّ ﷺ بعد النبوة ويقول عياض في موضع آخر في حديثه عن عصمة النبيّ ﷺ في عقيدته في ربّه تعالى:"أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به،وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بالشيء من ذلك، أو الريب فيه، والعصمة من كل ما بضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه"[3].

أورد عياض هذا الكلام تحت عنوان (في حكم عقد قلب النبيّ ﷺ وقت نبوته)[4]، أي أن الإجماع وقع على مسألة العصمة بعد النبوة ومن خلال كلامه نجد أن هذه المسألة بعد النبوة في

[1]- كتاب الأربعين، ص 322، مصدر سابق

[2]- الشفا، 157/2، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، 92/2

[4]- المصدر السابق، 92/2

قوله: (والإيمان به، وبما أوحي إليه)فالأمر بعد الوحي والذي يقع بعد الوحي يُعتبر بعد النبوة، فتبيّن أن الإجماع على العصمة بعد النبوة.

وفي موضع آخر ينقل القاضي عياض الإجماع في مسألة التبليغ فيقول:"أما أقواله ﷺ فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه[1].

حيث بيّن أن النبيّ ﷺ معصوم في أقواله بدليل المعجزة لأنها الدليل الحسيّ على صدقه وكذلك إجماع الأمة على ذلك.

يواصل عياض كلامه في نفس المسألة، ويؤكد على ذلك بقوله:"..فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة..."[2]،فذكر أن الأمة أجمعت كذلك على عدم جواز قيام خلاق الصدق وهو الكذب وهو من الصفات المضادة لصفات النبوة الأربعة منها الصدق، فلا يتصور هذه وهو الكذب لما كان الصدق وجب عليه فالكذب منفي عنه والصدق والكذب متضادان واجتماعهما في ذات النبيّ عليه السلام محال وهي من بين الأمور التي يحيلها العقل ومن مستحيلات المنطق[3].

يقول البغدادي:"أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومون بعد النبوة عن الذنوب كلها..."[4]، فقد بيّن البغدادي أن الأمة أجمعت على عصمة الأنبياء عليهم السلام وخصّ ذلك بقوله (أصحابنا) أي الأشاعرة.

---

[1]- المصدر السابق، 114/2

[2]- المصدر السابق، 115/2

[3]- (إستحالة العقل إجتماع النقيضين) وكذلك (إمتناع إجتماع صفتين متضادتين من جنس واحد في موصوف واحد) ويصطلح عليه بـ (التضاد) ينظر: معجم الفلسفة لليعقوبي، ص122، مصدر سابق، حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ط6 دار القلم، بيروت، 2002م، ص320.

[4]- أصول الإيمان، ص135، مصدر سابق

ويقول حبنكه الميداني[1] صاحب كتاب (العقيدة الإسلامية):" وبذلك يثبت أن الرسل عليهم السلام بعد نبوتهم ورسالاتهم وبعد الأمر بالاقتداء بهم معصومون عن المعاصي.."[2].

حيث بيّن بعد تقديمه للأدلة العقلية أن النبيّ ﷺ بعد نبوته معصوم لأنه محل اقتداء كذلك أنه أوحيّ إليه بشرع يتبعه.

ويقول الطاهر بن عاشور[3]:"..والجمهور على وجوب عصمتهم لما ينافي مقتضى المعجزة من دلالتها على قول الله تعالى:"صدق عبدي فيما أخبر به عني دون خطأ لا عمدا ولا سهوا".[4]

حيث بيّن أن الجمهور على إجماع فيما يخص عصمة النبيّ ﷺ بعد النبوة وذلك بالاستدلال على المعجزة لأنها مصدقة لدعوى النبوة .

الفرع الثالث: موقف ابن خمير من الفريقين

ذكرنا سابقا أن هناك فريقين بالنسبة لجواز الصغائر على الأنبياء عليهم السلام قبل نبوتهم،ففريق جوّز عليهم الصغائر قبل النبوة، وقدموا أدلة على ذلك، وفريق منع من صدور الصغائر منهم وقدم أدل على ذلك، ولكن كلا الفريقين أجمعوا على عدم صدور الصغائر بعد نبوتهم ولكن الاختلاف في المجال الزمني.

فما موقف ابن خمير من الفريقين؟ وهل هو من القائلين بعصمتهم قبل النبوة أو بعدها؟

سنعرض أقواله ورأيه في المسألة.

---

[1]- هو عبد الرحمان بن حسن سوري الأصل ولد سنة 1929م، بدمشق، تعلم على يد والده ثم إلتحق بالأزهر وانتقل إلى التدريس بجامعة أم القرى بالسعودية، من مصنفاته كتاب العقيدة الإسلامية، توفي سنة 2004، ينظر: عائد راغب الجراح عبد الرحمان حبنكه المفكر المفسر زوجي كما عرفته، ط1، دار دمشق، سوريا، 2010، ص19

[2]- حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط11، دارالقلم، دمشق، 2002م، ص336

[3]- هو محمد الطاهر ولد بتونس 1879م، مفتي تونس، تولى مشيخة الزيتونة من تصانيفه تفسير التحرير والتنوير، توفي 1973م، الزركلي، 43/7، مصدر سابق.

[4]- الطاهر بن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص48

قال ابن خمير في كلامه عن عصمة الأنبياء عليهم السلام:" اختلف الناس في الغالب فمنهم من نظر إلى ظواهر الكتاب والسنّة فغلب وقوعها، ومنهم من نظر إلى التنزيه في تأويل تلك الظواهر إذ فيها مساغ للتأويل، فغلب نفيها وهو الأولى إلا أنه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنّة رسول الله ﷺ نص على وقوع معصية منهم، إلا ما في الكتاب من قصة آدم عليه السلام والخروج منها بحمد الله تعالى سهل، فإنهم قالوا: (أن آدم عليه السلام لم يكن نبيّا عند وقوع المعصية منه)، وحجتهم على ذلك قوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[1]، ففرق بين حالتيه، عند وقوع المعصية وبعد وقوعها وفصلها عنها بـ:(ثمّ) التي تعمل في المهلة فخرجه من مضمون هذا أنه عندما واقع المعصية لم يكن نبيا، وإنما كان نبيا بعد ذلك والعصمة لا تشترط للنبيّ إلا بعد ثبوت النبوة لا قبلها".[2]

من خلال كلام ابن خمير يتبين لنا أنه من القائلين بعصمتهم من الصغائر قبل النبوة وبيان ذلك كما يلي:

- أنه من خلال تعريفه للعصمة قال:"هي أن يخلق الله تعالى لهم القدرة على الطاعات ولا يخلق لهم القدرة على المعصية"[3]. هنا نستنتج من تعريفه أنه تعالى عند خلقه لشخصية النبيّ المؤهل للنبوة مستقبلا"، أن له قدرة على الطاعات فقط، مسلوب القدرة على المعاصي.
- أنه ذيّل التعريف بكلامه عن الصغائر فقال:"وأما الذنوب المعدودة من الصغائر، فلا تنفيها العقول، ولا قام على نفيها ولا على إثباتها قاطع سمعي إذ القاطع نص متواتر أو إجماع متواتر"[4]، نستنتج من كلامه هذا أن الذنوب من الناحية النظرية لا تحيلها العقول؛ ولكن لا

[1]- سورة طه، الآية 121-122

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 257، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 257، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

يوجد دليل شرعي قطعي الثبوت والدلالة على إثباتها أو نفيها وأن هذا الدليل يكون متواتر سواء نص أو إجماع.

- كلامه السابق بيّن أن المفسرين والعلماء اختلفوا في تفسير النصوص، وقسّمهم إلى فريقين:

- الفريق الأول: نظروا إلى ظواهر النصوص من القرآن الكريم والسنّة، فحكموا على الظاهر أن الغالب وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة.
- الثاني: فسّروا النصوص بناء على قاعة تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن الصغائر فأولوها ووجدوا لها مخرجا حسنا، وهذا الفريق أيّده ابن خمير بقوله:" فغلب نفيها وهو الأولى"[1].

حيث بيّن أن هؤلاء غلب على ظنهم نفي الصغائر عن الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة.

ثم يواصل كلامه ويؤكد على عدم ورود نصوص دالة وصريحة عن صدور المعاصي من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة إلا ما كان من آدم عليه السلام، حيث قال:"إلا أنه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ نص على وقوع معصية منهم، إلا ما في الكتاب من قصة آدم عليه السلام والخروج منها بحمد الله تعالى سهل"[2]، حيث بيّن أن القرآن الكريم صرّح بلفظ المعصية في قصة آدم عليه السلام ثم عقب ذلك بأن تأويلها سهل وتخريجها تخريجا حسنا، قال ابن خمير في شرح قوله تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [3]: "فإذا كان هذا شأنهم مع الله تعالى في المباحات، فما ظنك بالذنوب المنهي عنها مع كل ذنب كبيرة كما تقدم، ثم تؤكد بعضها بعضا في الكبر لتأكيد الوعيد عليه، فقد اتحدت في الكبر، على أنه ما أخبر تعالى فيما بلغنا عنهم في كتاب ولا سنة أنهم واقعوا صغيرة ولا كبيرة قط خلا قصة آدم عليه السلام،وقد خرجنا منها خروجا صحيحا بحمد الله كما سمعت،وقد حكى بعض الأئمة أن الأمة مجمعة على عصمة

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر نفسه

[3]- سورة طه، الآية 131

بواطنهم من جملة الذنوب صغيرة وكبيرة، فخرج من مجموع ذلك ما ذكرناه أن غلبة الظن بنفي الصغائر عنهم أولا من إثباتها والله أعلم"[1]، ولكن ابن خمير جعل العصمة بعد النبوة شرط أساسي للتأكيد عليها أكثر من زمن قبل النبوة لأنه في هذه الفترة محل اقتداء، قال ابن خمير: "والعصمة لا تشترط للنبي إلا بعد ثبوت النبوة له".[2]

وابن خمير عندما يتعرض للنصوص التي بها ما يوهم صدور الصغائر من الأنبياء عليهم السلام فإنه يفسّرها على أساس قاعة التنزيه وكذلك أن ما وقع منهم وكان العتاب عليه من الله تعالى فإن في إطار المباحات أو أنه النهي على أنه لغوي لا شرعي ويفسر على أنه من وجه الإرشاد والنصيحة له، وأي كان وقت صدور الفعل من نبيّ ﷺ سواء كان قبل النبوة أو بعدها ولكن هنا نركز على صدوره قبل النبوة وعلى افتراض أنه صدر قبل النبوة وأن العصمة لا تشترط لهم إلا بعدها فإن ما صدر منهم في إطار المباحات واللوم كان على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه؛ لأن مناصبهم عالية كما ذكر ذلك ابن خمير حيث قال:"وأنهم لا يواقعون صغيرة من الذنوب ولا كبيرة، وأن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنّة".[3]

وأما كلامه على أن النهي ليس شرعي وإنما لغوي حيث قال:"والأوامر والنواهي تنقسم إلى مشروع وغير مشروع،كالأوامر اللغوية،فإن السيد قد يقول لعبده والأخ لأخيه، والصاحب لصاحبه على جهة الإعلام والإرشاد والنصيحة: (أفعل كذا، واترك كذا تسلم من كذا،وتظفر بكذا)، وكذلك أوامر الأطباء للعليل بالحمية والدواء والغذاء إلى غير ذلك؛فكان أمر الله تعالى لآدم ﷺ بسكنى الجنان والأكل الرغد ونفوذ المشيئة من باب الإعلام والتأنيس بالبشارات بأنه لا

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص361-362، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص100، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 58- 59، مصدر سابق

يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظمأ ولا يضحى وكان نهيه له على جهة الإرشاد"[1]،حيث بيّن أن الأوامر والنواهي قد تكون شرعية وقد تكون لغوية،وذلك حسب سياق الآيات وتفسير القصة.

فتبيّن لنا مما سبق أن ابن خمير لا يقول بصدور الصغائر من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وإن كانت ظواهر النصوص توهم أنها صدرت منهم فإنه يؤولها بناء على قاعدة تنزيه الأنبياء عن الصغائر،وكذلك إخراج القصة مخرجا حسنا يليق بمناصبهم العلية، وتؤول أفعالهم على أساس اللغة، وكذلك أن ما صدر منهم في دائرة المباحات ولكن اللوم على أختيارهم لفعل عن فعل أولى منه.

وأما ما استدل به القائلون بصدور الصغائر عن الأنبياء عليهم السلام بعدة قصص من القرآن الكريم كقصة آدم عليه السلام،وقصة موسى عليه السلام، وقصة يونس عليه السلام؛ فهذه الردود سنوردها في الفصل الثالث بالتفصيل وغيرها من القصص التي أوردها ابن خمير في كتابه تنزيه الأنبياء عليهم السلام، وذلك تفاديا للتكرار.

وخلاصة رأيه أنه من القائلين بعصمة النبيّ عليه السلام من الصغائر قبل النبوة وبعدها كما بيّنا ذلك سابقا من خلال أقواله.

هذا فيما يخص عصمة النبيّ عليه السلام بعد النبوة وهو مجال زمني خاص بالنبوة وقد أجمع علماء الأمة على اختلاف فرقهم بأن النبيّ عليه السلام بعد الوحي إليه بأنه معصوم من كل ما هو عيب ونقيضة في حقه فتثبت له الصفات الأربعة:(الفطانة، الصدق، الأمانة، التبليغ)، وكل صفة تليق بالنبوة ويستحيل عليه ضد الصفات الأربعة،وكل نقيصة في حقه عليه السلام،فالأنبياء عليهم السلام منزهون عن النقائص البشرية؛ لأن مقامهم عالي؛ وذوو رفعة في أقوامهم وهم محل اقتداء ولذا وجبت لهم العصمة بعد النبوة بالإجماع.

[1]- المصدر السابق، ص 101

المطلب الثاني:المجال الفعلي للعصمة

لقد خصّ الله تعالى من خلقه في البشر الأنبياء عليهم السلام، بالعصمة لأنهم محل اقتداء في الأقوال والأفعال والأعمال والسلوك والتصرفات، وكذلك أنهم محل ثقة وأمانة في التبليغ لأوامر الله تعالى ونواهيه فيوصفون بالصدق والأمانة،ولكن هذه العصمة خاصية لهم وليست لغيرهم من البشر، وهناك من الطوائف من يقول بعصمة غير الأنبياء عليهم السلام، ومن هذه الطوائف الروافض وقد رد عليهم ابن خمير حيث قال: "وإن زعمت الروافض أنهما متوقفان[1] عن الإمام المعصوم فيكفي في الرد عليهم نقطتان إحداهما اشتراط العصمة في ولادته وقضاته وحياته وهو لا يصح".[2]

أما بالنسبة لغير البشر فهناك عصمة الملائكة فقد أجمع المسلمون على عصمتهم وذكر القرآن أنهم لا يعصون الله تعالى ويفعلون بما أمرهم قال تعالى:﴿...لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3]،وقد ذكر العلماء أن عصمتهم أكيدة بأدلة القرآن، وأنهم مخلوقون لوظائف خاصة وطبيعتهم تختلف عن الطبيعة البشرية [4]،فقد خلق الله تعالى ثلاثة أنواع من الكائنات العاقلة أولهم الملائكة وكلهم معصومون وغير مكلفين، وثانيهم الجن وهم مكلفون وغير معصومين كلهم، وثالثهم البشر وهم مكلفون كلهم وفيهم فئة معصومة وهم الأنبياء عليهم السلام فهم الثلة المختارة ومن صفوة البشرية خصّهم بالعصمة، وموضوعنا هنا يخص عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وفي هذا المطلب نتحدث فيه عن المجال الفعلي لعصمة النبيّ ﷺ ونقصد به الكبائر والصغائر من الأفعال والأقوال وكل ما يخص السلوك والأخلاق، وهنا نتطرق إلى أقوال العلماء في

[1]- المقصود بهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص232، مصدر سابق

[3]- سورة التحريم، الآية 6

[4]- الشفا، 159/2، شرح المواقف، 307/8، كتاب الأربعين،ص 362، مصادر سابقة

مسألتين الأولى بالنسبة للكبائر والثانية بالنسبة للصغائر ثم نطرح رأي ابن خمير في المسألتين ثم نتطرق إلى مسألة الأعراض البشرية.

الفرع الأول:مسألة الكبائر

وقدمت هذه المسألة بإعتبار أنها مجمع عليها، حيث نبدأ بتعريف الكبيرة

- **تعريف الكبيرة:**

الكبائر هي كل ما نهى عنه الشرع، ونصّ على ارتكابها بالوعيد، حيث عرفها الجرجاني بقوله: "الكبيرة هي ما كان حراما محضا شرع عليها عقوبة محضة، بنص قاطع في الدنيا والآخرة"[1] وعرفها ابن خمير بقوله:" أن كل محظور كبيرة على قول من قال بذلك من أئمة السنّة، وهو الصحيح لاتحاده في الحظر، وإنما يتصور كبير وأكبر بالتحريض على تركها، وتأكيد الوعيد على فعل بعضها دون بعض ...".[2]

فبيّن أن مفهوم الكبيرة إنما يكون بالنص عليها شرعا لا عقلا، وذلك بترك الفعل والتأكيد على ذلك بأن ينص على من ارتكبها بالوعيد وقال في موضع آخر:"مع أن كل ذنب كبيرة،كما تقدم ثم تؤكد بعضها بعضا،في الكبر،بتأكيد الوعيد عليه،فقد اتحدت في الكبر.."[3]

فبيّن أن الذنب عندما يتكرر عدة مرات وما يؤكد ذلك هو النص على الوعيد، وقال في موضع آخر: "والتعلم أن كل ذنب عصى الله به فهو كبيرة، لإتحاد النهي في الكل، لكن قد يتأكد الوعيد على بعض الذنوب أكثر من بعض فسمي أكبر بالإضافة إلى ما يتأكد عليه الوعيد أو لم يأتي فيه

[1]- التعريفات، ص182، مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 261، مصدر سابق

وعيد فتسمى الذنوب كبائر وصغائر بالإضافة إلى هذه الوجوه"[1]، فقد جعل ابن خمير معيار للفصل بين الكبيرة والصغيرة حيث بين أن الكبيرة يتأكد بها بالوعيد.

وقد قسمها ابن خمير إلى قسمين بين حق الله وحق العباد قال: "فنقول الكبائر تنقسم قسمين: ما فيه حق لله وحق للخلق، وما فيه حق لله دون الخلق، فأما ما فيه حق لله وحق للخلق فهي المظالم فمن ظلم ثم تاب من ظلمه برئت ذمته من الظلم، وبقي عليه طلب المظلوم وله في الآخرة أحد حكمين: إما أن يقتص منه المظلوم، أو يحتمل الله عنه التبعة، ومن لم يتب طولب بالظلم والتبعة وأما ما كان بين الله تعالى وبين العبد فتمحو جملته التوبة في الدنيا ومن مات مصرا على كبيرة سوى الكفر كان ظالما لنفسه وغيره فهو بين إحدى ثلاث: إما أن يغفر له بدءا، أو يشفع فيه مشفعا، أو يعذبه برهة من الدهر وتلحقه رحمة الله تعالى"[2]،وأما بالنسبة للأنبياء عليهم السلام فقد أجمع المسلمون على عصمتهم من ذلك وممن حكى الإجماع القاضي عياض حيث قال:"وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام والاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد، وما قدمناه من معارفه المختصة به، فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومسند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه"[3].

فبيّن القاضي عياض أن إجماع الأمة على عصمتهم من الكبائر، وقد حكى ابن خمير إجماع الأمة على عصمتهم من الكبائر فقال:" ما صحّ من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء من الكبائر"[4].

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 309، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- الشفا، 131/2، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 57، مصدر سابق

فبيّن أن الأمة أجمعت على عصمتهم من الكبائر، وفي موضع آخر قال:"وأما عصمته من الكبائر المؤدية إلى سقوط العدالة وقلة الديانة فمرجع إثباتها إلى السمع، وهو الإجماع المتواتر الذي لا مدفع فيه إلا بخرقه..."[1]

فعد أن إرتكاب الكبائر يؤدي إلى سقوط العدالة وقلة الديانة، وهذا محال أن تصدر من أيّ نبيّ كان وأن طريق إثباتها السمع وهو إجماع الأمة[2] المتواتر والذي يقول بخلاف ذلك فقد خرق الإجماع، وقال في موضع آخر في حديثه عن عصمة النبي محمد ﷺ:"وحصول عصمته من الكبائر إجماعا".[3]

ومما هو معروف عقلا وعادة أن النبيّ عليه السلام لا يأتي بالكبائر وهو محل قدوة حتى قبل النبوة؛ لأنها تؤثر على متقبل رسالته فالله تعالى يعصمه من الكبائر من ميلاده إلى وفاته، فكيف يكون نبيّ الأمة، ويأتي بالكبائر، وهذا مما يستحيل في حق النبيّ عليه السلام فلو فعل ذلك فإن الناس تزدريه وتحتقره لو فعل ذلك، ولا تتخذه قدوة عندما يبعث ولذلك كان من حكمة الله تعالى أن يطهره ويبعده عن الرذائل والكبائر، ولذا أجمعت الأمة على عصمته من الكبائر.

الفرع الثاني: مسألة الصغائر

والصغائر هي ذنوب دون الكبائر، ولم ينص عليه بالوعيد وهي صغائر الذنوب؛ وفي هذه المسألة لم يكن فيها إجماع وهناك فريقين منهم من يجوزها ومنهم من يمنعها.

- **تعريف الصغيرة عند ابن خمير:**

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 257، مصدر سابق

[2]- قال البغدادي:(أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومون بعد النبوة، عن الذنوب كلها)،ينظر: أصول الإيمان ص 135، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص224 مصدر سابق.

قال ابن خمير:"ولتعلم أن كل ذنب عصى الله به فهو كبيرة، لإتحاد النهي في الكل،لكن قد يتأكد الوعيد على بعض الذنوب أكثر من بعض فسمي أكبر بالإضافة إلى ما يتأكد عليه الوعيد أو لم يأت فيه وعيد فتسمى الذنوب كبائر وصغائر بالإضافة إلى هذه الوجوه، وقد نص الله تعالى على الكبائر ولم ينص على الصغائر، فنص العلماء على تسمية الصغائر من تخصيص النص على الكبائر لاسيما فلمن قال منهم بدليل الخطاب"[1]، حيث جعل ابن خمير المعيار الذي يفصل بين الكبيرة والصغيرة أن الصغيرة لم ينص عليها ولم يتوعد عليها بخلاف الكبيرة.

أولا: الفريق الأول: (المجوزون عليهم الصغائر)

أما هذا الفريق فمنهم بعض الفقهاء والمحدثين، والبعض من المتكلمين وأصحاب الفرق قال القاضي عياض:" أعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين".[2]

فقد عدّ عياض جملة من العلماء من أصحاب الاختصاص وهم بعض من الفقهاء المحدثين، والمتكلمين ولم يسمهم، وذكر الفخر الرازي بعض الفرق حيث قال:"قول الحشوية وهو أن يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر".[3]

فقد صرّح الرازي باسم الفرقة القائلة بتجويز الصغائر عليهم، وكذلك ذكر فرقة المعتزلة فقال: "إنه لا يجوز تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا يكون منفرا فأما أن تعمد الصغيرة منفرا،فذلك لا يجوز عليهم؛مثل التطفيف بما دون الحبة،وهذا قول أكثر المعتزلة"[4]

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 309، مصدر سابق

[2]- الشفا، 142/2، مصدر سابق.

[3]- كتاب الأربعين، ص 322، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

وأم رأي الفخر الرازي نفسه فهو من المجوزين عليهم الصغائر على سبيل السهو،حيث قال: "والذي نقوله أن الأنبياء عليهم السلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد أما على سبيل السهو فهو جائز"[1].

- **حجة ودليل هذا الفريق:**

فقد احتجوا بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السنّة نذكر منها ما يلي:

أ. من القرآن الكريم:

- قوله تعالى:﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾[2]، والخطاب موجه إلى سيدنا محمد ﷺ، والآية صرحت بالذنب.
- قوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ...﴾[3]، الآية صرحت بالمعصية
- وكثير من الآيات التي وردت في قصص الأنبياء عليهم السلام ما يدل على تجويز الصغائر.[4]

فهذا الفريق استدل بآيات وأحاديث في تجويز الصغائر على الأنبياء عليهم السلام، إلا أن من العلماء من أوّل هذه الآيات والأحاديث منهم القاضي عياض[5]، وابن خمير.

ب.الحجة العقلية:

---

[1]- كتاب الأربعين، ص 322، مصدر سابق

[2]- سورة الفتح، الآية 2

[3]- سورة طه، الآية 121

[4]- وقد تأوّلها العلماء، وأوجدوا لها مخرجا حسنا منهم ابن خمير وسيأتي موضعها في الفصل الثالث (أنواع العصمة) وكذلك الرازي في كتاب الأربعين ص 330 – 362 والشفا، 2/142-155، وكثير من كتب التفاسير التي تؤوّل هذه الآيات ونجد لها مخرجا حسنا لتنزيه الأنبياء عليهم السلام من إرتكاب المعاصي.

[5]- الشفا، ص 131- 158، مصدر سابق، وابن خمير في كتابه تنزيه الأنبياء، عندما عرض قصص الأنبياء في القرآن الكريم من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وهذا هو سبب تأليفه للكتاب عندما وجد من طعن في الأنبياء من خلال هذه الآيات فرد عليهم وسيأتي رده للشبهات في الفصل القادم، إن شاء الله (أنواع العصمة)

قد تصدر من بعض الأنبياء عليهم السلام هفوات وأخطاء بإعتبار أنهم من الجنس البشري لهم رغبات ومشاعر وجدانية؛ وتكون قبل النبوة كما وقع لآدم عليه السلام في أكله من الشجرة، لقوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ...﴾ وفي هذه الحالة لا ملامة عليه؛ لأنه غير مكلف ولا يوحى إليه وقد تكون بعد النبوة كما وقع للنبيّ محمد ﷺ في فداء أسرى بدر كما يصدر منهم على سبيل السهو والنسيان ولكن في هذه الحالة ينبههم الوحي ولايقرّهم على الخطأ ففي كلا الحالتين لا يقع منهم على سبيل التعمد.

ج. من الحديث

- حديث الشفاعة يوم القيامة عندما يذهب الناس للأنبياء نبيّ تلو الآخر، فيذكر كل منهم ذنب فعله بداية بآدم عليه السلام حيث روى أبو هريرة الحديث حيث قال:"وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ ما لا يطيقون ولا يتحملون فيقولون: (ألا تنظرون من يشفع لكم)، فيأتون آدم... فيقول: (إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري)...الخ".[1]
- وقوله ﷺ:"إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله".[2]
- وقوله ﷺ:"إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".[3]
- وقوله ﷺ في دعائه:"أغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت".[4]
- وقوله ﷺ:"إني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة".[5]

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم3361 (حديث الشفاعة)

[2]- أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم 931، مصدر سابق

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6307، مصدر سابق

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6308، مصدر سابق

[5]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 2702، مصدر سابق

ثانيا: الفريق الثاني (القائلون باستحالة الصغائر)

وأما أصحاب هذا الفريق فهم طائفة من الفقهاء والمحدثين فقد منعوا صدور الصغائر عن الأنبياء عليهم السلام،فعصمتهم من الصغائر مثل عصمتهم من الكبائر يقول الطاهر بن عاشور: "واستدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى إمتثال أفعالهم وإتباع آثارهم وجمهور الفقهاء على ذلك وأصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة".[1]

ومن المذاهب الكلامية الماتردية والأشاعرة ومنهم الاسفراييني[2]، وعياض والسبكي وابنه[3]، حيث نقل هذا الأخير في منظومته[4] فقال:

قالوا وتمتنع الصغائر من نبي والمنع *** للإلـــــه وعنـــــدنا قـــــولان

مروي عن الأستاذ مع وبه *** قاضي عياض وهو ذو رجحان

أقول وكان رأي أبي كذا *** صونا لرتبهم عن النقصان

قال ابن عاشور في شرحه لهذه الأبيات:"والمقصود بقوله: قالوا:(أي قال الماتريدية تمتنع الصغائر) وقوله: وعندنا(يعني نفسه وغيره من الأشعرية)، وقوله: الأستاذ:(ويقصد به أبو إسحاق الاسفراييني)".[5]

---

[1]- ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في السنة والقرآن، ص 46، مرجع سابق

[2]- هو إبراهيم بن محمد أبو اسحاق ركن الدين المشهور بالأستاذ فقيه شافعي ومتكلم أصولي توفي بنيسابور 418هـ من مصنفاته جامع الحلي في أصول الدين، رضا كحالة، 56/1، الزركلي، 59/1، مصادر سابقة، ابن عساكر، تبيين كذب المفترين، تح: القدسي، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م، ص244.

[3]- السبكي الأب هو علي تقي الدين أبو الحسن ولد 683هـ بمصر، فقيه شافعي مصري ولي قضاء دمشق من مصنفاته الدرر النظيم في تفسير القرآن العظيم توفي 756هـ، رضا كحالة، 461/2، الزركلي، 116/5.

- السبكي الابن هو تاج الدين ولد 727هـ فقيه شافعي ومؤرخ ولي القضاء بعد أبيه من مصنفاته طبقات الشافعية الكبرى توفي 771هـ، الزركلي، 335/4.

[4]- تاج الدين السبكي، النونية في العقائد (في المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأشعرية والماتوريدية)

[5]- ابن عاشور، تحقيقات وأنظار، ص47، مصدر سابق

وأما القاضي عياض فقد ذكره السبكي في منظومته على أنه من القائلين باستحالة الصغائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد ردّ عياض على من جوّز ذلك في كتابه المشهور (الشفا) بأدلة عقلية ونقلية، حيث قال:"...وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا..."[1]،وفي معرض ردّه عن المجوزين للصغائر تحت عنوان (في الرد على من أجاز عليهم الصغائر) قال: "وقامت الأدلة على خطأ قولهم، وصحة غيره، وجب تركه،والمصير إلى ما صحّ وهنا نحن سنأخذ في النظر فيها إن شاء الله"[2] ثم يعرض أدلة القائلين بتجويز الصغائر ويرد عليهم من خلالها، وهذه الأدلة نقلية من الكتاب والسنة.

- **حجة ودليل هذا الفريق:**

فقد ردّوا على الفريق الأول وهم القائلون بتجويز الصغائر بنفس النصوص النقلية من القرآن والسنة وذلك بتأوّيلها زيادة على ذلك الأدلة العقلية وستعرض بعضا منها:

ب.من القرآن:

لقد ردّ أصحاب هذا الفريق من جنس الآيات التي أوردها المجيزون للصغائر وذلك بتأوّيلها تأوّيلا حسنا حيث استدل الفريق المخالف بقوله تعالى:﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾[3]، على أن الآية صريحة في لفظ الذنب وهي الصغائر.

أما هذا الفريق فقد أوّل هذه الآية كالآتي: قال عياض:"هذه الآية اختلف فيها المفسرون على أقوال عدة منها:(المراد بذلك أمته)،ومما يعضده قوله تعالى:﴿...وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾[4]، وهنا مخاطبة النبيّ محمد ﷺ ها هنا هي مخاطبة لأمته،ونقل عن ابن عباس قوله

[1]- الشفا، 157/2، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 143

[3]- سورة الفتح، الآية 02

[4]- سورة محمد، الآية 19

في تفسير الآية: (فمقصد الآية: إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب إن لوكان)،وقال بعضهم (المغفرة ها هنا تبرئته من العيوب)".[1]

وأما الرد الثاني على المجيزين للصغائر من خلال استدلالهم بقوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ..﴾[2] ونقل عياض أقوالا كثيرة للمفسّرين في تأويل الآية منها:"أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها؛ لأنه تأوّل نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل: (إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة)، وقيل: (تأوّل أن الله لم ينهه عنها نهي التحريم)".[3]

- قال الفخر الرازي في هذه الآية:" أن المخالفة كانت قبل النبوة ودليله ثم أعقبها بقوله﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ...﴾[4]،فدلّ هذا أن الاجتباء إنما حصل بعد واقعة الذنب؛لأن كلمة (ثم) للتراخي ...؛ ولأن الأنبياء لا يصدر عنهم الذنب حال كونهم أنبياء، لم يبق ههنا وجه في التوفيق إلا أن تحمل هذه الواقعة على ما قبل النبوة"[5].

ج. حجتهم من الأحاديث:

كذلك فيه تأويل الأحاديث التي سبقت أن استدل بها المجيزون للصغائر فأوّل حديث الشفاعة فكما أوّلت قصة آدم هي نفسها ما قيل في الآية قيل في الحديث لأن نفس الموضوع.[6] وبالنسبة للأحاديث التي استدلوا بها على أساس أنه يستغفر فإنه دليل على الصغائر، فقد ردّ عليهم من نفس الأحاديث بتأوّيلها تأوّيلا حسنا قال عياض:"إن كثرة استغفار النبيّ ﷺ وتوبته

---

[1]- الشفا، 2/143-144، مصدر سابق

[2]- سورة طه، الآية 121

[3]- الشفا، 2/136، مصدر سابق

[4]- سورة طه، الآية 122

[5]- كتاب الأربعين، ص 331، مصدر سابق

[6]- ينظر: الشفا، 2/136 وما بعدها، مصدر سابق

وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية، والاعتراف بالتقصير، وشكرا لله تعالى على نعمه"[1].

د. الحجة العقلية:

فلا يعقل أن يكون النبيّ ﷺ مرتكب للصغائر؛ لأنه محل اقتداء، وكذلك يؤاخذه الناس على ذلك ويًطعن فيه يقول الفخر الرازي في صياغة الحجة العقلية على عدم ارتكابهم للصغائر "ولو صدر الذنب عنهم، لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلا، والعقاب آجلا، أشد من حال عصاة الأمة وهذا باطل فصدور الذنب عنهم أيضا باطل".[2]

وكلام الرازي في هذا أنه يحيل ارتكابهم الصغائر على سبيل العمد لا على سبيل السهو[3]

يقول عفيف عبد الفتاح طبارة، في هذا الإطار:"وأنبياء الله لو لم يكونوا بهذه المثابة من الكمال الإنساني لصغر شأنهم في أعين الناس، ولما استجاب لهم أحدهم ولو كذبوا وخانوا وقبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم، ولكانوا مضلين لا مرشدين، فتذهب الحكمة من إرسالهم"[4] ويقول عبد الرحمان حنبكة الميداني في هذا الإطار ما يلي:"لأن الله أمر الأمم بالاقتداء برسلهم فإذا أمكن أن يفعل الرسل بعد الرسالة المعاصي،كان معنى الأمر باتخاذهم أسوة في حال المعصية جزء من أفعالهم أمرا بالمعصية، وفي هذا تناقض ظاهر".[5]

- **موقف ابن خمير من الفريقين:**

[1]- المصدر السابق، 156/2

[2]- كتاب الأربعين، ص 322، مصدر سابق

[3]- وهو من المجوزين للصغائر على سبيل السهو

[4]- طبارة، مع الأنبياء، ص20، مصدر سابق

[5]- الميداني، العقيدة الإسلامية، ص236، مصدر سابق

رأينا بالنسبة للكبائر أنها مجمع عليها، وابن خمير لم يخرق الإجماع بل حكاه وزكاه،وأما بالنسبة لمسألة الصغائر فإنه يميل إلى الفريق الثاني المحيلين عنهم، ارتكاب الصغائر، وسنورد رأيه فيما يلي:

قال ابن خمير في مقدمة شرحه للآيات التي فيها عتاب على بعض الأنبياء عليهم السلام: "شرح هذه الأقوال وما يضاهيها من القصص الموعود بها على مذهب من قال بتنزيه الأنبياء عليهم السلام عن الصغائر، وأنهم لا يواقعون صغيرة من الذنوب ولا كبيرة؛ وأن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنيّة".[1]

حيث نجد أن ابن خمير يميل إلى القائلين بعدم ارتكابهم للصغائر، وإن ما عتبوا عليه من أقوالهم وأفعالهم أنه في دائرة المباحات، وأن هذه الدائرة اشتملت على أولويات في التصرفات فكان اللوم والعتاب عندما لا يؤخذ النبيّ ﷺ بالأولى، ويقول في موضع:"وأما الذنوب المعدودة من الصغائر فلا تنفيها العقول، ولا قام على نفيها ولا على إثباتها قاطع سمعي؛ إذ القاطع نص متواتر أو إجماع متواتر".[2]

فهنا ركز على الجانب العقلي بالنسبة للحكم العقلي حيث بيّن أن العقل لا ينفي الصغائر أي أنه جائز عقلا ولكن لم يثبت في الواقع باعتبار أن النبيّ ﷺ بشر، وأنها ليست مستحيلة الوقوع منهم عقلا لا واقعا؛ لأن النصوص لم تثبت وقوعها ولا نفيها.

ثم أجاب عن الآيات والأحاديث الموهمة لصدور الصغائر من بعض الأنبياء عليهم السلام فقال:"اختلف الناس في الغالب،فمنهم من نظر إلى ظاهر الكتاب والسنّة، فغلب وقوعها، ومنهم

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 57- 58، مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 257، مصدر سابق

من نظر إلى التنزيه في تأوّيل تلك الظواهر، إذ فيها مساغ للتأوّيل، فغلب نفيها وهو الأولى، إلا أنه ليس في كتاب الله تعالى، ولا في سنّة رسول الله ﷺ نص على وقوع معصية منهم؛ إلا ما في الكتاب من قصة آدم عليه السلام[1].

حيث بين ابن خمير اختلاف العلماء والمفسرين في ظواهر النصوص، وقسّمهم إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم الذين أخذوا بظاهر النص وأثبتوا وقوع الصغائر، من الأنبياء عليهم السلام.

الفريق الثاني: وهم الذين أوّلوا النصوص على مذهب القائلين بتنزيه الأنبياء عن الصغائر فنفوها جملة وتفصيلا ووجدوا لها مخرجا حسنا يليق بمقامهم، وهذا الفريق أخذ به ابن خمير وزكّاه وقال أنه هو الأولى وكان من المؤوّلين لظواهر النصوص التي توهم صدور الصغائر عن الأنبياء عليهم السلام، ثمّ بين أنه لا يوجد نص لا في القرآن ولا في السنّة يصرح بوقوع معصية من نبيّ عليه السلام إلا في قصة آدم عليه السلام، وقد وجد لها ابن خمير مخرجا سليما حيث يورد بعض النصوص التي توهم وقوع الصغائر ويؤوّلها.

أدلة ابن خمير:فقد استدل ابن خمير على تأييد رأيه في عدم صدور الصغائر من الأنبياء عليهم السلام من القرآن والسنة والعقل والإجماع

أ. من القرآن الكريم:

لقد أورد ابن خمير الآيات الموهمة لصدور الصغائر وأغلب أدلته هي ردود على أقوال من استدلوا بها على وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم السلام فقد خصص كتابه تنزيه الأنبياء لردّ على أولئك القائلين بصدور الصغائر عنهم ولنا أن نأخذ بعضا منها، وقد أوردها كذلك في كتاب

[1]- المصدر نفسه

مقدمات المراشد في حديثه عن عامة الأنبياء عليهم السلام، نوردها كما ذكرها وكذلك بعض الأحاديث[1]، وأدلته كالآتي:

01. في قوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[2]،هذه الآية نفسها استدل بها القائلون بجواز صدور الصغائر عن الأنبياء عليهم السلام، وقد رد عليهم ابن خمير من نفس الآية، فقال:"والخروج عنها بحمد الله تعالى سهل، فإنهم قالوا: إن آدم عليه السلام لم يكن نبيّا عند وقوع المعصية منه، وحجتهم على ذلك قوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، ففرق بين حالتين عند وقوع المعصية، وبعد وقوعها وفصلها عنها ب(ثمّ) التي تعمل في المهلة فخرج من مضمون هذا أنه عندما واقع المعصية لم يكن نبيا وإنما كان نبيا بعد ذلك والعصمة لا تشترط للنبيّ إلا بعد ثبوت النبوة لا قبلها،والصحيح أن معصية آدم عليه السلام وغوايته وظلمه لنفسه لم يكن ارتكاب نهي شرعي، وإنما كانت على مقتضى اللغة، لكون النهي فيها على وجه الإرشاد والنصيحة له، ليحتفظ من مكيدة عدوه الشيطان حتى لا يقبل منه فيخرج من الجنة، والمعاصي المنهى عنها في الشرع إنما تورد النار، فنهاه ربّه وأرشده، ووسوس إليه الشيطان بحسده إياه في سكنى الجنان، فأنساه الله تعالى إرشاده إياه ووسوسة الشيطان له، فأكل منها ناسيا للوسوسة والإرشاد، ولا يجوز عليه غير هذا".[3]

فقد وجد ابن خمير لقصة آدم عليه السلام في أكله للشجرة مخرجا حسنا عن طريق تأوّيله لألفاظ الآيات، التي يتوّهم منها بأن آدم عليه السلام إرتكب الصغائر؛ لأن ظاهر لفظ الآية يدل على ذلك بقوله ﴿...وَعَصَى آدَمُ...﴾.

---

[1]- ينظر: كتاب تنزيه الأنبياء فقد فصل في إحدى عشرة قصة من القرآن الكريم للأنبياء وركز فيها على الآيات التي يوهم ظاهرها صدور الصغائر ولخص بعضها في كتاب مقدمات المراشد في فصل بعنوان (عصمة الأنبياء) ص 256، وما بعدها

[2]- سورة طه، 121-122

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 257- 258، مصدر سابق

حيث بيّن أن هناك زمنين لآدم عليه السلام في حالة افتراض أنها معصية فقد وقعت له قبل النبوة،وفي هذه الحالة ليس معصوما؛ لأن العصمة تشترط بعد النبوة،لا قبلها، هذا مخرج للقصة وهناك مخرج آخر على مقتضى اللغة حيث بيّن أن لفظ المعصية ليس بالمعنى الشرعي فالنهي ليس شرعي وإنما لغوي فكان النهي على وجه الإرشاد والنصيحة وليس نهي تحريم وكراهة.

وفي موضع آخر بيّن أن معنى المعصية من جهة اللغة وليس الشرع حيث قال:"فإن احتجوا بقوله تعالى إنه عصى وغوى وظلم نفسه، قلنا: إذا لم يثبت تكليفه في الجنة، فتخرج هذه الألفاظ على مقتضى اللغة،فإن المعصية في اللسان عدم الامتثال كانت مقصودة أو غير مقصودة وظلم النفس غبنها وبخسها في منافعها، لكونه وضع الفعل في غير موضعه، وكذلك غوى أدخل على نفسه الضرر، يقول غوى الفصيل، إذ رضع فوق حده من اللبن فبشم، فعلى هذه الوجوه تخرج هذه الألفاظ"[1]،فقد أوّل ابن خمير قصة آدم عليه السلام في أكل الثمار من الشجرة حيث فسّر هذه الألفاظ التي توهم ارتكاب الصغائر كالمعصية والغواية والظلم لنفسه فبيّن أن آدم عليه السلام كان يسكن الجنة وأن الجنة لا يوجد بها تكليف فتؤوّل على أساس لغوي، وليس شرعي، فالمعصية من جهة اللغة عدم الإمتثال سواء أكان مقصودا أو غير مقصود؛ لأنه لم يتعمد ذلك لقوله تعالى: ﴿...فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[2]،والعزم في اللغة هو الإرادة التي يقع معها الفعل وقد نفاه تعالى عنه[3] وكذلك الظلم فبيّن من جهة اللغة وضع الشيء في غير موضعه،وأنه نسبه إلى نفسه فيكون قد

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص104، مصدر سابق

[2]- سورة طه، الآية 115

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 105، مصدر سابق

غبنها وبخسها وليس بظلم شرعي، وكذلك الغواية على أنها إدخال الضرر على النفس هذه المخارج التي أوجدها ابن خمير لقصة آدم عليه السلام.[1]

ب.من السنة:

فقد ردّ على القائلين بأن للأنبياء ذنوب منها أحاديث الاستغفار[2]، حيث قال ابن خمير: "فإن قيل: فإذا لم تكن لهم ذنوب فكيف يتصور لهم استغفار ومغفرة[3]، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾[4]، فالجواب أن نقول لتعلم أن القوم كبار المقربين ورؤساء العارفين وأنهم أهل الحضرة القائمون في نطاق الخدمة القاعدون على بساط القربة،وهم مع ذلك أهل المنازلات والغفلات ودقيق اللحظات حتى تكون حسنات الأبرار سيئات المقربين،فلكل مقام مقال،ومن شأن الملوك الإغضاء عن العوام والبحث والتنقير على الخواص،ولله المثل الأعلى، فله أن يطالبهم بالنقير والقطمير؛ تأديبا لهم وعتاب عليهم حتى يتمحصوا لتلقي المناجاة وترقي المنازلات والحق عند المشاهدات، فهم يعدّدون الفتلات، والفترات واللحظات، من المباحات ذنوبا لكونها غيبة، ويطلبون الاستغفار منها فيخبرهم ربّهم أنه قد غفرها لهم،ودرأ عنهم الطلب فيها رحمة لهم، وتنفيسا لخناق ضيقهم وشدة خوفهم"[5].

استدل ابن خمير بمذهب التصوف الإيجابي الذي لا ينافي الشرع وهو الذي يمثل تزكية النفوس والتقرب إلى الله تعالى بالعبادة والشكر والاستغفار حيث بين حال المقربين وهم أهل

---

[1]- وله تفصيل للقصة في كتاب التنزيه وسنوردها بالتفصيل في الفصل الثالث(أنواع العصمة) وذلك في الرد على الشبهات منها لفظ المعصية للمزيد ينظر: كتاب تنزيه الأنبياء لابن خمير من ص 99 إلى ص 111

[2]- سبق ورودها وتخريجها في أدلة القائلين بجواز الصغائر

[3]- ورد عدة آيات فيها استغفار الأنبياء عليهم السلام مثل سيدنا سليمان عليه السلام (رب إغفر لي) ويونس عليه السلام (فالتقمه الحوت وهو مليم)، ينظر تنزيه الأنبياء، لابن خمير، ص258، مصدر سابق.

[4]- سورة محمد، الآية 19

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص259، مصدر سابق

التصوف الإيجابي لقربهم من الله تعالى بالعبادة رغم ذلك فإنهم يعدون هذا القرب وما يقدمونه من العبادات والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل أنه تقصير منهم وأن الأبرار من المؤمنين المحافظين على الفرائض وقلة إتيانهم بالنوافل فبالمقارنة بينهم وبين المقربين فإن حسنات الأبرار يعدها المقربون سيئات بالنسبة لهم، فكأنما ينظرون إلى الأبرار من المؤمنين أنهم لم يعملوا شيئا وأنهم فرطوا في حق الله تعالى،وأما المقربين مهما بلغ قربهم من الله تعالى بالطاعات فإنهم مقصرين في حقه تعالى، فهذه الحالة استدل بها ابن خمير على استغفار الأنبياء عليهم السلام لأنهم ينظرون في حالهم أنهم مقصرون في حق الله تعالى فيستغفرونه وكذلك استدل بحالة أخرى وهي حالة الملوك مع خواصهم ورعيتهم فإن الملك لا يراعي أخطاء الرعية وإنما يراعي أخطاء الخواص المقربين إليه، وإن كان الخطأ بسيطا ولا يعد خطأ جسيما ومن هنا انتقل ابن خمير للحالة بين النبيّ ﷺ وربّه، ولله المثل الأعلى.

محاسبة الأنبياء عليهم السلام ليست كمحاسبة المؤمنين بصفة عامة، لأن مقام النبوة رفيع وقريب من الله تعالى وأنهم أهل قدوة وأهل رفعة في المجتمعات فلله تعالى أن يطلبهم بصغائر الأمور وله تعالى أن يعاتبهم ويؤدبهم، فقد عقد فصلا بعنوان (عتب الله تعالى لأنبيائه) ومما جاء فيه قول ابن خمير: "ثم إن لله تعالى أن يعتب أنبيائه وأصفيائه ويؤدبهم كما تقدم ويطلبهم بالنقير والقطمير، من غير أن يلحقهم في ذلك نقص من كمالهم ولا غض من أقدارهم حتى يتمحصوا للعبودية والقيام في نطاق الخدمة، والقعود على بساط القربة"[1]، حيث بين ابن خمير أن عتاب وتأديب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبل الله تعالى لا ينقص من أقدارهم

ج. من السيرة:

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 119، مصدر سابق

استدل ابن خمير من سيرة النبي ﷺ على نفي الصغائر عنه ﷺ فقال: "ومصداق هذه الإلتفاتة الشريفة ما جاء في الصحيح أنه لما جيء بالكافر يوم الفتح الذي أمر النبيّ ﷺ فرغب إليه فتركه، قال الصحابة:(يا رسول الله أوميء إلينا فنقتله)، فقالعليه السلام:(ما كان لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين)[1]، فنفاه عنه وعن غيره من الأنبياء عليهم السلام وليست بكبيرة ولا صغيرة"[2] وقد فسره ابن خمير في موضع آخر بقوله: "يعني الإشارة بالعين في الأوامر حتى يفصح بها والإشارة بالعين في الأوامر مباحة لكنه تحرز منها تنزها وتأكيدا لرفع الإلتباس وهي مباحة لغير الأنبياء"[3]، فبين تنزه النبي ﷺ عن بعض الشبهات كالغمز بالعين مما يدل على تنزهه عما هو أكثر من ذلك كالصغائر وهذا يعم جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتساويهم في يجب وما يستحيل وما يجوز عليهم، قال ابن خمير:"فإنه إذا جوزت عليه المعصية المنهي عنها شرعا جازت على من بعده من الأنبياء عليهم السلام، وإذا لم تجز عليه فأحرى أن لا تجوز على من بعده منهم"[4]، فنفاه عنه وعن غيره من الأنبياء عليهم السلام، وليست بكبيرة ولا صغيرة، حيث بيّن ابن خمير في هذا الحديث أن الإيماء بالأعين لا يصدر من أيّ نبي كان رغم أنه ليس ذنبا أو سيئة ولكن لم يكن من أخلاق النبوة، فهم أهل تمحيص وابتلاء حيث يعدون الفلتات والغفلات ذنوبا، يستغفرون منها.

وكذلك ردا على المجوزين للصغائر واستدلالهم بحديث الشفاعة الذي يذكر لكل نبيّ ذنب له حيث قال:"وكذلك ما جاء في الصحيح أنه إذا طلبت الأمم الشفاعة من الأنبياء في الحساب تواضع كل واحد منهم؛وأخذ يذكر ذنبا ليس هو بذنب منهي عنه، فيقول:"نوح عليه السلام (دعوت

[1]- أخرجه أبو داود في سننه، رقم2683، مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 259، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 119، 120، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص 109، 110

على قومي)[1] وهو ما دعا عليهم حتى أخبر﴿...أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ...﴾[2] فدعا عليهم، لأن أكثرهم سواد النار، ثم يأبى أنه لو ترك الدعاء لكان أولى به،مع أنه لم ينه عنه والدعاء على الكفرة ليس بذنب صغير ولا كبير".[3]

حيث يواصل ابن خمير شرحه للحديث، ويذكر بقية الأنبياء عليهم السلام[4]،حيث يؤوّل هذه الألفاظ ويجد لها مخرجا من القرآن والسنّة وكذلك اللغة، وفي نهاية كلامه قال:" وهذه عادة الله تعالى مع أحبابه وأصفيائه يمتحنهم ويطلبهم بالجليل واليسير حتى يمحصهم لمحبته ويشغلهم بذكره عما سواه، قال تعالى لنبيه ﷺ:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾[5]، فإذا كان هذا شأنهم مع الله تعالى في المباحات فما ظنك بالذنوب المنهي عنها، مع أن كل ذنب كبيرة كما تقدم ثم تؤكد بعضها بعضا في الكبر بتأكيد الوعيد عليه فقد اتحدت في الكبر، على أنه ما أخبر تعالى فيما قد بلغنا عنهم في كتاب ولا سنّة أنهم واقعوا صغيرة ولا كبيرة قط خلا قصة آدم ﷺ وقد خرجنا عنها خروجا صحيحا بحمد الله كما سمعت، وقد حكى بعض الأئمة أن الأمة مجمعة على عصمة بواطنهم من جملة الذنوب صغيرة وكبيرة فخرج من مجموع ذلك ما ذكرناه أن غلبة الظن ينفي الصغائر عنهم أولى من إثباتها والله أعلم".[6]

حيث بيّن أن مصدر النقل القرآن الكريم والسنّة، ولم يذكر وقوع الأنبياء عليهم السلام في الذنوب سواء أكانت صغيرة أم كبيرة إلا ما صرّح به في قصة آدم ﷺ فقد وجد لها ابن خمير

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم 3361 (حديث الشفاعة)

[2]- سورة هود، الآية 36

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 260، مصدر سابق

[4]- منهم إبراهيم ﷺ، وموسى ﷺ،وعيسى ﷺ، ينظر: مقدمات المراشد، ص260-261، مصدر سابق

[5]- سورة طه، الآية 131

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص262، مصدر سابق

مخرجا حسنا بتأويلها وقد سبق تفصيل ذلك ثم بيّن رأي علماء الأمة في ذلك وأكدّ عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب.

د. الحجة العقلية:

فقد استدل ابن خمير على تنزيه الأنبياء عليهم السلام بدليل عقلي نصيغه كالآتي:

- قوله:" أن غلبة الظن بنفي الصغائر عنهم أولى من إثباتها".[1]
- قوله:" أن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنية".[2]

في الأول استعمل دليل الأولى هنا على أن الظن الغالب ينفي عنهم الصغائر إذن فنفيها عنهم أولى من إثباتها.

وفي الثاني كذلك استخدم دليل الأولى، ولكن في مجال واحد متجانس وهو مجال المباحات فبيّن أن ما جاء في عتاب الأنبياء عليهم السلام في أفعالهم وأقوالهم وتصرفاتهم في الواقع أنها في مجال واحد لا تخرج عنه وهو مجال المباحات ولم تكن خرجت منه إلى المحرمات أو المكروهات أو المنهيات، عموما، فكان العتاب عدولهم عن أفعال أخرى أولى منها أي أن النبيّ ﷺ المعاتب على فعل أنه ترك فعل مباح كان له أن يفعله وذهب إلى غيره وهو مباح أيضا وابن خمير في هذا المجال ألف كتاب تنزيه الأنبياء وعرض فيه الأفعال والأقوال والتصرفات المباحة التي وقع فيها العتاب على الأنبياء عليهم السلام وأوجد لها مخرجا حسنا،وردّ فيه على القائلين بصدور الصغائر عنهم.[3]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص262، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 57- 58، مصدر سابق

[3]- ينظر: كتاب تنزيه الأنبياء لابن خمير فيه تفصيل أكثر وتحليل أكثر، وردا على الشبهات وسنتناول ذلك بالتفصيل أكثر في الفصل الثالث(أنواع العصمة)

هـ. الإجماع:

فقد نقل ابن خمير الإجماع في عصمتهم من الصغائر وذلك في معرض حديثه عن النبي محمدﷺ في سيرته وأحواله قولا وفعلا فقال:(وكذلك حصول دوام استقامته فعلا ومقالا وحالا وسلامة العافية في المآل وتنزيهه عن خسيس الأفعال المؤدية لسقوط العدالة كل ذلك حاصل له بالإجماع).[1]

وبهذا يكون ابن خمير قد وفق في موقفه هذا واختار مع القائلين بتنزيه الأنبياء عليهم السلام من الصغائر وعرض الأدلة وحلّل وبيّن ورد على شبهات المجوزين عليهم الصغائر فهو يؤكد عصمة الأنبياء عليهم السلام من جميع الذنوب فهو مع إجماع الأمة على عصمتهم من الكبائر، ومع القائلين بنفي الصغائر عنهم.

الفرع الثالث: الأعراض البشرية العادية

من حكمة الله تعالى أن جعل النبوة في صنف البشر، حتى يكون التأقلم معهم لأنهم من جنسهم ويتعرضون للأعراض البشرية العادية؛ ولهم غرائز بشرية ليكونوا في دعوتهم وأفعالهم وتصرفاتهم وأخلاقهم حجة على أقوامهم،وقد ذكر القرآن أنهم صنف بشري قال تعالى:﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾[2]، ولقد نص القرآن على كونهم أجساد بشرية تأكل وتشرب، وأنهم ليسوا خالدين في الدنيا فهم يتعرضون للموت كبقية البشر قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[3]،حيث بيّن القرآن الكريم أن الأنبياء والرسل عليهم السلام صنف من جنس البشر وأن بعث لهم رسول من جنسهم وهذا يعتبر منّة من الله تعالى ونعمة لكي يتسنى لهم الاقتداء بهم قال تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص224 مصدر سابق

[2]- سورة الكهف، الآية 110 وسورة فصلت 06

[3]- سورة الأنبياء، الآية 08

أَنْفُسِهِمْ...﴾[1]،ولقد تعجب أقوامهم من ذلك قال تعالى:﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا...﴾[2].

وفي هذا المجال تعجب القوم من أن النبيّ الذي بعث إليهم كيف يتعرض لأمور يتعرض لها سائر البشر مثل أكل الطعام والمشيّ في الأسواق قال الله تعالى على لسانهم:﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...﴾[3]، ولقد ردّ عليهم القرآن تعجبهم هذا وأن جميع الرسل عليهم السلام هم من صنف البشر ويتعرضون إلى الأعراض البشرية وضرب مثالا على ذلك على أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فقال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ...﴾[4]، وفي المقابل ذكروا نقيض ذلك بأن النبي ﷺ مساوي للبشر وليس له خاصية تميزه عنهم فهو بشر مثلهم قال تعالى على لسانهم:﴿ ...مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[5]، فرد عليهم القرآن أن الذي يميز الأنبياء عليهم السلام عن بقية البشر ثلاثة أمور أساسية؛ هي: الاصطفاء، العصمة الوحي[6]، قال تعالى في صفة الاصطفاء[7] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾[8]،وأما بالنسبة للميزة الثانية التي تميّز الرسول على بقية البشر وهي العصمة، قوله تعالى:﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾[9]، وأما الميزة الثالثة فهي الوحيّ[1] قال تعالى:﴿قُلْ

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 164

[2]- سورة هود، الآية 27

[3]- سورة الفرقان، الآية 07

[4]- سورة الفرقان، الآية 20

[5]- سورة المؤمنون، الآية 33

[6]- الاصطفاء والوحي سبق شرحهما في أسس النبوة وأما العصمة فقد خصصت لها الفصل الثاني والثالث

[7]- لقد ذكرت أن الاصطفاء إحدى أسس النبوة، ينظر: المبحث الثاني من الفصل الأول (أسس النبوة)

[8]- سورة إبراهيم، الآية 11

[9]- سورة المائدة، الآية 67

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾[2]،قال ابن خمير في تفسيرها:"أخبر تعالى أن نبيّنا عليه السلام مثلنا في البشرية والتركيب إلى غير ذلك من صفات الأجسام، ثم شرفه علينا بالوحيّ والاصطفاء، والعصمة، إلى غير ذلك من صفات الإكرام"[3]، وهذه الأمور الثلاثة ركز عليها ابن خمير ثم عمم كلامه في الصفات عموما التي تليق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالإضافة إلى أمرين أخرين أساسيتين هما الصفات الواجبة لهم (الصدق، الفطانة، الأمانة، التبليغ)، والأمر الأخر المعجزة.[4]

النبوة صناعة إلهية خاصة يختص بها الله تعالى من يصطفيه لحمل الرسالة قال تعالى في حق موسى عليه السلام ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[5]، والنبوة هي محبة من الله تعالى لعبده المصطفى ورعاية خاصة منه تعالى لتهيئته لحمل الرسالة والأمانة قال تعالى في حق موسى عليه السلام:﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[6]، وكذلك خاطب محمد ﷺ بهذه الرعاية الإلهية فقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾[7] فقد منّ الله تعالى على صفوة من عباده بالنبوة وهيئهم لذلك وخصّهم بصفات تميزهم عن بقية البشر، ولكن لا تخرجهم عن جنس البشر وذلك لوجود أمور مشتركة مع بقية البشر مما يؤكد بشريتهم،وهذه الأمور من العوارض التي تصيب البشر كالمرض والموت،والنسيان، والغفلة وغيرها من الأمور العادية والتي لا تقدح في عصمة الأنبياء عليهم

[1]- كذلك ذكرت أن الوحي إحدى أسس النبوة، ينظر: المبحث الثاني من الفصل الأول (أسس النبوة)

[2]- سورة الكهف، الآية 110 وسورة فصلت 06

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص199، مصدرسابق

[4]- سبق أن عددت أربع أسس للنبوة، ينظر: المبحث الثاني من الفصل الأول (أسس النبوة)

[5]- سورة طه، الآية 41

[6]- سورة طه، الآية 39

[7]- سورة الطور، الآية 48

السلام، وسأذكر نماذج مما ساقها ابن خمير في هذا المجال حيث قسم الأعراض البشرية إلى قسمين ظاهرة وباطنة فقال: "وهذه المجوزات عليهم تنقسم إلى قسمين: ظاهرا وباطنا".[1]

القسم الأول: الأعراض الظاهرة (البدنية)

حسب ما أورده ابن خمير من الأعراض الظاهرة المتعلقة بالجسد والأبدان بالنسبة للأنبياء عليهم السلام كنماذج يمكننا حصرها في نوعين الأول الابتلاء من قبل الله تعالى كالأمراض العادية والإصابة بالعمى والسجن في بطن الحوت، والنوع الثاني الأذى من قبل الناس كالقتل والجرح والسحر والسجن البشري وكل ذلك بإذن الله تعالى وقضاءه وقدره ويمكننا التفصيل في هذين النوعين والاستدلال عليهما كما يلي:

النوع الأول: الإبتلاء من قبل الله تعالى

ولله تعالى أن يبتلي أنبياءه عليهم السلام بما يليق بهم؛ ولا يقدح في رتبهم فأكثر الناس إبتلاءًا الأنبياء عليهم السلام قال ابن خمير:"وهذه عادة الله تعالى مع أحبابه وأصفيائه يمتحنهم ويطلبهم بالجليل واليسير حتى يمحصهم لمحبته، ويشغلهم بذكره عمّا سواه، قال تعالى لنبيه عليه السلام:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾[2]"[3].

فالإبتلاء سنة الله في خلقه عموما وعادة الله تعالى مع أنبيائه خصوصا؛ وكذلك أنه تعالى أن يعاتب أنبيائه ويؤدبهم وينبههم عند وقوع الخطأ الذي وقع منهم،وهذا في إطار المباحات ومهما كان الابتلاء والعتاب فإنه لا ينقص من قدرهم قال ابن خمير:"ولله تعالى أن يعاتب أنبياءه ويؤدبهم ويحذرهم، ويعلمهم، من غير أن يلحق بهم عتب ولا ذنب".[4]

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص262، مصدرسابق

[2]- سورة طه، الآية 131

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص261، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص115، مصدر سابق.

فالإبتلاء والعتاب كما ذكر ابن خمير في حق الأنبياء عليهم السلام من قبل الله تعالى ليس نقص في رتبهم العليّة ومقامهم عند ربهم ومكانتهم في المجتمعات وأقوامهم الذين بعثوا إليهم ومن النماذج التي ذكرها ابن خمير في هذا النوع من الأعراض البشرية، وهي على ضربين أمراض عادية وإصابات بدنية.

أولا: الأمراض العادية

وهي الأمراض العادية التي يصاب بها الإنسان ويشفى منها بإذن الله تعالى؛قال ابن خمير: "كل ما يجوز على ظواهرها من الآفات والأسقام والأمراض"[1]، وهذه الأمراض التي تصيب الأنبياء عليهم السلام هي أمراض غير منفرة، وهي من باب الابتلاء الربّاني وإثبات بشريتهم للناس ولأقوامهم حتى لا يعتقدوا فيهم الألوهية كما اعتقد النصارى في عيسى عليه السلام بأنه جزء من الإله، وقد أورد ابن خمير نموذجين لنبيين هما أيوب عليه السلام ومحمد ﷺ.

1- أيوب عليه السلام:

أبتلي أيوب عليه السلام بداء الجذام قال ابن خمير:"وقد وقع بعض ذلك لبعضهم؛ فإن أيوب عليه السلام أأبتلي بالجذام..."[2]، ويُعتبر من الأمراض العادية غير المنفرة وهو إبتلاء من الله تعالى وقد صبر وشكر الله تعالى، قال تعالى:﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[3]، فقد أثنى الله تعالى عليه؛وقد نسب أيوب عليه السلام المرض إلى الشيطان تأدبا مع الله تعالى؛ قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[4].

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص262، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- سورة ص، الآية 44

[4]- سورة ص، الآية 41

قال ابن خمير:" فإن الأنبياء عليهم السلام إذا مسّهم ضرّ نسبوه إلى الشيطان على وجه الأدب مع الحق سبحانه، لئلا ينسبوا له فعلا يُكره مع علمهم أن كلا من عند الله"[1].

وبعد تعرضه للإبتلاء والمرض فقد شفاه الله تعالى منه وردّ عليه ماله وولده قال ابن خمير: "فمسّ أيوب عليه السلام الأرض برجله فنبع منها الماء فشرب منه فبريء ما كان في باطنه في دقيق السقم وجليله، وإغتسل فبرئ من ظاهره أتم براءة فما كان يرسل الماء على عضو إلا ويعود في الحين أحسن ما كان قبل؛ بإذن الله تعالى، وردّ عليه ماله وولده،وولد له مثل عددهم..."[2]وعبر عنها ابن خمير نظما فقال:

كما مس أيوب اليبيس برجله *** ففارت عيون طهرته من الصخب[3]

وقصة أيوب عليه السلام يطول شرحها كما قال ابن خمير:"جاء في خبر يطول ذكره فنذكر منه ما لابد من ذكره"[4]، ولذا اقتصرنا على محل الشاهد وهو إصابة الأنبياء عليهم السلام بالأعراض العادية التي لا تقدح في عصمتهم ورتبهم.

2- مرض سيدنا محمد ﷺ

وفي آخر حياته ﷺ وقبل وفاته أصابه المرض وأخذه صداع في رأسه[5]، قال ابن خمير: "وأما نبينا عليه السلام فقد صح مرضه في أخبار كثيرة بصداع الرأس وعارض الحمى إلى غير ذلك".[6]

ثانيا: الإصابات البدنية

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 265، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص264

[3]- المصدر السابق، ص180

[4]- المصدر السابق، ص164

[5]- الرحيق المختوم، ص 331، مصدر سابق

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدر سابق

وهي إصابات عادية مؤقتة ابتلى الله بها بعض أنبيائه عليهم السلام، قال ابن خمير: "فأما ظاهر أبدانهم فيجوز عليهم كل ما يجوز على ظواهرها من الآفات"[1]، وقد أورد ابن خمير نماذج لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كيونس ويعقوب وإسحاق وشعيب عليهم الصلاة والسلام.

1- يونس عليه السلام

فقد ابتلاه الله تعالى بالسجن في بطن الحوت؛ قال ابن خمير:"...ويونس عليه السلام ابتلي بالسجن في بطن الحوت بنينوى كأنه الفرخ..."[2]،حيث التقم الحوت يونس عليه السلام؛ وذلك بإلهام من الله تعالى ولم يصبه أذى منه فاستقر في بطنه وكان يدعو الله تعالى ويسبحه ثم استجاب الله دعاءه وأخرجه منه[3]؛ قال تعالى:﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[4]،قال ابن خمير: "أي آتى ما يلام عليه..."[5]،وعند إخراجه منه قال تعالى:﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ(145)وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ(146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[6]،وبعد هذا الابتلاء من قبل الله تعالى أرسله إلى قومه فآمنوا كلهم ومتعهم الله تعالى بالحياة[7].

2- يعقوب عليه السلام

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص263، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 263

[3]- طبارة، مع الأنبياء، ص313، مصدر سابق

[4]- سورة الصافات، الآية 142

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 159، مصدر سابق

[6]- سورة الصافات، الآية 143-148

[7]- طبارة، مع الأنبياء، ص183، مصدر سابق

فقد ابتلاه الله تعالى بفراق إبنه يوسفعليه السلام سنين طويلة،ومن شدة الحزن فقد بصره[1]،قال ابن خمير:"..ويعقوبعليه السلام إبيضت عيناه من الحزن.."[2]،وقال في حديثه عن الأسباط وهم إخوة يوسف:"وتفجع أبيهم على فقده حتى إبيضت عيناه من الحزن"[3]، وقد عبر القرآن الكريم عنه في قوله تعالى:﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[4].

ولم يلبث طويلا حتى أرجع الله إليه بصره عن طريق قميص يوسف عليه السلام، قال تعالى:﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...﴾[5]،وقد بين ابن خمير في موضع آخر سبب فقدان بصره فقال:"...وأن يعقوب عليه السلام نظر إلى يوسف فامتحن بفراقه وفراق بصره الذي نظر به إليه ستين سنة وقيل ثمانين"[6]،وهذا إمتحان من الله تعالى وإبتلاء الأنبياء عليهم السلام وليس عيب جسدي، أو عاهة تنقص من رتبهم العليّة ونفس هذا الإبتلاء ذكر ابن خمير أنه وقع لإسحاق وشعيب عليهما السلام، قال ابن خمير: "وأما الأخبار الواردة في السنن فقد وردت بعمى إسحاق وشعيب عليهما السلام".[7]

---

[1]- طبارة، مع الأنبياء، ص312، 313، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص184، مصدر سابق

[4]- سورة يوسف، الآية 84

[5]- سورة يوسف، الآية 96

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 261، مصدرسابق

[7]- ابن خمير،مقدمات المراشد، ص 262، وقصتهما بالترتيب الوارد للمزيد ينظر:مع الأنبياء، ص154، 157و200 208 مصادر سابقة، حامد أحمد الطاهر البسيوني، صحيح قصص القرآن، (د.ط)، دار البصائر،الجزائر 2005م ص281-286 و298-309، سعد يوسف أبو عزيز، قصص القرآن، ط2، دار الفجر،القاهرة،2010م، ص198-206 و125-132،ولم ترد أحاديث صحيحة في فقدان بصرهما عليهما السلام، بعد التحقق والبحث فلم أعثر على ما يؤكد ذلك

النوع الثاني: الإيذاء من قبل البشر

وهو إيذاء الأنبياء عليهم السلام من قبل أقوامهم وأعدائهم؛ ولا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم وهي إصابات عادية لا تؤثر في عصمتهم ولا في رتبهم ومقامهم العالي ونذكر بعض النماذج التي ذكرها ابن خمير منها سجن سيدنا يوسف عليه السلام، ورميّ سيدنا إبراهيم بالمنجنيق في النار وسحر سيدنا محمد ﷺ من قبل اليهود، وهذا النوع على ضربين الأول بدنيا والثاني معنويا.

أولا: الإيذاء البدني

وقد ذكر ابن خمير خمسة نماذج للأنبياء وهم: يوسف وإبراهيم وزكريا ويحي ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قال ابن خمير بعد ذكره نماذج من الإيذاء البدني: "...فهذه أفات بدنية ثبتت لهم".[1]

1- سجن سيدنا يوسف عليه السلام

قال ابن خمير: "...ويوسف عليه السلام ابتلي بسجن العزيز وبالملامة بضع سنين وهو برئ مما سجن من أجله..." [2]،حيث ابتلي يوسف عليه السلام بفتنة امرأة العزيز[3]واتهمته بالاعتداء عليها رغم براءته وشهادة الصبيّ الرضيع على براءته؛ فزجّ به في السجن لعدة سنين وكانت له أحداث فيه،وكان يدعو السجناء إلى عبادة الله الواحد وأخرج بسبب تفسير الأحلام للملك ثم اتضحت براءته بعدما إعترفت إمرأة العزيز بالحقيقة قال تعالى:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدر سابق.

[2]- المصدر السابق، ص 262

[3]- وقصته الوارد للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص 166-169، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص 233-235 قصص القرآن لسعد يوسف، ص 160-161، مصادر سابقة.

حَتَّى حِينٍ (35) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ...﴾[1]، ويُعتبر هذا إيذاء للأنبياء عليهم السلام من قبل البشر[2].

2- رميّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق

قال ابن خمير: "...وإبراهيم عليه السلام ابتلي بالمنجنيق والنار"[3]، وهذا نوع آخر من إيذاء الأنبياء عليهم السلام عن طريق البشر، فقد دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى نبذ عبادة الأصنام والإتجاه إلى عبادة الواحد القهار فلما أقام عليهم الحجة بتحطيم أصنامهم عاقبوه برميه بالمنجنيق في النار[4] ولكن تجلت قدرة الله تعالى بأن أصبحت النار بردا وسلاما عليه[5]،قال تعالى:﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(68)قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[6].

3- جرح محمد ﷺ في غزة أحد

قال ابن خمير في إذاء النبي ﷺ من قبل قومه "...وكذلك ما طرأ من الغير في سبه وضربه وجرحه وإخراجه وكسر رباعيته"[7]، فقد أصيب سيدنا محمد ﷺ في غزوة أحد حيث كسرت رباعيته[8]، وشج وجهه الكريم ﷺ؛حيث قال بعد ذلك: "كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيّهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله".[9]

---

[1]- سورة يوسف، الآية 35-36

[2]- طبارة، مع الأنبياء، ص 166، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدر سابق.

[4]- وقصته الوارد للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص111-113، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص 136-137 قصص القرآن لسعد يوسف، ص 80-81، مصادر سابقة.

[5]- طبارة، مع الأنبياء، ص 112، مصدر سابق

[6]- سورة الأنبياء، الآية 68-69

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدر سابق.

[8]- الرحيق المختوم، ص190، مصدر سابق

[9]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1791، مصدر سابق

4- قتل زكريا ويحي عليهما السلام

أورد ابن خمير أن زكريا ويحي عليهما السلام تعرضا للقتل فقال:"...وبما قال الكفرة من سب الأنبياء وضربهم ونشرهم بالمناشير كزكريا عليه السلام،وذبحهم بالمدى[1]كيحي عليه السلام إلى غير ذلك..."[2] وقتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أكده ابن خمير وإستدل عليه فقال:"...على أن ما فوق القتل ظلم،قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ...﴾[3]، وقال تعالى: ﴿... فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]، فهذه أخبار كتابية لا مدفع فيها"[5]، حيث ذكر ابن خمير قتل النبيين الأب والإبن واستدل بالقرآن الكريم في قتل الأنبياء عموما وأما كيفية القتل بالتعيين فقد ذكر ورود الأخبار في السنن (وأما الأخبار الواردة في السنن فقد وردت بعمى إسحاق عليه السلام،...،ونشرهم بالمناشير كزكريا عليه السلام...)[6]وفي موضع آخر ذكر سبب قتلهما بإعتباره أنه إبتلاء من الله تعالى فقال:"...وكذلك زكريا عليه السلام نظر إلى يحي فنشر بالمنشار وذبح ولده الذي نظر إليه..."[7]،وقد أورد ابن خمير أن بني إسرائيل قاموا بقتل أنبيائهم حيث قال:"فلما طغى بنو إسرائيل وقتلوا الأنبياء

---

[1]- المدى: في اللغة الشفرة، مختار الصحاح، ص320، مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدر سابق.

[3]- سورة آل عمران، الآية 146

[4]- سورة آل عمران، الآية 183

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدرسابق

[6]- وقصة النبيين للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص318-321، صحيح قصص القرآن،ص448-456، قصص القرآن 378 - 387، مصادر سابقة، صحيح ما ذكره ابن خمير في قتل بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بدليل القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿... وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾، سورة آل عمران، الآية 181، وقد وقع هذا لأنبياء بني إسرائيل عموما دون تحديد،فلم يرد حديث صحيح في قتلهما وكيفية قتلهما بأي وسيلة كانت وإنما أورده أصحاب التواريخ،ينظر: صحيح قصص القرآن،ص455، قصص القرآن 386، مصادر سابقة

[7]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 261، مصدرسابق

بغير حق..."[1]،ثم ذكر قصة قتل يحي عليه السلام في الحوار الذي دار بين الملك بختنصر البابلي[2]، والنبي العزير[3] عليه السلام فسأله قائلا: (ومن ذلك النبي الذي قتله قومه ظلما؟ فأجابه العزير يحي بن زكريا عليهما السلام).[4]

ثانيا: الإيذاء المعنوي

وهو على ضربين الأول لفظي والثاني يدخل تحت السحر، وقد أورد ابن خمير في الأول عدة نماذج منها نوح وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، والثاني فقد ذكر نموذج واحد للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو محمد ﷺ وذلك في سحره.

الضرب الأول: الإيذاء اللفظي (اللسان)

والنماذج التي ذكرها ابن خمير ثلاثة هي كالآتي:

1. **نوح عليه السلام**: وذلك حينما أمره الله تعالى بصنع السفينة[5] في قوله تعالى:﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...﴾[6]، فبدأ بصنعها وكلما مر عليه قومه سخروا منه فيرد عليهم بالمثل، قال تعالى: ﴿...قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[7]، قال الماوردي في شرحها "إنهم

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 145، مصدر سابق

[2]- وهو ملك العراق في ذلك الوقت وهو مجوسي الأصل تسلط على مدينة بيت المقدس وذلك في عهد بني إسرائيل،ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت، 1985م، 272/1، وقصته كذلك في روح المعاني للألوسي، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1978م، 21/3

[3]- ذكر الخلاف في نبوته وابن خمير يعتبره نبي وقد ذكر أن إسمه دانيال وسمي العزير لكثرة تعزير اليهود له أي تعظيمهم له وقالوا: (أنه ابن الله) ينظر: ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 144-148، مصدر سابق، كذلك أدلة إثبات نبوته عند ابن خمير في الفرع الثاني من المطلب الثاني من المبحث الأول من الفصل الرابع، للمزيد ينظر: ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص142 وصحيح قصص القرآن،ص434، وقصص القرآن440، مصادر سابقة

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 145، مصدر سابق

[5]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص68، صحيح قصص القرآن،ص90، قصص القرآن49، مصادر سابقة

[6]- سورة هود، الآية 37

[7]- سورة هود، الآية 38

لما رؤوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال أبني على الماء سفينة، فتعجبوا من قوله وسخروا منه"[1]، ويدخل هذا النوع من الإيذاء في السب والشتم والسخرية عموما، قال ابن خمير: "...وبما قال الكفرة من سب الأنبياء..."[2]، قال ابن خمير في الحوار الذي دار بين نوح عليه السلام وإبنه حيث سخر الابن من أبيه: "وفي قوله أيضا مع إعتقاد أن الجبال تعصم من الماء تسفيه حلم أبيه، إذ لو كان الإعتصام بغير السفينة لكان الإعتصام بالسفينة سفها من جهة الضيق والتغرير،ونوح عليه السلام أعلم الناس بهذه الوجوه،وهذه القرائن من أحوال ولده وأقواله، فإنها تدل على كفره بتكذيبه إياه وتسفيهه حلمه..."[3] حيث بين ابن خمير الإيذاء اللفظي من قبل قوم نوح عليه السلام وأقرب الناس إليه هو إبنه وذلك في السخرية منه.

2. **موسى عليه السلام**:قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[4]، حيث رموه بني إسرائيل بأن به عيب في جلده وهو البرص فكان مرة يغتسل حتى رؤو جلده ليس به عيب ومن هنا فإن الله تعالى برأه مما رموه به وقد ورد في الصحيح هذا الخبر[5]، ويدخل هذا الإيذاء في الشتم والسب كما قال ابن خمير:"وبما قال الكفرة في سب الأنبياء"[6]،قال ابن خمير في إتهام موسى بالعصبية "أن موسى قتل القبطي من

---

[1]- الماوردي أعلام النبوة، تح: سعيد محمد اللحام، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1989م، ص 66

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدرسابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 112، مصدر سابق

[4]- سورة الأحزاب، الآية 69

[5]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 3404، جاء فيه"إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده...قال: فذاك قوله عز وجل﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾"،للمزيد ينظر: صحيح قصص القرآن ص364، مصدر سابق

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدرسابق

أجل العبراني، لأن كان العبراني من قبيله والقبطي ليس غير قبيله فصيروا الكليم عليه السلام متعصبا لأجل قبيله وعشيرته، وليس الأمر كذلك وحاشه من ذلك".[1]

3. **محمد ﷺ**: قال ابن خمير: "...ولتعلم أن كفار قريش هجوا النبي ﷺ بأنواع الأهاجي وأذوه بأنواع الأذيات ولكن ما سمى الله إذاية منها إلا فيما نسبوه له من تلقف الأقاويل فقال تعالى:﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ...﴾[2]، أي يقبل كل ما يسمع من غير حجة ثم يخبر به".[3]

فقد رمي النبي ﷺ بعدة أذيات منها الجنون، السحر، الشعر[4]، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[5]، ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[6]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾.[7]

لما مات عبدالله ابن النبيﷺهجاه أبو لهب فقال "محمد صار ابترا"[8]،فنزل قوله تعالى:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.[9]

الضرب الثاني: الإيذاء بالسحر

حيث أورد ابن خمير نموذج لسحر النبي ﷺ من قبل اليهود عندما هاجر إلى المدينة،حيث قال: "...وسحر أياما كما سحر موسى عند إلقاء السحرة عصيهم..."[1]، وهو نموذج آخر من

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 149، مصدر سابق

[2]- سورة التوبة، الآية 61

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 42، مصدرسابق

[4]- الرحيق المختوم، ص58، مصدرسابق

[5]- سورة الحجر، الآية 6

[6]- سورة ص، الآية 4

[7]- سورةالحاقة، الآية 41

[8]- الرحيق المختوم، ص61، مصدرسابق

[9]- سورة الكوثر، الآية 3

إيذاء الأنبياء عليهم السلام من قبل البشر عن عائشة رضي الله عنها قال:"سُحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله"[2]، والسحر إنما كان قد أثّر على ظاهره لا باطنه،قال عياض:"فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله ...."[3]، ثم أرسل الله إليه ملكان لفكّ سحره ﷺ عن يحي بن يعمر قال:"حبس رسول الله عن عائشة سنة، فبينما هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه..."[4] إلى نهاية الحديث التي بها قصة فكّ السحر، قال ابن خمير في هذا النموذج من الإيذاء وسحر أياما كما سحر موسى عند إلقاء السحرة عصيهم فهذه آفات بدنية تثبت لهم"[5]، فهذه بعض النماذج بالنسبة للقسم الأول، وسنورد بعض النماذج في القسم الثاني[6]، وحوادث الإيذا بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام كثيرة جدا.[7]

القسم الثاني: الأعراض الباطنة (المعنوية)

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدرسابق

[2]- أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم 6584، مصدر سابق

[3]- الشفا، 166/2، مصدر سابق

[4]- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقمه19765،تح:حبيب الرحمان الأعظمي،ط1،المجلس العلمي،جنوب أفريقيا 1970م

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدرسابق

[6]- وقد أورد ابن خمير نموذج آخر بالنسبة للإيذاء بالنسبة للبشر في قصة يونس عليه السلام ولكن لم يحدد نوع هذا الإيذاء قال ابن خمير"..وإنما كانت لقومه لما نال منهم من الأذية، فاحتمل أذاهم حتى ضاق صدره، ويئس من فلاحهم"وقال في موضع أخر في نفس القصة:"أنه كلف مقاساة الجهلة والصبر على أذاتهم"،ابن خمير تنزيه الأنبياء، ص158، 161مصدر سابق.

[7]- مثل حادثة الإفك والإيذاء بصفة عامة في السيرة، ابن هشام، 2/8-58-319/1، علوش، قصص القرآن، ط1، دار الفكر، بيروت، 2003، ص234، صلاح الدين محمود سعيد،صحيح القصص النبوي، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة 2013،ص75، وقد ذكر ابن خمير حادثة الإفك باختصار وكذلك تحدث عن قتل أنبياء بني إسرائيل في مقدمات المراشد ص261-264، وقصة إيذا نوح عليه السلام في التنزيه، ص116.

قال ابن خمير: "وأما الآفات المعنوية فهي كل ما يدخل تحت الكسب من الضروريات كأضداد العلم..."[1]، فقد أورد ابن خمير بعض النماذج في الأعراض الباطنة ويمكننا تقسيمها إلى نوعين الأول ما لها علاقة بالعقل كالنسيان وما يدخل تحته كالسهو والغفلة، والنوع الثاني ما لها علاقة بالنفس والقلب كالغضب والأسف، والحب والبغض، ويمكننا التفصيل في ذلك كما يلي:

النوع الأول: الأعراض المعنوية المتعلقة بالعقل

وهي الأعراض المتعلقة بالعقل وهي أربعة نماذج النسيان والسهو؛والغفلة، والغلط، وهي أعراض بشرية تحصل كذلك للأنبياء عليهم السلام، وقد ذكر ذلك في القرآن والسنة وسنفصل القول فيها:

01. النسيان:

ذكر ابن خمير النسيان من ضمن الآفات المعنوية التي تصيب الإنسان كذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث قال:"وأما الآفات المعنوية فهي كل ما يدخل تحت الكسب من الضروريات كأضداد العلم من الإغماء والغشيّة،والنسيان[2] وهذه الأضداد كلها ثابتة في الكتاب والسنّة، إلا أنها وإن اقترفت بأسباب حصولها فهي متحدة في النسيان[3].."[4].

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدرسابق

[2]- **الإغماء لغة** هو سهو يلحق الإنسان مع فتور الأعضاء لعلة، **والغشية لغة** تعب يلحق الإنسان ويعطل قواه لضعف قلبه المصباح، ص278، **والنسيان لغة** هو الترك، المختار، ص338، مصادر سابقة

[3]- وهناك فروق بين هذه المصطلحات فالناسي إذا ذكرته تذكر بخلاف الساهي، ينظر: المصباح، ص185، والفروق للعسكري، ص70، وقيل الغشية هي الإغماء، وفرق العسكري بين الإغماء والسهو فالإغماء سببه مرض والسهو خلافه ينظر: الفروق، ص71، والمصباح، ص278، مصادر سابقة

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدرسابق

وقد وقع النسيان لكل من آدم عليه السلام في أكله الشجرة فقد نسي العهد قال تعالى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.[1]

قال ابن خمير:"يعني عهدنا إليه في أمر الشجرة فنسي العهد،[2] فأكل منها من غير عزم على أكلها".[3]

وقصة موسى عليه السلام مع الخضر ونسيانه للحوت قال تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا...﴾[4]، وقد نسب موسى عليه السلام النسيان إلى الشيطان[5]،قال تعالى:﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾.[6]

وقد أقرّ النبيّ محمد ﷺبوقوع النسيان منه كبشر حيث قال:" إنما أنا بشر أنسى كما تنسون،فإذا نسيت فذكروني".[7]

وقد خاطب الله تعالى نبيّه محمد ﷺبأن يذكره في حالة أنه نسي ذكر ربه فقال:﴿...وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾[8].

وهذا النسيان يعتري الإنسان في الحالات العادية وأما بالنسبة للأنبياء عليهم السلام في حالة التبليغ، فلا يقع منهم النسيان قال ابن خمير "لكن النسيان لا يقع لهم فيما أمروا بتبليغه، إلا بعد

---

[1]- سورة طه، الآية 115

[2]- والقصة للمزيد ينظر:مع الأنبياء لطبارة، ص36، 37،صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص42، 43،قصص القرآن لسعد يوسف، ص21، 25،مصادر سابقة

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص105، مصدر سابق

[4]- سورة الكهف، الآية 61

[5]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص270، صحيح قصص القرآن،ص338-343، قصص القرآن272-277 مصادر سابقة، إبراهيم محمود، قصص القرآن، ط1، جنا للتوزيع والترجمة، (د.مكان)، 2011م، ص127-128.

[6]- سورة الكهف، الآية 63

[7]- أخرجه البخاري في صحيحه رقم 401، مصدر سابق

[8]- سورة الكهف، الآية 24

تبليغه، ثم يجوز عليهم نسيانه وقت ما إلا ما نسخ حكمه ولفظه؛ فإنهم يجوز عليهم نسيانه إلى الموت، كما أنسي عليه السلام معظم سورة الأحزاب، وغيرها من الآي ، وفيما نسخ من القرآن وقع الاستثناء في قوله تعالى:﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى(6)إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾[1]يعني ما نسخ من القرآن"[2] حيث بيّن ابن خمير أن النسيان في أمور التبليغ لا يقع منهم إلا بعد تبليغه فقد يقع منهم إلا ما استثناه الله تعالى من ذلك،قال عياض في ذلك ما يلي:"وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعد تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء، ثم ذلك على نوعين: ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم بإتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه،أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب،وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبيّ ﷺ وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا؛ وكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طروّ المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء، وطروّ هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن.."[3]،فقد منع القاضي عياض وغيره من العلماء،بل ذكر اتفاقهم على امتناع النسيان والسهو في أمور التبليغ وما يتقرر الشرع به، أما ما هو ليس طريقه البلاغ مما يختص به النبيّ عليه السلام لذاته فيجوز عليه نسيانه قال عياض:"وأما ما ليس طريقة البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله ﷺ وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو..".[4]

02. السهو:

---

[1]- سورة الأعلى، الآية 06-07

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدرسابق

[3]- الشفا،136/2، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق،137/2

ويقع السهو[1] من قبل الأنبياء عليهم السلام مثل ما يقع منهم النسيان،فقد وقع السهو للنبيّﷺ في الصلاة عدة مرات[2]منها الحديث الذي رواه ابن مسعودرضي الله عنهقال:"صلى النبيّ ﷺ الظهر خمسا"[3]والحكمة من السهو في الصلاة هو تقرير أحكام سجود السهو كما قرّره علماء المذاهب حتى إذا سهى المصلي فإنه يقتدي بالنبيّ محمدﷺ في كيفية ترقيع صلاته قال عياض مبينا الحكمة من ذلك:"وحكمة الله في ذلك ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول؛ وأرفع للاحتمال وشرطه ألا يقرّ على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس، وتظهر فائدة الحكمة فيه".[4]

03. الغفلة:

وقد تقع الغفلة[5] من الأنبياء عليهم السلام وقد عبّر عنها القرآن الكريم بالضلال قال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام[6]:﴿...فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[7]،قال ابن خمير في تفسيرها: "والضلال هنا الغفلة بدليل قوله تعالى لنبينا عليه السلام:﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[8]،ثم عبّر عن ذلك الضلال بقوله:﴿...وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[9]؛ فخرج من مضمون ذلك أن ضلال الأنبياء عليهم السلام غفلة لا جهل"[10]، قال ابن خمير:"وأما قولهعليه السلام لفرعون:﴿...فَعَلْتُهَا إِذًا

---

[1]- **السهو لغة** هو الغفلة، المصباح، ص185، مصدر سابق

[2]- منها حديث أنه صلى الظهر ركعتين الذي رواه أبو هريرة، أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم1151،مصدر سابق

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم 404، مصدر سابق

[4]- الشفا، 138/2، مصدر سابق

[5]- **الغفلة لغة** هي غيبة الشيء عن بال الإنسان المصباح،ص280، مصدر سابق، وفرق العسكري بين السهو والغفلة فقال أن الغفلة عن فعل الغير بخلاف السهو، فروق، ص71، مصدر سابق

[6]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص230، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص304، قصص القرآن لسعد يوسف، ص228،مصادر سابقة

[7]- سورة الشعراء، الآية 20

[8]- الضحى، الآية 7

[9]- سورة يوسف، الآية3

[10]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص260، مصدرسابق

وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[1]،فيعني أنه كان عندما قتله من الغافلين غير المكلفين، فكأنه يقول له: (فعلتها قبل إلزام التكليف وإذا كنت غير مكلف فلا تثريب عليّ)،فإنه لا يقع الذنب والطاعة إلا بعد ثبوت الأمر والنهي,والدليل على أن ضلال الأنبياء غفلة لا جهل قوله تعالى لنبينا ﷺ:﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[2] يعني غافلا عن الشريعة لا تدري كيفية العبادة فهداك لها بالأمر والنهي ثم قال له:﴿...بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[3]والجاهل لا يسمى غافلا حقيقة لقيام الجهل به، فصح أن ضلال الأنبياء عليهم السلام غفلة لا جهل"[4] فهذه الأمور الثلاثة النسيان؛ السهو، الغفلة تقع على الأنبياء عليهم السلام باعتبارهم بشر تعتريهم العوارض البشرية، وهذا ما عبّر عنه علماء العقيدة ما يجوز عليهم وغيرها من العوارض الخاصة بهذا النوع؛ولكن اقتصرت على ذكر بعض النماذج وابن خمير ذكر نوعين لم أتعرض للتفصيل فيهما هما (الإغماء والغشية)[5]،حيث قال: "كأضداد العلم كالإغماء والغشية"[6]، وقد تعرض بعض الأنبياء لهاذين النوعين كموسى ﷺ قال تعالى: ﴿...وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]، وذلك عندما طلب من الله رؤيته.[8]

---

[1]- سورة الشعراء، الآية 20

[2]- سورة الضحى، الآية 7

[3]- سورة يوسف، الآية 3

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص154، مصدر سابق

[5]- الإغماء والغشية من جنس واحد كالسنة والنوم حيث يفقد الانسان وعيه لمدة قصيرة من الزمن، قال صاحب المصباح "الغشية تعب يصيب الإنسان بحيث يعطل القوى المحركة، والإرادة الحساسة لضعف القلب، بسبب وجع شديد أو برد أو جوع مفرط، والإغماء سهو يلحق الإنسان مع فتور للأعضاء بعلة، وقيل أنهما مترادفان"، المصباح المنير، ص278، وقال الجرجاني في تعريفه للإغماء "هو فتور غير أصلي يزيل عمل القوى"، التعريفات، ص39، مصادر سابقة

[6]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص262، مصدرسابق

[7]- سورة الأعراف، الآية 143

[8]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص248، صحيح قصص القرآن للبسيوني، ص325، مصادر سابقة

وهناك نموذج آخر يدخل تحت هذا النوع، ولكنه من قبيل الاجتهادات الخاصة، وهو الاجتهاد في أمور الدنيا فقد يحصل فيه الغلط والخطأ.

04. الغلط

فقد يجتهد النبيّ ﷺ في الأمور الدنيوية، وقد يقع الخطأ منه، وفي ذلك حكمة حتى لا يقيد حياة الناس بتصرفاته ﷺ ونذكر نموذج على وقوع الاجتهاد منه وحصول الغلط بعد ذلك حتى يوجه الأمة إلى إتباع ما يعلمونه من تجاربهم وعاداتهم الحسنة في أمور الدنيا، من هذه النماذج مسألة تأبير النخل عندما قدم إلى المدينة.

قال ابن خمير:"وما يجوز عليه الغلط[1] في تصرفهم في المباحات من أمور الدنيا؛ من جلب المنافع ودفع المضار الدنيوية، كقصة نبينا ﷺ في تأبير النخل حين أسقطت، فقال:(أنتم أعلم بأمور دنياكم)[2]،وقد كنت أثبت هذه الأمور مفصلة لولا التطويل"[3]،حيث بيّن ابن خمير أنه يجوز عليه الخطأ في أمور الدنيا من عادات البشر وتجاربهم، وضرب مثال على ذلك في قصة تأبير النخل فقد جرب الأنصار ذلك فنقصت الغلة فلما أخبر بذلك أعلمهم بأن هذا اجتهاد منه في الدنيا لا في الدين، وأنتم أعلم بأمور دنياكم، ومنها كذلك قصة اختيار مكان بدر عندما قال له الحباب بن المنذر:(أهذا منزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة)،فقال له رسول اللهﷺ: "أشرت بالرأي" وأخذ ﷺ برأيه[4]، وقد أمره الله تعالى بأن يستشير أصحابه في هذه الأمور قال تعالى:﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾[5]، قال عياض:" فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

[1]- والغلط لغة هو الخطأ، المصباح، ص 280، مصدر سابق

[2]- أخرجه مسلم في صحيحه رقم 2363، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 262، مصدر سابق

[4]- الرحيق المختوم، ص151، مصدر سابق

[5]- سورة آل عمران، الآية 159

ولا اعتقادها" ولا تعليمها، ويجوز عليها فيها ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها...".[1]

هذه بعض النماذج التي أوردناها وذكرها ابن خمير فيما يجوز على الأنبياء عليهم السلام في هذا النوع المتعلق بجانب العقول.

ثم نسوق أمثلة أخرى في النوع الثاني الخاص بجانب النفوس كالخوف، والغضب، والأسف والحب.

النوع الثاني: الأعراض المعنوية المتعلقة بالنفس

وهي الأعراض الباطنية والمشاعر الداخلية التي يشعر بها أي شخص؛ فكذلك الأنبياء عليهم السلام باعتبارهم من الجنس البشري لهم مشاعر بشرية كالحب والبغض والخوف والغضب وغيرها من الأمور الخاصة بالجانب النفسي للبشر وقد أورد ابن خمير بعض الأمثلة على ذلك منها الغضب؛الأسف، الحب، البغض قال ابن خمير:"وكذلك الغضب، والأسف والحب والبغض وهذه أيضا مما لا تكتسب، فإنها ترجع لإرادات ضرورية يصحبها ألم ولذة".[2]

حيث بيّن أن هذه المشاعر لا كسب الإنسان فيها وسنورد أمثلة على ذلك من قبل الأنبياء عليهم السلام في القرآن والسنّة.

1- الغضب:

[1]- المصدر السابق، 168/2

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص 263، مصدر سابق

وممن ذكر القرآن الكريم في مسألة الغضب[1] موسى عليه السلام[2] ويونس عليه السلام[3]، فموسى عليه السلام عندما عاد إلى قومه فوجدهم يعبدون العجل فغضب غضبا شديدا مما فعله السامريّ ومن شدة غضبه ألقى الألواح قال تعالى:﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...﴾[4].

فمن شدة غضبه ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه[5].

وكذلك حكى القرآن الكريم غضب يونس عليه السلام قال تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾.[6]

قال ابن خمير في شرح الآية:"أما مغاضبته عليه السلام فكانت لقومه لا لربه، ولا يجوز ذلك عليه"[7] حيث بيّن أن غضب يونس عليه السلام كان على قومه عندما يئس بعد دعوتهم إلى دين الله تعالى ثم فر منهم، كما كان غضب موسى عليه السلام على قومه عندما عبدوا العجل.

2- الأسف:

يقع كذلك الأسف[1] للأنبياء عليهم السلام ومما ذكره القرآن ما وقع ليعقوب عليه السلام[2] وموسى عليه السلام[3]، أما موسى عليه السلام فقد تأسّف من فعل السامري لما صنع لهم العجل من الذهب

---

[1]- **الغضب لغة** هو العبس، المختار، ص251، وكذلك عرف بالغيظ والحنق وضده الرضا والسكينة وعبس هو قطب الجبين وضده بش وابتسم، رضا عواضه، قاموس المترادفات والأضداد، ص110-118، وقد فرق العسكري بين الغضب وألفاظ تقاربه منها الغيظ، ينظر: الفروق، ص95، مصادر سابقة

[2]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص249، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص331، مصادر سابقة

[3]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص308، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص281، قصص القرآن لسعد يوسف، ص200، مصادر سابقة

[4]- سورة الأعراف، الآية 150

[5]- طبارة، مع الأنبياء، ص250 مصدر سابق.

[6]- سورة الأنبياء، الآية 87

[7]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص158، مصدر سابق

وأمرهم بعبادته وعدم تحكم أخيه هارون في قومه عند غيابه قال تعالى:﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي..﴾[4]، فقد عبّر القرآن الكريم عن أسف موسى عليه السلام من فعل قومه وقد جمع الغضب مع الأسف.[5]

وأما النبيّ يعقوب عليه السلام فقد ألم به الحزن وتأسف لفقدان ابنه يوسف عليه السلام وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك فقال على لسانه قال تعالى:﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[6].

3- الحب:

ومن أمثلته ذلك حب[7] سيدنا يعقوب عليه السلام[8] لابنه يوسف عليه السلام قال تعالى:﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا...﴾[9]، فعبّر القرآن على الحب الشديد من قبل النبي يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام، وقد فسّر الضلال بالحب الشديد قال ابن خمير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[10]،وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ

---

[1]- **الأسف لغة** هو الحزن والتلهف، المختار، ص19، وكذلك عرف بالتحسر وضده فرح وسعد، رضا عواضه،ص35 مصادر سابقة

[2]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص182، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص251، قصص القرآن لسعد يوسف، ص179 مصادر سابقة

[3]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص249، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص331، مصادر سابقة

[4]- سورة الأعراف، الآية 150

[5]- طبارة، مع الأنبياء، ص250، مصدر سابق

[6]- سورة يوسف، الآية 84

[7]- **الحب لغة** هو الودّ، المختار، ص74، وضده الكره والمقت، رضا عواضه، ص67، وقد فرق العسكري بين الحب وألفاظ تقاربه منها الودّ، ينظر: الفروق، ص88، مصادر سابقة

[8]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص159، صحيح قصص القرآن،ص216، قصص القرآن،ص141، مصادر سابقة

[9]- سورة يوسف، الآية 8

[10]- سورة يوسف، الآية 8

الْقَدِيمِ﴾[1]،حيث عبّر عن الحب الشديد بالضلال قال ابن خمير "يعضد ذلك ما أخبر الله تعالى عن قول إخوة يوسف عليهم السلام(إنّ أبانا لفي ضلال مبين) أيّ في حب مبين ليوسف، وكذلك قولهم له في ذلك(تالله إنك لفي ضلالك القديم)أي في حبّك القديم له،ومن أسماء المحبة عند العرب الضلال"[2] ففسّر الضلال بالحب، ودعم تفسيره بكلام العرب، وقد ذكر النبيّ محمد ﷺ أنه يحب من الدنيا النساء والطيب حيث قال:" إنما حبّب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة"[3]، وقد دعم ابن خمير تفسيره لفظ الضلال بالحبّ قول أهل التصوف فقال:"وقال بعض المشايخ الصوفية:(وجدك ضالا فهدى)،أي (محبا له فهدى أي فاختصك لنفسه بخصوص الهداية والصحبة)"[4].

4- البغض:

كما يقع لهم الحب كذلك يقع لهم ضده وهو البغض[5]،وقد بغض النبيّ محمد ﷺ الأصنام التي يعبدها قومه حيث قال:"بغضت إليّ الأصنام"[6] وكذلك كان يبغض أشياء كثيرة منها قوله ﷺ بعد ذكر مجئ الوحي حيث قال: "ولم يكن من خلق الله أبغض عليّ من شاعر أو مجنون كنت لا

[1]- سورة يوسف، الآية 95

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص155 مصدر سابق

[3]- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى رقم 1358، ط1، دار المعارف العثمانية، 1925م.

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص155، مصدر سابق

[5]- **البغض لغة** هو المقت، المختار، ص41، وكذلك عرف بالكره وضده الحب والودّ، رضا عواضه،ص49، وقد فرق العسكري بين البغض وألفاظ متقاربة منها الكره، ينظر: الفروق، ص94، مصادر سابقة

[6]- الشفا، 107/2، مصدر سابق

أطيق أن انظر إليهما..."[1]، وقال عندما سأله بحيرا الراهب بالحلف باللات والعزة،"لا تسألني باللات والعزة شيئا، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا قط".[2]

هذه بعض النماذج في الأمور الخاصة بالمشاعر وغيرها كثير، كخوف سيدنا إبراهيم من الملائكة لقوله تعالى:﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[3]،وخوف موسى من فرعون[4]لقوله تعالى:﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[5]،وقوله تعالى:﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(20)فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ..﴾[6]، ومنها عدم صبر موسى عليه السلام مع الخضر[7] لقوله تعالى:﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[8]، ومزاحه ﷺ مع الناس،ولكنه كان يمزح بحق، حيث قال:" إنيّ لأمزح ولا أقول إلا الحق"[9]،وله نماذج في المزاح كثيرة ووردت في كتب السيرة والسنن والصحاح وكتب الشمائل[10].

---

[1]- الرحيق المختوم، ص46، مصدر سابق

[2]- سيرة ابن هشام، 236/1، مصدر سابق

[3]- سورة هود، الآية 70

[4]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص223، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص297، قصص القرآن لسعد يوسف، ص215، مصادر سابقة

[5]- سورة طه، الآية 45

[6]- سورة الشعراء، الآية 20-21

[7]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص270، صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص358، قصص القرآن لسعد يوسف، ص273، ابراهيم محمود قصص القرآن، ص122-125، مصادر سابقة، وقد ورد في الحديث قوله ﷺ: "يرحم الله موسى وددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما". أخرجه البخاري في صحيحه رقم 122، مصدر سابق

[8]- سورة الكهف، الآية 75

[9]- أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم 265، تح: كمال الحوت، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1404هـ.

[10]- الشفا، 171/2 مصدر سابق

فهذه بعض ما أورده ابن خمير من العوارض البشرية التي تقع للأنبياء عليهم السلام وقد أوردها القرآن الكريم وكذلك كتب السنة والسير وكتب التفاسير والتواريخ.

فهذه العوارض باعتبارهم من جنس البشر وقد نص القرآن الكريم أن لا يكون الرسول من الملائكة فلو كان كذلك ما استطاعوا إتباعه والاقتداء به ولاحتجوا على أنه ليس من جنسهم فهو ملك له طبيعة خاصة، فكانت حكمة الله تعالى أن يكون من جنسهم ومن أنفسهم تعتريه العوارض البشرية كما تعتريهم ولكنه أرفع منهم مكانة.

تعتبر العصمة أهم الصفات الأساسية للنبوة وهي مظهر أخلاقي بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام في مجتمعه، وهذه الصفة لا يمكن أن يتصف بها من غير البشر إلا النبي عليه الصلاة والسلام، فقد تناولت مفهوم العصمة تعريفا لغويا وإصطلاحيا وخاصة عند ابن خمير وخصائصها ثم مجالها المتمثل في المجال الزمني الذي يمثل حياة النبي ﷺ قبل نبوته وبعدها وقد بين ابن خمير أنه معصوم ومنزه قبل وبعد النبوة بخلاف بعض العلماء والمذاهب التي فرقت بين حياته قبل النبوة وبعد

النبوة، وأن ابن خمير أكد على العصمة بعد النبوة أكثر من قبلها باعتبار أن الأمة مجمعة على العصمة بعد النبوة فهي شرط أساسي للنبي ﷺ في هذه المرحلة، وأما المجال الفعلي وهو الذي يعبر عن التصرفات الخارجية للنبي عليه الصلاة والسلام وهو مظهر خارجي يلاحظه المجتمع كذلك أن للنبي عصمة داخلية وقد تتمثل هذه العصمة في حفظ الله تعالى له من ارتكاب كبائر الذنوب وصغائرها إلى جانب ذلك هناك أعراض بشرية تتمثل في التصرفات الطبيعية بإعتبار أن النبي ﷺ بشر معرض للغلفة والنسيان وغيرها من الأعراض العادية والتي لا تخل بمقامه ولا تقدح في عصمته، هذه أهم المفاهيم الأساسية في مصطلح العصمة عند ابن خمير والتي من خلالها يمكننا المرور إلى معرفة أنواع العصمة ورده على الشبهات المثارة حولهافي الفصل الموالي.

الفصل الثالث

أنواع العصمة عند ابن خمير ورده على الشبهات المثارة حولها

المبحث الأول: العصمة الخاصة بشخص النبي ﷺ

المطلب الأول: عصمة الباطن

الفرع الأول: ما يتعلق بالاعتقاد

الفرع الثاني: ما يتعلق بالأخلاق النفسية

المطلب الثاني: عصمة الظاهر

الفرع الأول: الأقوال

الفرع الثاني: الأفعال

المبحث الثاني: العصمة الخاصة بالرسالة

المطلب الأول: ما يتعلق بالتبليغ

المطلب الثاني: ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى

✍ الفصل الثالث أنواع العصمة عند ابن خمير ورده على الشبهات المثارة حولها

تمهيد:

نسب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعض الأقوال والأفعال والصفات في جانب المعتقد والأخلاق النفسية ما لا يليق بمقامهم وذلك عبر عصورهم سواء من بعض أتباع الديانات السماوية أو غيرهم من أصحاب المذاهب والديانات الوضعية ولقد برأهم الله تعالى مما نسب إليهم مما لا يليق بهم كما قال الله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[1]، كذلك فقد عصم الله تعالى نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾[2]، ومدحه تعالى وعلىّ شأنه في المجتمع فقال:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، وبين أن موسى عليه السلام تربى ونشأ تحت رعاية الله تعالى حيث قال: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[4]، وقد سخر الله تعالى علماء للدفاع عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عبر العصور والأزمان[5]، وابن خمير هو أحد من دافع عن عصمة

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 69

[2]- سورة المائدة، الآية 67

[3]- سورة القلم، الآية 04

[4]- سورة طه، الآية 39

[5]- من القدماء: عصمة الأنبياء للفخر الرازي (ت606هـ)، وهو مطبوع وأحد مصادر البحث، ينظر: كشف الظنون 101/2، مصدر سابق، الشفاء لحقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي (ت544هـ)، وهو مطبوع وأحد مصادر البحث، عصمة الأنبياء وتحفة الأصفياء، لأحمد بن مصلح الدين موسى المعروف بابن مركز الرومي (ت933هـ)، ينظر: كشف الظنون، 101/2، مصدر سابق، عصمة الأنبياء، لأبي عثمان سعيد الحداد وهو صاحب كتاب الأمالي، ينظر: كشف الظنون، 73/4، مصدر سابق، عصمة الأنبياء لأحمد بن سهل البلخي، ينظر: كشف الظنون، 73/4، مصدر سابق، عصمة الأنبياء للإمام شمس الأئمة الكردي الحنفي (ت 642هـ)، ينظر: كشف الظنون، 333/1، مصدر سابق.
ومن المعاصرين: الدراسات الحديثة فقد أنجزت رسائل جامعية وأبحاث علمية وكتب في موضوع العصمة نذكر على ما وقفت عندها: رد الشبهات حول عصمة النبي محمد ﷺ في القرآن والسنة، للباحث الشربيني عماد السيد رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر، كلية أصول الدين قسم الحديث نوقشت 2003م، وهو أحد مراجع البحث، والنبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية بحث للدكتور محمد نبيل طاهر العمري، طبع في شكل كتاب مطبعة دار الفتح الطبعة الأولى 2015م،بالأردن، حيث تناول موضوع العصمة في إحدى الفصول والمعجزة ودلالتها على إثبات النبوة، وهو أحد مراجع البحث، والتحديات

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورد شبهات القصاصين والوعاظ وبعض المفسرين والمؤرخين ولقد استفاد من مصنفاته في هذا المجال بعض الباحثين في أطروحاتهم ورسائلهم الأكاديمية.[1]

في هذا المضمار ندرس دفاع ابن خمير على عصمة الأنبياء ورده على الشبهات المثارة حول عصمتهم في حياتهم وتصرفاتهم واعتقاداتهم وما تعلق بدعوتهم ورسالتهم وهذا ما سنفصل فيه في هذا الفصل حيث قمسته إلى مبحثين الأول بعنوان العصمة الخاصة بشخص النبي ﷺ وقد قسمته إلى مطلبين أساسيين الأول عصمة الباطن حيث تحدثت فيه عن العصمة الخاصة ببواطنهم وفرعته إلى فرعين الأول ما يتعلق بالاعتقاد والثاني ما يتعلق بالأخلاق النفسية.

العقدية المعاصرة في مقام النبوة(بحث أكاديمي- رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة) نوقشت في كلية الإمام الأعظم بغداد، ونالت تقدير امتياز للباحث عبد الوهاب أحمد حسن سنة 2016م، ثم طبعت في= =كتاب بنفس العنوان (مطبعة دار الفجر للنشر والتوزيع- العراق- بغداد-الأعظمية سنة1437هـ/2016م- الطبعة الأولى) حيث تناول موضوع العصمة والرد على الشبهات المثارة حولها في إحدى فصولها، والعصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للباحث منصور بن راشد التميمي وهذه الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه نوقشت سنة 1428هـ/2007م بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية بإشراف الدكتور محمد طلعت أبو صير، حيث تناول فيها الباحث موضوع العصمة من جهة آراء أهل السنة والجماعة حيث تناولب الموضوع من عدة جوانب العصمة قبل النبوة وبعدها وإشتملت جوانب العصمة من الكبائر والصغائر والكفر والشك في التبليغ،ومن جهة أخرى رد على المخالفين من أهل الكتاب والفرق الإسلامية والقائلين بعصمة غير الأنبياء عليهم السلام كالأولياء عند الصوفية والأئمة عند الشيعة، وبعد المناقشة زكيت الرسالة وطبعت بنفس العنوان في سلسلة الرشد للرسائل الجامعية برقم (265) حيث تولى طباعتها ونشرها مكتبة الرشد ناشرون في الطبعة الأولى بتاريخ 1435هـ/2014م بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وهو أحد مراجع البحث.

[1]- منهم: الباحث عبد الوهاب أحمد حسن في رسالته (التحديات العقدية المعاصرة في مقام النبوة)،حيث نقل نص من كتاب (مقدمات المراشد) في الاستدلال على عصمة آدم ﷺ وتفسير قوله تعالى:﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ بقول ابن خمير"...أنه عندما واقع المعصية لم يكن نبيا،وإنما كان نبيا بعد ذلك"(مقدمات المراشد)ص257 كتاب (التحديات المعاصرة) ص45، والباحث الشربيني في بحث (رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في القرآن والسنة) ص167، حيث نقل عن ابن خمير في حديثه عن عصمته ﷺ في عقله ونيته حيث قال يعني: "الإشارة بالعين في الأوامر حتى يفصح بها، والإشارة بالعين في الأوامر مباحة لغير الأنبياء لكن نهى عنها الأنبياء تنزيها وتأكيدا لرفع اللبس" نقل من كتاب تنزيه الأنبياء لابن خمير ص84، كذلك نقل عنه في ص 149 قوله:"والغفلة في حق الأنبياء لا جهل فيها لأن الجاهل لا يسمى غافلا حقيقة لقيام الجهل به، فصح أن ضلال الأنبياء عليهم السلام غفلة لا جهل" نقل من كتاب تنزيه الأنبياء لابن خمير ص112.

وأما المطلب الثاني فهو بعنوان عصمة الظاهر حيث تناولت فيه ما تعلق بالظاهر من الأقوال والأفعال والتي تمثل التصرفات الخارجية وفرعته إلى فرعين الأول خاص بالأقوال والثاني خاص بالأفعال.

وأما المبحث الثاني بعنوان العصمة الخاصة بالرسالة حيث تحدثت فيه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في إجتهادهم وتبليغ رسالتهم وقسمته إلى مطلبين الأول التبليغ والثاني الاجتهاد والفتوى.

وفي هذا الفصل سنتناول ردود ابن خمير على الشبهات المثارة حول أنواع العصمة سواء ما تعلق بشخص النبي ﷺ أو رسالته حيث يأتي بالشبهة على لسان القصاصين والوعاظ أو بعض المفسرين والمؤرخين ثم يدحضها بالأدلة والحجج والبراهين مستندا في ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية مبينا أقوال بعض المفسرين المعتمدين، ومعتمدا على إجماع المسلمين وما توصل إليه من اجتهاد وتفسير الآيات على الوجه الصحيح معتمدا على اللسان العربي وقاعدة تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا ما سنبينه في هذا الفصل.

المبحث الأول

العصمة الخاصة بشخص النبي ﷺ

حيث نتحدث في هذا المبحث عن العصمة الشخصية للأنبياء عليهم الصلاة والسلام منها الظاهرة ومنها الباطنة وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين الأول عصمة الباطن وتحته فرعين الأول خاص بالاعتقاد والثاني بالأخلاق النفسية، أما المطلب الثاني فخاص بعصمة الظاهر وهي على فرعين الأول في الأقول والثاني في الأفعال،وهذا مبني على تقسيم ابن خمير بما يصدر من الإنسان من الأعمال حيث قال: "أن جميع أعمال الطاعات سوى الإيمان المصحح لها على ضربين ظاهر وباطن، فالظاهر على ضربين أصوات وأكوان، والباطن على ضربين علوم ونيات"[1]،ثم تحدث عن الباطن على حدى والظاهر على حدى فقال:"إن بعض الأئمة ذكروا أن الإجماع منعقد على عصمة بواطنهم"[2]، هذا بالنسبة لعصمة الباطن، أما عصمة الظاهر فقوله "ووصف أنبياءه بالصدق والعصمة والتنزيه من الخطأ،والخطل"[3]،والخطأ هنا التصرفات الظاهرة في الأفعال والأحوال أما الخطل فهو الكلام الفاسد الكثير المضطرب[4] وهم معصومون منه.

المطلب الأول: عصمة الباطن

ونقصد بها العصمة المباشرة لبواطنهم وتتجسد في أمرين أساسيين الأول ما يتعلق بأعمال القلوب وهو الاعتقاد، والثاني الأخلاق القلبية والنفسية كالحسد والهم بالسوء حيث يشمل كل ما هو باطن من أعمال القلوب وأولها الاعتقاد؛ لأنه هو الذي يؤثر في أعمال القلوب الأخرى

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص207، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص77

[3]- المصدر السابق، ص46

[4]- مختار الصحاح للرازي، ص104، مصدر سابق

كالحسد، والهم بالسوء، والتمني السيئ وغيرها من الأعمال الباطنة التي مصدرها القلب كما ذكر الحديث النبوي لقوله ﷺ:"...ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1]، وجاء في أمثال العرب" المرء بأصغريه"[2]،وقوله تعالى:﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.[3]

وقال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده *** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم.[4]

ولذا يعتبر القلب محصل ومقر للأعمال المعنوية وعلى رأسها الاعتقاد وثمرته تظهر في أعمال الجوارح وتصرفات وأخلاق الإنسان ولذا يعتبر القلب هو الموجه ومصدر للأفعال والأقوال والتصرفات فالأعمال الظاهرة عاكسة للأعمال الباطنة فأعمال الجوارح معبرة عن أعمال القلوب فلا يصدر عمل ظاهري إلا بتوجيه القلب كما عبر عنه الحديث:"من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت له عشرة حسنات، ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له سيئة..."[5]، فالحديث بين أن الهم سابق عن العمل والأول مصدره القلب والثاني مصدره الجوارح وعمل القلب سابق عن عمل الجوارح[6]، ولذا فقد عصم الله تعالى أنبياءه من

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 52، مصادر سابق

[2]- مجمع الأمثال للميداني، 294/2، مصدر سابق، حيث فسر الأصغرين بالقلب واللسان.

[3]- سور الإسراء، الآية 36.

[4]- والبيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر: صنعت الأعلم الشنتمري، ديوان زهير ابن أبي سلمى، تح: فخر الدين قباوة (د.ط)، دار الفكر، دمشق، 2002، ص29، وديوان زهير لفاعور، ص112، وحسن نمر دندوشي، معجم الأبيات الشهيرة، ط1، منشورات جاروس برس، طرابلس لبنان، 1986م، ص217

[5]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 162، مصدر سابق

[6]- للمحاسبي كتاب بعنوان (أعمال القلوب)، تح: مصطفى عبد القادر عطا،(د.ط) دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1987 (وقد حصر هذه الأعمال في ثلاثة الاعتقاد، وهو الإيمان ومجانبة ضده، الاعتقاد في السنة ومجانبة ضدها، الاعتقاد في الطاعة ومجانبة ضدها)، المصدر السابق، أعمال القلوب، ص84

الاعتقادات الفاسدة والمنحرفة وكذلك الأخلاق القلبية كالحسد والهم بالسوء كل ذلك فقد عصمهم الله تعالى منها وسنذكر أمثلة من ذلك وأدلة عليها حيث نركز على أمرين هامين الأول الاعتقاد، والثاني الأخلاق القلبية.

الفرع الأول: ما يتعلق بالاعتقاد

سنعرض أولا الأدلة على عصمتهم في الإعتقاد ثم نورد الشبهات والرد عليها.

أولا: الأدلة

سنورد الأدلة على عصمتهم في الاعتقاد من القرآن والسنة وسيرتهم والإجماع .

أ- الأدلة من القرآن على عصمتهم في الاعتقاد:

لقد استدل العلماء على عصمتهم من القرآن الكريم بعدة آيات منها:

قوله تعالى:﴿...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾.[1]

قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.[2]

قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾.[3]

قال عياض:"وقد استدل القاضي القشيري على تنزيه الأنبياء بهما،حيث طهره الله في الميثاق".[4] أي أنه استدل بالآيتين السابقتين على طهارة قلب النبي محمدﷺ من كل زيغ وضلال وانحراف في العقيدة وذلك عن طريق الميثاق الذي أخذه الله تعالى من الأنبياء ثم عقب عياض على استدلال

[1]- سورة الزمر، الآية 65

[2]- سورة الأحزاب، الآية 7

[3]- سورة آل عمران، الآية 81

[4]- الشفا، 103/2، مصدر سابق

القشيري بقوله:"وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد".[1]

ودعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه بأن يعصمه من عبادة الأصنام هو ذريته من الأنبياء عليهم السلام قال تعالى:﴿...وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [2]، وقد أكد ابن خمير عصمتهم في الاعتقاد قبل وبعد النبوة فقال:"وما كفر نبي قط ولا سجد لوثن قبل النبوة ولا بعدها، ولا تفوه أحد من الأمة بذلك قط كان محقا أو غير محق"[3].

وقد استدل ابن خمير بآيات قرآنية ونماذج لبعض الأنبياء عليهم السلام حيث قال: "..على أن منهم من أوتي الحكم صبيا،كيحي عليه السلام،قال تعالى:﴿...وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.[4] وعيسى عليه السلام تكلم في المهد صبيا بالحكمة، حيث قال تعالى:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [5]،والذبيح أوتي العلم والحلم غلاما، حيث قال تعالى:﴿..وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [6] وفي آية أخرى:﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [7]..."[8]، قال ابن خمير معلقا على ذلك "فهذا هو الذي يصح من أحوالهم ويعتقد في جانبهم الكريم، وإذا كان هذا شأنهم في حال الطفولية، فما ظنك بهم في حال الإدراك وكمال العقل؟!... فحاشاهم أن يكفروا اعتقادا أو يتلفظوا بكلمة كفر كانوا صغارا أو كبارا، فإن قيل:(فمن أين عرفوا الله تعالى قبل النبوة؟)فنقول:(بالنظر والاستدلال)، فإن قيل، (فقد كانوا زمن النظر غير عالمين بالله تعالى، قلنا: (كذلك هو، لكن ما دام المحل معمورا

---

[1]- المصدر السابق، 104/2

[2]- سورة إبراهيم، الآية 35

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

[4]- سورة مريم، الآية 12

[5]- سورة مريم، الآية 30

[6]- سورة الذاريات، الآية 28

[7]- سورة الصافات، الآية 101

[8]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص123، مصدر سابق

بالنظر لم يحكم له بكفر ولا إيمان،إلا أنه كان آخر نظرهم متصلا بالعلم)،ففي أثر ما نظروا عرفوا الحق حقا من غير أن يعتقدوا جهلا أو يتلفظوا بكلمة كفر ومن الناس من قال:(إنهم علموا خالقهم بعلوم ضرورية على جهة الخرق والإكرام لهم)، وهذا سائغ في المقدور لائق بهم إلا أنهم يفوتهم في ذلك أجر الكسب، إذ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1]، ومنهم من قال:(إنهم اكتسبوا العلم من غير تقدم نظر على جهة الخرق، إكراما من الله تعالى لهم)، والله أعلم، ولهم في هذا كلام لا تحتمل هذه التعاليق بسطه،لكنهم مجمعون على أنهم علموا من أول وهلة على أي وجه علموا نظرا أو ضرورة"[2] حيث بين ابن خمير أنه لم يقع أي نبي في الكفر لا قبل ولا بعد النبوة،وأنهم عرفوا الله تعالى عن طريق النظر والاستدلال.

ب- الأدلة من السنة:

تذكر الأحاديث وكتب السيرة أن النبي محمد ﷺ قد عصمه الله تعالى من الأكل مما ذبح على النصب وكذلك الحلف بأسماء الأصنام التي كان يعبدها قومه وسنذكر بعض ما جاء في السيرة والأحاديث:

1. قوله ﷺ: "إني لا أكل ما ذبح لغير الله".[3]

فقد روى في كتب السيرة والأحاديث أنه كان يقدم إليه من الذبائح فيأبى ذلك لأنها تذبح على النصب ولا يذكر اسم الله عليها وهذا ما ذكره في الحديث الأخير فيرد على من قدم له ذلك بقوله"إني لا أكل ما ذبح لغير الله".

ج- من قصص وسيرة الأنبياء عليهم السلام:

[1]- سورة النجم، الآية 39.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص124، مصدر سابق

[3]- أخرجه الحاكم في مستدركه برقم 4956، مصدر سابق

سنورد بعض النماذج من قصص الأنبياء كمحمد وإبراهيم ونوح وموسى عليهم الصلاة والسلام

1- قصة النبي محمد ﷺ مع بحيرا الراهب:

كما روي عنه ﷺ،كذلك الحلف بأسماء أصنامهم فقد جاء في قصة بحيرا الراهب أنه استحلف النبيﷺ باللات والعزى[1]،حينما لقيه بالشام في سفره مع عمه أبي طالب وهو صبي كما رأى فيه علامات النبوة فقال بحيرا للنبي ﷺ يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه،فقال له النبي ﷺ:"لا تسألني باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت بغضتها شيئا قط"[2]، وقد أورد ابن خمير قصة بحيرا الراهب حيث قال:"جاء في الأثر في خروج نبينا ﷺ صغيرا مع عمه أبي طالب إلى الشام، أنه لما مر بصومعة بحيرا الراهب نزل إليه في حديث يطول ذكره إلى أن قال له:[باللات والعزى يا غلام ما اسمك؟ فقال له: إليك عني، فوالله ما تكلمت العرب بكلمة هي أثقل علي من هذه الكلمة!...]".[3]

قال ابن خمير معلقا على ذلك:"فحاشى لأنبياء الله تعالى من اعتقاد الكفر في وقت من الأوقات! وكيف وقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ إذا كان غلاما ما كان يوما ينقل الحجارة مع عمه أبي طالب لإصلاح ما ثلم في الكعبة، وهو عار فسقط على وجهه في الأرض مغشيا عليه،

[1]- حينما علم بحيرا أن قريش تحلف بهما، ينظر: الرحيق المختوم، ص39، مصدر سابق

[2]- أخرجه ابن اسحاق في سيرة ابن هشام، السيرة النبوية 236/1، البيهقي في دلائل النبوة، 228/2، مصادر سابقة

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

فلما أفاق قال له عمه: ما بالك؟ فقال له:"رأيت شخصا أشار إليّ أن أستتر"[1]،قال ابن خمير معلقا على الواقعة: "وكان ذلك الشخص الملك فهذا صغير ينبهه الملك على آداب الشريعة قبل التكليف فما ظنك بحمايتهم من الكفر؟، على أن منهم من أوتي الحكم صبيا كيحي عليه السلام قال تعالى:﴿...وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.[2]وعيسى عليه السلام تكلم في المهد صبيا بالحكم حيث قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [3]،والذبيح أوتي العلم والحكم غلاما قال تعالى:﴿...وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.[4]وفي أية أخرى:﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [5]..."[6]، قال ابن خمير معلقا على ذلك"فهذا هو الذي يصح من أحوالهم ويعتقد في جانبهم الكريم،وإذا كان هذا شأنهم في حال الطفولية،فما ظنك بهم في حال الإدراك وكمال العقل؟!...فحاشاهم أن يكفروا اعتقادا أو يتلفظوا بكلمة كفر كانوا صغارا أو كبارا"[7].

مما يدل من واقع سيرته ﷺ أنه لم يتخذ معبودا غير الله تعالى.

2- إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه وتكسيره للأصنام:

بعد دعوة إبراهيم عليه السلام أبيه وقومه لعدم عبادة الأصنام ولم يستمعوا له قام بتحطيم الأصنام في معبدهم لإقامة الحجة على بطلان ألوهيتها قال تعالى:﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، 123،مصدر سابق، والحديث سبق تخريجه في حديث"إزاري إزاري" مسلم، 340

[2]- سورة مريم، الآية 12

[3]- سورة مريم، الآية 30

[4]- سورة الذاريات، الآية 28

[5]- سورة الصافات، الآية 101

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص123، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص124

مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [1]، مما يدل من واقع سيرته ﷺ أنه نبذ عبادة الأصنام ودعا إلى عبادة الواحد القهار ولم يتخذ معبودا غير الله تعالى.[2]

3- قصة نوح عليه السلام مع قومه في عبادة الأصنام:

فقد ذكر القرآن الكريم أن لقوم نوح عليه السلام آلهة من الأصنام، وهي أسماء لصالحين صنعوا لهم تماثيل على صورهم لتخليدهم ثم أتخذوها آلهة قال تعالى:﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(23)وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [3] فحارب نوح عليه السلام عبادة الأصنام ودعاهم لعبادة الله وحده[4]، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [5].

4- قصة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه عندما مر بقوم يعبدون الأصنام وقصة السامري مع العجل:

لما نجى الله تعالى موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل من فرعون وجنوده وجاوز بهم البحر ووصلوا إلى أرض سينا مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم صنم يعبدونه فنهاهم عن ذلك فقال لهم أن هذا جهل وأن هؤلاء الذين يعبدون الأصنام هم في دين باطل وأنهم في هلاك قال تعالى:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(138)إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [6]فقد

---

[1]- سورة الأنبياء، الآيتين 57-58.

[2]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء لطبارة، ص108،صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص132، قصص القرآن لسعد يوسف، ص78، مصادر سابقة.

[3]- سورة نوح، الآيتين 23-24.

[4]- والقصة للمزيد ينظر:مع الأنبياء لطبارة، ص60،صحيح قصص القرآن للبسيوني،ص82، قصص القرآن لسعد يوسف ص73، مصادر سابقة.

[5]- سورة هود، الآيتين 25-26، ينظر تفسيرها: التفسير الوجيز، وهبة الزحيلي، ص572، مصدر سابق

[6]- سورة الأعراف، الآيات 138-139-140، ينظر تفسرها، التفسير الوجيز، وهبة الزحيلي، ص168، مصدر سابق

حارب موسى عليه السلام عبادة الأصنام في قومه[1]، كذلك ما فعله رجل من بني إسرائيل إسمه السامري عندما غاب موسى عليه السلام وخلفه أخوه هارون عليه السلام فقد صنع لهم صنم على شكل عجل من حلي جمعها من نساء قومه وأمرهم بعبادته فلما رجع موسى عليه السلام غضب من هذا الصنيع وتوجه إلى السامري باللوم والعتاب وطلب من بني إسرائيل عدم عبادة صنم العجل والتوبة والاستغفار إلى الله تعالى وعبادته وتوحيده، قال تعالى:﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى(91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [2]، وقال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [3]، حيث تبين هاتان القصتان

[1]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص246،صحيح قصص القرآن،ص319،قصص القرآن، ص252، مصادر سابقة.

[2]- سورة طه، الآيات من 85 إلى97، ينظر تفسرها، التفسير الوجيز، وهبة الزحيلي، ص318، مصدر سابق

[3]- سورة البقرة، الآية 54

محاربة سيدنا موسى عليه السلام عبادة الأصنام في قومه ودعوتهم إلى عدم الشرك بالله تعالى والتمسك بتوحيده.

هذه الوقائع من سيرتهم تدل على أنهم عليهم السلام عصمهم الله تعالى من الاقتراب من الأصنام لا من بعيد ولا من قريب سواء قبل نبوتهم أو بعدها فقد ولدوا على الفطرة ولم ينحرفوا عنها أبدا وقد ذكر لنا القرآن الكريم شيئا من قصصهم كقصة نوح عليه السلام مع قومه وقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه وقصة يوسف عليه السلام في ابتعادهم عن الديانات المنحرفة وتمسكهم بالدين الحنيف والفطرة السليمة حتى إذا ما بعثوا إلى أقوامهم حاربوا الديانات المنحرفة ودعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد.

د- من الإجماع:

فقد أجمعت الأمة قاطبة على عصمتهم من الاعتقاد وقد أورد العلماء منهم ابن خمير إجماع الأمة على ذلك نورد أقوال بعضهم ثم نورد قول ابن خمير:

فقد وقع الإجماع أن الأنبياء عليهم السلام اعتقاداتهم سليمة ولم يدخلها شك ولا ريب فهم على الفطرة منذ الميلاد إلى الوفاة، قال عياض: "أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما بضاد المعرفة بذلك واليقين، هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه"[1]، حيث بين أن الإجماع في مسائل الاعتقاد الصحيح مؤكد لدى جميع المسلمين.

[1]- الشفا 92/2، مصدر سابق

ذكر الرازي أن الإجماع منعقد على عصمتهم من الإنحراف في العقيدة حيث قال: "وأجمعت الأمة على أنهم معصومون عن الكفر والبدعة"[1]،حيث بين أن الأمة أجمعت على عصمتهم من الكفر، حيث لا يمكن أن يعتقدوا عقيدة تخالف الحق الذي أمروا أن يؤمنوا به لأن الله تعالى عصم قلوبهم من الزيغ قبل النبوة وبعدها، قال عياض:"والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكيك بشيء من ذلك"[2]،حيث أكد عياض عصمتهم قبل النبوة وبعدها من باب أولى وقال في موضع آخر:"وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والإيمان".[3]

وأما ابن خمير: فقال:"وما كفر بني قط ولا سجد لوثن قبل النبوة ولا بعدها، ولا تفوه أحد من الأمة بذلك قط كان محقا أو غير محق"[4]، حيث بين ابن خمير إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الانحراف في العقيدة، وقال في موضع آخر:"...ولهم في هذا كلام لا تحتمل هذه التعاليق بسطه، لكنهم مجمعون على أنهم علموا من أول وهلة على أي وجه علموا نظرا أو ضرورة".[5]

أورد هذا الكلام عند حديثه في كيفية معرفة الأنبياء عليهم السلام بربهم في أول مرة عند البلوغ فمنهم قائل بالنظر والاستدلال، ومنهم قائل بالعلم الضروري الذي خلقه الله فيهم فذكر ابن خمير أنه مهما كانت طريقة المعرفة بالله تعالى فإن الإجماع منعقد على أنهم علموا خالقهم لأول وهلة على الوجه الصحيح،ونستنتج من كلامه إجماع الأمة على عصمتهم، لأنه لم يورد خلاف ذلك كما ذكر، وسنورد الشبهات حول اعتقاد بعض الأنبياء عليهم السلام فيما يلي:

ثانيا: الشبهات الواردة في اعتقاد الأنبياء عليهم السلام

---

[1]- كتاب الأربعين في أصول الدين، ص 321، مصدر سابق

[2]- الشفا، 103/2 مصدر سابق.

[3]- المصدر نفسه

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

أورد ابن خمير في مسألة شبهة اعتقاد الأنبياء عليهم السلام مثالين وهما سيدنا إبراهيم عليه السلام، و سيدنا يونس عليه السلام وسنفصل ذلك فيما يلي:

أ- الشبهة الواردة حول سيدنا إبراهيم عليه السلام

أورد ابن خمير شبهتين في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الأولى مع الكواكب والثانية مع إحياء الموتى

الشبهة الأولى: مع الكواكب

أورد ابن خمير هذه الشبهة على لسان قائلها ثم رد عليها، حيث نورد الشبهة أولا ثم الرد عليها.

أ. إيراد الشبهة:

ذكر ابن خمير على لسان القصاصين والوعاظ ما أدعوه من أن إبراهيم عليه السلام قبل نبوته أنه كان يبحث عن ربه وإنتقل من إله إلى إله آخر من الكواكب إلى القمر إلى الشمس بقوله"هذا ربي" حيث أورد ابن خمير هذه الشبهة ثم رد عليها فقال:"فما تخيلوه في استدلاله بالكواكب أنهم زعموا أن أمة فرت به صغيرا إلى مغارة خوفا عليه من النمرود فإنه كان يذبح أبناء العماليق ويستحي نساءهم خيفة على خراب ملكه على يد مولد منهم فألقته في المغارة، وكانت تختلف إليه فترضعه فيها وكان يشق عليها ذلك خيفة من أن يظهر أمرها معه لقومها بالتكرار إليه، إلى أن جاءت يوما فوجدته يرضع من ظبية، فطابت نفسها وعلمت أنه محفوظ فتركته ولم تعد إليه فبقي حتى حصل في حد من يعقل، فخرج ليلا من المغارة ليطلب العلم بصانعه ومعبوده، فرأى كوكبا وقادا فقال: (هذا ربي) إلى آخر ما قال".[1]

ب.رد ابن خمير على الشبهة:

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص121، مصدر سابق، كذلك أورد قصة عيسى عليه السلام على أن قومه عبدوه وأمه مختصرة في مقدمات المراشد، ص260.

هذه بداية قصة إبراهيم عليه السلام في الاستدلال على وجود الله تعالى عن طريق الكواكب[1] أوردها ابن خمير ثم علق عليها بقوله: "فأما قولهم في قصة المغارة والظبية، فهو قليل في كرامته وجائز عليه، وأما قولهم: نظر في الكواكب فقال: (هذا ربي) معتقدا لذلك فباطل، فإن هذا القول كفر صراح، وما كفر نبي قط ولا سجد لوثن قبل النبوة ولا بعدها، ولا تفوه أحد من الأمة بذلك قط، كان محقا أو غير محق".[2]

حيث علق ابن خمير على هذه القصة على أن أساسها قد تكون صحيحة؛ لأنها من الأمور الجائزة في حقهم كما وقعت لسيدنا موسى عليه السلام مع أمه وأخته وفرعون وجعل في صندوق ووضع في البحر حتى وصل إلى قصر فرعون وتربى فيه،ولكن أصل هذه القصة لم يؤكدها ولم ينفيها ولم يرد ذكرها لا في القرآن ولا في السنة واعتبرها من الأمور الجائزة فقط وأما مما لا يجوز في حقه عليه السلامهو الاعتقاد الغير صحيح وهو ما جاء في أجزاء القصة،وهو الذي رده ابن خمير حيث قال:"...وأما قولهم: نظر في الكوكب فقال(هذا ربي) معتقدا لذلك فباطل"[3]،وهذا غير جائز في حق الأنبياء عليهم السلام وهو قول مردود كما ذكر ابن خمير،لأنه يؤدي إلى الكفر وهذا لم يقع من الأنبياء عليهم السلام فقد عصمهم الله تعالى من الاعتقاد الباطل والكفر والشرك كما قال تعالى:﴿...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾.[4]وكما قال ابن خمير:"وما كفر نبي قط ولا سجد لوثن قبل النبوة ولا بعدها"[5] فقد نفى عنهم الكفر والسجود للوثن وهذا ما أكده القرآن الكريم في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿...وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.[6]ومعروف أن

[1]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص115،صحيح قصص القرآن،ص130،قصص القرآن، ص82، مصادر سابقة.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه

[4]- سورة الزمر، الآية 65

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

[6]- سورة إبراهيم، الآية 35

إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء عليهم السلام وقد دعاء لنفسه وللأنبياء الذين سيكونون من بعده بأن يعصمهم الله تعالى من عبادة الأصنام رغم أن أبوه آزر كان معروف بصناعة الأصنام؛ ولكن لم يستطع أن يطوعه لعبادة الأصنام، وعندما بعث سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه حارب عبادة الأصنام.

فقد أكد ابن خمير عصمتهم في الاعتقاد بالإجماع حيث أنه لم يتكلم أحد من الأمة الإسلامية بخلاف ذلك سواء كان على حق أو على باطل قال:"ولا تفوه أحد من الأمة بذلك قط، كان محقا أو غير محق".[1]

يواصل ابن خمير دحضه لهذه الشبهة في اعتقاد النبي إبراهيم عليه السلام وما افتروه عنه في قصة استدلاله بالكوكب حيث يؤكد ابن خمير أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أوتي الحجة وقوة الاستدلال حيث قال:"وأول ما ينبغي أن نقدم قبل الخوض في هذه المسائل الإعلام بأن إبراهيم عليه السلام كان نبي الحجة،وهو أول من أصل أصول الدين بالاستدلال على علم التوحيد، وبه اقتدى رؤساء المتكلمين في استدلاله بالثلاثة الكواكب التي وردت في الكتاب كما سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى".[2]

ثم يستدل ابن خمير بقوله تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [3]،وفي تفسيرها قال:"نرفع درجات من نشاء،أي بالحجة البالغة والعلوم العالية".[4]

سرد ابن خمير قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه حيث كانت طائفة منهم يعبدون النجوم فأراد أن يبرهن لهم أنها ليست آلهة بل هي مخلوقة والله تعالى هو خالقها والمستحق للعباد فقال: "فكان قومه حرانيين ينظرون في النجوم ويردون لها القضاء في الأفعال، ويعبدون بعضها، فكان هو

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص125

[3]- سورة الأنعام، الآية 83

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص125، مصدر سابق

يقصد الإحتجاج عليهم في حدوثها بتغيرها وتبدل أحوالها،فخرج مع أهل الرصد للكواكب ليلا لينبههم على حدوثها بتغيرها مع تسليم مذهبهم الفاسد لهم جدلا، وقصده مقابلة الفاسد بالفاسد فإنه من وجوه النظر والأظهر في طريقة التنبيه على الحدوث الاستدلال بالأكوان فإن الحركة يعلم حدوثها ضرورة لكونها يقطع الحيز بعد الحيز بحركة بعد حركة،فمن رأى ساكنا يتحرك علم تغيره ضرورة، فنظر عليه السلام فرأى كوكبا فقال لقومه: (هذا ربي) يعني على ظنكم وحسابكم ففرحوا بقوله وظنوا أنه رجع إلى مذهبهم، فلما أفل رجع لهم عن قوله الأول بقوله: (لا أحب الآفلين) فعلموا إذ ذاك أنه رجع عن مذهبهم بحجة بالغة، والدليل على صحة ما رمناه من أنه قال: (هذا ربي) على جهة التعنيت[1]لهم، وإقامة الحجة عليهم لعلهم يتفطنون ويتعلمون منه وجوه الاستدلال".[2]

حيث أورد ابن خمير هذه القصة للرد على الشبهة على أن سيدنا إبراهيم لم يقصد بقوله:(هذا ربي) اعتقادا منه لأول وهلة وإنما أورده في معرض الاستدلال على وجود خالق وهو الله تعالى وهو يعرفه ويعتقده سلفا ومؤمن به، ولكن لكي يستدل ويقيم الحجة على قومه من عبدة الكواكب أنها لا تنفع ولا تضر ولا تستحق العبادة فهي مخلوقة مثلكم فقالها على زعمهم أنها رب لكي يبرهن لهم العكس أي أنها ليست رب لأفولها وتغييرها، وهو نوع من الاستدلال كما ذكره ابن خمير مقابلة الفاسد بالفاسد وهو إحدى طرق الاستدلال ومناهجه واستعمله سيدنا إبراهيم عليه السلام في التنبيه على الحدوث للكواكب لأنها متحركة ومتغيرة بدليل قوله:(فلما أفل قال لا أحب الآفلين) أي المتغيرين الحادثين فهم ليسوا بآلهة ففي أول الأمر ظنوا بقوله:(هذا ربي) أنه رجع إلى مذهبهم الفاسد وهو يقصد على زعمهم لكي يقيم عليهم الحجة وهو يعلم أنه سيفل فلما أفل قال:(لا أحب الآفلين) فعلموا أنه رجع عن قوله الأول لأنه أثبت التغيير للكوكب وهذه حجة بالغة لكي

[1]- التعنيت = الإلزام، ينظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، ص144، والمنجد في اللغة والأعلام، ص532،مصادر سابقة

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص126، 150، مصدر سابق

يبرهن لهم أنه ليس بإله لأنه تغير والإله لا يتغير وأقام عليهم الحجة على فساد اعتقادهم ثم يواصل ابن خمير في دحض هذه الشبهة بعدة أوجه حيث قال:"ويتصور الرد فيه على القائلين بأنه استدل وغلط وتحير من ثلاثة أوجه".[1]

ما زال يواصل ابن خمير في رده على شبهة اعتقاد سيدنا إبراهيم عليه السلام وهنا يفصل في طرق وأوجه الرد وهي كالآتي:

الوجه الأول: قوله:"إحدها أنه لو قال:(هذا ربي) وعلى وجه الاعتقاد والتصميم لكان كافرا في تلك الليلة إلى حين غروب الكوكب، وكذلك يلزم في قوله في القمر والشمس، ومن اعتقد هذا فقد أعظم عليه الفرية، ورد ما علم من دين الأمة في أن نبيا ما كفر قط عقدا ولا لفظا كما تقدم، وغايته أن لو كان ما زعموه لتوقف على دؤوب النظر حتى يعلم الحق حقا لكون الناظر في حال نظره، لا يحكم له بكفر ولا بإيمان كما تقدم.....".[2]

أورد ابن خمير هذا الوجه للرد على الشبهة على افتراض أنه قالها اعتقادا منه بقلبه وقولا بلسانه لكان حكمه الكفر في تلك الليلة وهذا يسري كذلك على قوله في القمر والشمس ويتكرر منه هذا وحاشى لسيدنا إبراهيم عليه السلام أنه يعتقد ذلك وقد تقدم بيان الأدلة على عصمتهم من القرآن والسنة والإجماع وبين ابن خمير أنه ما كفر نبي قط ولا سجد لوثن قبل النبوة ولا بعدها[3]، وأن من اعتقد ذلك فقد كذب عليه ورد إجماع الأمة على عصمتهم من الاعتقاد الفاسد وعلى افتراض زعمهم أنه قال (هذا ربي) في حال نظره أنه لا يحكم عليه لا بالكفر ولا بالإيمان[4]، لأنه ما زال

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص126، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص122، مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص126

يتمحص الحق ويبحث عن الإله الحق الذي يستحق العبادة على افتراض زعمهم ذلك وهو منزه عن ذلك؛ لأنه معصوم ﷺ ثم ينتقل ابن خمير إلى الوجه الثاني للرد على الشبهة.

الوجه الثاني: قوله: "أنه لو كان يثبت إلهية الكوكب عند الطلوع من أجل ظهوره وينفيها عند الغروب من أجل غروبه لقامت عليه حجة الخصم بأن يقول له: (إذا أثبت إلهية الكوكب عند الطلوع ونفيتها عند الغروب فالكوكب يسري على ما هو به؛ وإنما غاب عندك وسيطلع غدا ويظهر لك فيلزم أن تثبت الإلهية له عند كل طلوع ونفيها عند كل غروب)وهذا تناقض بيّن مع تساوي الغروب والطلوع له في التغيير.."[1].

حيث افترض ابن خمير أنه لو كان سيدنا إبراهيم عليه السلام أثبت لهم إلهية الكوكب عند ظهوره ونفيها عند أفوله لاحتج عليه قومه بقولهم: (أن الكوكب عند أفوله أنه غاب عنك وهو موجود في جهة أخرى من الكون وسيظهر لك غدا فغروبه لا يدل على عدم وجوده في الألوهية عند كل ظهور)، ثم علق ابن خمير على هذا الافتراض فقال:"وهذا تناقض بيّن مع تساوي الغروب والطلوع له في التغيير".[2]

فبين لهم على حسب هذا الافتراض أنه تناقض لأن الكوكب متغير حادث ومن لزمه الحدوث فليس بالإله.

ثم ينتقل إلى الوجه الثالث في دحضه لهذه الشبهة بحيث يتصور دحضها من عدة أوجه وعدة افتراضات حتى لا يترك لصاحب الشبهة قول يتمسك به.

الوجه الثالث: قوله: "أن الكواكب لا تكاد تعد كثرة فمن أين له أن يعين أحدها بالإله مع التساوي بينها في كل حال؟

- فإن قالوا: إن الكواكب كان من الدراري السبعة التي يعتقد قومه فيها الإلهية قبل.

---

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر نفسه

- قيل لهم: هذا باطل من أربعة أوجه:....."[1].

ثم يفترض ابن خمير في هذا الوجه الأخير ردا من نوع آخر حيث يوجه لأصحاب هذه الشبهة تساؤلا وهو أن سيدنا إبراهيم عليه السلام من أين له أن يحدد إحدى هذه الكواكب عند كثرتها وأنها كلها تتساوى في الأحوال من حيث التغيير؟ ثم يجيب عن تساؤلهم بأنها سبعة والتي كان يعبدها قومه فيرد عليهم بأن قولكم على افتراض أنها الكواكب السبعة بأنه باطل من أربعة أوجه وهي كالآتي:

الأول: قوله: "أنكم قلتم إنه عندما خرج في حال صغره من المغارة رأى أول كوكب فقال: (هذا ربي) فهو على قولكم لم يعلم الدراري من غيرها رؤية ولا سماعا لكونه لم ير أحدا يخبره بذلك...."[2].

حيث رد عليهم من خلال كلامهم المتناقض بحيث أنهم قالوا أنه يعلم الكواكب الدراري السبعة فمن أي حصل له العلم بذلك فهو كان بالمغارة صغيرا ولم يلتق بأحد يخبره بذلك فلما حصل في حد من يعقل فخرج ليلا من المغارة ليطلب العلم بصانعه ومعبوده فرأى كوكبا وقادا فقال(هذا ربي)[3]، فأنى له أن يحدد أو يعلم بالكواكب السبعة على زعمكم أنها المقصودة الكواكب السبعة التي يعبدها قومه ويكون قد نفى ابن خمير تحديد الكواكب.

الثاني: قوله:"أنه لو كان يقصد أحد الدراري لعلمه بأن قومه عبدوها وخصصوها بالإلهية فيقول(هذا ربي)إلا ما سمع منهم بأنها آلهة، وهذا أشد عليهم في الانكار من كل ما تخيلوه..."[4].

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص127، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص122، القصة التي أوردها ابن خمير

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص127، مصدر سابق

ثم يواصل رده على الشبهة من هذا الوجه على افتراض أنه يعلم بالكواكب السبعة التي يعبدها قومه وأنه أشار إلى أحداها وقال (هذا ربي) معتقدا ذلك لأصبح مقلدا لقومه في الاعتقاد على أساسه أنه لم يسمع إلا من عند قومه على أنها آلهة تعبد وهذا باطل ولا يحق في صدوره من نبي عليه السلام وهو ينفي عصمته في الاعتقاد وقد أبطل هذا ابن خمير في هذا الوجه وشدد النكير عليهم لأنه يمس باعتقاد الأنبياء عليهم السلام.

الثالث:قوله:"أن الطلوع من الغروب في التغيير والحركات على سواء في الاستدلال على الحدوث، فلم استدل بأحدهما على نفي الألهية وأثبت للثاني؟"[1]، حيث رد عليهم ابن خمير بأن الطلوع والغروب في التغيير متساويان،فتساءل كيف استدل بأحدهما بالنفي وبالأخر في الإثبات

الرابع:قوله:"أنه قال في الشمس والقمر ما قاله في الكوكب فصار ينقل الإلهية من جسم إلى جسم، والكل في حالة الطلوع والغروب على سواء، وهذه غاية الجهل الذي يتحاشى الخليل عليه السلام عنه قطعا فإن قالوا: لما رأى القمر ظن أنه لا يغرب فقال ذلك قلنا: هذا باطل فإنه قد جرب الكوكب وطلوعه وغروبه ثم رأى القمر طالعا كالكوكب فلو كان ما زعمتم لتوقف عن هذا القول حتى يرى هل يغرب أم لا يغرب وأما قوله في الشمس فيجب أن يتأكد الإنكار عليه لتأكد تكرار التجربة منه في الكوكب والقمر...".[2]

وفي هذا الوجه الأخير يرد عليهم مما افترض من كلامهم حيث يركز على القمر والشمس على أنهم زعموا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أصبح ينقل الإلهية من جسم إلى آخر والكواكب متساوية في الطلوع والغروب مع الشمس والقمر فكلها متغير وحادثة وهذا جهل بصفات الأنبياء عليهم السلام ومنها العصمة فاحشى لسيدنا إبراهيم عليه السلام أنه يعتقد ذلك،ثم افترض ابن خمير أنهم يقولون بأنه عندما رأى القمر ظن أنه لا يغرب كما غرب الكوكب فأكد الألوهية للقمر فرد عليهم

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر السابق، ص128

ابن خمير هذا الزعم بقوله أن قولكم باطل؛ لأنه جرب في أول الأمر مع الكوكب في الطلوع والغروب فعلم ذلك ثم بعد ذلك أنتقل إلى القمر فلو كان ما زعمتم من قولكم [أنه ظن أنه لا يغرب فقال ذلك (هذا ربي)] لتوقف عن هذا القول حتى يرى هل يغرب أم لا، وأما قوله في الشمس فيتأكد الإنكار عليه لتأكد تكرار التجربة في الكوكب والقمر، فما حصل للكوكب حصل للقمر كذلك يحصل للشمس وهي كلها متساوية في الحدوث والتغيير، وفي هذا الوجه استعمل ابن خمير التجربة كمنهج للرد على الخصم وهي إحدى أساليبه في منهج استدلاله في العقيدة.[1]

وبعد عرضه لهذه الوجه الثلاثة في رده عن شبهة اعتقاد سيدنا إبراهيم عليه السلام في ألوهية الكواكب واصل كلامه بأن ما حصل لسيدنا إبراهيم عليه السلام لو حصلت لآحادنا لأنكرها ولم يتمكن من الاستدلال على ألوهيتها بل إنها مخلوقة ولها إله يسيرها فكيف يحصل ذلك لنبي عليه السلام وهو نبي الحجة وقد أكرمه الله تعالى بأن أراه ملكوت السموات والأرض لقوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.[2]

حيث قال:"وهذه الأقوال كلها لو قدرت لأحد منا لأنكرها كل الإنكار فإن فيها غاية الحيرة وعدم الاستدلال، فكيف تثبت لخليل الرحمان الذي أراه ملكوت السموات والأرض حتى كان يرى ويسمع صريف القلم في اللوح المحفوظ،وكان يسمع خفقان قلبه من خشية الله على فرسخ فإذا بطلت في حقه، بل في حق العقلاء المستدلين هذه الأقوال لم يبق إلا أنه قالها من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ليقيم الحجة على قومه في التغيير بالأكوان الدالة على الحدوث ويعضد ذلك قوله لهم في الشمس:﴿...هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ...﴾.[3] يعني أكبر جرما وأبهر ضياء وأنفع لأهل الأرض،

[1]- ينظر: الفصل التمهيدي (طبيعة أدلته ومنهجه في الاستدلال) المبحث الثاني السيرة الذاتية (نبوغه ومواهبه)

[2]- سورة الأنعام، الآية 75

[3]- سورة الأنعام، الآية 78

من كل ما دونها من الكواكب، وهي تتغير كمتغيرها، وليس بعدها ما ينتظر ﴿...فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.[1]إلى قوله:﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ...﴾.[2]والبارئ تعالى يخبر أنه نادى قومه وناجاهم،وحاجوه، وحاجهم،ورد عليهم وهم يقولون إنه خرج من المغارة وحده، واستدل وغلط وتحير وقال: (هذا ربي)في الكواكب الثلاثة فلو كان صغيرا كما زعموا لم يكن له قوم يناديهم ويحاجهم ويحاجونه، ولو كان أيضا لم ير الكواكب إلا تلك الليلة كما زعموا، لم يقل في الشمس على الإطلاق:(هذا ربي هذا أكبر) مع تجويز طلوع أكبر منها، فلولا ما رأى الكواكب قبل ذلك لم يقل:(هذا أكبر)...".[3]

حيث بين مقام سيدنا إبراهيمعليه السلام من ربه وأنه أكرمه تعالى بأن أراه ملكوت السموات والأرض فكيف يعتقد في الكواكب وقد أبطل ابن خمير هذه الشبهة وما زعموه من أقوال حول ذلك وبعد إبطاله للأقوال المزعومة وصل إلى نتيجة وهي أنه لم يبق إلأ تفسير واحد لهذه الآيات وهو أنه قالها من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ليقيم على قومه الحجة[4] ويبين لهم أن الكواكب تتغير والتغيير ليس من صفة الإله بل من صفة المخلوقات وأن قوله في الشمس(هذا أكبر)يقصد بها من حيث الجرم وكذلك ضياءا وكذلك نفعا للبشرية من غيرها من الكواكب وليس معنى ذلك أنها إله أكبر رغم ذلك أنها تتغير وتشارك الكواكب الأخرى في هذه الصفة وهي الحدوث ولهذا ليس من صفة الإله، ومما يؤكد بعده عن الاعتقاد الفاسد قوله (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) فقد تبرأ من قومه بعد محاجتهم إقامة البراهين على أن هذه الكواكب ليست آلهة وبيان الحجة في ذلك

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 78

[2]- سورة الأنعام، الآية 80

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص128-129، مصدر سابق

[4]- ومقابلة الفاسد بالفاسد إحدى الأساليب التي استعملها ابن خمير في منهج استدلاله على العقائد وخاصة في محاجة الخصم وذلك لمسايرته للوصول به إلى دحض مقولته، ينظر: الفصل التمهيدي (طبيعة أدلته ومنهجه في الاستدلال) المبحث الثاني السيرة الذاتية (نبوغه ومواهبه)

وإبلاغهم أن ذلك شرك بالله تعالى وفي نهاية حجته تبرأ مما يشركون به تعالى وكذلك مما يستدل على صحة عقيدته وأن ما قاله هو لمحاجاتهم وليس اعتقادا منه قوله (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) أي كيف تعرفونني في الله تعالى وأنا أقرب منكم إليه وقد هداني إلى معرفته وصفاته وعصمني من أن أعتقد في غيره أو أشرك به،ثم يبين ابن خمير أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ناد قومه وحاجهم وحاجوه ورد عليهم بالأدلة والبراهين وطرق الاستدلال في العقيدة فكيف لنا أن نفهم أنه استدل وغلط وتحير كما زعم أصحاب الشبهة.

الشبهة الثانية: إحياء الموتى

هناك شبهة أخرى أوردها ابن خمير حول سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿...رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ [1]،حيث قال: "وأما قصته عليه السلام في طلب رؤية البعث وجمع الأجسام بعد تبددها، فسبب هذا الطلب ما جاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال:(بينما إبراهيم عليه السلام يمشي على ساحل البحر إذ مر بدابة بعضها في البر وبعضها في البحر، فرأى دواب البحر تأكل مما يليها، ودواب البر تأكل مما يليها، فقال: ليت شعري كيف يجمع الله هذه؟)[2]، فاشتاق إلى رؤية الكيفية فقال إذ ذاك(رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)، نقل هذا الخبر على المعنى".[3]

أ. إيراد الشبهة:

علق ابن خمير على القصة وأورد اعتراضات بعض الفرق والأديان بقوله:"اعترضت الملحدة هذه القصة ومن تابعهم من اليهود والنصارى والقرامطة، ومن قال من الباطنية باستحالة حشر الأجساد، والجهلة بعصمة الأنبياء عليهم السلام على الوجه الذي ذكرناه قبل،قالوا: (هذا إبراهيم

[1]- سورة البقرة، الآية 260

[2]- أورد هذه القصة وما شابهها القرطبي في الجامع،تح: سالم مصطفى البدوي، ط2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 3،195/2004، وروح المعاني، 23/3، مصدر سابق، وكررها ابن خمير مختصرة في مقدمات المراشد، ص267، وأورد مثلها في إحياء الموتى للعزير، تنزيه الأنبياء، ص142(لم نوردها في المتن للإختلاف في نبوته).

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص134، مصدر سابق

عليه السلام على جلالة قدره قد استراب في البعث حتى طلب رؤية الكيفية ليطمئن قلبه بنفي الاستراباة) وهذا أشد في الاعتراض من كل ما ذكروه...".[1]

رد ابن خمير على الشبهة:

بعد إيراد ابن خمير سبب القصة ثم طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام من ربه رؤية البعث[2] وجمع الأجساد بعد تفرقها،أورد اعتراضات الملاحدة من الأمم الأخرى وذكر منها أصحاب الديانات السماوية اليهود والنصارى وبعض الفرق الإسلامية كالقرامطة والباطنية وكذلك من عوام الناس الجاهلين بحقوق الأنبياء عليهم السلام منها ما يجب عليهم وخاصة صفة العصمة، وبين أن كل الديانات السماوية مجمعة على الإيمان بالبعث، ثم واصل ابن خمير في إيراد هذه الشبهة وجمع قولهم وذكر استغرابهم من سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيفية البعث عيانا حيث اتهموه بالشك والريب، ثم بين ابن خمير أن الشك في البعث يؤدي إلى الكفر بإجماع الأمم التي نزلت عليها الشرائع، فقال: "...فإن الشك في البعث كفر صراح بالإجماع من كل أمة، فإن حقيقة الكفر في الشرع تكذيب الله ورسله، وما ملئت طباق جهنم إلا من هذا الصنف الشاك فيما جاءت به الرسل عليهم السلام".[3]

ثم عرف حقيقة الكفر بأنه تكذيب الله ورسله فجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام اتفقوا على وحدانية الله تعالى والبعث وكل رسول يصدق من جاء قبله من الرسل والشرائع والكتب ولا يوجد تناقض في أصول الديانات والأسس الاعتقادية رغم الاختلاف في بعض التشريعات التي تخص مجال العبادات والمعاملات والنظام الأسري ثم بين ابن خمير أن مصير الشاك في البعث والنشور جهنم أعاذنا الله تعالى منها وإياكم، ثم يواصل الرد عليهم دفاعا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص134، مصدر سابق

[2]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص119،صحيح قصص القرآن،ص139،قصص القرآن، ص85، مصادر سابقة.

[3]- المصدر نفسه

بقوله:"فأنظر عصمنا الله وإياكم إلى معتقد هذه الوصمة في حق الخليل عليه السلام، أن تؤول به، ولأجلها جاء عنه عليه السلام أنه قال: (نحن أحق بالشك من إبراهيم)[1]، نبه ضعفاء العامة أن أنبياء الله تعالى في العصمة والنزاهة على سواء، فما جاز على أحدهم جاز على الكل، فكأنه يقول:(إياكم أن تجوزوا الشك على إبراهيم عليه السلام فيما يوحي إليه به فإن جوزتموه عليه فأنا أحق أن تجوزوه علي، وأنتم لا تجوزونه علي فلا تجوزوه عليه)، ثم تأدب عليه السلام مع الأب بقوله: (نحق أحق)...."[2].

حيث أوّل ابن خمير بقوله سيدنا إبراهيم عليه السلام على أنه ليست شكا كما فهمها أصحاب الديانات والفرق وعوام الناس ولذلك استدل بحديث النبي ﷺ (أنا أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام) وهذا لم يصدر من سيدنا إبراهيم عليه السلام وفيه نفي الشك عنه حيث بين ابن خمير أن الأنبياء عليهم السلام متساوون في الصفات وما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقهم فهم على سواء في العصمة وبذلك فسر الحديث بأنه تنبيه للعامة ولغيرهم ممن فهم الآية على ظاهرها فكأنما خاطبهم خطاب تحذير على لسان ابن خمير(إياكم أن تجوزوا الشك على إبراهيم عليه السلام) ثم يواصل ابن خمير تفسيره للحديث في صيغة قياس بقوله: (فإن جوزتموه عليه فأنا أحق أن تجوزوه علي وأنتم لا تجوزونه علي فلا تجوزوه عليه)فكأنما ساق ابن خمير تفسير الحديث في شكل قياس منطقي.

المقدمة الأولى: إياكم أن تجوزوا الشك على إبراهيم عليه السلام

المقدمة الثانية: فإن جوزتموه عليه فأنا أحق أن تجوزوه علي.

المقدمة الثالثة: أنتم لا تجوزونه علي.

النتيجة: إذن فلا تجوزوه عليه.

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه رقم 4537، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص136،مصدر سابق

وفي الأخير خلص بأنه لا يجوز الشك في حق الأنبياء عليهم السلام فهم معصومون من الشك والريب في الاعتقاد، والشك من الأمور المستحيلة عنهم ثم يتعرض ابن خمير إلى تفسير الآية[1] بالتفصيل[2]،وبعدها يسرد مجريات قصة إحياء الطيور الأربعة بالتفصيل[3]،ولكن نأخذ من تفسيرها ما يفيدنا في الرد على هذه الشبهة دون التعرض إلى البقية سواء التفسير أو مجريات القصة ففي قوله تعالى:﴿...رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾.[4] قال ابن خمير في تفسيرها:"طلب أن يريه تعالى مثلا محسوسا يطلعه على كيفية الجميع من أقاصي الأرض وبطون الحيوانات، وكيفية سرعتها في الحركات عند الاجتماع ولأي أصل تجتمع، وعلى أي وجه تتصور...".[5]

حيث بين أن طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام طلب جائز في حقه لكي يرى مثلا ملموسا في الواقع في إحياء الموتى.

وأما قوله تعالى:﴿... أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى...﴾.[6] قال ابن خمير في تفسيرها: "سأله بالنفي فأجابه بـ (بلى) التي هي جواب النفي لإثبات المنفي كأنه قال له: (ألست مؤمنا بالبعث؟)قال: (بلى) معناه: (أنا مؤمن به كما علمت، لكنني أريد أن يطمئن قلبي برؤية الكيفية)...".[7]

حيث بين أن الله تعالى سأل نبيه إبراهيم عليه السلام بطريق النفي فأجابه سيدنا إبراهيم بعبارة (بلى) والتي تعني أنه مؤمن بالبعث والله تعالى يعلم ذلك عن نبيه عليه السلام ولكن سيدنا إبراهيم طلب ذلك ليرتاح قلبه برؤية الكيفية وهو يعلم بقدرة الله تعالى على ذلك ولكن اشتاق لنموذج يراه في الحياة

---

[1]- الآية من قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص136-138، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص138-141

[4]- سورة البقرة، الآية 260

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص136، مصدر سابق

[6]- سورة البقرة، الآية 260

[7]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص136، مصدر سابق

الدنيا وإبراهيم عليه السلام سبق وأن حاور النمرود في هذا الجانب في قضية إحياء الموتى عندما خاطبه إبراهيم عليه السلام بأن الله تعالى هو الذي يحي ويميت[1]فقال تعالى على لسانه:﴿...رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾.[2]، فلبى الله تعالى طلبه بقوله:﴿...فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [3]،وبهذا يكون ابن خمير قد دحض هذه الشبهة على سيدنا إبراهيم عليه السلام وأثبت عصمته في الاعتقاد.[4]

ب- الشبهة الواردة حول سيدنا يونس عليه السلام في الظن والمغاضبة

والنموذج الثاني الذي أورده ابن خمير في دفع شبهة الاعتقاد المنحرف عن الأنبياء عليهم السلام منهم سيدنا يونس عليه السلام حيث أورد له شبهتين على لسان القصاصين في قصته من خلال تفسير قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾ [5]،حيث فسروا الغضب أنه سخط لحكم ربه،وفسروا الظن بأنه اعتقد أن الله تعالى لا يقدر عليه، وقد رد ابن خمير على هاتين الشبهتين وسنعرض كلام أصحاب الشبهة ورد ابن خمير عليهم.

الشبهة الأولى:المغاضبة

[1]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص117،صحيح قصص القرآن،ص137،قصص القرآن، ص83، مصادر سابقة.

[2]- سورة البقرة، الآية 258

[3]- سورة البقرة، الآية 260

[4]- أورد ابن خمير قصة العزير في مثل هذا المعنى وهي شبهة الشك في البعث حيث قال: "فمما اختلقوه عليه أنه شك في البعث..." حيث رد عليهم ثم ذكر اختلاف العلماء في نبوته، ينظر: تنزيه الأنبياء، ص144، وما بعدها، مصدر سابق،ولم أذكره في المتن نظرا لاختلاف العلماء في نبوته لعدم ذكره في الخمسة والعشرين المذكورين في القرآن الكريم المتفق على نبوتهم وأما ابن خمير فقد عده من الأنبياء، وهذا ما سنراه في الفصل الرابع في طرق إثبات النبوة عند ابن خمير، وللمزيد عن قصته ينظر: ابن خمير، تنزيه الأنبياء،142-148، صحيح قصص القرآن، ص434، قصص القرآن، 340، مصادر سابقة

[5]- سورة الأنبياء، الآية 87

أورد ابن خمير هذه الشبهة حول سيدنا يونس عليه السلام حين غادر قومه وركب في السفينة حيث اتهموه بالهروب لأنه غضب من أمر الله تعالى فرد عليهم ابن خمير في ذلك، حيث نورد الشبهة ثم الرد عليها.

أ- إيراد الشبهة: حيث أورد ابن خمير لهذه الشبهة روايتين

- الرواية الأولى:

أورد ابن خمير هذه الشبهة في معرض تفسير قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا...﴾[1]،قال ابن خمير: "ومما اختلقوه عليه عليه السلام في شرح هذه الآية أن قالوا: إنه جاءه الملك بالوحي وهو يتعبد في الجبل فقال له: (إن الله تعالى أمرني أن أعلمك بأنه أرسلك إلى أهل نينوى[2] لتحذرهم وتنذرهم)، فقال له يونس عليه السلام: (الله أرفق بي، وأعلم بضعفي ومسكنتي، من أن يرسلني إلى قوم جبارين متكبرين، يؤذونني ويقتلونني فراجع ربك أيها الملك في أمري، فلعله يعفيني من ذلك ويلطف بي)، فقال له الملك، (الله تعالى أعظم من أن أراجعه فيما أمرني به، وقد أمرتك،فسل أنت ربك ذلك إن شئت، فقد بلغتك والسلام)،ثم صار الملك إلى مقامه ففر إذ ذاك يونس عليه السلام على وجهة إلى جهة البحر مغاضبا لربه، وركب السفينة فالتقمه الحوت".[3]

- الرواية الثانية:

قال ابن خمير في الرواية الثانية: "...ومنهم من قال: إنه بلغ قومه الرسالة فسبوه وضربوه وغلوا في أذيته فدعاء عليهم فأخبره ربه أنه ينزل البلاء عليهم في يوم كذا، فأخبرهم بذلك فلما كان في ذلك اليوم، خرج إلى أعلى الجبل وقعد ينتظر الوعد،وإذا سحابة عظيمة سوداء قد جاءت

[1]- سورة الأنبياء، الآية 87

[2]- نينوى: مدينة بالموصل في العراق، معجم البلدان، 391/5، مصدر سابق، قال القرطبي: "أن قومه كانوا بنينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام"، الجامع لأحكام القرآن، 245/8، مصدر سابق.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص156، مصدر سابق

من ناحية البحر حتى قربت من البلد،ثم جاءت ريح فهبت في وجهها فردتها عنهم فخرج فارا مغاضبا لربه حيث رد عنهم البلاء".[1]

ب- رد ابن خمير على الشبهة:

قال ابن خمير معلقا عن الروايتين ورده للشبهة:"فهذا من بعض أقوالهم الخبيثة في قصة يونس عليه السلام ومقتضى هاتين الكذبتين عليه أنه سخط أحكام ربه،ولم يرض بقضائه،ولا أذعن لحكمه".[2]

ثم يواصل كلام في دحض هذه الشبهة ويردها ويدافع عن عصمة النبي يونس عليه السلام[3] منطلقا من قاعدة تنزيه الأنبياء عليهم السلام وأن أهم صفة لهم هي صفة العصمة فيقول: "وحاشى وكلا أن يفعل ذلك أنبياء الله تعالى مع العصمة والنزاهة فيما دون ذلك كما قدمناه".[4]

حيث يتعجب من كلامهم وطعنهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام وينكر عليهم ذلك، لأن الأنبياء عليهم السلام موصوفون بالعصمة والنزاهة، ثم يواصل كلامه في دحض هذه الشبهة ويبين حكم غضب العبد على ربه وعدم رضاه بأحكامه وقضائه وقدره فيقول:"فإن غضب العبد على ربه إنما هو ألا يرضى بحكمه ولا بإرادته، وهذه هي المناقضة والكفر الصراح".[5]

فقد بين ابن خمير حكم من غضب على ربه؛ لأن الغضب على الله تعالى من قبل العبد يعتبر عدم رضاه بحكمه وقضائه وقدره وهذا يؤدي إلى الكفر، وهذا منفي عن الأنبياء عليهم

---

[1]- المصدر السابق، ص157

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص157، مصدر سابق

[3]- قصته أوردها القرطبي في تفسيره في عدة مواضع، 245/8، 217/11، 10/15، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص157، مصدر سابق

[5]- المصدر نفسه

السلام، وقد سبق أن ذكر ابن خمير أنه "ما كفر نبي قط ولا سجد لوثن قبل النبوة ولا بعدها"[1]، فإن تفسيرهم للمغاضبة أنها تعني عدم رضاه بحكم ربه وقضائه وقدره وهذا لايليق بمقام النبي يونس عليه السلام، لأنه يؤدي إلى الكفر وهو منزه عنه ومعصوم منه وهذا يؤدي إلى التناقض وهو محال فقد توصل ابن خمير إلى تناقض أقوالهم لأن تفسيراتهم الخاطئة تتعارض مع الصفات الأساسية للنبوة منها العصمة وقد استدل ابن خمير من القرآن على نفي الإيمان عمن لم يرض بحكم الله تعالى حيث قال: "قال تعالى لنبينا عليه السلام:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[2]".[3]

قال ابن خمير في تفسيرها:"فنفى الله الإيمان عمن لم يرض بحكم الله تعالى وحكم نبيه عليه السلام"[4] فبين أن من لم يرض بحكم الله تعالى عموما كالأحكام الفقهية العملية وخاصة جانب المعاملات والجنايات، والأحوال الشخصية، وأحكام الأسرة أو الأحكام العقدية وخاصة القضاء والقدر وما يصيب الإنسان في حياته اليومية وما يفقده مما غلى ثمنه من الأموال،وما يصيب الأقارب كالحوادث الأليمة وما ينتج عنها من فقدان الأعضاء أو العاهات أو الموت وكل ذلك بقضاء الله وقدره خيره وشره فالذي لا يستسلم لقدر الله وحكمه فقد أنتفى عنه الإيمان، لأن القضاء والقدر أصل من أصول الإيمان.

وكذلك قد استدل ابن خمير بالحديث النبوي على رضى الأنبياء عليهم سلام بحكم الله تعالى مهما كان قال ابن خمير:"وقال عليه السلام في دعائه:(لك العتبى حتى ترضى)[5]". [1]

---

[1]- المصدر السابق، ص122

[2]- سورة النساء، الآية 65

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص157، مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه

[5]- ابن هشام، السيرة61/2 (وفوده على الطائف)، مصدر سابق، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم 181 تح: حميدي عبد المجيد السلفي، ط1، وزارة الأوقاف، بغداد، 1398هـ

ثم علق عليه وقال: "والأمر أظهر من الاستدلال عليه".[2]

حيث بين ابن خمير أن الاستدلال بالحديث عن رضى الأنبياء عليهم السلام بحكم الله تعالى ظاهر وواضح، لأن النبي ﷺ أسلم أمره إلى ربه حتى يرضى ربه عنه وما يسري عليه يسري على جميع الأنبياء عليهم السلام ومنه يونس عليه السلام في تفسير المغاضبة، وقد سبق وأن بين ابن خمير أن ما يجوز على نبي عليه السلام جاز عليهم الكل قال:"أن أنبياء الله تعالى في العصمة والنزاهة على سواء، فما جاز على أحدهم جاز على الكل".[3]

بعد دحض ابن خمير لهذه الشبهة عن النبي يونس عليه السلام بالأدلة من القرآن والسنة والتفسير الصحيح للآيات والأحاديث الدالة على عصمة النبي يونس عما رموه به من اعتقادات منحرفة في حقه وهو بريء من ذلك يواصل ابن خمير في بيان المعنى الصحيح للمغاضبة فيما يلي:

ج-تخريج القصة على الوجه الصحيح (بيان معنى المغاضبة):

تساءل ابن خمير في التفسير الصحيح للمغاضبة بخلاف ما فسر بما لا يتناسب مع مقام النبي يونس عليه السلام[4] حيث طرح التساؤل كالآتي فقال:"فإن قيل! إذا لم تصح هذه المغاضبة لربه على هذا الوجه فما الصحيح الذي يعول عليه فيها؟...".[5]

فقد طرح هذا التساؤل ردا على أصحاب الشبهة الذين فسروا المغاضبة بعدم الرضا بحكم الله تعالى وقضائه وقدره، فكأنما السؤال جاء من عندهم إذا لم يكن هذا التفسير للمغاضبة بهذا المعنى فكيف لنا أن نفسر أو هل يوجد تفسير مناسب لها فقد طرح ابن خمير التساؤل مكانهم على افتراض وتولى الإجابة عن هذا التساؤل فقال:"قلنا: أما مغاضبته عليه السلام، فكانت لقومه لا لربه ولا

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص157، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص136، مصدر سابق

[4]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص311،صحيح قصص القرآن،ص281،قصص القرآن، ص200، مصادر سابقة.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص158، مصدر سابق، كررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص258، 267

يجوز ذلك عليه[1]، وأنى وقد جاء في الخبر أنه عليه السلام قال:(والذي نفسي بيده لو لم يبلغ نبي الرسالة إلى قومه لعذب بعذاب قومه أجمعين)[2]، وإنما كانت لقومه لما نال منهم من الأذية فاحتمل أذاهم حتى ضاق صدره، ويئس من فلاحهم، ففر بنفسه بعدما بلغ غاية التبليغ كما أمره الله تعالى".[3]

فقد استبعد ابن خمير التفسير الخاطئ للمغاضبة فكيف لنا أن نجوز على النبي يونس عليه السلام مغاضبته لربه[4] وهذا الاستبعاد بلفظ (وأنى) وكيف لنا ذلك وقد ورد في الخبر ما يؤيد تفسيره الصحيح، لأن الحديث الذي أورده ردا على أصحاب الشبهة في الرواية الأولى حيث قالوا بأنه فر بعد ذهاب الملك وإتمام تبليغ أمر ربه وسؤاله أن يعفيه منه، حيث قالوا:"...ثم صار الملك إلى مقامه ففر إذ ذاك يونس عليه السلام..."[5]،مما يستنتج على حد قولهم أنه لم يبلغ الرسالة فاستدل ابن خمير في الرد عليهم بهذا الحديث فيونس عليه السلام بلغ الرسالة وقوبل بالإيذاء من قبل قومه واحتمل ذلك وصبر عليهم فغالوا في إيذائه حتى ضاق صدره ويئس من إيمانهم ففر منهم وهذا بعد إكمال تبليغ رسالة ربه وكذلك استدل ابن خمير على كلامه وتفسيره بالحديث فقال ابن خمير: "...وكذلك في قول نبينا عليه السلام:(حمل أخي يونس أعباء الرسالة فانفسخ تحتها كما ينفسخ الربع)[6]..."[7]،ثم فسر ابن خمير هذا الحديث بقوله:"الحديث فهو في هذا المعنى، أنه كلف مقاساة

---

[1]- وذهب إلى هذا التفسير القاضي عياض فقال:"إذ ذهب مغاضبا الصحيح مخاطبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضاحك وغيرهما،لا لربه عز وجل إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء!"الشفا 99/2

[2]- لم أعثر على تخريجه

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص158، مصدر سابق

[4]- قال القرطبي:"وهذه المغاضبة كانت صغيرة ولم يغضب على الله ولكن غضب لله إذ رفع العذاب عنهم"،الجامع لأحكام القرآن، 218/11، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص156، مصدر سابق

[6]- أورده القرطبي في الجامع 218/11 بصيغة (حمل أعباء النبوة فتفسخ تحتها تفسخ الربع)، والربع هو الفصيل الذي ينتج في الربيع (أي ولد الناقة الذي يولد في الربيع)، ينظر: المصباح، ص138، مصدر سابق

[7]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص158، مصدر سابق

الجهلة، والصبر على أذاتهم فضاق صدره بذلك ولم يحتمله ففر..."[1]،حيث بين ابن خمير مستدلا بالحديث على إتمام تبليغه للرسالة إلى قومه ولكن عورض وأوذي في سبيلها ولكنه احتمل أذيتهم وصبر على قومه إلى الحد المعقول فلما جاوزوا هذا الحد الذي احتمله ضاق صدره من كثرة أذيتهم له ولم يتحمل أكثر من طاقته وشبهه النبيﷺ في الحديث مثل الفصيل الصغير الذي يحمل على ظهره أكثر مما يطيق.[2]

وبهذه النصوص والتفسيرات رد ابن خمير على هذه الشبهة وبين تفسيرها الصحيح الذي يليق بالنبي يونس عليه السلام في مسألة المغاضبة[3] ويواصل في رده على شبهة أخرى ألصقت بالنبي يونس عليه السلام والتي سنوردها فيما يلي:

الشبهة الثانية: الظن

أورد ابن خمير هذه الشبهة على لسان قائلها حول ظن سيدنا يونس عليه السلام في قدرة الله تعالى ثم رد عليها، حيث نورد الشبهة ثم الرد عليها.

أ- إيراد الشبهة:

أورد ابن خمير هذه الشبهة على لسان الفجرة وذلك في معرض تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾.[4] حيث قال ابن خمير:"وقال الفجرة: إنه ظن أن لا يقدر الله عليه، أي لا يمكنه أن يفعل فيه!، وهذا كفر صراح لا يمكن أن يعتقده مقلد في الإيمان، فكيف نبي؟..." حيث أورد كلام الفجرة واتهامهم للنبي يونس عليه السلام بأنه يعتقد ويشك في قدرة

[1]- المصدر السابق، ص161

[2]- أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن يقول القرطبي في تفسير الحديث:"في الخبر في وصف يونس عليه السلام:إنه كان ضيق الصدر، فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل، فمضى على وجهة مضي الآبق الناد"218/11 مصدر سابق، حيث بين سبب فراره من قومه.

[3]- والقصة للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص311،صحيح قصص القرآن،ص281،قصص القرآن، ص198، مصادر سابقة.

[4]- سورة الأنبياء، الآية 87

ربه أنها لن تصل إليه، ثم عقب ابن خمير على كلامهم الفاسد بأنه هذا الاعتقاد حكمه الكفر الصريح وهذا لا يصدر من مؤمن عادي فكيف يصدر من نبي مقرب ومرسل ومطيع لله تعالى وأعرف الناس بصفاته تعالى ومنها صفة القدرة.

ب- رد ابن خمير على الشبهة:

تولى ابن خمير الرد على هذه الشبهة فقال:"وقد تذاكرت مع طالب من طلبة الأندلس ملحوظ بالطلب، فقال لي ذلك، وبالإجماع: (أنه من ظن أن لا يقدر الله عز وجل عليه على وجه العجز عنه أو الفوت من قضائه وقدره فهو كافر)"[1]، حيث بين ابن خمير حكم من اعتقد عدم قدرة الله تعالى عليه أو عجزه عن وصول قدره إلى الإنسان أو أن يفوته قضاؤه وقدره فإنه كافر ولا تصح عقيدته؛ لأنه طعن في إحدى صفات الله تعالى وكذلك نفي لأحدى أصول الإيمان وهو القضاء والقدر، وذكر ابن خمير هذا الحكم من خلال حواره مع أحد طلبة العلم وأكد له ذلك بالإجماع،فهذا الأمر أو الاعتقاد الفاسد لا يصح من النبي يونس عليه السلام؛لأنه معصوم في جانب الاعتقاد الفاسد، وكذلك رد ابن خمير هذه الشبهة عن يونس عليه السلام من الاستدلال من باب أولى فقال:"وهذا كفر صراح لا يمكن أن يعتقده مقلد في الإيمان، فكيف بنبي"[2]، فإذا كان المؤمن العادي المقلد في العقائد لا يمكنه أن يعتقد النقص في قدرة الله تعالى أو يشك فيها فمن باب أولى أن ننزه النبي يونس عليه السلام من هذا الاعتقاد المنحرف وقد أيده الله تعالى بالعصمة وبالصفات الواجبة للأنبياء عليهم السلام وهو أعلى مرتبة من الخلائق وهو المرشد والمعلم والمبلغ عن الله تعالى فهو أدرى بصفاته تعالى من غيره من الناس وبعد رده عن هذه الشبهة على أساس التنزيه والعصمة

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص159، مصدر سابق

[2]- المصدر نفسه

والاستدلال من باب أولى، وكذلك مقامه ومعرفته لربه ولصفاته ومنها صفة القدرة، ثم واصل ابن خمير في بيان المعنى الصحيح للظن في الآية والتي سنذكرها فيما يأتي:

ج- تخريج القصة على الوجه الصحيح (بيان محل الظن)

بين ابن خمير تفسير محل الظن في قوله تعالى:﴿...فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾.[1] فقال: "...ففر بنفسه بعدما بلغ غاية التبليغ كما أمره الله تعالى،ثم غلب ظنه لسعة حلم الله تعالى ألا يطلبه بذلك الفرار بكونه قد أدى ما عليه، وهو معنى قوله تعالى(فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي أن لن نضيق عليه، قال تعالى:﴿...وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ...﴾.[2] أي ضيق وقال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾.[3]أي يضيق،ويحتمل أنه ظن أن قدرة الله تعالى لم تتعلق بإيلامه وسجنه تفضلا منه، وأنه تعالى يعفو عنه في ذلك الفرار، فوقع خلاف ظنه، وهذا هو الذي يجوز أن يعتقده الأنبياء وان يعتقد فيهم"[4]، حيث بين ابن خمير أن محل الظن هنا ليس المقصود به الشك في قدرة الله تعالى أن تصله وقد نفى ابن خمير ذلك ورد على من قال به من السفهاء، وهنا يبين التفسير الصحيح محل الظن والمقصود بالظن الذي يعتقده النبي يونس عليه السلام وما يليق به، لأنه معصوم، وقد أورد ابن خمير محل الظن هناك معنيين يليقين بالنبي يونس عليه السلام وهما كالآتي:

المعنى الأول: هو التضييق

[1]- سورة الأنبياء، الآية 87

[2]- سورة الطلاق، الآية 7

[3]- سورة الزمر، الآية 52

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص159، مصدر سابق

حيث فسر ابن خمير أن محل الظن هنا يقصد به التضييق عليه ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي فظن أن لن نضيق عليه حيث فسر لفظ (نقدر) هنا بالتضييق[1]، واستدل بآيتين في تفسير المعنى، الآية الأولى: قوله تعالى:﴿...وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ...﴾والآية الثانية قوله تعالى:﴿...أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾أي يضيق فالمقصود بلفظ(يقدر) هو التضييق، حيث وظف ابن خمير هذا المعنى في تفسيره للآية المتعلقة بيونس عليه السلام حيث بين أن يونس عليه السلام بعدما بلغ رسالة ربه كاملة واحتمل الأذية من قومه حتى ضاق صدره ففر بنفسه ثم غلب ظنه ألا يطلبه ربه بذلك الفرار وذلك لسعة حلم الله تعالى وكذلك لكونه قد أدى ما عليه فالظن هنا لم يتعلق بقدرة الله تعالى عليه، وإنما تعلق بطلب الله له حيث بنى هذا الظن على أمرين هامين الأول من قبل الله تعالى وهو سعة حلمه تعالى، والأمر الثاني من قبل يونس عليه السلام أنه بلغ رسالة ربه كاملة.

المعنى الثاني: العلم الغالب

حيث بين ابن خمير أن هناك احتمال آخر لمحل الظن وهو أن ظنه بأن قدرة الله تعالى لم تتعلق بإيلامه وسجنه وذلك تفضلا من الله تعالى وأنه تعالى يعفو عنه في فراره من قومه؛ ولكن الذي وقع له كان خلاف ظنه،وهذا لا يقدح في اعتقاده،لأنه بنى ظنه هذا على أمرين هامين من جهة الله تعالى وهما متعلقين بصفات الله تعالى الأمر الأول فضل الله عليه، والثاني عفو الله عليه، وأما من قبل يونس عليه السلام فإنه قد أدى ما عليه من تبليغ الرسالة كاملة؛ولكن ليس كل ما يقع على ظنه أن يحصل فمشيئة الله تعالى هي التي تنفذ، وليس مشيئة العبد ولو كان نبيا لقوله تعالى للنبي محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[2]،وما وقع لنوح عليه السلام مع إبنه فطلب من الله تعالى أن ينجيه من الغرق؛ ولكن مشيئة الله تعالى أرادت له الغرق فكان من

[1]- وذهب إلى هذا المعنى القاضي عياض:قال عياض"(فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) معناه أن لن نضيق عليه" الشفا، 98/2 مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص159، مصدر سابق

المغرقين قال نوح عليه السلام مخاطبا ربه﴿...رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.[1] فرد عليه الله تعالى:﴿...يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾.[2] وعند تفسير ابن خمير لهذه الآيات في قصة نوح عليه السلام قال: "ولله تعالى أن يعتب أنبياءه ويؤدبهم ويحذرهم، ويعلمهم من غير أن يلحق بهم عتب ولا ذنب"[3]، فعدم استجابة الله تعالى طلب نبي عليه السلام أو وقوع خلاف ما ظن وما خطر على باله من قبل الله تعالى لا يقدح في اعتقاده ولا يقع العتاب واللوم عليه، لأن الله تعالى هو أعلم بما يليق بهم وبمقامهم فقال لنوح عليه السلام (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال ابن خمير:"نهاه ربه أن يسأله تحصيل علم ما لم يكلف علمه، إذ ليس يجب على المكلف أن يسأل علم ما لم يكلف العلم به"[4] وفي نهاية بيانه للمعنى الصحيح لمحل الظن قال:"وهذا هو الذي يجوز أن يعتقده الأنبياء، وأن يعتقد فيهم"[5]،فبين أن المعنى الصحيح لمحل الظن هو الذي يعتقده الأنبياء عليهم السلام لأنه يليق باعتقادهم[6]،وكذلك بالنسبة للمؤمن يجب عليه أن يعتقد فيهم ذلك أي بما يليق بعقائدهم فعلم أن اعتقاد الأنبياء عليهم السلام اعتقاد صحيح ثابت ويستحيل في حقهم الاعتقاد الفاسد أو الانحراف أو الردة كما يذكر علماء العقيدة أصناف الخلائق في الاعتقاد فاعتقاد الملائكة ثابت واعتقاد الأنبياء في زيادة واعتقاد عامة الجن والإنس بين الزيادة والنقصان والأنبياء عليهم السلام مقامهم رفيع ودرجتهم عالية عند الله تعالى وعامة المؤمنين والصالحين أدنى درجة ورفعة منهم

[1]- سورة هود، الآية 45

[2]- سورة هود، الآية 46

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص115، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص114، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص159

[6]- أشار ابن خمير مرة ثانية إلى قصة يونس عليه السلام دون التفصيل فيها وركز على موضوع الملامة في قوله تعالى:﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الصافات، الآية 142، ينظر: مقدمات المراشد، ص258، مصدر سابق

ولذلك يحسن بهم الظن والإيمان بهم أصل من أصول العقيدة وقد أرسلهم الله تعالى إلى البشر وخصهم بصفات لا يمكن لعامة البشر أن يتصفوا بها منها العصمة.

بعد رد ابن خمير على الشبهتين الواردتين في قصة يونس عليه السلام وبيان ما يجب اعتقاده في حقه عليه السلام من العقائد الصحيحة ما يليق به نحو ربه عز وجل قال في نهاية كلامه ما يلي:"وعلى هذا ينبغي أن تحمل هذه الأقوال وعلى ما هو أغمض وأعلى في التبرئة من هذا ولا قوة إلا بالله".[1] فذكر أن نحمل التفسير الصحيح في حق الأنبياء عليهم السلام انطلاقا من مبدأ التنزيه وصفة العصمة فنرد الأقوال التي تنقص من أقدارهم وحقهم وتقدح في اعتقاداتهم، ونورد الأقوال الحسنة بما يليق بهم فنبرئ كل نبي عليه السلام مما نسب إليه من أقوال أو أفعال لم يقم بها إلا ما ورد في الخبر الصحيح من القرآن والسنة ولكن يجب أن نفسر التفسير الذي يليق بهم ونبعد عنهم التفسيرات المبنية على الإسرائيليات أو ما أوردها القصاصون والرواة غير الموثوق بهم.

الفرع الثاني: الأخلاق النفسية

النفس البشرية هي الجانب الباطني والخفي في الإنسان ولقد تحدث القرآن الكريم عن النفس البشرية وقسمها إلى ثلاثة مستويات من الأعلى إلى الأدنى وهي كالآتي:

المستوى الأول الأعلى(النفس المطمئنة): وهي التي ترتقي إلى الخير وتلتقي مع العقل الرزين والقلب السليم والمتصلة بربها وهي مطمئنة لعملها وموقنة بربها قال تعالى:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾.[2]، وليس للشيطان فيها نصيب، فهي التي إنخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة.[3]

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص161، مصدر سابق

[2]- سورة الفجر، الآيتين 27، 28.

[3]- التعريفات للجرجاني، ص237، مصدر سابق

المستوى الثاني الأوسط (النفس اللوامة): وهي المتذبذبة بين المستوى الأول والثالث والتي تلوم صاحبها عندما يعمل السيئات ويفرط في عمل الخير فهي مرة تسيء ومرة تعمل خيرا وهي ليست دائمة الصلة مع ربها فمرة تغفل عنه ومرة ترجع إليه وللشيطان له فيها نصيب، قال تعالى:﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.[1]، فهي مرة تصعد إلى العقل الرزين والقلب السليم ومرة تنزل إلى الشيطان وقرين السوء والنفس الشهوانية، فهي كلما صدرت عنها سيئة أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها.[2]

المستوى الثالث الأدنى (النفس الأمارة): وهي التي تأمر صاحبها بالسوء وإتباع الهوى وتبتعد عن العقل الرزين والقلب السليم وتنزل إلى أسفل السافلين حيث يوجد قرين السوء والشيطان والشهوات فتغرق في بحر السيئات وتكثر من الذنوب والكبائر، ولا تنظر إلى الأعلى حيث الخير ولا تستعمل العقل الرزين في التفكير، ولا القلب السليم لإنقاذها من السوء ولقد عبر عنها القرآن بقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ..﴾ [3]، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة[4]، قال ابن خمير: "أن النفس الأمارة بالسوء تحب الشهوة والتشفي بالفعل فيحاربها الورعون المتقون بالكتمان والعفاف حتى يقتلهم".[5]

فبين هذه الأحوال الثلاثة للنفس البشرية[6] نجد أن نفوس الأنبياء عليهم السلام في المستوى الأول لأن مقامهم رفيع ولهم الدرجة الرفيعة عند ربهم وهم أعلام أقوامهم وهم القدوة والنموذج الذي

---

[1]- سورة القيامة، الآية 02

[2]- التعريفات للجرجاني، ص237، مصدر سابق

[3]- سورة يوسف، الآية 53.

[4]- التعريفات للجرجاني، ص236، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص85، مصدر سابق

[6]- للمزيد ينظر: التعريفات للجرجاني، ص236 238، مصدر سابق، إبراهيم محمد الجميل، أمراض النفوس من منظور إسلامي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م، ص147-164، محمد تومي، نحو سيكولوجية إسلامية (العقد النفسية وموقف الإسلام منها)، (د.ط)، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ت)، ص21-129، قال ابن جزي في مراتب النفس:"

يقتدي به، قال ابن خمير في قصة آدم عليه السلام في أكله من الشجرة ناسيا: "...والتقحم على خسيس الشهوة رضى بالنقمة، وليست هذه أخلاقه ولا شيمته...".[1]

ولذا نذكر بعض نماذج العصمة في الأخلاق النفسية وهو جانب باطني بالنسبة للأنبياء عليهم السلام والله تعالى قد عصم بواطنهم كما عصم ظواهرهم كما قال ابن خمير (إن الإجماع منعقد على عصمة بواطنهم)[2]، ثم نعرض ردود ابن خمير على الشبهات الواردة في هذا الجانب.

أ- نماذج مما عصمهم الله تعالى منها:

سنذكر بعض النماذج التي عصم الله تعالى فيها أنبيائه حتى لا نتوسع كثيرا وهذه النماذج بمثابة عينات يقاس عليها نماذج أخرى قد لا نذكرها أو نغفل عنها فإذا ثبتت عصمتهم في هذه النماذج انطبقت عليها بقية النماذج الأخرى بناءا على منهج الاستقراء فما انطبق على معظم أجزء العينة انطبق على الكل، وكذلك القياس حيث يقاس الفرع على الأصل عند الإشتراك في العلة فالأمور الباطنية المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام في عدة مستويات كالعقل والقلب والنفس والوجدان كثيرة جدا وأخذنا من كل مستوى نموذج فعلى مستوى القلب جانب الاعتقاد مما ذكرناه سابقا وسأخذ على مستوى العقل ثم النفس والوجدان نماذج نطبقها لإثبات عصمتهم فيها وذلك في الجانب السلبي كالجنون وأمراض النفوس، وكذلك العامل الخارجي وهو الشيطان والذي له دور كبيير في الوسوسة بالسوء للإنسان فنثبت عدم قدرته على ذلك بالنسبة للأنبياء عليهم السلام فإذا ثبتت عصمتهم في هذه النماذج الباطنية في الجانب السلبي فغيرها مما لا يحصى كذلك تثبت عصمتهم منها وهو من باب أولى، وهذه النماذج تنحصر في أربعة وهي: عصمتهم في عقولهم،

والنفوس ثلاثة أنواع أمارة بالسوء ولوامة وهي التي تلوم صاحبها ومطمئنة" وابن جزي في تفسيره(التسهيل) تح:لجنة التراث العربي لدار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص316.

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص108، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص77

عصمتهم من الشيطان، عصمتهم من سوء النية، عصمتهم من أمراض النفوس، أما بالنسبة إلى رد الشبهات فنورد قصص بعض الأنبياء في هذا المجال،قصة سيدنا آدم وقصة سيدنا سليمان، قصة سيدنا أيوب عليهم السلام مع الشيطان عليه اللعنة، وقصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إمرأة العزيز، و قصة سيدنا محمد ﷺ مع زينب.

النموذج الأول: عصمة العقل

العقل هو مركز الإدراك ومصدر التصرفات وبه يسمو الإنسان على المخلوقات، وهو مناط التكليف وبدونه يرفع القلم على الإنسان، ولذلك زود الله تعالى الإنسان بالعقل وكرمه على المخلوقات الأخرى والبشرية تختلف في مستويات عقولها[1] فمنهم من يسمو بعلقه ومنهم من ينزل به إلى الحضيض ولقد جعل الله تعالى عقول الأنبياء عليهم السلام في المرتبة الأعلى فهم أولى النهي وأولي الألباب ومرجع البشرية في التحكيم والقضاء والفصل في المنازعات، وقد جعل الله تعالى من صفاتهم الأساسية والواجبة في حقهم صفة الفطانة[2]، وعصمتهم من ضدها وهي بلادة العقل وذلك لتمييزهم عن بقية البشر ورفع مكانتهم في أقوامهم، قال ابن خمير في قصة آدم عليه السلام في أكله من الشجرة ناسيا:"...هذا لا يصح في حقه عليه السلام؛ لأنه مؤذن بضعف عقل فاعله وشدة شرهه وسوء رأيه وقلة علمه... بل كان رأس العقلاء ورئيس الحكماء...".[3]

ولقد تعرض بعض الأنبياء عليهم السلام لعدة اتهامات في عقولهم كالجنون، وقد برأهم القرآن من ذلك وسنورد الأدلة من القرآن والسنة وسيرة الأنبياء عليهم السلام على عصمة عقولهم من العيوب وإثبات رجاحة عقولهم، ثم الشبهات والرد عليها.

أولا: الأدلة

[1]- في تعريف العقل ومستوياته ينظر: التعريفات للجرجاني، ص154، ومعجم الفلسفة لليعقوبي، ص148 مصادر سابقة

[2]- سبق التفصيل فيها، ينظر: الفصل الأول، المبحث الثاني، المطلب الرابع (الصفات المناسبة).

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص108، مصدر سابق

سنورد الأدلة على عصمة عقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا النموذج من القرآن والسنة ومن سيرتهم عليهم السلام.

1- الدليل من القرآن الكريم:

هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تثبت رجاحة عقولهم وتنفي عنهم كل نقص أو عيب عقلي ومن هذه الآيات نذكر بعضها كالآتي:

- قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [1]، فقد نفى عنه الضلالة والغواية.[2]
- قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [3]،حيث نفى عنه كذب الفؤاد وهو العقل[4]،والفؤاد من مسميات العقل.[5]
- قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [6]، حيث نفى عنه الزيغ والتيه.[7]
- قوله تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [8]، حيث أثبت له الحكمة وهذا يكون للعقل الرفيع وكذلك الجدال الحسن مما يدل على رجاحة العقل.[9]
- قوله تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [1]،فقد أعطى الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام الحجة لإقناع قومه وهي دليل على رجاحة

---

[1]- سورة النجم، الآية 2.

[2]- التفسير الوجيز للزحيلي، ص527، مصدر سابق

[3]- سورة النجم، الآية 11.

[4]- التفسير الوجيز للزحيلي، ص525، مصدر سابق

[5]- للمزيد ينظر: عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن، ط1، دار النفائس، الأردن، 2000م، ص34

[6]- سورة النجم، الآية 17.

[7]- التفسير الوجيز للزحيلي، ص525، مصدر سابق

[8]- سورة النحل، الآية 125.

[9]- التفسير الوجيز للزحيلي، ص282، مصدر سابق

عقله، قال ابن خمير في تفسيرها:"الإعلام بأن إبراهيم عليه السلام كان نبي الحجة وهو أول من أصل لأصول الدين بالاستدلال على علم التوحيد، وبه اقتدى رؤساء المتكلمين في استدلاله بالثلاثة الكواكب التي وردت في الكتاب".[2]

- قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [3]، فقد نفى عنه القرآن الجنون إذ هو نقص وعيب في العقل.[4]

هذه بعض الآيات الدالة على رجاحة عقول الأنبياء عليهم السلام، ونفي كل نقيصة عنهم وهناك الكثير من الآيات في هذا المجال، ولكن ذكرنا البعض منها حتى لا نطيل، وهناك بعض الأمور التي لا تقدح في عقولهم كالسهو والنسيان والغفلة،وقد ذكرت ذلك في مباحث سابقة.[5]

2- الدليل من السنة:

هناك الكثير من الأحاديث الدالة على رجاحة عقول الأنبياء عليهم السلام نذكر منها:

- ردهﷺ على القائل:"يدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين؟"حيث قال القائل متسائلا:"فأين النار؟"فرد عليه النبيﷺفقال:"سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟!"[6]

---

[1]- سورة الأنعام، الآية 83.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 125، مصدر سابق

[3]- سورة التكوير، الآية 22.

[4]- التفسير الوجيز للزحيلي، ص588، مصدر سابق

[5]- الفصل الثاني، المبحث الثاني، المطلب الثالث (الأعراض البشرية)

[6]- أخرجه الهيثمي برقم1250في المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، تح: صيد كسروى حسن،(د.ط)،دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

مما يدل على رجاحة عقلهﷺ وفطنته وذكائه حيث رد عليه سريعا بما هو منطقي وواقعي من خلال علامات الكون ومما تتفق عليه العقول وهو واقع.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال:"يا رسول الله إن أمرأتي ولدت غلاما أسود،وإني أنكرته"، فقال له النبي ﷺ:"هل لك من إبل؟"قال:"نعم"،قالﷺ:"فما ألوانها؟قال: "حمر" قالﷺ: "فهل فيها من أورق"، قال: "نعم"، قالﷺ: "فأنى هو؟" قال:"لعله يا رسول الله يكون نزعه عرق له"، فقال له النبيﷺ: "وهذا لعله يكون نزعه عرق له".[1]

فقد أجابه النبيﷺ بما هو يتلائم مع بيئته وحرفته من رعيه للإبل فبين له أن ما يقع في الإبل في السلالات بين الأصول، والفروع يقع كذلك لدى البشر، هنا استخدم النبيﷺ القياس وهو استدلال عقلي مما يدل على فطانته ورجاحة عقل وإقناع السائل بذلك.

3- من سيرة الأنبياء عليهم السلام:

- قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود[2] في مجادلته حينما سأل النمرود إبراهيم عليه السلام عن ربه فقال له إبراهيم ﴿عليه السلام...رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾ [3]،فرد عليه النمرود بأنه هو كذلك قادر على أنه يحي ويميت وضرب له مثال واقعي بأن أتي بشخصين محكوم عليهما بالإعدام فأعدم أحدهما وعفى عن الآخر زاعما بأن الذي أعدمه أماته وأن الذي عفى عنه أحياه والأمر ليس كذلك بالنسبة لله تعالى وإبراهيم عليه السلام يعلم ذلك، ولكن حتى لا يطيل معه الجدال فسلم له بذلك وانتقل به إلى نموذج آخر فقال له إبراهيم عليه السلام ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ...﴾ [4]،فلم يستطع النمرود ذلك، وسقطت حجته وعقب عليه

[1]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1500، مصدر سابق

[2]- عفيف طباره، مع الأنبياء، ص117-119، مصدر سابق

[3]- سورة البقرة، الآية 258.

[4]- سورة البقرة، الآية 258.

القرآن بقوله﴿...فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ...﴾ [1]،هنا نستنتج رجاحة عقل سيدنا إبراهيم عليه السلام وفطانته وذكائه الخارق حيث استخدم معه منهج استدلالي عقلي ففي النموذج الأول استعمل معه طريقة مجاراة الخصم أي أنه سلم له في النموذج الأول على افتراض أنه صحيح في عقل النمرود ثم انتقل إلى نموذج أعلى وليس له قدرة على المغالطة[2] فلم يستطع النمرود الإجابة عن سؤال إبراهيم عليه السلام في المرحلة الثانية فسقطت حجته.

- قصة سيدنا سليمان عليه السلام في حل مشكلة أصحاب الحرث والغنم[3]،عندما إحتكما إلى سيدنا داود عليه السلام، وكان سيدنا سليمان حاضرا للمحاكمة حيث إقترح الحل بعد موافقة أبيه داود عليه السلام فقال:(بأن يأخذ كلا الخصمان مال الآخر وينميه حتى يرجع كما كان ويسلم كل منهما مال الآخر بعد تنميته) فكان كذلك حتى أتى موعد الحصاد فسلم كل منهما مال الآخر وتم حل المشكلة.

قال تعالى:﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [4]، فقد مدح القرآن الكريم رجاحة عقل سيدنا سليمان عليه السلام وكذلك سيدنا داود عليه السلام.

- قصة حل مشكلة رفع الحجر الأسود بالنسبة لنبينا محمد ﷺ [5]،وملخصها أن قبائل قريش تخاصمت في رفع الحجر الأسود ووضعه في مكان من الكعبة فأشار عليهم أبو أمية بن المغيرة

---

[1]- سورة البقرة، الآية 258.

[2]- هي:(إدخال قضية كاذبة في الدليل ويستعملها الشكاكون والجدليون لإقناع الخصم بدليل وهمي) وتسمى كذلك بـ(الحجة الباطلة القائمة على المغالطة) وعرفت كذلك بأنها (إصدار حكم مخالف للواقع على أنه مطابق له)، للمزيد ينظر: معجم الفلسفة لليعقوبي، ص164،عبد الرحمان حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ص304، مصادر سابقة، يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 2001، ص297.

[3]- عفيف طباره، مع الأنبياء ص117-119، مصدر سابق

[4]- سورة الأنبياء، الآيتين 78، 79.

[5]- الرحيق المختوم، ص41، مصدر سابق

وكان أسنهم أن يحكموا فيما إختلفوا فيه لأول داخل من باب بني شيبة من المسجد الحرام فكان أول داخل رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: (هذا الأمين رضينا هذا محمد) فلما إنتهى إليهم أخبروه فقالﷺ:(هلم إلي ثوبا)، فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم أرفعوه جميعا) ففعلوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيدهﷺ ثم بنى عليه[1]، مما يدل على رجاحة عقله ﷺ في حل هذه المشكلة التي لم يستطع أحد منهم الاهتداء إليها، وقد قبل به مشركو قريش ورضوا حكمه ومدحوه على ذلك ووصفوه بالأمين.

ثانيا: الشبهات الواردة في هذا النموذج

لم يورد ابن خمير شبهات عن أصحاب المقالات،ولكن أشار في بعض تفسيره للآيات في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا الأمر وبرأهم من ذلك منها قصة نوح عليه السلام مع إبنه حين ناداه أبوه للركوب معه في السفينة فرد عليه بأنه سيلجأ إلى جبل للنجاة من الغرق قال ابن خمير "وفي قوله أيضا مع إعتقاده أن الجبال تعصم من الماء، تسفيه حلم أبيه، إذ لو كان الإعتصام بغير السفينة لكان الإعتصام بالسفينة سفها من جهة الضيق والتغرير،ونوح عليه السلام أعلم الناس بهذه الوجوه وهذه القرائن من أحوال ولده وأقواله فإنها تدل على كفره بتكذيبه إياه وتسفيهه حلمه..."[2]، حيث بين ابن خمير أن ابن نوح اتهم أبيه بضعف العقل ورد ابن خمير على ذلك بأن نوح عليه السلام أعلم الناس من هذا الوجه، وفي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الكواكب رد ابن خمير عن شبهة في هذا النموذج فقال "...فصار ينقل الآلهة من جسم إلى جسم، والكل في حالة الطلوع والغروب على سواء، وهذه غاية الجهل الذي يتحاشى الخليل عليه السلام عنه قطعا"[3] حيث نزه

[1]- سيرة ابن هشام، 223/1، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص112، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص128-127، مصدر سابق

ابن خمير سيدنا إبراهيم عليه السلام عن الجهل وهي شبهة تمس العقل في رده على القائلين بأنه وجه نظره إلى التفكر في الكواكب على أنها آلهة، وفي قصة داود عليه السلام حيث مدحه ابن خمير برجاحة العقل حيث قال"وقلة مراعاتهم مع من جعله الله تعالى خليفة في الأرض وشد ملكه وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب وسخر له الجبال يسبحن معه والطير وألنا له الحديد"[1]، حيث وصفه ابن خمير بالحكيم وصاحب الفصل في الخطاب والحكم، وقال في حق آدم عليه السلام "فكيف يصح ممن خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وجعله قبلة لهم وعلمه الأسماء كلها وجعله معلما لهم، وكلمه بلا ترجمان على جهة الإكرام"[2]، حيث وصفه ابن خمير بأنه معلما للملائكة مما يدل على رجاحة عقله.

النموذج الثاني: عصمتهم من النية السيئة (العصمة في النوايا):

فقد عصمهم الله تعالى من النية السيئة كالهم بالقيام بعمل السوء أو تبييت النوايا السيئة وقد نفى عنهم القرآن الكريم ذلك قال ابن خمير:"إن بعض الأئمة ذكروا أن الإجماع منعقد على عصمة بواطنهم من كل خاطر وقع فيه النهي"[3]، وسنورد الأدلة ثم الشبهات والرد عليه في هذا النموذج.

أولا: الأدلة

سنورد الأدلة على عصمتهم في هذا النموذج من القرآن ثم السنة ثم من سيرتهم عليهم السلام.

1- من القرآن الكريم:

[1]- المصدر السابق، ص51

[2]- المصدر السابق، ص107.

[3]- المصدر السابق، ص77

- قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

قال الرازي في تفسيرها:"التمني جاء في اللغة لأمرين، أحدهما تمني القلب، والثاني التلاوة،... ومن المفسرين من حمل الآية على تمني القلب، والمعنى أن النبي ﷺ متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويأتيه بما يرشده إلى ترك الالتفات إلى وسوسته".[2]

وقال الرازي في موضع آخر:"وحاصل الكلام يرجع إلى أن الأمنية يمكن تفسيرها بالقراءة وبالعزيمة،...، وأما إن فسرناه بالخاطر وتمنى القلب كان المعنى أن النبيﷺ كلما تمنى ما كان يتمناه من الأمور وسوس الشيطان إليه بالباطل يدعوه إلى ما لا ينبغي،ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته".[3]

قال صاحب كتاب (رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ)[4]، في معنى الآية:"فإن التمني هو: تشهي حصول أمر محبوب ومرغوب فيه فالرسول ﷺ إنما يشتهي ويتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، وأعظم أمنية لإنسان كهذا، هي ظهور الحق والهدى وطمس الباطل وكلمة الهوى فيلقي الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الأمنية، ويكون فتنة للذين في قلوبهم مرض".[5]

---

[1]- سورة الحج، الآية 52.

[2]- الفخر الرازي، عصمة الأنبياء، ص124، مصدر سابق

[3]- كتاب الأربعين، ص354، مصدر سابق

[4]- وهو الدكتور عماد السيد الشربيني، حصل على درجة الدكتوراه بهذا التأليف من قسم الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، والتي نوقشت في 2003/09/01 ثم طبعت في كتاب (مقدمة كتابه).

[5]- عماد السيد الشربيني، رد شبهات حول عصمة النبيﷺ، ص358، مصدر سابق

2- من السنة:

- قال رسول الله ﷺ:"ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله تعالى منهما".[1]

يؤكد النبي ﷺ في هذا الحديث أنه ما تمنى وما هم بشيء قبيح في الجاهلية وقبل نبوته وهو صغير السن إلا مرتين ولم يقع في الفعل وإنما نوى وعزم على ذلك، ولكن الله تعالى يمنعه من ذلك وهو عزمه للذهاب لعرس في الجاهلية بمكة.[2]

ثم قال بعد هذه القصة:"فوالله ما هممت بعدها أبدا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته"[3]،وهذا يؤكد عصمتهﷺقبل النبوة،مما يدل على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون قبل وبعد النبوة، وإنما بعدها مجمع عليه ومؤكد؛ لأنهم محل اقتداء.[4]

3- من سيرة الأنبياء عليهم السلام:

- النبي محمد ﷺ وقصته في شبابه مع أحد فتيان مكة وهو يرعى الغنم فطلب منه حراسة غنمه حتى ينزل إلى مكة ليحضر عرسا بها فقال:"قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعى،أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان قال: نعم فلما جئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء وصوت دفوف وزمر، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج إمرأة، فلهوت بذلك الغناء، والصوت حتى غلبتني عيني فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما

[1]- أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم 6272، والحاكم في مستدركه برقم 7714، مصادر سابقة

[2]- سنذكر القصة في الدليل من السيرة فيما يستقبل.

[3]- أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم 6272، والحاكم في مستدركه برقم 7714، مصادر سابقة

[4]- ينظر التفصيل في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الثاني لهذا البحث

سمعت فغلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئا".[1]

قال صاحب(الرحيق المختوم)[2]،معلقا على هذه القصة:"ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى بإتباع بعض التقاليد غير المحمودة تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها".[3]

قال صاحب كتاب (رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ) معلقا على هذه القصة: "وفيها قصة النبي ﷺ عن نفسه من خبر حفظ الله إياه من كل سوء منذ صغره وصدر شبابه، ما يوضح لنا حقيقتين كل منهما على جانب كبير من الأهمية:

الأولى: أن النبي ﷺ كان متمتعا بخصائص البشرية كلها وكان يجد في نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميلات الفطرية التي اقتضت حكمة الله أن يجبل الناس عليها.

الثانية: أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك من جميع مظاهر الانحراف.....".[4]

ومن أمثلة ذلك ما جاء في القرآن الكريم حول قصة يوسف عليه السلام:

- قصة سيدنا يوسف عليه السلام معروفة في القرآن الكريم وتناولها المفسرون بالشرح والتأويل وتبدأ من قوله تعالى:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا

---

[1]- أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم 6272، والحاكم في مستدركه برقم 7714،ينظر:الرحيق المختوم، ص43 مصادر سابقة

[2]- هو صفي الرحمان المباركفوري من الجامعة السلفية بالهند حيث أعد بحثا في السيرة بعنوان (الرحيق المختوم) وتحصل على المرتبة الأولى والتي نظمتها رابطة العالم الإسلامي وطبع على شكل كتاب الطبعة الأولى سنة 2003م (مقدمة كتابه).

[3]- الرحيق المختوم، ص43، مصدر سابق

[4]- الشربيني، رد شبهات، ص85، مصدر سابق

الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(25)قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(26)وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ(27)فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ(28)يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.[1]

فقد كان في ريعان شبابه وفي قصر الملك ومع امرأة ذات جمال ومع ذلك لم يستجب لغوايتها ومما أكد أنها هي التي راودته شهادة الرضيع على ذلك قال تعالى:﴿...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا...﴾ [2]، حيث أعطى علامة على ذلك وهو تمزيق قميصه من الخلف فثبت ذلك، ورغم ذلك زج به في السجن وبعد خروجه إعترفت بالمراودة فقال:﴿...قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[3] فقد عصمه الله تعالى من الفحشاء وقد ورد لفظ الهمّ الذي يدل ظاهره أنه نوى في نفسه الفحشاء حاشاه وقد دافع عنه ابن خمير وهذا ما سنورده في رده على الشبهات بالنسبة للنية والهمّ فيما يستقبل.[4]

وقد فسر ابن خمير الهم بالإرادة دون الفعل، وسماه كذلك بالخاطر الأول فقال:"فثبت أن الهمّ الحقيقي هو الإرادة لا الفعل"[5]،وقال:"مع أن الهم في اللسان هو الخاطر الأول"[6]، ثم قال:"وإذا

---

[1]- سورة يوسف، الآيات 23-24-25-26-27-28-29.

[2]- سورة يوسف، الآية26.

[3]- سورة يوسف، الآية51.

[4]- ينظر: ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص73-87، مصدر سابق، وكذلك:رد ابن خمير على الشبهة الخاصة بالهم بالنسبة لقصة يوسف عليه السلام.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص75، مصدر سابق

[6]- المصدر السابق، ص77

كان هذا هذا فلا ذنب ولا عتب يلحق يوسف عليه السلام"[1]، وقد فصل ابن خمير ذلك في رده على شبهة الهم في كتابه تنزيه الأنبياء.

ثانيا: الشبهات الواردة حول هذا النموذج

حيث أورد ابن خمير شبهتين في هذا النموذج الأولى حول قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إمرأة العزيز والثانية قصة سيدنا محمد ﷺ مع زواجه بزينب.

القصة الأولى: حول يوسف عليه السلام

حيث نورد الشبهة ثم الرد عليها ثم إثبات نبوته قبل الهم ثم معنى الهم وأقوال العلماء فيه وترجيح ابن خمير لذلك، حيث أورد ابن خمير شبهة حول قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز وما دار بينهما[2] ثم رد عليها، وفسر الآية بأحسن تفسير يليق بمقام نبوة يوسف عليه السلام.

1- إيراد الشبهة في قصة يوسف عليه السلام حول سوء النية:

أورد ابن خمير هذه الشبهة على لسان بعض المفسرين والمؤرخين وذكر أحدهم[3] بالاسم عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [4]، فقال:"فأخبر أنه هم ولم يفعل، وإذا كان هذا هكذا فما بال الجهلة باللسان المقلدين المجازفين في الحقائق يقولون: قعد منها مقعد الرجل من المرأة وحل عقد نطاقها وهو ينظر إلى أبيه تارة وإلى الملك أخرى ثم يعود لحل العقد!!...فأنظر إلى مقت هذه

[1]- المصدر السابق، ص79

[2]- للمزيد ينظر: مع الأنبياء، ص162، صحيح قصص القرآن، ص223، قصص القرآن، ص150، مصادر سابقة

[3]- وهو الهمذاني في قوله (وقد ذكرها الهمذاني وغيره)، تنزيه الأنبياء، ص76، مصدر سابق، سيأتي التعريف به

[4]- سورة يوسف، الآية 24.

المقولة وماذا جمعت من الاجتراء والافتراء على أنبياء الله تعالى، مع صفاقة[1] الوجوه وعدم الحياء والتهاون بذكر المصطفين الأخيار، وقد ذكرها الهمذاني وغيره في شرح قصة يوسف عليه السلام".[2]

2- الرد على شبهة الهمّ:

حيث رد ابن خمير على هذه الشبهة برد جميل ودافع عن نبينا يوسف عليه السلام ونزهه من ذلك فقال:"ونحن مع ذلك نعلم قطعا أن أحدنا، على جهلنا وعدم عصمتنا وسوء أدبنا، لو كان على تلك الحالة، وكشفت عليه آمته لانقبض وتغير عليه حاله فكيف بنا إذا كشف علينا آباؤنا وكبراؤنا! فكيف الملائكة!!...."[3].

حيث تعجب ابن خمير من نسب هذه المقولة إلى النبي الصديق يوسف عليه السلام مع أنها مقولة مقيتة ولا تليق حتى بصالح المؤمنين، وكيف يذكرها أصحاب التاريخ منهم الهمذاني[4] وهو افتراء على سيدنا يوسف الصديق عليه السلام، ثم يدافع عنه ابن خمير انطلاقا من أن هذا الفعل لا يصدر من مؤمن عادي في هذه الحالة التي وصف فيها ما اتهم به يوسف عليه السلام من أن أحدنا لو كان على هذه الحالة وتفطنت له آمته وشاهدها لتغير لونه وأنزعج من فعله فكيف لو تفطن له من له مكانة وقدر عنده كأمه أو أبوه فكيف به إذا شاهدته الملائكة وشاهد صورتها أمامه فهذا لا يصدر ولا يليق بمؤمن عادي فكيف يفعله نبي مقرب من الله تعالى وقد اصطفاه وعصمه وهو في حالة رؤيته لصورة أبيه مع صورة الملك دون أن تتحرك له مشاعر أو ينقبض أو يتوقف عن فعلته حياءا منهما

---

[1]-أي وقاحتها: ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: يوسف الشيخ، ط1، دار الفكر، بيروت، 2014م، ص811

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص76، مصدر سابق، وكررها مختصرة مقدمات المراشد، ص265.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص76، مصدر سابق

[4]- وهو أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني، من بني همذان مؤرخ وأديب من أهل اليمن له مصنفات منهل (الإكليل) و(وصف جزيرة العرب) توفي سنة 334هـ، الأعلام للزركلي، 179/2، مصدر سابق.

وهذا ما لم يقم به يوسف عليه السلام وهي تهمة باطلة لا يقبلها عقل ولا منطق ولا تليق بمنصب النبوة وهذا افتراء عليه وتأويل للآية تأويلا بعيدا لا يتطابق مع شروط التأويل الصحيح وليس له شاهد لغوي ولا شرعي، فابن خمير نفى هذه المقولة بناءا على القياس فقاس هذه الفعلة بحال مؤمن عادي فرأى أنها لا يمكن أن تصدر عنه فقال من باب أولى أن لا تصدر ممن هو أرفع منه شأنا وقدرا بين الناس وعند الله تعالى وملائكته وهو النبي يوسف عليه السلام.

ثم يواصل في الدفاع عنه وتفنيد هذه الشبهة ودفع الاتهامات عليه بقوله:"مع أن الهمّ في اللسان هو الخاطر الأول، فإذا تمادى سمي إرادة وعزما،فإذا لم يعترضه نقيض سمي نية،ثم إن الله تعالى وصفه بالخاطر الأول فقال:(همّ) وهم يقولون:فعل وصنع! لا لعا[1]لعثرتهم وسلامة!".[2]

حيث بين أن الهمّ في اللغة هي الخاطر الأول الذي يخطر ببال الإنسان وهو خلاف العزم والإرادة والنية، وهذا الخاطر اضطراري وليس كسبي يأتي على الإنسان في أي وقت ما أو عند مشاهدته لمنظر ما ثم بين الفرق بين الهمّ، والإرادة، والنية حسب المراتب كالآتي:

المرتبة الأولى: الهمّ وهو أول ما يخطر على بال الإنسان.

المرتبة الثانية: الإرادة فإذا تمادى الإنسان في مواصلة الخاطرة الأولى سمي هذا التمادي بالإرادة.

المرتبة الثالثة: النية فإذا واصل في التمادي في المرحلة الثانية دون عارض للكف عن ذلك سمي نية.

يبين أن همّ سيدنا يوسف عليه السلام ما زال في المرتبة الأولى وهي الخاطرة الاضطرارية ولم يواصل في التمادي بل توقف هنا وصرف الله عنه ذلك بقوله:﴿...كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

[1]- أي:لا أقالك من عثرتك(أي دعا ابن خمير على أصحاب المقولة بأن لأقالكم الله من عثراتكم ولا سلامة لكم لاتهامكم الأنبياء)، يقال للعاثر: (لعالك) وهو دعاء له بأن ينتعش، مختار الصحاح، ص310، مصدر سابق.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص77، مصدر سابق

السُّوءَ...﴾ [1]، ثم ختم قوله بأن دعا على من اتهمه بذلك بأن لا أقاله الله تعالى من عثرته ولا أمده بالسلامة لأنه تكلم في عرض الأنبياء عليهم السلام واتهمهم بالسوء دون إحترامهم ومراعاة لمكانتهم والله تعالى يقول في حديث قدسي"من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب"[2]فكيف بنبي عليه السلام.

3- أدلة ابن خمير في إثبات نبوة يوسف عليه السلام قبل همّه:

حتى لا يتساءل البعض بأن هذا الهمّ هل هو قبل النبوة؟ حتى لا يلام ولا يعاتب كما حصل لأدم عليه السلام في أكله من الشجرة وذلك أنه قبل نبوته فلا عتاب،أما أن هذا الهمّ حصل له بعد النبوة هنا يؤكد ابن خمير بأن الهمّ وقع له بعد نبوته وليس قبلها ويستدل على ذلك من القرآن والإجماع حيث قال:"والذي ينبغي أن نقدم أولا، الإعلام بأن يوسف عليه السلام كان نبيا قبل المراودة والهمّ،والدليل على ذلك أنه لو لم تثبت نبوته قبل ذلك لم تهتم الأمة بذكر همّه،لأن العصمة المجمع عليها لا تشترط للنبي إلا بعد ثبوت نبوته لا قبلها،ومع ذلك فإن النبي لا تثبت له معصية مشروع تركها قبل النبوة ولا بعدها،..،وأما إثبات نبوته قبل همّه من الكتاب فمن قوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [3]،وأجمعوا على أن هذا الحكم والعلم في حق يوسف عليه السلام أنها النبوة،ثم قال بعد ذكر الحكم والعلم:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ...﴾ [4]".[5]

---

[1]- سورة يوسف، الآية 24.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 6502

[3]- سورة يوسف، الآية 22.

[4]- سورة يوسف، الآية 23.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص73-74، مصدر سابق

حيث سبّق ابن خمير الكلام عن الهمّ بإثبات نبوة يوسف عليه السلام حتى يكون رده على الشبهات في مرحلة النبوة لا قبلها، لأن العصمة بعد النبوة حاصلة لا محالة بالإجماع، رغم أن النبي عليه السلام لا تثبت له معصية لا قبل النبوة ولا بعدها فهم منزهون عن ذلك ولو قبل النبوة فما بالك بعدها وقد استدل ابن خمير على أن الهمّ حصل له بعد النبوة بدليلين الأول منطقي والثاني نصي.

الدليل الأول المنطقي (المعقول):

وهو دليل[1] استنتجه من إيراد الشبهات حول قصة يوسف عليه السلام، وأنه لو وقعت له المراودة والهمّ قبل النبوة لم يهتم بها أحد، لأنه لا عتاب ولا لوم، وأما أنها وقعت له بعد النبوة فكان الإهتمام بها أكثر وإيراد الشبهات حولها والردود عليها وتأويل الآيات حول لفظ الهمّ فيدل ذلك أن النبوة حصلت له قبل الهمّ وهذا ما أثبته ابن خمير من خلال إستنتاجه منطقيا وعقلايا من خلال إهتمام المفسرين والمؤرخين والقصاصين بواقعة يوسف عليه السلام مع إمرأة العزيز وتعجبهم في ذلك وما دس فيها من أساطير وخرافات وأمور لا يقبلها عقل ولا نقل ولا يليق بمقامه عليه السلام.

الدليل الثاني النصي (القرآن):

وهو الدليل من القرآن الكريم حيث استدل بقوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [2]، حيث فسر أن الحكم والعلم هنا بالنبوة وأيد تفسيره هذا بإجماع الأمة على ذلك فقال:"وأجمعوا على أن الحكم والعلم في حق يوسف عليه السلام أنهما النبوة"[3]، فبين أن المفسرين أجمعوا

[1]- قدم ابن خمير هذا الدليل عن الآية ولذا بدأت به، المصدر السابق، ص74

[2]- سورة يوسف، الآية 22.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص74، مصدر سابق

على تفسير الحكم والعلم بالنبوة وبعد بيان إثبات نبوته ذكر أن هذه الآية سابقة عن آية المراودة، فبعد إثبات النبوة مباشرة ذكر آية المراودة فقال ابن خمير:"ثم قال تعالى بعدما ذكر الحكم والعلوم: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ...﴾.[1]..."[2].

وبهذا يكون ابن خمير أثبت نبوة يوسف عليه السلام قبل المراودة والهمّ إعتمادا على الدليل العقلي والنقلي ثم بعد ذلك تسلسل في بيان معنى الهمّ في اللغة ثم إيراد شبهتين حوله ثم رد عليهما.

4- تفسير ابن خمير لمعنى لفظ (الهمّ):

بعدما رد ابن خمير على الشبهتين السابقتين حول قصة يوسف عليه السلام مع إمرأة العزيز أعطى معنى لمفهوم لفظ الهمّ[3] في القرآن الكريم واستعان باللغة العربية في تفسيره فقال: "وأما همّه فأول ما ينبغي أن نقدم أن الهمّ في اللسان: الإرادة[4] لا غير فإن سمي الفعل هما فمجاز من باب تسمية الشيء باسم الشيء إذا قاربه أو كان منه بسبب، فلما كانت الأفعال مرتبطة بالإرادة التي هي الهمّ سميت همًّا، فيقال لمن نصب أواني الخمر وما يحتاج إليه شرابها: همّ وكذلك يقال لمن خلا بإمرأة فلا عبها وذلك، لأن الهمّ الحقيقي محله القلب، وهو غير محسوس فلما لم ندركه بالحواس لم نعلمه، فإذا أدركنا أسبابه الدالة عليه بالحواس قلنا: (همّ)، أي فعل أفعالا دلت على همّه بها في باطنه، فثبت أن الهمّ الحقيقي هو الإرادة لا الفعل".[5]

وقد استدل ابن خمير بحديث وكذلك ببيت شعري فقال: "جاء في الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: "من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم

---

[1]- سورة يوسف، الآية 23.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص74، مصدر سابق

[3]- **الهمّ لغة**:الإرادة، مختار الصحاح، ص358، مصدر سابق

[4]- وفرق بين الهمّ والإرادة بأن الإرادة أول العزيمة والهمّ آخرها، ينظر:العسكري في الفروق اللغوية، ص93، مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص75، مصدر سابق

يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة"[1]، فهذا أدل دليل على أن الهمّ غير الفعل، قال الشاعر:

هممّت ولم أفعل وكدت وليتني *** تركت على عثمان تبكي حلائله

فأخبر أنه همّ ولم يفعل".[2]

حيث فسر ابن خمير الهمّ في اللغة بمعنى الإرادة وأن الإرادة تسبق الفعل فقد يهمّ الإنسان ولكن لا يقوم بالفعل، لأن الهمّ أمر معنوي ومحله القلب، وأما الفعل أمر مادي محسوس ويرى بالعين وهو تصرف الإنسان وحركة أعضائه وأن الهمّ يستدل به عن طريق مقدمات الفعل وهي أسبابه الدالة عليه بالحواس كما عبر عنه ابن خمير فإذا ما علم بأسبابه سمى همّا، ثم استدل على أن الهمّ غير الفعل بالحديث (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا) وهنا فرق بين الهمّ والفعل فأعطى مقابل الهمّ حسنة واحدة ومقابل الفعل عشر حسنات كذلك السيئة(ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة)كذلك بالنسبة للسيئة فرق بين الهمّ والفعل فلم يعط مقابل الهمّ شيئا وأعطى مقابل الفعل السيئ سيئة واحدة وهذا دليل على أن الهمّ غير الفعل، واستدل كذلك بالشعر العربي والذي هو يعتبر من الأدلة اللغوية لمعرفة الألفاظ اللغوية حيث بين البيت الشعري أن الهمّ خلاف الفعل فقال: (هممّت ولم أفعل) فالهمّ هنا غير الفعل، وفي الأخير خلص ابن خمير بأن الهمّ هو الإرادة ومحله القلب والفعل تصرف خارجي محسوس محله الجوارح وأن الهمّ سابق عن الفعل والفعل يعبر عن إرادة الإنسان الداخلية.

وفي موضع أخر فسر الهمّ بالخاطر[1] فقال:"...مع أن الهمّ في اللسان: هو الخاطر الأول فإذا تمادى سمي إرادة وعزما فإذا لم يعترضه نقيض سوء نية...".[2]

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه، برقم 7062، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص74-76، مصدر سابق

ففي هذا الموضع بين مرتبة الهمّ بالنسبة لخواطر الإنسان والتي تأتيه على مستوى عقله ورتب هذه الخواطر حسب قوتها إلى ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى: الخاطر الأول وهو الهمّ

حيث أن أول ما يتبادر لذهن الإنسان من خاطرة ففي هذه المرة الأولى تسمى هما وهذا لا يحاسب عليه الإنسان لأنها خارجة عن إرادته، وهو ما وقع ليوسف عليه السلام.

المرحلة الثانية:الخاطر الثاني وهو العزم[3]

بحيث إذا تمادى الإنسان في الخاطر الأول وواصل فيه بالتفكير والتمعن هنا سمي عزما وقد نفاه القرآن عن آدم عليه السلام فقال:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.[4] قال ابن خمير في تفسيرها"يعني عهدنا إليه في أمر الشجرة فنسي العهد، فأكل منها من غير عزم على أكلها،...، مع أن العزم في اللسان هو: (الإرادة التي يقع معها الفعل)، وقد نفاه تعالى عنه،فلم يبق إلا أنه أكل ناسيا من غير عزم...".[5]

المرحلة الثالث: الخاطر الثالث وهو النية[6]

---

[1]- **الخاطر لغة**: ما يقع في القلب من تدبير أمر ما، المصباح المنير، ص112، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص77، مصدر سابق

[3]- **العزم لغة**: عقد الضمير على فعل ما، المصباح المنير، ص125، مصدر سابق

[4]- سورة طه، الآية 115.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص105، مصدر سابق

[6]- **النية لغة**: القصد، المصباح المنير، ص395، مصدر سابق

وهي أخر مرحلة في الخواطر على الترتيب وهذا في حالة التمادي والمواصلة دون انقطاع والإنتقال من الخاطر الأول ثم الثاني إلى أن يصل إلى الثالث ومن غير أن يعترضه نقيض ففي هذه الحالة يسمى نية والنية[1] في الشرع هي أساس العمل لقولهﷺ:"إنما الأعمال بالنيات"[2] وأي عمل شرعي دون نية غير مقبول وهي فرض في الصلاة، والنية هي أقوى مراحل الخواطر فتتحول من خاطرة عابرة إلى نية وهي قصد الفعل.

ولكن نجد أن ابن خمير في تفسيره للهمّ بالإرادة[3]وبين أن الإرادة غير الفعل، وفي حديثه عن مراتب الخاطر أقرن الإرادة مع العزم[4] فقال:(فإن تمادى سمي إرادة وعزما) ثم جعل العزم هو المرتبة الثانية من الخاطر وفي قصة آدم عليه السلام فرق بين الإرادة والعزم حيث فسر العزم بأنه إرادة مع الفعل مما يتبين لنا أن إقتران الإرادة مع العزم لا يدل على أنهما لفظان لمعنى واحد والدليل على ذلك أن سبق الإرادة على العزم والإرادة تسبق الفعل والعزم يجمع الإرادة مع الفعل ولهذا عندما بين بأن الهمّ في الموضع الأول هو إرادة والهمّ في الموضع الثاني هو الخاطر الأول مما نستنتج بأن الخاطر الأول يمسى همّا[5] ويسمى كذلك إرادة وهذا ما فسره في حق يوسف عليه السلام بأن همّه هو إرادته وهي الخاطر الأول وفي الأخير نستنتج المراتب الآتية:

---

[1]- وفرق بين النية والعزم فالنية متقدمة عن الفعل وأما العزم فقد يتقدم وقد يقترن بالفعل، ينظر: العسكري في الفروق اللغوية، ص90، مصدر سابق

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 1

[3]- **الإرادة لغة:** الطلب والاختيار، المصباح المنير، ص156، مصدر سابق

[4]- للمزيد ينظر: الفرق بين الإرادة والعزم للعسكري في الفروق اللغوية، ص90، مصدر سابق

[5]- وهناك علاقة بين الهمّ والخاطر فالهمّ تعلق الخاطر بشيء له قدرة في الشدة، ينظر: العسكري في الفروق اللغوية، ص93 مصدر سابق

المرتبة الأولى(الإرادة): وهي الهمّ وكذلك الخاطر الأول وهي تسبق الفعل وهي مجرد فكرة في الذهن تخطر على بال الإنسان ولا يستطيع دفعها، فالإرادة والهمّ والخاطر الأول ألفاظا مترادفة لها معنى واحد مشترك

المرتبة الثانية(العزم):وهي إرادة مع الفعل وكذلك الخاطر الثاني مع التمادي في التفكير والتمعن.

المرتبة الثالثة (النية): وهي القصد المتعمد على الفعل كما تسمى سبق الإصرار أي أنه مصر على فعل شيء.

5- ترجيح ابن خمير لأقوال العلماء في معنى الهمّ:

ذكر ابن خمير أربعة أقوال للعلماء في معنى الهمّ بالمفهوم الاصطلاحي والواقع من خلال الآية وتفسيره في حق يوسف عليه السلام فقال: "وللمحققين أقوال في هذا الهمّ نذكر المختار منها إن شاء الله تعالى:

1. القول الأول: فمنهم من قال: (إن في الكلام تقديما وتأخيرا)، وترتيبه أن يكون:(ولقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها)، ويكون البرهان هنا النبوة والعصمة، وما كشف من الآيات وخوارق العادات، والتقديم والتأخير في لسان العرب سائغ.
2. القول الثاني:ومنهم من قال: هم بحكم البشرية مع الغفلة عن إرتكاب النهي، ثم ذكّره الله تعالى بالإيمان وتحريم المعصية وشؤمها والوعيد عليها، وهو البرهان الأعظم فصرف عنه السوء والفحشاء، ولذا قال بعضهم: (هم وما تم، لأن العناية من ثم).
3. القول الثالث: ومنهم من قال: (كاد أن يهم لولا العصمة السابقة)، فيكون الهمّ هنا مجازا.

4. القول الرابع: ومنهم من قال: همّ همّ الفحولية، وذلك أنه كان عليه السلام فحلا شابا خلت به إمرأة ذات جمال وغنج، وطالبته تلك المطالبة، فاهتز هزة الفحل بهز ضروري غير مكتسب فسمي ذلك الإهتزاز همّا لكونه من الضروريات...".[1]

حيث عرض ابن خمير أربعة أقوال من بين الأقوال الكثيرة؛ لأنه إختارها على غيرها لمعقوليتها وأنها تليق بسيدنا يوسف عليه السلام في تأويل الآية ومعنى الهمّ حيث قال:"وللمحققين أقوال في هذا الهمّ نذكر المختار منها" أي أن هناك أقوال كثيرة للمحققين؛ولكن إختار منها أربعة فقط، وبعد إختياره لهذه الأقوال الأربعة برر إختياره بقوله:"فهذه أقوال تشاكه الصواب وتليق بالأكابر".[2]

فأثنى على هذه الأقوال لأنها قريبة من الصواب وتليق بمقام النبوة وبسيدنا يوسف عليه السلام وليست قادحة في عصمته ولا نبوته، ثم إختار من هذه الأقوال الأربعة بالترتيب القول الرابع والأخير وبرر اختياره له بعدما علق عليه وأيده بالنص فقال معلقا على القول الرابع: "أقول: إنه إن كان همّ مكتسبا لهمّه ولم يفعل فلا طلب في ذنب، بدليل الحديث المتقدم الذي منه قوله عليه السلام:(ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا)معناه:(لم يكتب له صغيرة ولا كبيرة)، وجاء في حديث آخر:(أن تارك الخطيئة من أجل الله تكتب له حسنة) بدليل قوله تعالى للملائكة:(أكتبوها له حسنة فإنما تركها من جراي)أي من أجلي وهذا ينظر إلى قول الله تعالى: ﴿...فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ...﴾[3]، وإذا كان هذا في حق الرعية فالأنبياء عليهم السلام أولى بهذا الترك لا محالة كيف وقد أثنى الله تعالى عليه ونزهه بقوله عندما قالت: ﴿...هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.[4]، فهذا مما يدل على أنه تركها من أجل الله، وأنه مأجور

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص74، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص79

[3]- سورة الفرقان، الآية 70.

[4]- سورة يوسف، الآية 23.

في تركها، وإذا كان هذا هذا فلا ذنب ولا عتب يلحق يوسف عليه السلام صغيرا ولا كبيرا، بل يكون مأجورا في الترك...".[1]

لقد اختار ابن خمير القول الرابع من بين الأقوال الأخرى وعلق عليه وأيده واستدل له من القرآن والسنة حيث بين رغم وقوع الهمّ من سيدنا يوسف عليه السلام إلا أنه لم يتبعه فعلا فلا ذنب عليه، وأن هذا القول المختار بين أن همّه ضروري لا مكتسب أي ليس له نية ولا قصد متعمد وإنما إثبات لفحولته ورجولته من باب أنه بشر له مشاعر داخلية ورغبات نفسية؛ ولكن لا يتعمد ذلك وإنما تأتي مع الحدث في حينها ومن مقام النبوة فإن الله تعالى يعصمه من التمادي في ذلك فلا يقدم على الفعل فقال (معاذ الله) وقد استدل ابن خمير لهذا القول بدليلين الأول من السنة والثاني من القرآن.

الدليل الأول: السنة

استدل ابن خمير بقوله ﷺ:"ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا"[2]، وفي حديث آخر قوله تعالى للملائكة: "أكتبوها له حسنة فإنما تركها من جراي"[3]، ثم عقب عن هذا الحديث بأن هذا الخطاب موجه لعامة المؤمنين فكيف بالأنبياء عليهم السلام.

الدليل الثاني: القرآن[4]

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص77-79، مصدر سابق

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه، برقم 7062، مصدر سابق

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه، برقم 7062، مصدر سابق

[4]- الأصل في الاستدلال يقدم القرآن على السنة وابن خمير قدم السنة على القرآن

استدل ابن خمير بقوله تعالى:﴿...فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ...﴾ [1]، وهذا بالنسبة للمؤمن التائب وكيف بالأنبياء عليهم السلام،ثم استدل في حق سيدنا يوسفعليه السلام بقوله تعالى: ﴿...هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [2]، فعلق ابن خمير على هذه الآية بأن الله تعالى أثنى عليه ونزهه، وأن هذه الآية فيها دلالة على أنه ترك الفعل من أجل الله تعالى وأنه مأجور في الترك.

وفي نهاية كلامه وبعد استدلاله بالقرآن والسنة بين أنه إذا كان موقف سيدنا يوسف عليه السلام هكذا فلا ذنب ولا عتب عليه صغيرا كان أم كبيرا ومع ذلك فهو مأجور على الترك.

وفي نهاية كلامه برر اختياره لهذا القول الرابع والأخير فقال:"والأظهر: القول الأخير من هذه الأقوال لكونه معضودا بالخبر والآية والله أعلم".[3]

حيث صرح بأنه اختار القول الرابع والأخير بعد عرضه للأقوال الأربعة المعتدلة واللائقة في حقه عليه السلام لتفسير مفهوم الهمّ برر إختياره للقول الأخير، بإعتبار أنه مؤيد بالقرآن والحديث والذي سبق أن قدمه في تعليقه على هذا القول المختار.

ويكون ابن خمير قد إنتهى من رده على الشبهات حول قصة يوسف عليه السلام في واقعة المراودة والهمّ حيث رتب كلامه فبدأ بإثبات نبوته قبل الواقعة ثم تعريفه للهمّ لغة ثم إيراد الشبهات حوله ثم الرد عليها ثم ترجيحه لأقوال العلماء في الهمّ.

القصة الثانية: شبهات حول مسألة زواج سيدنا محمد ﷺ من زينب بعد تطليقها من زيد

[1]- سورة الفرقان، الآية 70.

[2]- سورة يوسف، الآية 23.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص79، مصدر سابق

أورد ابن خمير شبهة حول مسألة زواج النبي ﷺ ودارت هذه الشبهة حول سبب زواجه من زينب وأن هذه الشبهة تمس النية وهي أمر باطني ثم قام بالرد على هذه الشبهة، قال ابن خمير في معرض تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ [1]:"هذه من القصص التي إمتحن بها عوام هذه الأمة ومقلدوهم المجازفون المقتفون ما ليس لهم به علم!.

والقصة بحمد الله أشهر وأظهر من أن يتقول فيها بزور أو يدلى بغرور، والأولى أن نقدم ما صح من القصة ثم نرجع إلى شرح الآية...".[2]

من خلال كلامه نرتب الحديث عن هذه المسألة كما يلي أولا إيراد ما صح من القصة، ثانيا إيراد ما جاء فيها من الشبهات ثالثا رد ابن خمير على الشبهات، رابعا شرح الآية لابن خمير خامسا: ما اشتملت عليه القصة من فوائد جمعها ابن خمير.

أولا: ما صح من القصة

[1]- سورة الأحزاب، الآية 37.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص83، مصدر سابق

أشار ابن خمير في حديثه السابق أن هذه القصة واضحة المعالم وأنها اشتهرت بين الصحابة رضي الله عنهم، منهم زيد بن ثابت[1]، وزينب بن جحش[2]، وهما أقرب الناس للنبي ﷺ وهما إحدى شخصيات القصة التي بنيت عليهما، وذكرها القرآن الكريم تخليدا لهما وجاءت في أخبار السيرة الصحيحة وتداولها المفسرون ولم تدخل فيها أخبار الإسرائيليات كما دخلت في قصص الأنبياء السابقين ولذا قال عنهما ابن خمير"والقصة بحمد الله أشهر وأظهر من أن يتقول فيها بزور أو يدلى بغرور"[3]، فهي مشهورة ولا يستطيع أحد أن يزورها أو يدس فيها ما ليس منها أو يتقول فيها بالوضع والكذب، ثم بدأ ابن خمير كلامه في إيراد ما صح من القصة.

قال ابن خمير:"والذي صح منها أن المرأة هي زينب بنت جحش إبنة أميمة بنت عبد المطلب جد رسول الله ﷺ، وأما بعلها فهو زيد بن حارثة مولى رسول اللهﷺ ومعتقه، وكان رسول الله ﷺ قد رباه وتبناه وكان يسمى ابن رسول الله حتى أنزل الله تعالى:﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ...﴾.[4]، فنفى البنوة بالدعوى وقال:﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾.[5]،فلما أدرك زوجه رسول الله ﷺ زينب المذكورة، وبقي معها حتى أمر الله تعالى نبيه

---

[1]- هو زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي، وهو أول الصحابة إسلاما، وكان النبيﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمّره عليها وكان يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة فاستشهد فيها سنة 8 هـ، ينظر: ابن الجوزي، صفوة الصفوة، تح: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989،1/77، الأعلام للزركلي 57/3، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، عزد الدين بن الأثير، تح: علي محمد عوض وآخرون، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 350/2، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، 220/1، مصدر سابق

[2]- هي زينب بنت جحش بن رتاب الأسدية، أم المؤمنين كانت زوجة زيد وإسمها(برة) ثم طلقها فتزوجها النبي ﷺ وسماها (زينب)ماتت سنة 20هـ، ينظر: صفوة الصفوة، 33/2، الأعلام للزركلي 66/3، وسير أعلام النبلاء، للذهبي 211/2 وأسد الغابة في معرفة الصحابة، 126/7،مصادر سابقة، تهذيب حلية الألولياء لأبي نعيم الأصفهاني، صالح أحمد الشامي ط1، المكتب الإسلامي، دمشق، 1998م، 274/1.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص82، مصدر سابق

[4]- سورة الأحزاب، الآية 04.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 05.

عليه السلام أن يتزوجها، أو أخبره به كما سيأتي في شرح الآية، إن شاء الله تعالى"[1]،حيث أورد ابن خمير القصة في السيرة مختصرة.[2]

ركز ابن خمير على شخصيات القصة وهم النبي ﷺ وزيد، وزينب وبين نسبهما فزيد كان مولى النبيﷺثم أعتقه وقد تبناه النبيﷺ قبل نزول آية تحريم التبني وأورد الآية التي تنفي البنوة بالدعوى وزينب حيث تلتقي مع النبيﷺفي الجد وهو عبد المطلب فأثبت أن هناك قرابة بينهما، ثم بين وقت زواجهما حيث ذكر أنه لما بلغ زيد زوجه النبيﷺ بزينب وبقي معها إلى أن أمره الله تعالى بتطليقها منه وأن يتزوجها النبيﷺ وذلك لحكم وفوائد سيذكرها ابن خمير في تفسيره للآية مستقبلا عندما نوردها بالترتيب الذي ذكرناه سابقا.

ثانيا: إيراد الشبهة حول قصة زواج النبي ﷺ من زينب والمتعلقة بالنية

هذه الشبهة دارت حول مقصد ونية النبيﷺمن زواجه بزينب وهي أمور قلبية لا يعلمها إلا الله تعالى حيث إستغلها القصاصون ونسجوا حولها التهم والشبهات وهو برئ منها ﷺوقد دافع عليه العلماء[3] منهم ابن خمير حيث أورد الشبهة ثم دحضها بالأدلة وبين القصة وشرح الآية وما في هذه القصة من فوائد وعبر سنذكرها فيما يلي.

قال ابن خمير في إيراده للشبهة على لسان القصاصين: "هذه من القصص التي امتحن بها عوام هذه الأمة ومقلدوهم المجازفون المقتفون ما ليس لهم به علم!...وما يقوله المنافقون والجهلة

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص82-83، مصدر سابق

[2]- ينظر: ابن هشام، 292/4، الشفا،172/2،والفخر الرازي، الأربعين، ص354، مصادر سابقة، والسيوطي، الدر المنثور، (د.ط)، دارالمعرفة، بيروت،(د.ت) 201/5، وابن جزي في تفسيره(التسهيل)، ص562 عبد السلام علوش قصص القرآن، ص240، مصادر سابقة

[3]- الفخر الرازي في كتابه (عصمة الأنبياء) ص128،وكتابه (الأربعين في أصول الدين) ص354، والدكتور عماد السيد الشربيني في أطروحة الدكتوراه بعنوان (رد شبهات حول عصمة النبيﷺ في ضوء القرآن والسنة) ص 195، وعياض في الشفا، 172/2، مصادر سابقة

المجازفون من أن رسول اللهﷺ رآها وأحبها وشغف بحبها حتى كان يضع يده على قلبه ويقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي!)[1]ويدخل عليه زيد المسجد ويقول:(أدن مني يا زيد)شوقا إليها! إلى غير ذلك من هذيانات...وكذلك قولهم: إنه عليه السلام رآها فأحبها...".[2]

بعد إيراد ما صح من القصة أورد هذه الشبهة على لسان الطاعنين والجهلة من المؤرخين والقصاصين حيث اتهموا النبيﷺ بأنه شغف بحب زينب بعدما تزوجها زيد ثم زادوا في إتهامه بأنه كان يضع يده على قلبه ويدعو الله بأن يثبته وأن لا يشغله بحب زينب، وكذلك زادوا في إتهامه بأنه كلما دخل عليه زيد يدعوه بأن يدنو منه وذلك شوقا لزينب، وكذلك اتهموه بأنه عندما رآها أحبها.

هذه الاتهامات وغيرها مما لم يذكره ابن خمير خشية الإطالة فقال (إلى غير ذلك من هذيانات)مما يدل على أن حول هذه القصة نسجت أقاويل مكذوبة ومنسوبة للصاحبة رضي الله عنهم وهم براء من ذلك قال ابن خمير:"وكل ما رووا في ذلك عن الصحابة فكذب وزور"[3] فهذه القصة إمتحان للأمة وقد خاض فيها وجازف فيها أصحاب القصص والمؤرخون بغير علم، وقد وصفهم ابن خمير بالعوام والمقلدين والمجازفين والمنافقين والجهلة فهم ليسوا علماء مدققين ولا مجتهدين باحثين عن الحقيقة بل جهلة مجازفين منافقين كما قال عنهم ابن خمير (وما تقوله المنافقون والجهلة المجازفون) وهذا وصف يليق بكل من يتهم أي نبي عليه السلام ويطعن فيه وينسج حوله قصص وشبهات لا أساس لها من الصحة، وقد دافع ابن خمير عن هذه القصة كما سنورد ذلك.

[1]- أخرجه الحاكم في مستدركه برقم 1927، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص82-84، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص84

ثالثا: رد ابن خمير على الشبهة حول القصة

رد ابن خمير على هذه الشبهة متعجبا من قائلها كيف ينسب لسيد المرسلين ﷺ هذا الإفتراء فقال:"إلى غير ذلك من هذيانات لا يرضاها صلحاء المسلمين لأنفسهم فكيف لسيد المرسلين؟! فكل ذلك باطل متقول وكيف وقد تربت في حجر رسول اللهﷺ حتى زوجها لزيد على أنه لو أحبها كما اختلقوه، لم يدركه في ذلك لوم فإن الحب أمر ضروري لا يدخل تحت الكسب، جاء عنهﷺأنه قال:(اللهم إني عدلت فيما أملك فأغفر لي ما لا أملك)[1]، يعني:(عدلت فيما أكسب فأغفر لي ما لا أكسب)،فلم يكره العقلاء الحب إلا لما يكون معه للمحبين من الطيش والميل، والذكر بما لا ينبغي، وطلب الظفر بالمحبوب على الوجوه الفاسدة، وهذه الأمور كلها لا تليق بصلحاء المسلمين، فكيف بسادات المرسلين المعصومين مما دون ذلك كما تقدم؟!

جاء في الأثر أن رسول الله ﷺ مر برجل ينشد:

أقبلت فلاح لها *** عارضان كالسيج والفؤاد

أدبرت فقلت لها *** في وهـــــــج إن

هل علي ويحكما *** عشقت من حرج؟!

فقال له رسول اللهﷺ:(لا حرج إن شاء الله) معناه: (لا حرج عليك إن كنت تكتم وتصبر ولا تؤذي محبوبك بقول ولا فعل، ولا يشغلك حبه وذكره عما فرض عليك).

ومصداق هذا الشرح ما جاء عنهعليه السلامأنه قال:(من عشق وكتم وعف ومات،مات شهيدا).[2]

وسبب شهادته أن النفس الأمارة بالسوء تحب الشهوة والتشفي بالفعل، فيحاربها الورعون المتقون بالكتمان والعفاف حتى يقتلهم، ومع هذا فالرسول عليه السلام أشرف وأسنى من أن يمتحن بمثل هذه

[1]- أخرجه الترمذي في سننه برقم 1140 مصدر سابق

[2]- أخرجه الزركشي في اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة رقم179، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ.

النقيصة، ومع ذلك فما صح أن رسول اللهﷺ أحبها ولا شغف بها في كتاب ولا سنة سوى ما تخيله الجهلة، وكل ما رووا في ذلك عن الصحابة فكذب وزور وجهل بمقتضى الآية ومنصب النبوة،وتخرص من أهل النفاق..". [1]

دافع ابن خمير عن النبيﷺونسف هذه القصة ودحض الشبهات التي دارت حولها وذلك من خلال تقديمه للأدلة من المعقول والمنقول،وذلك من وجهين الأول أن القصة لا أساس لها من الصحة في السيرة الذاتية للنبي ﷺ ولم تذكر في صحاح السير ولا الأحاديث والثاني على افتراض أن الواقعة صحت فقدم لها الأدلة على أنه لا يلحقه في ذلك لوم ولا عتاب.

الوجه الأول: نفي القصة

بين ابن خمير أن هذه القصة لم تصح وأن ذلك تخرص وتقول على النبيﷺ من غير علم حيث قال(فكل ذلك باطل متقول) وقد استدل على ذلك من السيرة والمعقول والقرآن والسنة و آثار الصحابة كما رتبها ابن خمير.

1. من السيرة: أنه لم يثبت في سيرته ﷺ أنه أحب زينب حب الشغف والهيام بها حتى طلقها من زيد وتزوجها كما ذكروا وذلك افتراء وزورا والذي ثبت في السيرة حيث قال ابن خمير: "(والقصة بحمد الله أشهر وأظهر بأن يتقولوا فيها بزور أو يدلى بغرور)، ثم قال بعدها مباشرة: (والأولى أن نقدم ما صح من القصة)ثم قال بعدها (والذي صح منها أن المرأة هي زينب بنت جحش...فلما أدرك(أي زيد) زوجه رسول اللهﷺ زينب المذكورة، وبقي معها حتى أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يتزوجها...)"[2]، فقد تعجب ابن خمير من ذلك وأن الذي وقع في سيرته ﷺ أن زينب تربت في حجره حتى زوجها لزيد، فهي منذ صغرها وهي تتربى على يديهﷺ كذلك زيد فكيف بهم قالوا: (رآها وأحبها وشغف بحبها)وهذا الأمر قد يحدث لإنسان رأى لأول مرة

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص86، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص82، 83

إمرأة،كما حدث للنسوة عندما رأينا يوسف عليه السلام لأول وهلة قال تعالى: ﴿...فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [1]، وكذلك ما وقع لامرأة العزيز مع يوسف عليه السلام أما النبي ﷺ فإنه كان يربيها منذ صغرها فقد ألفها ثم زوجها لزيد ولم يتزوجها هو فلو كان ذلك صحيحا لتزوجها هو قبل أن يزوجها لزيد ولكن تزوجها بعد زيد بأمر من الله تعالى لا حبا وعشقا كما قال الجهلة.

2. من المعقول: فقد تعجب ابن خمير من هذه الشبهة ونفاها عقلا بناءا على عصمة الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم عما لا يليق بهم،وأن منصب النبوة يقتضي ذلك فقال متسائلا:"...إلى غير ذلك من هذيانات لا يرضاها صلحاء المسلمين لأنفسهم فكيف لسيد المرسلين؟!..." فتعجب ابن خمير من هذه المقولة المفتراة فنحن عامة الناس لا ننسبها لصلحاء المسلمين من الأولياء والصديقين وهم ليسوا معصومين ولا منزهين فمن باب أولى أن لا تنسب إلى سيد المرسلين عليه السلام، وهذا لا يقول به عاقل من عوام الناس فكيف بمن تصدى إلى التأليف في التاريخ والقصص يقول ذلك، إلا أنه مريض العقل والنفس وقد وصفه ابن خمير بأوصاف تليق به من الجهل والنفاق وقد بين ابن خمير أن هذه القصة لا تليق بالأولياء فكيف بالأنبياء عليهم السلام فقال:"وهذه الأمور كلها لا تليق بصلحاء المسلمين، فكيف بسادات المرسلين المعصومين"وهذا من الناحية العقلية لا يجوز فإذا كانت هذه الشبهة لا تليق بالأولياء الصالحين فإننا لا ننسبها لمن هم أعلى منهم مرتبة وهم الأنبياء المرسلين عليهم السلام، لأنهم معصومين وهم أبعد الناس عن ذلك وأرفعهم قدرا فلا يعقل أن ننسب إليهم ذلك.

بعد ذلك نزه ابن خمير النبي ﷺ عن هذه القصة لأنها نقيصة في حقهﷺ فقال:"ومع ذلك فالرسولﷺ أشرف وأسنى من أن يمتحن بمثل هذه النقيصة" فقد دافع ابن خمير عن النبي ﷺ بأنه أشرف وأعلى من أن يمتحن بهذه القصة وأن تنسب إليه،لأن ذلك لا يليق بمقامه ﷺ وإنما كذبوا

[1]- سورة يوسف، الآية 31.

عليه كما وضعوا له الأحاديث وقد توعد من كذب عليه بأن ينتظر مقعده من النار في حالة تعمده ذلك والإنقاص من قيمته ﷺ وهذا يدخل في السباب والشتم والافتراء عليه فقد جاء في الحديث" من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[1]،وقد تكلم العلماء في من آذى النبي ﷺ.[2]

3. من الكتاب: قال ابن خمير:"ومع ذلك فما صح أن رسول الله ﷺ أحبها ولا شغف بها في كتاب ولا سنة"[3] كذلك أن هذه المقولة[4] لم يشر القرآن إلى أن النبي ﷺ أحب وشغف بزينب إلا أن الآية التي نزلت في حق زيد فيه أمر بأن يتزوجها النبي ﷺ بعد أن يطلقها زيد، وأن قوله تعالى:﴿...وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ...﴾.[5]، ليس فيه إشارة إلى معنى الحب والشغف قال ابن خمير في معناها "يعني من تزويجها الذي أمرتك به أو أعلمتك به"[6]، أي أنت الذي تخفيه في نفسك وهو أمر الله بالزواج من زينب فإن الله تعالى سيظهره وتتزوجها ويعلم الناس بذلك وفيه حكمة الله من ذلك.

4. من السنة: فقد نفى ابن خمير ورود هذه القصة في الصحاح والسنن والمسانيد، ولم يقل بها أحد من رواة الأحاديث فقال:"ومع ذلك فما صح أن رسول الله ﷺ أحبها ولا شغف بها في كتاب ولا سنة"[7] فيدل ذلك على أنها لم ترد في السنة.

---

[1]- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم 8183، مصدر سابق

[2]- منهم القاض عياض في كتابه (الشفا) وقد خصص قسما لذلك (الفصل الثامن حكم سب الأنبياء والملائكة، 258/2) مصدر سابق، قال ابن خمير: "وقد أجمعوا على أن من قال في زر نبي إنه وسخ، يريد بذلك تنقيصه أنه يقتل ولا يستتاب احتياطا على أعراضهم السنية أن لا يلحقها نقص"تنزيه الأنبياء، ص180، ومقدمات المراشد، ص264، مصادر سابقة.

[3]- كذلك أورد الرازي هذه الشبهة ورد عليها، ينظر: كتاب الأربعين، ص355، مصدر سابق

[4]- حبه وشغفه بزينب.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 37.

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص90، مصدر سابق

[7]- كذلك أورد الرازي هذه الشبهة ورد عليها، كتاب الربعين، ص355، مصدر سابق

5. آثار الصحابة رضي الله عنهم: فلم يؤثر شيء من هذه القصة التي تحمل الحب والشغف من أقوال الصحابة رضي الله عنهم ولو كان ذلك وقع لصرح به أقرب الناس إليهﷺ وهن زوجاته وكذلك زينب بنت جحش وكذلك زيد رضي الله عنهم آل البيت أجمعين قال ابن خمير: "وكل ما رووا في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم فكذب وزور" بين أن من روى عن الصحابة رضي الله عنهم في هذه القصة غير صحيح وأنهم يكذبون عليهم إلا ما جاء في سبب نزول الآية السابقة الذكر أما ما عدا ذلك من الزيادات والتخرصات فلا يصح.[1]

الوجه الثاني: على افتراض صحة المقولة

افترض ابن خمير صحة هذه المقولة، وأخرج لها مخرجا حسنا واستدل على ذلك من المعقول والمنقول وسير الصالحين، حسب ترتيب ابن خمير لأدلة كالآتي:

1. من المعقول:بين ابن خمير أنه لو افترضنا أنه فعلا أحب النبي ﷺزينب فلا لوم عليه فقال:"على أنه لو أحبها كما اختلقوه، لم يدركه في ذلك لوم فإن الحب أمر ضروري لا يدخل تحت الكسب" حيث استدل من العقل أنه على افتراض صحة المقولة فهذا جائز في حقه ﷺ لأنه من الأمور النفسية الاضطرارية والتي لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه، لأنها لا تدخل تحت الأعمال الكسبية وهذا مخرج للقصة إن صحت من جهة المعقول.

2. من الحديث:استدل ابن خمير بحديثين في هذا الأمر الأول خاص بالنبيﷺ حيث قال:"جاء عنه ﷺ أنه قال:(اللهم إني عدلت فيما أملك فأغفر لي ما لا أملك)[2] ،يعني عدلت فيما أكسب

[1]- ورد في سبب نزولها أن زيدا إشتكى للنبي ﷺ أمر زينب فقال له ﷺ (إتق الله وأمسك عليك زوجك) فنزلت الآية وقد أوردها السيوطي في الدر المنتور203/5، مصدر سابق وفي أسباب النزول له كذلك، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،(طبع مع المصحف المسفر) إعداد محمد حسن الحمصي، ص398، وابن جزي في تفسيره، ص562، مصدر سابق، وغازي عناية، أسباب النزول القرآني، ط1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1987، ص318.

[2]- أخرجه الترمذي في سننه برقم 1140، مصدر سابق

فأغفر لي ما لا أكسب"[1]، وهذا الحديث مروي في مسألة العدل والقسمة بين نسائه ﷺ وخاف ميل قلبه لإحدى نسائه دون البعض وهذه أمور قلبية اضطرارية لا يستطيع أن يتحكم فليها إلا بلطف الله تعالى له فالذي يتحكم فيه هو ما يستطيع كسبه وقد عدل في ذلك وخاف أن لا يستطيع أن يتحكم فيما لا يملك فطلب المغفرة من الله تعالى وهذا دليل على حرصه ﷺ على العدل في القسمة بين نسائه فيما يستطيع أن يصل إليه جهده واجتهاده وأما خارج إرادته وما يملكه الله تعالى في تصرف نفسه وقلبه ومشاعره فطلب من الله الإعانة والمغفرة إن وقع منه خطأ أو زلة.

وأما الحديث الثاني وهو حديث عام للمسلمين فقد استدل به فقال:" ما جاء عنه عليه السلام أنه قال (من عشق وكتم وعف ومات مات شهيدا)[2]..." [3]، وفسر ابن خمير كيف أنه شهيدا حيث بين أن النفس الأمارة بالسوء تحب الشهوة وتريد أن تترجمها إلى فعل فاحش، ولكن الصالحون يكتمون هذا العشق ويعفون أنفسهم حتى يقتلهم الحب والعشق كما قيل:"من الحب ما قتل"[4] فهم في حكم الشهداء لأنهم عشقوا فكتموا وماتوا فاستحقوا الشهادة.

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص84، مصدر سابق

[2]- أخرجه الزركشي في اللآلي المنثورة في الآحاديث المشهورة برقم 159، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص85، مصدر سابق

[4]- المقولة منسوبة للأصمعي وقريب منها أوردها الجاحظ (من الحب أه ما أقتل الحب وأظناه)، المحاسن والأضداد، مكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ص283، وفي مثله قيل: قال جميل ابن معمر المعروف بجميل بثينة

خليلي فيما عشتما هل رأيتما *** قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

وقال أبو العتاهية: يا من رأى قلبي قتيلا بكى *** من شدة الوجد على القاتل

حسن نمر دندوشي، معجم الأبيات الشهيرة، ص189، مصدر سابق

وقال علي ابن الجهم: يا قلبي لما عرضت نفسك للهوى *** أوما رأيت مصارع العشاق

مصارع العشاق جمع وإعداد لجنة من وزارة الثقافة الجزائرية، صدر عن الوزارة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، 113/1.

وقال عبدالله ابن عمر ابن لقيط: وطالب بدمي ثأرا فقلت له *** هيهات من لقتيل الحب من قود

3. من السنة التقريرية:فقد استدل ابن خمير على هذا الافتراض من السنة التقريرية فقد نقل ابن خمير واقعة حضرها النبي ﷺ لأحد الشعراء كان يتحدث عن محبوبته بحب الوفاء والصدق فقال في أخر البيت:

هل عليّ ويْحَكُمَا *** إن عشقت من حرج

فأجابه النبي ﷺ فقال له: "لا حرج إن شاء الله"[1]، وفسر ابن خمير إجابة النبي ﷺ للمحب بأنه "لا حرج عليك إن كنت تكتم وتصبر ولا تؤذي محبوبك بقول ولا فعل، ولا يشغلك حبه وذكره عما فرض عليك"[2]، ومما يدل على إقراره ﷺ لهذا الشاعر مما يشعر به حب صادق لمن أحبها من قلبه، ولكن هذا الإقرار له شرطان بينهما ابن خمير وهما:

- عدم إيذاء المحبوب لا بالقول الجارح ولا بالفعل الفاحش.
- عدم الانشغال بالمحبوب عن الفرائض.

فإذا توفرا هذان الشرطان في من يحب ويعشق الغير فجائز في الدين.

4. من سير الصالحين:واستدل ابن خمير من سير الصالحين على جواز الحب والعشق العفيف البريء فبين أن العقلاء لم يكرهوا الحب العفيف البريء، أما ما خالطه طيش وميل وطلب الظفر بالمحبوب على أي وجه فاسد فهذا لا يجوز فقال:"فلم يكره العقلاء الحب إلا لما يكون معه للمحبين من الطيش والميل والذكر بما لا ينبغي وطلب الظفر بالمحبوب على الوجوه الفاسدة"[3].

مصارع العشاق، 114/1، مصدر سابق، قود: القصاص، ينظر: المصباح، ص324، ومن أمثلة العرب (أم الحب يعمي مثل ما قيل في الحب)، كذلك (حبك الشيء يعمي ويصم)، ينظر: العسكري، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل وعبد المجيد طامش،ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م، 356/1.

[1]- لم أعثر على تخريجه

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص85، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص84

ثم أتى بأمثلة من سير الصالحين في الحب العفيف فقال:"وجاء في الأثر أن عليا كرم الله وجهه كانت له جارية تتصرف في أشغاله، وكان بإزائه مسجد فيه قيم، فكانت متى مرت به تلك الجارية قال لها: (أما إني أحبك) فشق عليها ذلك فأخبرت عليا ﷺ بذلك فقال لها:(إذا قال لك ذلك فقولي له:(وأنا أحبك فأيش[1] تريد بعد هذا؟!)،فلما مرت به قالت له ذلك فقال:(نصبر حتى يحكم الله بيننا)فلما أخبرت عليا عليه السلام بما قال لها دعابه وقال له:(خذها إليك فقد حكم الله بينكما!)،قال ابن خمير معلقا على هذه القصة:"فهذا شأن الظرفاء والمتدينين من المحبين"[2]

من خلال هذه القصة التي وقعت للجارية مع القيم في حضرة الصحابي علي ﷺ وإقراره لما جرى بينهما من حب وعشق وتوج بالزواج بينهما يدل على جواز الحب العفيف الذي يصدر من الصالحين، ولابن خمير قصص كثيرة في هذا المجال سوى في عهد الجاهلية أو الإسلام وقد ذكر طرفا منها وأضرب عن الكثير منها مخافة الإطالة والخروج عن الموضوع[3] فقال: "ولولا قصد الاختصار لأسمعتك في هذا الشأن أخبارا وأشعارا عن ظرفاء المحبين المتدينين وأهل الهمم من فتيان العرب..."[4]،وبهذه الأدلة يكون ابن خمير أخرج لهذه القصة مخرجا حسنا على افتراض وقوعها، ثم ختم كلامه في الرد على هذه الشبهة بأن هذه القصة لا تليق بمقام نبوة محمد ﷺ وإن كان الأمر جائز شرعا فهو منزه عنها فقال: "ومع هذا فالرسول عليه السلام أشراف وأسنى من أن يمتحن بمثل هذه النقيصة، ومع ذلك فما صح أن رسول الله ﷺ أحبها ولا شغف بها" أي أنه على افتراض وقوعها

---

[1]- فايش: كلمتين مدغمتين معا فأصلها (أي شيء) وتكون شرطا واستفهاما وموصولة، وهنا استفهاما، المصباح، 26 وكذلك لها عدة استعمالات كالتعجب، مختار الصحاح، ص29، مصادر سابقة.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص86، مصدر سابق

[3]- أورد ابن خمير قصتين أحدهما لقيس مع ليلى وأخرى لرجل آخر مع محبوبته،للمزيد ينظر: ابن خمير، تنزيه الأنبياء ص85-86، مصدر سابق، وينظر:مصادر الأدب العربي كالأشعار والقصص، مثل الأغاني للأصفهاني، ومصارع العشاق مصدر سابق، وكتاب الحب عند العرب، أحمد تيمور باشا، تح: عبد السلام شهاب،ط1، دار المعارف، تونس 1993م.

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص86، مصدر سابق

وجواز ذلك شرعا فإنه أسمى من أن ينسب له هذا الأمر، لأنه نقيصة في حقه ﷺ، وأن أصل القصة لا أساس لها من الصحة.

رابعا: شرح الآية

قال تعالى:﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [1]، تعرض ابن خمير إلى شرح الآية التي دار حولها موضوع القصة وما دس فيها من الشبهات حتى يبين حقيقة القصة والشرح السليم للآية مع التأويل الصحيح والمدعم بالأدلة فقال:"ذكر بعض المفسرين في أشبه الأقوال أن قوله تعالى:(وإذ تقول)تنبيه من الله تعالى لنبيه عليه السلام على وجه العتاب في قوله لزيد: (أمسك عليك زوجك)، وأقول إنه تنبيه لنبيه عليه السلام ليتهيأ لفهم الخطاب من غير عتاب وهو الأظهر والأولى، وبهذا تناصرت الآيات كقوله تعالى:﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾.[2]، وقوله:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ [3]، وفي سور أخرى إلى غير ذلك من الآي، وأما قوله تعالى: ﴿...أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ [4]، ففي هذا الخبر معجزة للرسول ﷺ وكرامة لزيد: لكنها من غر الكرامات وأشرفها، فأما المعجزة فهي من باب إخباره عليه السلام بالغيوب فتقع كما أخبر عنها، وذلك أن الإنعام ها هنا إنما هو في أن وهبه الله تعالى إيمانا لا يفارقه إلى الممات إذ لو كان في معلوم الله تعالى أن يسلبه إياه عند الوفاة لم يسمه نعمة، فإن ثمرة الإيمان إنما تجتنى

[1]- سورة الأحزاب، الآية 37.

[2]- سورة البقرة، الآية 124.

[3]- سورة البقرة، الآية 32.

[4]- سورة الأحزاب، الآية 37.

في الآخرة وإيمان زائل لا ثمرة له في الآخرة، ولا يسمى نعمة بل هو نقمة كإيمان بلعام بن باعورا[1] وغيره من المخذولين المبدلين نعوذ بالله من بغتات سخطه فخرج من فحوى ذكر هذه النعمة أن زيدا يموت مؤمنا، فكان ذلك وزيادة أنه مات أميرا شهيدا مقدما بين الصفين في يوم مؤتة[2]، كان قد قدمه رسول الله ﷺ على الجيش في حديث يطول ذكره، ثم قتل شهيدا فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:(أخذ الراية زيد فأصيب)إلى قوله: (لقد رفعوا لي في الجنة على أسرة من ذهب)[3]، فهذه معجزة صحت له عليه السلام من باب الإخبار بالغيوب فوقعت بمحضر الأشهاد كما أخبر عنها، كما وقع نقيضها في قصة أبي لهب حيث أخبره ربه في قرآن يتلى أنه من أهل النار،ومات كافرا فكان ذلك[4]، وأما كرامة زيد فبإعلام الله له في ضمن الآية بسلامة العاقبة كما ذكرناه، وأما تصور العتاب إن صح في قوله: (أمسك عليك زوجك) فقد يقع من باب ترك الأولى من المباحات كما تقدم، وذلك أن الله تعالى أمره بزواجها أو أخبره به حيث قال له في آخر الآية: ﴿...وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [5]،وسيأتي بيان ذلك الأمر عند فرغنا من شرح الآية إن شاء الله تعالى.

---

[1]- وهو من بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، كان في مجلسه أثنا عشرة آلف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث أنه كان أول من صنف كتابا، في(أن ليس للعالم صانع)، ولما بعث إلى ملك مدين يدعوه إلى الإيمان فأعطاه الهدايا فاتبع دينه وترك دين موسى وفيه نزل قوله تعالى:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية 175، ينظر: القرطبي، أحكام القرآن، طبعة دار الشعب، القاهرة، مصر، 2755/4 صلاح الدين محمود، قصص القرآن،ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2009م، ص12، قصص القرآن لابن الجوزي، تح: عبد السلام علوش، ط1، دار الفكر، بيروت 2003، ص301، قصص القرآن لإبراهيم محمود،91، قصص القرآن لسعد يوسف، ص278، مصادر سابقة

[2]- ينظر: سيرة ابن هشام، 16/4

[3]- رواه البخاري في صحيحه برقم 1189، مصدر سابق

[4]- نزلت في حقه سورة المسد، الآية 01 (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)، ينظر: سيرة ابن هشام، 9/2

[5]- سورة الأحزاب، الآية 37.

وأما سبب قوله: (أمسكها) فهو أن زيدا جاءه يشتكي له بها فقال: (يا رسول الله: زينب تسبني وتستعلي علي وتعيرني وتفخر علي بشرفها إلى غير ذلك، وأريد أن أطلقها).

فقد ربما كان الأولى أن يقول له ﷺ مثلا: (أنت وشأنك! أو ما يقرب من هذا من الأقوال،أو يسكت عنه فلا يأمره ولا ينهاه لكونه ﷺ قد أمره الله تعالى بتزويجها أو أخبره بذلك، فقال له: (أمسكها)والأظهر أنه قصد ﷺ بهذه القولة خوف القالة من السفهاء أن يقولوا ما قالوه فيهلكوا بأذيته فتصح عليهم اللعنة في الدارين، والعذاب الأليم بدليل الكتاب قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.[1]وأيضا أنه لما سمع أن الله تعالى عاتب داود ﷺ في قوله:﴿..أَكْفِلْنِيهَا..﴾.[2]كلام مباح ليس فيه حظر ولا كراهة غير الشرع.

وأما قوله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿...وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ...﴾ يعني من تزويجها الذي أمرتك به أو أعلمتك به.[3]

وأما قوله تعالى:﴿...وَتَخْشَى النَّاسَ...﴾ أي تخشى من قول الناس على حذف حرف الجر كأنه يقول: (تخشى من الناس أن يقولوا: فيك فيأثموا ويهلكوا،﴿...وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ أي أن تخشى منه على الناس وللناس حتى يقع مرادي فيك وفي الناس، إذ ليس احتياطك يغني عنهم من الله شيئا، فلا عليك ممن قال ولا ممن أثم، فأنا أعلم بما يقولون وبما أجازيهم، كما قال تعالى له:

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 57.

[2]- سورة ص، الآية 23.

[3]- قال ابن جزي(الذي أخفاه رسول اللهﷺ أمر جائز مباح، لا إثم فيه ولا عتاب، ولكنه خاف أن يسلط الله عليه ألسنتهم وينالوا منه فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه)، وقال أيضا: (فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزويجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزويجها، وقيل إن الله أوحى إليه أن يتزوج زينب بعد طلاقها من زيد فالذي أخفاه ما أعلمه الله به من ذلك) التسهيل، ص562، 563 مصدر سابق

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾.[1]وقوله:﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...﴾.[2] وقوله:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾.[3] إلى غير ذلك.

وأما أن يكون الرسول ﷺ يخشى الناس من غير مراعاة لهذا القدر وما أشبهه، فحاشى وكلا كيف وقد قال تعالى بعد هذه الآية:﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ...﴾.[4] فقد زكى الله أنبياءه عليهم السلام بأنهم أفردوه بالخشية، فلو كان الرسول ﷺ يخشى الناس لأجل الناس لتناقض الخبر، والتناقض في خبر الله ورسوله محال.

وأما ما خاف أن يقوله الناس فيهلكوا، فهو على خمسة أوجه:

أحدها: ما جرت به عادات الجهلة المتكبرين على الموالي فيقولون: (كيف يسوغ له أن يعمد إلى كريمة من كرائمه وأقرب الناس إليه نسبا فيزوجها لعبده؟!.

الثاني: وهو أشد عليهم في الإنكار أن يقولوا: (كيف رضي أن يتزوجها بعد عبده؟!)

الثالث: أن يقولوا (إنما حمله على ذلك حبه لها وشغفه بها)

الرابع: قلة المراعاة لأمر الله، وعدم التسليم لحكمه، إذ لو كانوا يذعنون لأحكام الله تعالى ويسلمون له لم ينكروا شيئا مما فعله نبيهم عليه السلام.

الخامس: وهو أصل كل رذيلة، وهو مراعاة التحسين والتقبيح وردهما إلى العقول القاصرة، وما جرت به العادات، وهو داء عضال نغلت[5] به قلوب الجهلة الضالين، ففندوا حكم الله تعالى واعترضوا لفعاله في خلقه، وكان أول من سن هذه الداهية الدهياء إبليس، حيث قال:

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 128.

[2]- سورة البقرة، الآية 272.

[3]- سورة القصص، الآية56.

[4]- سورة الأحزاب، الآية 39.

[5]- نغلت: فسدت، ينظر: المصباح، ص385، مختار الصحاح، ص344، مصادر سابقة

﴿...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.[1] وقوله:﴿... لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.[2] وقوله:﴿...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾.[3] و﴿...أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾.[4] إلى غير ذلك من أقواله السخيفة فانظر رحمك الله إلى أهل هذه المذاهب الخسيسة بمن اقتدوا فيها وعلى من عولوا في اقتدائهم ﴿...قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[5]

ومما قيل في معنى قوله:﴿...وَتَخْشَى النَّاسَ...﴾ ،أنه يخشى الناس أن يقولوا:(كيف يحرم علينا أزواج البنين وهو مع ذلك يتزوج زوج ابنه؟) فلأجل هذه الأقوال كانت خشيته ﷺ على الناس إذ ليس منها واحدة إلا وهي تحمل إلى سجين، فإنها كلها معارضة لقوله تعالى:﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [6]، وقوله تعالى:﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ [7]، وقوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ [8]، وقوله تعالى حيث أقسم بذاته المعظمة فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [9]، فمن أجل هذه الآية وأمثالها خشي رسول الله ﷺ أن يقع فيه الناس وقد وقعوا فيما ذكرناه، وفيما هو أشد منه".[10]

---

[1]- سورة الإسراء، الآية 61.

[2]- سورة الحجر، الآية 33.

[3]- سورة ص، الآية 76.

[4]- سورة الإسراء، الآية 62.

[5]- سورة التوبة، الآية 30.

[6]- سورة الحشر، الآية 07.

[7]- سورة النساء، الآية 80.

[8]- سورة آل عمران، الآية 31.

[9]- سورة النساء، الآية 65.

[10]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص92، مصدر سابق

تصدر ابن خمير لشرح هذه الآية التي دارت حولها الشبهة بعد دحضها وجزء الآية إلى أجزاء في شرحها وتسلسل في ذلك من أولها إلى آخرها وختمها بالفوائد والعبر حيث بدأ بتحليل قوله تعالى:﴿وَإِذْ تَقُولُ...﴾ من الجانب البلاغي فذكر أن هذا تنبيه للرسول ﷺ من الله تعالى على وجه العتاب حيث عاتبه عند بعض المفسرين ثم علق عليه ورد عليه بأن هذا التنبيه ليس فيه عتاب حيث أيد ابن خمير الجزء الأول من تفسير الآية لبعض المفسرين وعارض الجزء الثاني وهو العتاب ولم يقره بل أعطى له مفهوما آخر أن هذا التنبيه للنبي ﷺ ليتهيأ لفهم الخطاب من غير عتاب ثم ختم كلام وأكد هذه المقولة الأخيرة التي تبناها بأن هذا التحليل هو الأظهر والأولى واستدل على هذا التحليل الأخير بآيات حيث قال: (وبذا تناصرت الآيات) ثم ذكر الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾، وقوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾، هاتين الآيتين كأمثلة من مجموع الآيات لوجود غيرها وهي كثيرة حيث قال: (وفي سور أخر إلى غير ذلك من الآي).

ثم انتقل إلى قوله تعالى:﴿...لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ وهو زيد حيث بين أن في هذه الآية معجزة وكرامة.،فأما المعجزة الخاصة بالنبي ﷺ فتتمثل في الإخبار بالغيب في المستقبل فيقع كما أخبر به الله تعالى نبيه ﷺ وفعلا وقع كما أخبر وهذا الخبر تمثل في أن الله تعالى وهب زيدا إيمانا لا يفارقه إلى الممات وقد سماه نعمة (نعمة الإيمان من الله تعالى) فإن ثمرة الإيمان إنما تجنى في الآخرة، لأن الإيمان الزائل لا ثمرة له في الآخرة ولا يسمى نعمة في الدنيا بل هو نقمة واستدل بقصة العالم من بني إسرائيل الذي أوتي الإيمان ثم أنقلب على عقبيه فمات كافرا.[1]

ثم بين ابن خمير في السيرة الذاتية لزيد ما وقع له في حياة النبي ﷺ وفق ما أخبر به الله تعالى أن زيدا يموت مؤمنا فمات أميرا شهيدا مقدما بين الصفين في غزوة مؤتة، وبعد استشهاده صعد النبي

[1]- سبق في الهامش ذكرها مع الآية التي نزلت في حقه

ﷺ إلى المنبر فقال: (أخذ الراية زيد فأصيب،...) إلى قوله:(لقد رفعوا لي في الجنة على أسرة من ذهب)[1]، فهذه هي المعجزة التي ذكرها ابن خمير المشار إليها في الآية.

وأما الكرامة التي حصلت لزيد فهي إعلام الله تعالى نبيه ﷺ بسلامة العاقبة لزيد وهو حسن الخاتمة فمات مؤمنا شهيدا أميرا مقدما وبين النبي ﷺ بأنه رأه في الجنة وأنه مرفوع على أسرة من ذهب وهذه من غر الكرامات وأجلها أنعم الله تعالى بها على زيد رضي الله عنه.

ثم انتقل إلى قوله تعالى:﴿...وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾ [2]، هنا ذكر ابن خمير إحتمالين ورجح أحدهما وهما كالآتي:

الأول: أنه ليس في الآية عتاب للنبي ﷺ فقال في بداية تفسيره: "وأقول إنه تنبيه لنبيه عليه السلام ليتهيأ لفهم الخطاب من غير عتاب وهو الأظهر والأولى".

الثاني: على افتراض أنه عتاب فقد أخرج له مخرجا حسنا فقال:"وأما تصور العتاب إن صح فقد يقع من باب ترك الأولى في المباحات كما تقدم".

حيث إفترض وجود عتاب في الآية في حالة أنه صحيح فهذا من باب ترك الأولى في المباحات وهي إحدى الأسس التي بنى عليها ابن خمير تنزيهه للأنبياء عليهم السلام، وأن أي عتاب أو لوم أو نهي فإنه يكون في دائرة المباحات لا المحرمات وبالنسبة للمباحات فإنهم يلامون ويعاتبون في تركهم للأولى لا لتركهم للأوامر أو اقترافهم النواهي، لأنهم منزهون عليه ومعصومون عنه ثم علل ذلك العتاب إن صح بأن الله تعالى أمره بزواجها منهﷺ فقال ابن خمير:(وذلك أن الله تعالى أمره بزواجها)، ثم بين سبب قوله:(أمسكها) بأن زيدا إشتكى منها بما تعيبه به وقرر طلاقها فرد عليه ﷺ بقوله (أمسكها) أي لا تطلقها قال ابن خمير (وأما سبب قوله له (أمسكها) فهو أن زيدا

[1]- تقدم تخريجه

[2]- لم يتعرض لقوله (وأنعمت عليه) يعني بالعتق، ينظر: الدرر المنثور للسيوطي، 202/5، وتفسير القرطبي، 5270/8 والتسهيل لابن جزي، ص562، والتفسير الوجيز للزحيلي ص424، مصادر سابقة، وينظر: قصة زيد في أحكام القرآن لأبن العربي، تح: طه بن علي بوسريح وآخرون، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2006م، 420/3

جاءه يتشكى له بها، ثم ذكر ابن خمير أن الأولى في هذا الكلام المباح على وجه الإحتمال والتصور أن يقول له بدل (أمسكها): (أنت وشأنك) أو أن يسكت عنه فلا يأمره ولا ينهاه وعلل ذلك بأن الله تعالى أمر نبيه بالزواج منها.

ثم بين ابن خمير القول الأظهر في قصد النبي ﷺ من قوله(أمسكها) بأنه قصد بهذه العبارة خوف السفهاء من الناس أن يقولوا ما قالوه[1] فيهلكوا بأذيته فيصبحوا من الملعونين حيث استدل على كلامه هذا بقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾. فتشملهم اللعنة في الدارين والعذاب في الآخرة، كذلك استدل بقوله تعالى: ﴿...أَكْفِلْنِيهَا...﴾.[2]في قصة[3]داود عليه السلام أن النبي محمدﷺ لما سمع أن الله تعالى عاتب داود عليه السلام في هذه اللفظة قال هو(أمسكها) وسقط العتاب،حيث بين ابن خمير أن النبي ﷺ استفاد من قصة داود عليه السلام عندما قال لغيره لفظ (أكفلنيها) قال ابن خمير (بمعنى أنزل لي عنها بطلاق وأتزوجها بعدك)[4]،فعاتبه ربه في ذلك قال ابن خمير(وأنه فتن أي أختبر وأمتحن ببعض المباحات فعوتب إذ لم يصبر فيها صبر المؤثرين)[5]،فقال النبي محمدﷺ عكس ذلك أي(أمسكها)وهنا سقط العتاب فلا لوم عليه من الله تعالى.

---

[1]- نقل السيوطي في سبب النزول هذه المقولة "قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد إمرأة إبنه وهو ينهي الناس عنها!" أسباب نزول القرآن للسيوطي، ص398، والرازي في الأربعين، ص354، وغازي عناية في أسباب النزول القرآني: ص316، قال ابن جزي في تفسيره(فقال:"أمسك عليك زوجك" وهو يخفي الحرص عليها خوفا من كلام الناس للألا يقولوا: "تزوج إمرأة إبنه إذ كان قد تبناه"...)، التسهيل، ص563، وأوردها الطبراني في المعجم الكبير في الحديث رقم 21781 ، والترمذي في سننه برقم 3524، مصادر سابقة

[2]- قال ابن خمير: "هي كناية عن نكاحها" تنزيه الأنبياء، ص56.

[3]- ينظر التفصيل في تنزيه الأنبياء لابن خمير من ص53 إلى 63

[4]- ينظر: تنزيه الأنبياء، ص58، مصدر سابق

[5]- ينظر: المصدر السابق، ص62.

بعد ذلك انتقل إلى قوله تعالى:﴿...وَاتَّقِ اللَّهَ...﴾أي أن النبي محمدﷺ خاطب زيد بذلك وذلك عندما ذكر زيد زينب في غيبتها للنبي ﷺ وهو يشتكي له منها فنهاه النبي ﷺ عن الغيبة المنهى عنها شرعا.

بعدها انتقل إلى قوله تعالى:﴿...وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ...﴾ والذي أخفاه محمد ﷺ هو أمر الله له بأن يتزوجها فلم يظهره للغير، رغم أنه بلغ الآية كما نزلت.[1]

ثم انتقل إلى قوله تعالى:﴿...وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ حيث بين أن خشيته النبي محمد ﷺ من الناس أن يقولوا فيه ما لا يليق به ويتهموه بما ليس له[2] فيلحقهم من الله تعالى الإثم والهلاك فكانت خشيته على قومه من العاقبة الوخيمة.

ثم بين قوله بعد ذلك ﴿...وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ أي أن تخشى منه على الناس وللناس حتى يقع ما قدره الله تعالى وقضاه فيك وفي الناس، لأن احتياطك في الخشية عنهم لا يغني عنهم من الله شيئا، فلا تهتم لقولهم فيك ولا تجزع لمن أثم منهم والله أعلم بما يقولون وهو أدرى بما يجازيهم واستدل ابن خمير على هذا البيان بآيات في نفس السياق منها:

- قوله تعالى:﴿...لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾
- قوله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...﴾
- قوله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾

---

[1]- قال السيوطي في الدرر المنثور:"روى عن عائشة أنها قالت: (لو كان رسول الله ﷺ كاتما من الوحي شيئا لكتم هذه الآية(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) إلى قوله (وكان أمر الله مفعولا))"، 202/5، وأوردها ابن جزي في تفسيره ص563 وأوردها الطبراني في المعجم الكبير في الحديث رقم21781، والترمذي في سننه برقم 3524، والبخاري في صحيحه رقم 7420، مصادر سابقة، وأوردها ابن العربي في الجامع لأحكام القرآن، تح: علي محمد البيجاوي، (د.ط) دار المعرفة بيروت، (د.ت)، 1543/3.

[2]- وقد ذكرنا سابقا مقولة اليهود والمنافقين في هذه الواقعة بأنه تزوج امرأة ابنه

ثم واصل في الدفاع عن النبي ﷺ وبيان المعنى الحقيقي لمفهوم الخشية في هذه الآية فبين أنه لا يجوز فهم أن النبي ﷺ يخشى الناس على هذا بقوله تعالى:﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ...﴾ فهذه الآية عامة في الأنبياء عليهم السلام فقد برهن على أنهم أفردوا الله تعالى بالخشية دون غيره، ثم استدل من الجانب العقلي استنتاجا من الآية السابقة الذكر فبين أن لو افترضنا أن النبي ﷺ يخشى الناس بناءا على فهم الآية الأولى﴿...وَتَخْشَى النَّاسَ...﴾ لكان تناقضا مع الآية الثانية المستدل بها﴿...وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ...﴾ ثم خلص إلى نتيجة أنه لا يوجد تناقض في خبر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثم انتقل إلى بيان خوف النبي ﷺ من مقولة الناس فيه واحتمل للمقولة خمس أوجه:

الوجه الأول: مقولة الجاهلين في مواليهم حيث استغربوا كيف يزوج إحدى قريباته لعبده زيد؟

الوجه الثاني: مقولة اليهود والمنافقين كيف يتزوج إمرأة عبده من بعده؟

الوجه الثالث:مقولة أصحاب الشبه تزوجها لحبه وشغفه بها، وقد رد ابن خمير على هذه الشبهة ردا جميلا.

الوجه الرابع: مقولة العامة وقصر فهمهم لأحكام الله تعالى إذا لو كانوا يذعنون لأحكامه لم ينكروا على نبيهم ﷺ ذلك.

الوجه الخامس:مقولة أصحاب العقول،وقد شن ابن خمير على أصحاب هذا المذهب[1] ووصفهم بالجهلة الضالين وبين مؤسس هذه المسألة وهو إبليس واستدل بآيات على ذلك وهي:

- قوله تعالى:﴿...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.
- وقوله تعالى:﴿... لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.
- وقوله تعالى:﴿...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾.

[1]- فيه إشارة إلى مذهب المعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين، للمزيد ينظر: مواقف ابن خمير في هذه المسألة في المبحث الثاني من الفصل التمهيدي (السيرة الذاتية لابن خمير).

- وقوله تعالى:﴿...أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾.

حيث أن أصحاب هذا المذهب اقتدوا بإبليس في تحكيمهم العقلي لأحكام الله تعالى من غير دليل فما استحسنه العقل فهو حسن ومشروع ومقبول وما استقبحه العقل فهو قبيح وغير مقبول ويجب تأويله وفق العقل.

ثم أضاف ابن خمير وجها أخر ولكن لم يعده وجها سادسا وإنما ذكره بصيغة التمريض (قيل) في معنى (وتخشى الناس) وقد نعده وجها سادسا مجازا.

الوجه السادس: مقولة المنافقين[1]حيث قالوا: "كيف يحرم علينا أزواج البنين وهو مع ذلك يتزوج زوج إبنه؟" فقد استغربوا من هذا الفعل وهذا الزواج غير العادي في نظرهم[2]، ثم بعد عرضه لهذه الأقوال فعوضه الله تعالى بأن سماه في كتابه باسمه العلم[3].

قال ابن خمير:"من باب الإشارة وقد يحتمل أن تخرج من باب الفقه وهو أن تكون تسمية زيد بالعلمية ليتبين في الآية ثبوت هذا الحكم ووقوعه في أبناء التبني، إذ لو قال تعالى: (فلما قضى بعلها) لم يعلم من البعل من مقتضى الآية.

ومنها أن الله تعالى سن لرسوله ﷺ على رغم أنف المتكبرين، فمن لام بعد هذه السنة أحدا في أن يزوج مثلا إبنته لعبده أو يتزوج إمرأة عبده من بعده (فليفغر فوه بفهر يكسر قواضمه وخواضمه ويطرح في أمة الهاوية)[1]، إذ ليس بعد رسول الله ﷺ شارع ولا فوق شرفه شرف".[2]

---

[1]- سب ذكرها، ينظر: تفسير ابن جزي، ص563.

[2]- قال ابن جزي في تفسيره: "هذا رد على من قال في زيد بن الحارثة(زيد بن محمد) فاعترض على النبي ﷺ تزوج إمرأة زيد، فأنزل الله﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾سورة الأحزاب، الآية 40..."ينظر: تفسير ابن جزي، ص564 أحكام القرآن،420/3،مصادر سابقة، كذلك قوله تعالى:﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ...﴾سورة الأحزاب،الآية 4 كذلك نزلت في زيد،ينظر:الواحدي،أسباب النزول،تح:السيد الجميري،ط2،دار الكتاب العربي، بيروت،1986 ص293

[3]- من باب الأمانة العلمية اعترف ابن خمير أن هذه المقولة ليست له وإنما نقلها عن ابن العربي، وقد ذكرنا ذلك في الفصل التمهيدي في الحديث عن منهجه (الأمانة العلمية)، ينظر التفصيل أكثر الفصل التمهيدي، مبحث (منهجه العلمي)،

فسر ابن خمير كمال الآية فشرح لفظ الوطر بالنكاح وهو الزواج ثم استخرج من هذه الآية جملة من الفوائد الخاصة بزيد وهي كالآتي:

الفائدة الأولى: أن الله تعالى خص زيدا بذكر اسمه العلم في القرآن الكريم دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

الفائدة الثانية: أن سبب هذه التسمية أن زيد كان قد تبناه النبي ﷺ وكان يدعى بابن رسول الله ﷺ.

علل ابن خمير خشية النبي ﷺ على الناس ثم عقب عليها بأنها كلها غير صحيحة أي بعد عرضه للأقوال الستة نسفها نسفا واستدل على نسفه هذا بأنها معارضة للقرآن الكريم وعرض الآيات الدالة على ذلك.

- قوله تعالى:﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾.
- وقوله تعالى:﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾.
- وقوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾.
- وقوله تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ثم ختم كلامه بأن بسبب هذه الآيات الأخيرة وأمثالها كانت خشية النبي ﷺ أن يقع فيه الناس وقد وقعوا فيه بل أكثر من ذلك وأشد منه.

---

[1]- **يفغر فوه:** يفتح فمه، فهر: الحجر، القواضم: الأكل بأطراف الأسنان والمقصود بها هنا الأسنان، الخواضم: الأكل بجميع الفم والمقصود بها هنا الأضراس، وأمه الهاوية: والهاوية اسم من أسماء النار لقوله تعالى: (فأمه هاوية)، سورة القارعة ينظر: المصباح المنير، ص258، ومختار الصحاح، ص281، ص104، ص360

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص92، 93، مصدر سابق

- ثم انتقل إلى تفسير قوله تعالى:﴿...فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾[1]، فقال في شأنها: "الوطر هنا: النكاح وأعلم رحمك الله أن في هذه الآية فوائد جمة منها:
- أن الله تعالى جعل فيها لزيد صيتا وشرفا خصه به عن جملة الصحابة رضي الله عنهم،وذلك أنه لم يذكر في الكتاب منهم أحدا باسمه العلم إلا زيدا وسبب ذلك والله أعلم أن النبي ﷺ كان قد تبناه قبل ذلك فكان يدعى بابن رسول الله حتى نزل عليه:﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾.[2] فسمي بعد ذلك زيد بن حارثة إلى أن أبطل الله تعالى التبني بقوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ...﴾ فمنذ ذلك أصبح يسمى زيد بن حارثة، فعوضه الله تعالى بأن سماه باسمه في القرآن.

الفائدة الثالثة: وتشمل حكم فقهي حتى يكون ثبوت الحكم ووقوعه في أبناء التبني واضحا ولذا ذكر إسمه.

الفائدة الرابعة: أن الله تعالى سن هذه السنة لرسولهﷺ وهي الزواج بزوجة زيد حتى يرفع الحرج على غيره وتكمم أفواه القائلين بأنها نقيصة، والرسول ﷺ شرعها وهو أشرف الناس فلا ضير.

فقد استخرج ابن خمير أربع فوائد منها حكم فقهي من هذه الآية.

بعد ذلك انتقل إلى قوله تعالى:﴿...زَوَّجْنَاكَهَا...﴾فقال:"فأضاف تعالى تزويجها لنبيه إلى نفسه وما أضاف الله تعالى لنفسه شيئا إلا وشرف ذلك الشيء،كما قال تعالى:﴿..رُوحِي..﴾[3] و﴿...بَيْتِيَ...﴾[4]و﴿...جَنَّتِي﴾[5]و﴿...عَذَابِي..﴾[1]و﴿...نَاقَةَ اللَّهِ...﴾[2]و﴿نَارُ اللَّهِ...﴾[3]،والكل مخلوق ومربوب، ولكنه الله اختص بالشرف الإضافي هذه المخلوقات.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 37

[2]- سورة الأحزاب، الآية 05

[3]- سورة الحجر، الآية 29

[4]- سورة البقرة، الآية 125

[5]- سورة الفجر، الآية30

وفي هذا التزويج شرف لرسول الله ﷺ من كون تزويج الناس أجمع مع عندهم وباختيارهم واجتهادهم، وهذا التزويج بأمر الله على الخصوص واختياره وإكرامه لنبيه عليه السلام ومنها تشريف لزينب زوجه، وذلك أن الله تعالى ما أختارها لنبيه عليه السلام حتى علم حصانتها ودينها وورعها وحفظ أدبها لمراعاة خلطة سيد المرسلين.

ولها أيضا على سائر نسائه في هذا التزويج مزية وإن كن كلهن مطهرات محفوظات، وقد ذكرت هي ذلك لرسول الله ﷺ فقالت له:(يا رسول الله أما إني لأدل عليك بثلاث لا يدل بها عليك واحدة من نسائك: فقال لها: وما هي؟ فقالت إحداها: أني أقرب إليك نسبا من جميع نسائك، لأن جدي وجدك واحد، والثانية: أن الله تعالى زوجني إياك، والثالثة: أن كان السفير في ذلك جبريل عليه السلام)[4]، فيا لها من حرة! فلقد فخرت وصدقت، مع أنها أغفلت رابعا يؤكد ثبوت هذه الثلاثة وهو: كون قصتها مسطرة في قرآن يتلى إلى الأبد، إذ لو كانت من خبر الواحد لاختلجتها الظنون".[5]

بين ابن خمير أن هذه اللفظة من الآية﴿...زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ فيها إضافة إلى الله تعالى،وكل ما أضافه الله تعالى لنفسه إضافة تشريف كالروح والبيت (المسجد الحرام) والناقة وغيرها مما ذكر في القرآن، مما يدل على أن هذا الزواج فيه شرف لرسول الله ﷺ ثم بين وقارن بين هذا التزويج الشرفي وغيره من الزواج حيث أن هذا التزويج أشرف وأحسن على الإطلاق من تزويج الناس أجمعين مها كان إختيارهم واجتهادهم فلا مقارنة بين تزويج الله تعالى لرسولهﷺ،وتزويج أفضل الناس له كما وقع له

---

[1]- سورة الأعراف، الآية 156

[2]- سورة الشمس، الآية 13

[3]- سورة الهمزة، الآية 06

[4]- أورده السيوطي في الدر المنثور،202/5، وابن جزي في تفسيره، ص563، مصادر سابقة.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص93، 94، مصدر سابق

أنه زوجوه أول زواجه بخديجة رضي الله عنها، وأن هذا التزويج له شرف أنه كان بأمر الله تعالى واختياره تعالى لهذه الزوجة زينب ويعد إكراما لنبيه ﷺ، هذا بالنسبة للنبي ﷺ.

كذلك فيه تشريف لزينب رضي الله عنها وذلك أن الله تعالى اختارها لنبيه عليه السلام.

كذلك أن هذا التزويج فيه مزية على بقية زوجاته ﷺ واستدل على ذلك بقول زينب للنبي ﷺ وسكت وأقر ذلك حيث جمعت ثلاث خصال في هذا التزويج وهي كالآتي:

الخصلة الأولى: أنها أقرب نسبا من نسائه حيث يلتقيان في الجد وهو عبد المطلب.[1]

الخصلة الثانية: أن الله تعالى هو الذي زوجني بك.

الخصلة الثالثة:أن السفير في هذا الزواج هو جبريل عليه السلام الذي يأتي بالوحي للنبيﷺ.

ثم زاد ابن خمير خصلة رابعة وهي:

الخصلة الرابعة: أن قصتها ذكرت في القرآن الكريم فهي قصة خالدة.

حيث أضاف ابن خمير هذه الخصلة الرابعة استنتاجا منه على ورودها في القرآن، فلو لم تذكر في القرآن وذكرت في السنة من خبر الآحاد لترددوا في صحتها وكانت من الأخبار الظنية الثبوت، أما وأنها قد جاءت في القرآن فهي قطعية الثبوت.

ثم انتقل إلى تفسير قوله تعالى:﴿...لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فقال ابن خمير في تفسيرها:"علل الله هذا التزويج ليعلم الناس أن من تبنى أحدا ثم تزوج إمرأته من بعده فلا حرج عليه، فإن من تبناه ليس كإبنه الذي من صلبه، قال تعالى في تحريم أزواج الأبناء للصلب:﴿...وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

[1]- فأمها أميمة بنت عبد المطلب، والنبي ﷺ أبوه عبدالله بن عبد المطلب، فأميمة عمة النبي ﷺ، وعبدالله عم زينب، وعبد المطلب جدهما معا، ينظر: السيوطي في الدر المنثور،203/5، الرازي في الأربعين، ص354، وابن جزي في تفسيره ص562، وأسد الغابة، 95/3، (في ترجمة عبدالله بن جحش أخو زينب)، مصادر سابقة.

أَصْلَابِكُمْ...﴾[1]،وقال:﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ...﴾[2]، فرفع الله الحرج بهاتين الآيتين في التبني..."[3].

حيث بين أن في هذه الآية تحليل وبيان سبب أمر الله نبيه ﷺ بتزويجه من زينب على أنه حتى لا يكون فيه حرج على المؤمنين بعد تحريم التبني فالذين تبنوهم قبل ذلك أصبحوا اليوم غير أبنائهم فإذا ما طلقوا زوجاتهم أو ترملوا فيمكنهم الزواج بهم، وهذا الحكم لا ينطبق على الابن من الصلب وهذا ما زال محرما فلا يجوز الزواج بزوجة الابن الصلب في حالة طلاقها منه واستدل ابن خمير على ذلك بآية تحريم زوجات الأبناء من الصلب في قوله تعالى:﴿...وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ...﴾وهذه الجملة من الآية تابعة لما قبلها حيث بدأت بقوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ...﴾[4] فقد ذكرت الآية المحرمات من النساء في حالة الزواج حيث ذكرت الأمهات، والأخوات والعمات وبنات الأخ وبنات الأخت، إلى غير ذلك ممن ذكرتهم الآية؛ ولكن ابن خمير استدل بالجملة التي تفيده في تفسيره هذه الآية فركز على زوجات البنين من الصلب فهذا محرم في الشرع أما زوجات البنين بالتبني فهذا ليس محرما في الشرع كما ذكرت الآية، ثم استدل ابن خمير بآية تحريم التبني في قوله تعالى:﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ...﴾ فبين أن الابن بالإدعاء عن طريق التبني ليس إبنا حقيقيا بل هو متكفل به ولا تنطبق عليه الأحكام الشرعية الخاصة بالابن الحقيقي الذي هو من صلبه كالميراث والزواج، ثم ختم كلامه بأن الله تعالى رفع الحرج على المؤمنين بهاتين الآيتين

[1]- سورة النساء، الآية 23

[2]- سورة الأحزاب، الآية 04

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص95، مصدر سابق

[4]- سورة النساء، الآية 23

المذكورتين في السابق أي أنه في إمكان الزواج من زوجة المتبني،فهو ليس إبنا من الصلب كما في الآية الأولى﴿..وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ...﴾ ولا إبنا في الحقيقة كما في الآية الثانية ﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ...﴾ وبهذا تم كلامه.

ثم انتقل إلى آخر جملة من الآية من قوله تعالى:﴿...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فقال:"الأمر هنا يحتمل الحقيقة والمجاز، فإن كان الله تعالى أمره بتزوجها فيكون وكان المأمور به مفعولا أي: واقعا في معلوم الله تعالى ويسمى المأمور به أمرا لمناسبة بين الآمر والمأمور فإن الأمر من الله تعالى يستحيل أن يكون مفعولا لكونه يرجع لكلامه الأزلي.

وإن كان الأمر بمعنى المراد على سبيل المجاز، فيكون وكان ما أخبرك الله تعالى به من المراد واقعا إذ ما أراد الله تعالى وقوعه فلا بد من وقوعه".[1]

في هذه الجملة الأخيرة من الآية تحدث فيها ابن خمير من جانبين الأولى لغوي المتمثل في الحقيقة والمجاز والثاني عقائدي المتمثل في صفة الكلام الخاصة بالصفات الألهية، حيث انطلق من الجانب اللغوي وقال أن أمر الله تعالى يحتمل الحقيقة والمجاز كما يلي:

الاحتمال الأول: الحقيقة

حيث بين أن أمر الله تعالى في حالة احتماله على الحقيقة فإن معنى قوله﴿...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ بمعنى: وكان المأمور به مفعولا (والمأمور به هو تزويج زينب بالنبيﷺ) أي واقعا في معلوم الله تعالى ثم بين من الجانب اللغوي أن المأمور به يسمى أمرا للمناسبة بين الأمر والمأمور ثم نفى أن يكون الأمر من الله تعالى مفعولا حيث علل ذلك لكونه يرجع إلى كلامه الأزلي وكلامه تعالى صفة

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص95، مصدر سابق

من صفاته الأزلية وهو ليس بمخلوق، حتى لا يفهم أن المأمور به مفعولا بمعنى حادث ومخلوق[1] وهذا الفهم نفاه ابن خمير في هذا الاحتمال.

الاحتمال الثاني: المجاز

أما من ناحية المجاز اللغوي حيث بين أن المقصود بالأمر في قوله ﴿...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي وكان ما أخبرك الله تعالى به من المراد واقعا إذا ما أراد الله تعالى وقوعه فلا بد من وقوعه حيث تطرق ابن خمير إلى مسألة القضاء والقدر[2] في العقدية فإذا كان قضاؤه وقدره فيك فإنه سيقع لا محالة، وهذا ما وقع حيث تم تزويج زينب بالنبيﷺ.

فكلا الاحتمالين واقعين في الآية حيث وفق ابن خمير بين الاحتمالين من الجانب اللغوي والجانب العقائدي وقد وفق في تفسيره للآية وبها دعم دفاعه عن النبي ﷺ وأبعد عنه الشبهات والمقالات الفاسدة.

خامسا: فوائد القصة

بعد شرح ابن خمير للآية استخلص منها فوائد عدة وقد عدها خمس عشرة فائدة فقال: "فتأمل رحمك الله، هذه القصة العجيبة فإنها تتضمن خمس عشرة فائدة منها في جانب الرسول ﷺ ستة:..."[3]،حيث صنف هذه الفوائد على حسب شخصيات القصة وأبرزهم الرسولﷺ لأنه هو المقصود بهذه الآية وكذلك أن الشبهات والأقاويل دارت حوله دون زينب وزيد فبدأ به ابن خمير.

[1]- وهذه المسألة معروفة في مسألة خلق القرآن وكان لابن خمير موقفا منها ورد على القائلين بخلق القرآن، ينظر الفصل التمهيدي مواقفه من مسائل عقدية (المبحث الثاني، السيرة الذاتية)، للتفصيل أكثر ينظر: مقدمات المراشد، ص 149

[2]- وهذه المسألة تعرض لها ابن خمير، ينظر الفصل التمهيدي مواقفه من مسائل عقدية (المبحث الثاني، السيرة الذاتية) للتفصيل أكثر ينظر: مقدمات المراشد، ص 170

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص95-97، مصدر سابق

1. الفوائد في جانب الرسول ﷺ

الفائدة الأولى: الإعجاز الإخباري في القرآن الكريم من خلال هذه القصة فأخبر فوقع بما أخبر به وفي حياة النبي ﷺ والأمر كان خاصا به قال ابن خمير (المعجزة في إخباره بالغيوب فوقعت كما أخبر عنها).

الفائدة الثانية: من أخلاقه ﷺ التواضع ويتمثل في هذه القصة حيث زوج قريبته بعبده قال ابن خمير (تواضعه عليه السلام أن زوج كريمته بعبده).

الفائدة الثالثة: طاعته لحكم الله تعالى بأن تزوج زينب بعد زيد قال ابن خمير(انقياده لأمر الله في تزويجها بعده).

الفائدة الرابعة أن هذا الزواج يعتبر سنة طبقها النبي ﷺ في حياته قولا وفعلا وأثبتها القرآن قال ابن خمير (إثبات هذا التزويج سنة).

الفائدة الخامسة: تكميم أفواه المتكبرين وعدم لومهم لما فعله النبي ﷺ، لأنه أشرفهم فلا حرج عليهم الاقتداء به في هذا الأمر، قال ابن خمير:"قمع المتكبرين وإرغام أنوفهم في هذه السنة"

الفائدة السادسة: فيه دحض الرأي القائل بأن ما حسنه العقل فهو حسن مشروع وما قبحه العقل فهو قبيح غير مشروع قال ابن خمير:"في الرد على من قال بتحسين العقل وتقبيحه"

2. فوائد الآية في جانب زيد رضي الله عنه

انتقل ابن خمير بعد عرضه للفوائد في جانب الرسول ﷺ إلى الفوائد الخاصة بزيد رضي الله عنه قال ابن خمير:"والتي من جانب زيد أربع،...".[1] فقد أحصاها ابن خمير في أربع فوائد وهي كالآتي:

الفائدة الأولى: إخباره بسلامة العاقبة والختام الحسنة فمات مؤمنا قال ابن خمير:"بشارة الرسول ﷺ له بسلامة عاقبته".

[1]- سيرة ابن هشام،16/4،مصدر سابق،ينظر:البوطي، فقه السيرة،(د.ط)،دار الشهاب، باتنة، الجزائر،1985م،ص350

الفائدة الثانية: حصوله على الشهادة ولقب الشهيد في غزوة مؤتة[1] قال ابن خمير:"موته شهيدا بين الصفين".

الفائدة الثالثة: تبشير النبي ﷺ الصحابة بأن زيدا في الجنة قال ابن خمير:"ما أخبر عنه النبي ﷺأنه رأه في الجنة".

الفائدة الرابعة: ذكره في القرآن باسمه زيد دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم قال ابن خمير:"تسميته في الكتاب بالعلمية على الخصوص".

3. فوائد الآية في جانب زينب رضي الله عنها

انتقل ابن خمير إلى فوائد القصة في جانب زينب أم المؤمنين رضي الله عنها وعدها خمس فقال:"والتي في حق زينب رضي الله عنها خمس:..." ثم عرض هذه الفوائد وهي كالآتي:

الفائدة الأولى: اختيار الله تعالى زينب زوجة للرسول ﷺ فقال:"أن الله تعالى رضيها لنبيه ﷺ أهلا".

الفائدة الثانية: أنها أصبحت بعد زواجها من النبي ﷺ يطلق عليها أم المؤمنين فقال:"أن صيرها أم المؤمنين"

الفائدة الثالثة: أن الوسيط في زواجها بالنبي ﷺ هو جبريل عليه السلام فقال:"أن كان خطيبها جبريل عليه السلام"

الفائدة الرابعة: ذكر أن ولي أمرها الله تعالى فقال: "أن كان وليها رب العالمين".

الفائدة الخامسة: أن القرآن الكريم خلد هذه القصة بحيث يتلوها جميع المسلمين والقراء منهم والحافظين وخصوصا في صلاة التراويح كل عام وخاصة في الإذاعات والقنوات التلفزيونية الخاصة بالتلاوة،وفي مسابقات الترتيل والتجويد والإقرأ بالإجازات وبالقراءات السبعة المشهورة فهي نعمة

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص96، مصدر سابق

القصة الخالدة قال ابن خمير:"أن كانت قصتها قرآنا يتلى" فأصبحت قصتها جزء من القرآن الكريم وهو أعظم كلام على الإطلاق وأصدقه وأثبته كما ذكر ابن خمير أن قصتها (قرآن يتلى).

وفي نهاية كلامه بين أن هذه الفوائد الخمس عشرة ثابتة في هذه القصة وشاملة للرسول ﷺ ولأمته إلا ما سهي عنه أو غفل عنه فقال:"فهذه خمس عشرة فائدة صحت في هذه القصة شاملة لرسول الله ﷺ ولأمته سوى ما أغفله الخاطر".[1]

ثم وصف أصحاب المقالات الفاسدة وأصحاب الشبه بالجهلة مثلهم مثل الذي يخبط خبط عشواء كما تضرب به العرب المثل لمن لا يمشي على هدى فقال:"والجهلة يخبطون عشواء[2] الدجون[3]...".[4]

وختم كلامه بأن هذا كله نعمة من الله تعالى منها عليه من الاستنباط والفهم الجيد في تأويل القصص القرآني الخاص بالأنبياء عليهم السلام فقال:"فهذا ما من الله تعالى به من ثمرات النظر في هذه القصص الأربع[5] في حق السادة القادة صلوات الله عليهم".[6]

ثم توجه إلى الله تعالى بالدعاء وطلب العفو مما قد وقع فيه من الخطأ سهوا مع التحفظ في سيرة الأنبياء عليهم السلام فقال:"ونسأل الله تعالى، مع هذا التحفظ على مناصبهم السنية ومناقبهم الرضية، العفو عما وقع فيها من الخطأ والخطل بحوله وطوله"[7]، وهذا أخر كلام له في شرحه

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص97، مصدر سابق

[2]- إشارة للمثل العربي(يخبط خبط عشواء)،ينظر:مجمع الأمثال للميداني، 62/1، مصدر سابق، قال زهير ابن أبي سلمى: رأيت المنايا خط عشواء من تصب....، ديوان زهير، صنعة الأعلم، ص25،وشرح الديوان لعلي فاعور، ص110،ومعجم الأبيات الشهيرة، ص217، مصادر سابقة.

[3]- الدجون: الغيوم مختار الصحاح ص114 مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص96، مصدر سابق

[5]- قصة داود وسليمان ويوسف ومحمد عليهم السلام التي سبق شرحها بالترتيب المذكور

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص97، مصدر سابق

[7]- المصدر السابق، ص95

لقصص الأنبياء عليهم السلام ولكونها القصة الأخيرة من القصص الأربع التي ذكرها بالشرح ورد شبهاتها.

النموذج الثالث:عصمة الأنبياء من أمراض النفوس

فقد عصمهم الله تعالى من الأمراض الباطنية التي مصدرها النفس والقلب كالحسد والبغض إلا البغض في الله تعالى ومن أجل دينه، وغلظة القلب وقد نفى عنهم القرآن ذلك سنرتب الحديث بإيراد الأدلة ثم الشبهات والرد عليها

أولا: الأدلة

سنورد الأدلة من الكتاب والسنة وسيرة الأنبياء عليهم السلام على عصمتهم من أمراض النفوس

1- من القرآن:

سنورد الآيات الدالة على عصمتهم من أمراض النفوس

- قوله تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾.[1]

قال صاحب التفسير الوجيز[2] في شرح الآية:"أيها الرسول إن اللين في معاملة قومك ما كان إلا بسبب رحمة وضعها الله في قلبك،لتأليف القلوب ونشر الدين، ولو كنت قاسي القلب لا شفقة عندك، لانصرف قومك من حولك وتفرقوا عنك"[3]مما يدل على صفا قلبه ﷺ من أمراض القلوب، وقد وصفه ربه وصفا جامعا مانعا ظاهرا وباطنا فقال:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[4] ووصف

[1]- سورة آل عمران، الآية 159.

[2]- وهو الدكتور وهبة الزحيلي المعروف بمؤلفاته في التفسير والأصول.

[3]- الزحيلي، التفسير الوجيز، ص72، مصدر سابق

[4]- سورة القلم، الآية 4.

موسى عليه السلام بوصف دال على صفا قلبه ونفسه فقال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [1] وقوله: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.[2]

2- من السنة:

فقد جمع النبي ﷺ جميع خصاله ظاهرا وباطنا في قوله:"أدبني ربي فأحسن تأديبي"[3]، مما يدل على صفا قلبه وسريرته ﷺ قال صاحب كتاب (رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ) معلقا على هذا الحديث:"وهو الذي نشأ في بيئة سيطرت عليها الجاهلية، سيطرة كاملة في مجال العقيدة والفكر وفي مجال الأخلاق والسلوك، وطبعت الناس بطابعها البغيض حتى لا تكاد تجد إنسانا يسلم من وراثة البيئة، وعدوى التقاليد الجاهلية الموروثة عن الآباء والأجداد، فكيف نجا سيدنا رسول الله ﷺ من تلك المؤثرات القوية؟..."[4]،ثم يواصل ويجيب عن هذا التساؤل فيقول: "..إنك لا تستطيع أن تدرك سر كمال عقله وعقيدته وأخلاقه،وبراءته من كل نقائص ومثالب بيئته التي نشأ إلا أن تقول:(إنه الإعداد الإلهي للنبوة)لقوله تعالى:﴿...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ..﴾.[5] إنها العصمة الربانية! تلك التي حفظته من بيئة الجاهلية أربعين عاما،..."[6]، فهذا الحديث ترجم واقع سيرة النبي ﷺ في قومه قبل البعثة وبعدها ولقبه قومه بالصادق الأمين قال ابن خمير:"ثم إن الله تعالى أن يعتب أنبيائه وأصفيائه، ويؤدبهم كما تقدم ويطلبهم بالنقير والقطمير،من غير أن يلحقهم

[1]- سورة طه، الآية 41.

[2]- سورة طه، الآية 39.

[3]- أخرجه العجلوني في كشف الخفاء برقم164، مصدر سابق

[4]- الشربيني، رد الشبهات، ص76، مصدر سابق

[5]- سورة الأنعام، الآية 124.

[6]- الشربيني، رد الشبهات، ص76، مصدر سابق

في ذلك نقص من كمالهم، ولا غض من أقدارهم حتى يتمحصوا للعبودية، والقيام في نطاق الخدمة، والقعود على بساط القربة".[1]

3- من سيرة الأنبياء عليهم السلام:

سنورد نماذج مما عصمهم الله في هذا المجال من أمراض النفوس كالحسد والغلطة وغيرها مما لا يليق بهم في هذا المجال.

منها في قصة يونس عليه السلام فيما يخص مسألة الغضب عندما ورد لفظ (مغاضبا) في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾ [2]، والنبي عليه السلام لا يغضب لنفسه وإلا لله تعالى ومن أجل دين الله تعالى، فقد أورد ابن خمير هذه القصة وبين معنى لفظ (مغاضبا) والغضب من الأمور النفسية وقد نهى عنه الشرع في قوله ﷺ "لا تغضب ولك الجنة".[3]

وعرفه الجرجاني بقوله"الغضب: تغير يحصل عند غليان دم القلب، ليحصل عنده التشفي للصدر"[4]، وفي شأن يونس عليه السلام قال ابن خمير:"أما مغاضبته عليه السلام فكانت لقومه لا لربه ولا يجوز ذلك عليه، وأنى وقد جاء في الخبر (والذي نفسى بيده لو لم يبلغ نبي الرسالة إلى قومه لعذب بعذاب قومه أجمعين)[5]،نقل على المعنى،وإنما كانت لقومه لما نال منهم من الأذية،فاحتمل آذاهم حتى ضاق صدره ويئس من فلاحهم، ففر بنفسه بعدما بلغ غاية التبليغ كما أمره الله تعالى، ثم غلب ظنه لسعة حلم الله تعالى ألا يطلبه بذلك الفرار لكونه قد أدى ما عليه".[6]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص119 مصدر سابق

[2]- سورة الأنبياء، الآية 87

[3]- أخرجع البخاري في صحيحه برقم 116، مصدر سابق

[4]- الجرجاني، التعريفات، ص163، مصدر سابق

[5]- لم أعثر على تخريجه

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص158، مصدر سابق

حيث بين أن الغضب الذي صدر من يونس عليه السلام كان على قومه عندما أوذي من قبلهم في سبيل تبليغ رسالة ربه، فضاق صدره ولم يتحمل الأذى ففر منهم بعدما بلغ، فالغضب هنا وفي هذه الحالة لم يكن مرض نفسي دائم وإنما حالة استثنائية لأجل الدين.

ثانيا:الشبهات الواردة حول هذا النموذج

حيث أورد ابن خمير شبهة واحدة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام في النفس الأمارة بالسوء على شكل تساؤل حول الآية في هذه المسألة أن عبارة(أن النفس أمارة بالسوء)هل هي منسوبة ليوسف عليه السلام أم إمرأة العزيز، حيث أورد هذا الإعتراض ثم رد عليه.

1- إيراد الشبهة:

وهذا اعتراض أورده ابن خمير يحتمل قوله فقال:"فإن قيل: فإذا لم يتصور في حق يوسف عليه السلام ذنب ولا عتب فلأي شيء قال بعدما أنصفته إمرأة العزيز وأقرت بفعلها:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي...﴾ [1]...".[2]

2- الرد على الشبهة:

هذه الشبهة المتوقعة والمحتملة لدى ابن خمير عندما طرح تساؤلا قد يتبادر في أذهان أصحاب الشبهة كما قالوا في غيرها حيث رد عليهم بما يلي فقال: "قلنا: ومن أين لك أن تقول إنه قالها والآية تقتضي أنها من قول إمرأة العزيز! أنه لما تأدب معها بآداب الأحرار حيث قال لرسول الملك:﴿...ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾ [3]، فخلطها

[1]- سورة يوسف، الآية 53.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص79-80، مصدر سابق

[3]- سورة يوسف، الآية 50.

معهن وذكر فعلهن وأضرب عن ذكر فعلها فتناصفت هي وأقرت بأنها راودته فقالت:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾ [1]، على أنه لو ثبت أنه قالها لخرجت له أحسن مخرج،وذلك أنه لما أنصفته بإقرارها وتبرئته قال هو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي..﴾على أصل الجواز لا على نفس الوقوع،كما قال الخليلعليه السلام ﴿...وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [2]، وهو قد أمن بالعصمة من عبادتها، وقال تعالى لنبينا عليه السلام:﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾ [3]، وهو تعالى قد شاء ألا يذهبه والعصمة والنزاهة له على كمالها..."[4]، حيث رد ابن خمير على هذه الشبهة المحتملة وإن لم يصرحوا بها فتسأل كيف يقر يوسف عليه السلام وهو الصديق المعصوم بأن نفسه أمارة بالسوء، ثم رد ابن خمير على هذا التساؤل المحتمل بأحسن رد وذلك في وجهين أثنين وهما كالآتي:

الوجه الأول:(أنه ليس من قوله) وإنما من قولها حيث برهن أن هذه المقولة ليست من قول يوسف عليه السلام، وإنما هي مقولة إمرأة العزيز والدليل على ذلك أنه لما خاطب رسول الملك بقوله ﴿...ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾ فذكر فعل النسوة دون ذكر فعل إمرأة العزيز فلما سمعت ذلك أنصفته وأقرت بفعلتها واتهمت نفسها بأنها أمارة بالسوء فقالت﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾ بعدما أقرت بأنها هي التي راودته وهذه المقولة جاءت بعد قولها: ﴿...الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾ [5]، وهي تواصل في إقرارها وتبرئة يوسف عليه السلام إلى أن قالت ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾، وفي هذه المقولة أقرت كذلك أنه صادق فقالت: ﴿...وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[6]

---

[1]- سورة يوسف، الآية 53.

[2]- سورة إبراهيم، الآية 35.

[3]- سورة الإسراء، الآية 86.

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص79-80، مصدر سابق

[5]- سورة يوسف، الآية 51.

[6]- سورة يوسف، الآية 51.

وكذلك إقرار النسوة بأنه بعيد عن السوء :﴿...قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ...﴾ [1] فهذه الشهادات تدل على براءته من الشبهات.

الوجه الثاني: (على إفتراض أنها من قوله)

ثم افترض ابن خمير أن المقولة من قوله فقد أوّلها تأويلا حسنا وأخرجها في مخرج حسن يليق بمنصب النبوة، فبين أنه لو افترضنا أنه قالها فإنه على أصل الجواز لا الوقوع أي أنه يجوز أن يقولها وهو جائز عقلا ولكن لم تقع، لأن الله تعالى عصمه من النفس الأمارة بالسوء ونفوس الأنبياء عليهم السلام من صنف النفس المطمئنة[2] وهي في أعلى مستويات النفوس البشرية ثم استدل ابن خمير بآيتين في حق نبيين عليهما السلام الأول سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء والثاني محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام ففي حق الأول استدل بقوله تعالى:﴿ ..وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.[3]فعلق ابن خمير على ذلك بقوله(وهو قد أمن بالعصمة من عبادتها)يقول الرازي في تفسير هذه الآية:"لا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز الكفر على الأنبياء عليهم السلام بعد نبوتهم فكانت هذه الآية محمولة على هضم النفس، وإظهار الخضوع"[4] يقول في موضع آخر:"هذه الآية مؤوّلة بإجماع الأمة لعدم جواز الكفر على الأنبياء ويجب حملها على هضم النفس وكسرها وإظهار الإنابة والابتهال".[5]

وفي حق الثاني استدل بقوله تعالى:﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾.[6] ثم علق عليها بأن الله تعالى إقتضت مشيئته ألا يذهبه عليه وقد وقع ذلك من أول آية نزلت إلى آخرها، لأن الله

---

[1]- سورة يوسف، الآية 31.

[2]- ينظر: الحديث عن عصمة الأنبياء في الأخلاق النفسية من المبحث الأول من الفصل الثاني

[3]- سورة إبراهيم، الآية 35.

[4]- كتاب الأربعين، ص336، مصدر سابق

[5]- الفخر الرازي، عصمة الأنبياء، ص68، تح: مجموعة من العلماء، دار بإشراف الناشر.

[6]- سورة الإسراء، الآية 86.

تعالى عصم نبيه من ظاهرا وباطنا ونزهه من الأخلاق الذميمة والرذيلة ما ظهر منها وما بطن وفي نهاية رده على الشبهات السابقة أتم كلامه بقوله:"فليت شعري إذا كان للتأويل في هذه القصة وأمثالها مجرى سحب ومجال للسلامة رحب فما بالهم يضيقون هذا الواسع لولا الفضول؟!..."[1].حيث تمنى ابن خمير من الذين لا يجدون مجالا لتأويل مواقف الأنبياء عليهم السلام تأويلا حسنا يليق بمقامهم فلماذا يضيقون واسعا ويقفون على ظواهر النصوص ولا يتعبون أنفسهم في البحث والتدقيق لإيجاد حلول لهذه المسائل المعقدة ولكن الفضول والاشتغال بالبحث عن العيوب والنقائص والشبهات يدفعهم إلى طرحها دون خجل وذلك للطعن في الأنبياء عليهم السلام ومنصب النبوة، والله تعالى قد عصمهم ونزههم وبرأهم من كل عيب إلا من بعض الأعراض البشرية كالسهو والنسيان كما ذكرنا ذلك سابقا[2] وذلك لإثبات بشريتهم وعدم رفعهم لمقام الآلوهية كما فعل بعض الأقوام بأنبيائهم كعيسى عليه السلام عندما آلهوه وعبدوه من دون الله تعالى لقوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ...﴾.[3] فحاشى للأنبياء عليهم السلام أن يأمروا الناس بأن يتخذوهم آلهة، ولكنهم أمروا أن يدعوا الناس لعبادة الله تعالى الواحد.

النموذج الرابع: عصمتهم من كيد الشيطان

قال عياض:"وأعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه،لا في جسمه بأنواع الأذى كالجنون والإغماء، ولا على خاطره بالوساوس"[4]، وفي هذا النموذج سنعرض الأدلة على عصمتهم من كيد الشيطان ثم نورد الشبهات والرد عليها من قبل ابن خمير.

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص81، مصدر سابق

[2]- ينظر: الفصل الأول: الأعراض البشرية

[3]- سورة المائدة، الآية 116.

[4]- الشفا، 111/2، مصدر سابق

أولا: الأدلة

سنورد الأدلة على ذلك من القرآن والسنة والسيرة الأنبياء عليهم السلام.

1- الدليل من القرآن:

- قوله تعالى:﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.[1]
- قوله تعالى:﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.[2]

حيث بين في الآية الأولى بأن الشيطان ليس له سلطان على إرادة الإنسان بصفة عامة والأنبياء عليهم السلام أرفع الناس منزلة فهم من باب أولى.

والآية الثانية استثنى المخلصين والأنبياء عليهم السلام هم في الدرجة الأولى من المخلصين.

قال الرازي في تفسيرها:"استثنى المخلصين من إضلاله وإغوائه، ثم إنه تعالى شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنهم من المخلصين حيث قال:﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [3] وقال في حق يوسف عليه السلام ﴿... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [4]، ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصل إليهم وذلك يوجب القطع بعدم صدور المعصية عنهم".[5]

- قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [6]، قال الرازي في شرحها:"فذلك القوم الذين لم يتبعوا إبليس إما يقال: (إنهم هم الأنبياء عليهم السلام أو غيرهم) فإن كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل من الأنبياء لقوله تعالى:﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

[1]- سورة الإسراء، الآية 65.
[2]- سورة ص، الآيتين 82، 83.
[3]- سورة ص، الآية46.
[4]- سورة يوسف، الآية24.
[5]- كتاب الأربعين، ص325، مصدر سابق
[6]- سورة سبأ، الآية 20.

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [1]، وتفضيل غير النبي على النبي باطل بالإجماع، فوجب القطع بأن أولئك الذين لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء عليهم السلام وكل من أذنب فقد اتبع إبليس، فدل على أن الأنبياء عليهم السلام ما أذنبوا البتة".[2]

- قوله تعالى:﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ(19) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ(20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(21) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [3]، قال الرازي في شرحها:"إنه تعال قسم المكلفين إلى قسمين حزب الشيطان وحزب الله، ولا شك أن حزب الشيطان هم الذين يفعلون ما يريده الشيطان ويأمرهم به فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لصدق عليهم أنهم حزب الشيطان ولصدق عليهم قوله تعالى:﴿...أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [4]، ولصدق على الزهاد من أحاد الأمة قوله تعالى:﴿...أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [5]، وحينئذ يلزم أن يكون كل واحد من أحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء عليهم السلام ولا شك في بطلان ذلك".[6]

2- الدليل من السنة:

---

[1]- سورة الحجرات، الآية 13.

[2]- كتاب الأربعين، ص325، مصدر سابق

[3]- سورة المجادلة، الآية 19-22

[4]- سورة المجادلة، الآية 19.

[5]- سورة المجادلة، الآية 22.

[6]- كتاب الأربعين، ص325، مصدر سابق

سنورد أحاديث الدالة على عصمتهم في هذا النموذج

- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينة من الملائكة، قالوا: (وإياك يا رسول الله)، قال:(وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)"[1]، حيث بين أن القرين من الجن وهو الشيطان لا يأمره بالسوء وهذه حالة خاصة للأنبياء عليهم السلام فقد كفاهم الله تعالى من كيد الشيطان وجنوده وهنا تكمن عصمتهم من الشيطان وقرناء السوء.
- وقوله ﷺ:"إن عيسى عليه السلام كفى من لمسة فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب"[2]، يبين الحديث أن أي مولود عند ولادته يأتيه الشيطان ويطعن في خاصرته فيصرخ إلا عيسى عليه السلام فلم يستطع أن يطعن في خاصرته فطعن الشيطان في حجابه وهو دليل عصمته الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام.

3- الدليل من سيرة وقصص الأنبياء عليهم السلام:

سنورد أدلة من قصصهم على عصمتهم من الشيطان

- **حادثة شق الصدر**:أخرج مسلم في صحيحة عن أنس بن مالك ﷺ قال:"أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال:(هذا حظ الشيطان منك)،ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لمه، ثم أعاده في مكانه،وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره)[3] فقالوا:(إن محمدا قد قتل)، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: (وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)"[4]،فحادثة

[1]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 2814، مصدر سابق

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 3286، مصدر سابق

[3]- أي مرضعته وحاضنته، ينظر: المصباح، ص242

[4]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 162، مصدر سابق

شق الصدر معروفة في كتب السيرة[1]وهي تدل على طهارة قلب النبي ﷺ من كيد الشيطان ووسوسته وكل ما يحمله القلب من أمراض القلوب والنفوس مما يدل على عصمة الأنبياء في الباطن.

- **قصة تعرض الشيطان للنبي ﷺ بشهاب:** روي عن عبد الرحمان بن خنبش رضي الله عنه لما سئل كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين، قال: "تحدرت عليه الشياطين من الجبال والأودية يريدون رسول الله ﷺ قال: وفيهم شيطان وبيده شعلة من نار، يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ فلما رآهم رسول الله ﷺ فزع منهم فجاء جبريل عليه السلام فقال: (يا محمد قل) فقال: (ما أقول؟) قال: (قل: أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرا وبرا، ومن شرفتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا بخير يا رحمان) قال:(فقالهن، فطفئت نار الشياطين، وهزمهم الله عز وجل).[2]

ثانيا: الشبهات في هذا النموذج

أورد ابن خمير شبهات في عصمة الأنبياء عليهم السلام في هذا النوع الخاص بالأمور الباطنية ومجال الأخلاق القلبية والنفسية ورد عليها من القرآن والسنة وسيرة الأنبياء عليهم السلام وما أورده القرآن في قصصهم وسنرتب هذه الشبهات ونوردها مع الرد عليهم من قبل ابن خمير.

الشبة في قصة أدم عليه السلام مع الشيطان:

أوردت قصة آدم[3]عليه السلام في مبحث سابق عند حديثي عن تنزيه الأنبياء عليهم السلام من فعل الذنوب[1]، وسنقتصر على علاقته بالشيطان فقط حيث نورد الشبهة أولا ثم الرد عليها.

---

[1]- ابن هشام،189/1، الرحيق، ص38، وفقه السيرة للبوطي، ص62، والحادثة أخرجها ابن حبان في صحيحه رقم 6334، مصادر سابقة.

[2]- أورده البيهقي في دلائل النبوة، 95/7، مصدر سابق

[3]- ينظر: المطلب الثاني للمبحث الثاني من الفصل الثاني (المجال الفعلي، موقف ابن خمير من الفريقين)، ينظر كذلك،قصص القرآن، العلوش، ص14، وابن الجوزي، ص273، مصادر سابقة

1- إيراد الشبهة

أورد الطاعنون في قصة آدم عليه السلام شبهة كيد ووسوسة الشيطان له وإغوائه قال ابن خمير: "اختلف الناس في هذه القصة اختلافا لا يكاد ينضبط، وذلك لأن الله تعالى ما نص على معصية لنبي إلا آدم عليه السلام خصوصا، فلما كان ذلك وجد أهل الدعاوي وأهل الحيرة مع ما دهاهم من عدم التحقيق وكيد الوسواس سبيلا إلى الإخلال بحقه عليه السلام،...، وهذه وصمة تجر إلى تنقيصه وتنقيص من بعده من الأنبياء عليهم السلام وهو مقصودهم في ذلك وشرحوا قوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتهما...﴾ [2]،أنهما لما عصيا سلب الله عنهما أنوار الربوبية الروحانية التي كانت عليهما منه-تعالى عما يصفون-فظهر لهما الجسم الترابي المجبول على المعصية، وفعلها إذ ذاك أنه منه أتى عليهما، فأوجبوا المعاصي للأجسام الترابية وأنبياء الله تعالى كلهم أجسام ترابية وهي ظاهرة لهم"[3]، قال ابن خمير معلقا على ذلك:"وهذا أقل ما نسبوه لأدم عليه السلام". [4]

ثم تسأل ابن خمير في تفسيرهم للآيات التي لها علاقة بالشيطان فقال:"فإن قيل:إذا خرجتم هذه الألفاظ على هذه الوجوه فما قولكم في قوله تعالى:﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا...﴾ [5] وفي قوله:﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ...﴾ [6]،إلى غير ذلك.."[7]،حيث ركز ابن خمير تساؤله هذا عن علاقة الشيطان وكيده ووسوسته لآدم عليه السلام ثم تكفل بالرد على هذه الشبهة التي سنورده فيما يلي:

---

[1]- الفصل الثاني، المبحث الثاني، المطلب الأول (المجال الفعلي)

[2]- سورة الأعراف، الآية 22.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص100، مصدر سابق، وكررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص257.

[4]- المصدر نفسه

[5]- سورة البقرة، الآية 36.

[6]- سورة الأعراف، الآية 22.

[7]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص104، مصدر سابق

2- الرد على الشبهة

رد ابن خمير على الشبهة السابقة بما يلي حيث قال:"فنقول: تخرج هذه الألفاظ أيضا على جهة قصد الشيطان، والتعريض بالوسوسة إليه لا على قصد القبول من آدم عليه السلام لوسوسته وخدعه، فإن الشيطان قد يوسوس إلى الأنبياء ولكن لا يقبلون منه، قال تعالى لنبينا عليه السلام:﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾.[1]، وقال له:﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [2]"[3]، هنا فقد رد ابن خمير على هذه الشبهة بأن الشيطان يتعرض للأنبياء عليهم السلام بالكيد والوسوسة، ولكن لا يطيعونه في ذلك ولا يستطيع أن يسيطرعلى إرادتهم وتوجيه أفعالهم حيث بين أن الوسوسة واقعة ولكن لا يقبلون ذلك لأن الله تعالى عصمهم منه.

ثم يواصل ابن خمير دفاعه عن آدم عليه السلام ودفع شبهة وسوسة الشيطان له وأكله من الشجرة فيقول:"فنقول: التخلص منها عند أهل الحق إن شاء الله: أن الله تعالى نهاه على جهة الإرشاد والإعلام والنصيحة لا على نهي التكليف، ووسوس إليه الشيطان على جهة الإغواء والحسد والمكر فلم يقبل منه، ثم أنساه الله تعالى بعد ذلك إرشاده إياه ووصيته له، ووسوسة الشيطان إليه، فأكل منها غافلا عن الوصية والوسوسة"[4]، حيث بين ابن خمير أن الشيطان تعرض لآدم عليه السلام بالوسوسة قصد إغوائه حسدا منه ومكرا ولكن آدم عليه السلام عصمه الله تعالى منه بحيث لم يقبل منه ذلك ولكن بعد مدة طويلة نسي آدم عليه السلام الوسوسة فأكل من الشجرة ناسيا وغافلا عن الوسوسة لا على أساس قبولها لأنه لو قبلها لكان أكله منها في الحين لا بعد حين بدليل قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ

---

[1]- سورة الأعراف، الآية 200.

[2]- سورة المؤمنون، الآيتين 97، 98.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص104، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص105، مصدر سابق

عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [1]، قال ابن خمير في تفسيرها"يعني: عهدنا إليه في أمر الشجرة فنسي العهد، فأكل منها من غير عزم على أكلها..".[2]

يواصل ابن خمير دفاعه عن آدمعليه السلام ورد شبهة وسوسة الشيطان له وكيده فقال:"فنقول:دليلنا على ذلك أنه لو قصد إرتكاب نهي الله تعالى، وترك نصيحته له مراعاة لمكيدة الشيطان ومكره به وقبوله منه، فأكل منها متعمدا نصيحة قول اللعين، تاركا لوصية الله ونهيه متعمدا لتركها لكان متهما لخبره تعالى مفندا لحكمه، مرتكبا لنهيه، وهذه كانت فعلة الشيطان عند إمتناعه من السجود وبها حكم بكفره، فمن إعتقد هذا في حقهعليه السلام فقد رماه برجام[3]،الكفر والابتراك[4]،في أوضار[5]، الجهل، ودحض الزلات، فأما ما كان يبترك فيه من الجهالات ففي تقليده عدوه الشيطان، وقبول قوله من غير دليل في أنها شجرة الخلد التي توجب الملك الدائم والحياة الدائمة وهذا هو القول بالطبع، فإنه لا يخلو أن تفعل الشجرة ذلك باختيارها أو توجبه لنفسها ومحال أن تفعل باختيارها فإنها جماد،ولو قدرت حيا لم يصح فعلها في غيرها،فإن القدرة الحادثة لا تتعلق بما خرج عن محلها، فلم يبق إلا الطبع،والقول به كفر،فمن قال:(إنه أكلها قاصدا) لما ذكرناه، ألزم إعتقاد وقوع هذه الجهالات كلها من آدم عليه السلام وهي لا تجوز عليه،فإنها تؤدي إلى الكفر الصراح، ومعلوم من دين الأمة أنه ما كفر نبي قط،ولا جهل بالله تعالى، ولا سجد لوثن..."[6]،فقد بين ابن خمير أنه لو افترضنا أن أكله من الشجرة متعمدا لكان استجابة لوسوسة الشيطان ومن إعتقد ذلك فقد اتهم آدم عليه السلام في عقديته وأنه كان مقلدا لعدوه الشيطان وقابلا لمقولته بأن الشجرة هي

[1]- سورة طه، الآية 115.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص105، مصدر سابق

[3]- الرجام: كناية عن القذف بالحجر، المختار، ص132، مصدر سابق

[4]- الابتراك: ملازمة الموضع، مختار الصحاح، ص36، مصدر سابق

[5]- أوضار: الأوساخ، المصباح المنير، ص416، مصدر سابق

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص106، مصدر سابق

شجرة الخلد دون دليل مما ينتج عنه القول بالطبع بحيث أنها تؤثر فيه ويخلد في الحياة ويعطى الملك الدائم حسب قول الشيطان وهذا لم يصدر من آدم عليه السلام ثم ختم كلامه بأن أكد بأنه معلوم في دين الله تعالى منذ خلق آدم عليه السلام أنه ما كفر نبي قط ولا إعتقد ما يخالف دين الله تعالى،وأنه لا يجوز إعتقاد أن الأنبياء عليهم السلام أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمان فهم أرفع الناس قدرا وأقربهم لله تعالى وأعلم الناس بالله تعالى وصفاته وما يجب اعتقاده فيه وما يستحيل عنه تعالى وما يجوز في حقه تعالى وهم معلمي البشر وسفراء الله لخلقه فكيف للبشر إتهامهم بالانحراف وقد أكد الله تعالى لآدم بأن الشيطان عدو له ولذريته وأن يتخذه عدوا له.

يواصل ابن خمير في دفاعه عن آدم عليه السلام وعلاقته بالشيطان ودحض الشبه حوله بقوله: "فإن قيل: (ولعله كان يعتقد أن إبليس أعلمه بأنه من أكل منها يخلد في الجنة بإرادة الله تعالى لا بالطبع والإيجاب!)

قلنا: (باطل)، فإن الله تعالى أعلمه قبل ذلك بنقيض قول الشيطان في أن الأكل منها سبب الخروج، فلو إعتقد الخلود فيها إذا أكل من الشجرة بقول الشيطان لكان مكذبا للخبر السابق من الله تعالى، وهو الذي فرغنا من استحالته عليه، فلم يبق إلا أنه أكل منها ناسيا..."[1]، فقد طرح ابن خمير تساؤلا محتملا مفاده بأنه قد يكون آدم عليه السلام معتقدا بأن إبليس له علم بأن من أكل من الشجرة يخلد في الجنة بإرادة الله تعالى ثم رد عن هذا التساؤل بأن آدم عليه السلام أعلمه الله تعالى بأن الأكل منها يسبب له الخروج منها مما نستنتج بأن اعتقاده الأول في مقولة إبليس ليس صحيحا بدليل لو صحت لكان مكذبا لخير الله تعالى وهذا لا يصح منه عليه السلام وهذه عدة احتمالات ساقها ابن خمير لمن يخطر بباله عدة تساؤلات وأجاب عنها ووصل إلى نتيجة أن أكل آدم من

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص107، مصدر سابق

الشجرة كان ناسيا لا متعمدا بدليل الآية السابقة الذكر ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.[1]

بهذه الردود فند ابن خمير إتهامات بعض الناس لآدم عليه السلام، ورد على الشبهات حوله برد منطقي ومعقول واستند إلى الآيات والتفسير اللغوي للآيات وكذلك بناء على ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الأنبياء عليهم السلام على أساس تنزيههم مما ينسب إليهم من غير علم ومما برأهم الله تعالى منه.

الشبهات في قصة سليمان عليه السلام مع الشيطان:

أورد ابن خمير شبهتين في قصة سيدنا سليمان[2] عليه السلام مع الشيطان ثم رد عليها حيث سنورد كل منهما على حدى والرد عليهما.

الشبهة الأولى:

1- إيراد الشبهة

أورد الطاعنون في قصة سيدنا سليمان شبهة تسليط الشيطان عليه، قال ابن خمير:"قالوا: وكان عقبى أمره معها[3]، في هذه القصة أنه كان إذا دخل الخلاء وضع عندها الخاتم تنزيها له أن يدخل به الخلاء لما تضمن من أسماء الله تعالى،فلما أراد الله تعالى سلب ملكه تمثل لها على صورة

[1]- سورة طه، الآية 115.

[2]- ينظر: قصته في قصص القرآن، العلوش، ص136، وابن الجوزي، ص305، مصادر سابقة

[3]- يقصد إمرأة سليمان (جرادة)، ابن خمير التنزيه، ص64-65.

سليمان عليه السلام شيطان يسمى صخرا وأراها أنه خارج من الخلاء فأعطته الخاتم فطار به ورماه في البحر، فخرج سليمان عليه السلام، فطلب منها الخاتم فأخبرته بما كان من أمره، فعلم أنه قد فتن من أجلها، فخرج على وجهة الصحراء، يبكي ويرغب وينيب، ثم أن الشيطان تصور على صورة جسد سليمان عليه السلام،وقعد على كرسيه الذي كان يقعد عليه لفصل القضاء بين الناس،وهو معنى قوله:﴿...وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا...﴾.[1] أي جسدا مثل جسد سليمان عليه السلام، وبقي يخلفه على كرسيه ويعبث ببني إسرائيل غاية العبث بأحكام فاسدة وأوامر جائرة أربعين يوما حتى وجد سليمان عليه السلام خاتمه وهذا ما قالوه في قصته عليه السلام..."[2]، هذه أحد الشبه التي أوردها ابن خمير في علاقة سيدنا سليمان عليه السلام مع الشيطان ثم قام بالرد عليها كما يلي:

2- الرد على الشبهة

قال ابن خمير:"وأما كون الشيطان يخلفه على كرسيه ويحكم بالباطل، فليس على نبي الله عليه السلام لو صح في ذلك دقيق ولا جليل من الإثم وهذا بمثابة عيسى عليه السلام حين عبد من دون الله ومع ذلك فالخبر باطل من وجه آخر،وهو أنه لو جاز أن يخلف النبي الشيطان على صورته ويستنبط في شريعته أحكاما فاسدة، لكان ذلك إخلالا بالنبوة إذ يتخيل الناس ذلك في سائر أحكام الأنبياء حتى لا يتميز حكم النبي من حكم الشيطان،فيشكل الأمر على المكلفين ولا يثقون بأمر بعد، وهذا بمثابة تقدير خرق العادة على أيدي الكذابين في إدعاء النبوة، وهذه الألقية[3]، في هذه القصة من دسائس البراهمة[4]، في إبطال النبوات، والله أعلم"[5]، فقد رد ابن خمير

---

[1]- سورة ص، الآية 34.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص65، وكررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص258 و ص265، مصادر سابقة

[3]- أي ما ألقي ودس في قصص الأنبياء، وتطلق كذلك اللفظة على الأحاجي وهي الأساطير والخرافات،قال الفيروز أبادي (والألقية كأغنية ما ألقي من التحاجي)، القاموس المحيط، 98/1، مصدر سابق.

[4]- طائفة هندية تنكر النبوات سبق التعريف بها.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص117، مصدر سابق

على هذه الشبهة باستحالة القصة من أصلها وأنها لم تصح وإنما هو من دسائس القائلين بإبطال النبوات، وأنها كذلك غير صحيحة ولا يجوز في الشرائع ولا في حق الأنبياء عليهم السلام؛ لأنها فيها مفسدة للشريعة وهي منفذ لإدعاء النبوة من الدجالين والكذابين، ولا يصح أن يتصور الشيطان على صورة نبي حتى لا يختلط على الناس الصورة الحقيقية وشبهه من قبل الشيطان.

الشبهة الثانية:

1- إيراد الشبهة

أورد ابن خمير شبهة ثانية بعلاقة الشيطان بسيدنا سليمان عليه السلام ويخص زوجاته فقال: "وزاد فيها الفجرة أن الشيطان كان يقع على نساء سليمان عليه السلام وهن حيض، ولذا تفطنوا أنه لم يكن سليمان".[1]

2- رده على الشبهة

قال ابن خمير في معرض رده على الشبهة:"وحاشى وكلا من هذه الوصمة الخسيسة أن يفعلها الله تعالى مع أنبيائه عليهم السلام، وكيف، والأمة مجمعة على أنه ما زنت إمرأة نبي قط، كانت مؤمنة أو كافرة؟ وخيانة إمرأة نوح وإمرأة لوط عليهما السلام إنما كانت في إظهارهما الإيمان وإخفائهما الكفر لا غير، وكل ما ذكره في هذه القصة يجوز له على أوجه سنذكرها بعد إن شاء الله تعالى، سوى هذه القولة الخبيثة"[2]، رد ابن خمير على هذه الشبهة الخسيسة التي اتهم بها سليمان عليه السلام أحسن رد ذلك من خلال إجماع الأمة وهو دليل قوي.

الشبهات في قصة أيوب عليه السلام مع الشيطان:

[1]- المصدر السابق، ص66

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص66، مصدر سابق

أورد ابن خمير في قصة سيدنا أيوب[1]عليه السلام ثلاث شبهات حول تسليط الشيطان عليه ثم رد عليها، حيث نورد كل شبهة على حدى ثم نتبعها برده عليها.

الشبهة الأولى:

سنورد الشبهة والرد عليها

1- إيراد الشبهة:

قال ابن خمير:"فمما قالوه في سبب محنته عليه السلام وهو أسلم ما نسبوه إليه من الأقاويل، أنه شوى حملا في منزله، وكان بإزائه جار فقير فتأذى برائحة طعامه ولم ينله منه شيئا فامتحنه الله تعالى بأن سلط عليه الشيطان!...". [2]

2- الرد على الشبهة:

قال ابن خمير في رده على هذه الشبهة:"وهاتان القولتان[3] من أشبه ما قالوه في محنته عليه السلام فأول ما يطلبوه بإثبات دعواهم،وهم لا يثبتونها في كتاب ولا سنة،سوى ملفقات من قصصيات هي أوهى في الثبوت من خيط العنكبوت!،فاخترنا الكلام في هاتين القصتين لكونهما مما يصح معناهما لو صح أثرهما، فلو صح ما قالوه من المقولتين أو إحداهما لتصور الخروج عنهما بأحسن مخرج، فأما قصة الحمل، فقد يكون بغالب الظن أن جاره ليس يحتاج إليه في ذلك الوقت، وقد يعلم أنه يمكنه أن يصنع مثل ذلك،فإن ثمن الحمل يسير وليس كل فقير مملقا،وقد يحتمل أنه نسي أن يواسيه منه وليس يلحقه في ذلك عتب ولا ذنب، على أنه لو ترك إعطاءه قاصدا لم يكن

[1]- ينظر قصته، قصص القرآن، العلوش، ص149، وابن الجوزي، ص212، مصادر سابقة

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص162، مصدر سابق

[3]- إشارة إلى الشبهتين.

مذنبا، فإن مؤاساة الجار مندوب إليها ومن ترك المندوب فلا ذنب عليه"[1]، فقد رد ابن خمير على الشبهة من وجهين وهما كالآتي:

الوجه الأول: طلب دليل إثبات القصة

أورد ابن خمير هذه القصة وما ورد فيها من سبب تسليط الشيطان عليه بغض النظر عن صحتها من عدمها ثم رد عليها برد جميل فأول شيء يطالب به صاحب مخترع هذه القصة إثباتها بدليل من القرآن أو السنة فإن لم يثبتها فهي من الخرافات والأساطير والأقاصيص التي ليس لها سند وقد تكون من الإسرائيليات المكذوبة عن الأنبياء عليهم السلام.

الوجه الثاني: تأويلها على افتراض أنها صحيحة

حيث بين ابن خمير أن هذه القصة معقولة المعنى وأخف مما ذكروه في إتهام الأنبياء عليهم السلام، وابن خمير يريد أن يبرر موقف سيدنا أيوب عليه السلام على افتراض أن القصة صحيحة فقد أوجد لها تأويلا يخرجها بأحسن مخرج وذلك في الاحتمالات الآتية:

الاحتمال الأول: أن غالب الظن أن جاره ليس له حاجة ولا احتياج عندما قام بشوى الحمل في ذلك الوقت.

الاحتمال الثاني: أن جاره يمكنه أن يصنع مثل ما صنع أيوب عليه السلام لأن ثمن الحمل في ذلك الوقت زهيد وعلل ذلك بقوله (وليس كل فقير مملقا) فهناك من الفقراء قد يكونون ميسورون في وقت ومعسرون في وقت آخر.

الاحتمال الثالث: يحتمل أنه نسي أن يعطيه منه ورغم ذلك فليس عليه لوم ولا عتاب ولا يعتبر مذنبا، ولو افترضنا أنه قاصدا ذلك فلا ذنب عليه حيث يبرر ابن خمير ذلك بقوله (فإن مؤاساة الجار مندوب إليها)لأن الهدية والعطية من الأعمال المندوبة وليست من الأعمال الواجبة وتركها لا

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص163، مصدر سابق

يعتبر حراما أو ذنبا؛ لأن من ترك المندوب فلا ذنب عليه، وبهذا التفسير والتحليل والتأويل فقد دافع ابن خمير على سيدنا أيوب عليه السلام وأخرج هذه القصة أحسن مخرج فقال:"فقد خرجت المقولتان بحمد الله على أحسن مخرج إذا صحتا".[1]

الشبهة الثانية:

سنورد الشبهة ثم الرد عليها

1- إيراد الشبهة:

قال ابن خمير:"ومنهم من قال: إنه دخل يوما على ملك جبار فرأى في منزله منكرا فلم يغيره فلذا أمتحن!".[2]

2- الرد على الشبهة:

يواصل ابن خمير تفنيده لهذه الشبهة مركزا عليهما وحدها دون الأخرى ويحددها فيقول: "وأما قولهم: (إنه لم يغير المنكر على الملك الجبار) فعين هذا القول عذر عنه، فإن لزوم تغيير المنكر إنما هو مع الإمكان، قال تعالى:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾[3]، فلما علم جبرية الملك خاف على نفسه،ولم يمكنه تغيره بظاهره لئلا يقع من الجبار منكر أكبر مما رآه في منزله، فغير بقلبه، ويحتمل أن يكون ذلك الملك لم يكن من أمته، ولا أرسل إليه، فلم يغير عليه، إذ لا يلزمه ذلك، كما مر موسى عليه السلام على قوم يعكفون على أصنام لهم فغير على قومه ولم يغير عليهم، لكونه لم يرسل إليهم فإن النبي لا يلزمه التغيير إلا على من أرسل إليه...".[4]

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص163، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص162

[3]- سورة الحج، الآية 41.

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص163، مصدر سابق

حيث رد ابن خمير على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: طلب دليل إثبات الواقعة

حيث طالب بالقائلين بهذه القصة إثباتها بدليل من القرآن أو السنة، وهذا لم يرد فيهما ولذا فهم لا يستطيعون إثباتها، وإن أرادوا إثباتها بزعمهم فيكون ثبوتها مثل نسيج العنكبوت والذي ضرب القرآن به المثل في الضعف فيكون دليلهم ضعيف مثل بيت العنكبوت وهي أوهى البيوت كذلك الواقعة، ثم بين أنها من أكاذيب القصص دس في قصص الأنبياء عليهم السلام وقد تكون من الإسرائيليات المدسوسة في التفاسير.

الوجه الثاني: تأويلها على افتراض صحتها

افترض ابن خمير أن القصة صحيحة ثم بين الخروج منها بأحسن مخرج وذلك بافتراض احتمالين شرعيين وهما كالآتي:

الاحتمال الأول: تغيير المنكر مع الإمكان

افترض ابن خمير أن المنكر صدر من الملك الجبار وأيوب عليه السلام رأى ذلك فلماذا لم يقم بتغييره برر ابن خمير موقفه من ذلك بأنه لا يمكنه أن يغير ذلك خوفا على نفسه وحتى لا يرتكب منكر أكثر منه فغير بقلبه والاستدلال بالآية على أن تغيير المنكر لا يكون إلا مع الإمكان وهو إحدى شروط تغيير المنكر بحيث في هذه الحالة لم يتوفر ثلاثة شروط، الأول عدم الإمكان والثاني الخوف من وقوع منكر أكبر منه،والثالث خوفه على نفسه، ولذا لم يغير المنكر في الظاهر وغيره في الباطن بقلبه.

الاحتمال الثاني: أنه ليس من قومه

افترض ابن خمير افتراض ثاني على افتراض صحة الواقعة بأن هذا الملك ليس من قومه وأنه لم يرسل إليه، لأنه لم يلزمه ذلك، واستدل بالقرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام عندما كان مارا على قوم يعبدون الأصنام عند خروجه من مصر مع بني إسرائيل حيث طلبوا منه أن يجعل لهم

صنما كما للقوم صنم فأنكر على قومه ولم ينكر على القوم الآخرين؛ لأنه لم يرسل إليهم وبهذه الردود دافع ابن خمير على سيدنا أيوب عليه السلام وفند الشبهات التي حامت حوله وما زال يواصل في دفاعه عنه كما سنذكر ذلك.

الشبهة الثالثة:

سنورد الشبهة ثم الرد عليها

1- إيراد الشبهة:

وهذه الشبهة تفسير لقوله تعالى:﴿...مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [1]، وأنها معقولة المعنى ولكنها غير لائقة بمنصب النبوة قال ابن خمير:"وجاء في الأثر أن الشيطان تحداه بأنه لو سلط عليه لضجر وسخط حكم الله تعالى، فسلط على ماله وولده وجسده إلا قلبه ولسانه فصبر صبرا أثنى الله به عليه إلى يوم القيامة في قرآن يتلى، فقال تعالى:﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [2]، وبقي الشيطان خائب الصفقة خزيان فلما نادى ربه شاكيا بالشيطان وبما ناله منه، أجابه بالإقالة من شكيته وأمره أن يركض الأرض برجله يريه بركة صبره فقال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [3]فعجل له في الدنيا مثلا لعين الحياة التي بين الجنة والنار يغتسل فيها المعذبون ويشربون منها فيخرجون مطهرين من كل بؤس ظاهر وباطن كما جاء في الخبر، فمس أيوب عليه السلام الأرض برجله فنبع منها الماء فشرب منه فبرئ ما كان في باطنه من دقيق السقم وجليله، واغتسل فبرئ من ظاهره أتم براءة، فما كان يرسل الماء على عضو إلا يعود في الحين

[1]- سورة ص، الآية 41.

[2]- سورة ص، الآية 44.

[3]- سورة ص، الآية 42.

أحسن ما كان قبل، بإذن الله تعالى، ورد الله عليه ماله وولده، وولد له مثل عددهم قال الله تعالى:﴿...وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ...﴾ [1]،...".[2]

2- الرد على الشبهة:

رغم أن هذه الشبهة معقولة المعنى مع تفسير الآية لأنها مستندة للقرآن الكريم وأنها جاءت في الأثر،ولكن ابن خمير ردها بسبب عصمة الأنبياء عليهم السلام فقال:"وهذه القصة على رونق فيها، لكونها متعلقة بالكتاب، جائزة في العقل، لكنها غير لائقة بمنصب النبوة، وحاشى لله أن يسلط عدوه على حبيبه بمثل هذه السلطة حتى يتحكم في ماله وولده وجسده بالبلاء والتنكيل.
وأما تعلقهم فيها بالكتاب العزيز فبقوله تعالى أنه قال:﴿...مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.[3]
وليس لهم حجة في هذا القول، فإن الأنبياء عليهم السلام إذا مسهم ضر نسبوه إلى الشيطان على وجهة الأدب مع الحق سبحانه لئلا ينسبوا له فعلا يكره، مع علمهم أن كلا من عند الله قال الخليل عليه السلام:﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [4]،وقال الخضر عليه السلام:﴿..فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾ [5] وقال الكليم عليه السلام:﴿...هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾ [6]،وقال فتاه عليه السلام: ﴿...وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ...﴾ [7]،وقال نبينا ﷺ:(والخير كله في يديك،والشر ليس إليك)[8]،يعني ليس إليك يضاف وصفا فعلا وإن كان الفعل كله من الله تعالى،وقال تعالى: ﴿...بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية 84.
[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص164، مصدر سابق
[3]- سورة ص، الآية 41.
[4]- سورة الشعراء، الآية 80.
[5]- سورة الكهف، الآية 79.
[6]- سورة القصص، الآية 15.
[7]- سورة الكهف، الآية 63.
[8]- أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم 1773، مصدر سابق

قَدِيرٌ﴾ [1]، فخرج من مجموع ما ذكرناه أن تعلقهم بالآية في كل ما زوروه من الأقاصيص غير صحيح".[2]

فقد رد ابن خمير على هذه الشبهة رغم معقوليتها لأنها جائزة في العقل وممكنة الوقوع،وأن لها سند من القرآن الكريم وذلك بتأويلها تأويلا بعيدا لا يليق به ﷺ ولذلك ردها ابن خمير على أنها خرق لتنزيه الأنبياء عليهم السلام، وكذلك عصمتهم من الشيطان حيث بين أنه لا يمكن أن يسلط الله تعالى الشيطان وهو عدوه على أحد أنبيائه ﷺ وهو حبيبه ومقرب منه وهذا غير لائق بمنصب الأنبياء عليهم السلام، لأنهم أرفع الناس قدرا ومقاما في المجتمع وعند ربهم،ثم تساءل ابن خمير في حالة تسليط الشيطان على سيدنا أيوب ﷺ كيف يمكنه أن يتحكم ويتصرف فيه بالسوء ويعبث بماله وجسده وأهله وهذا لا يليق بالأنبياء عليهم السلام لأن الله تعالى عصمهم من الشيطان وكيده، ثم بين تعلقهم بالآية ورد على تفسيرهم لها بهذه القصة ووضح التفسير الحسن لها حيث ذكر أن كل شر بقضاء الله وقدره ولكن الأنبياء عليهم السلام لا ينسبونه لله تعالى تأدبا معه تعالى فينسبون كل خير لله تعالى، وكل شر للشيطان أو لأنفسهم وأستدل على كل من القرآن والسنة على ما جاء على لسان الأنبياء عليهم السلام والصالحين من عباده، وفي الأخير بين أن هذه القصة مزورة وليس لها أساس من الصحة، وخرج بأحسن مخرج للرد على الشبهة وتعلقها بالآية.

تفسير ابن خمير للآية:

بعد رده على الشبهات الثلاث أعطى للآية تفسيرا يليق بالنبي ﷺ لما جاء في الآية تصريح بمس أيوب ﷺ من قبل الشيطان بخلاف ما سبق من الشبهات حول سيدنا سليمان

[1]- سورة آل عمران، الآية 26.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص165، مصدر سابق

وآدم عليهما السلام فقال في تفسيرها:"وأما قوله:﴿...مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [1]، أي ببلاء وشر فإن الأنبياء عليهم السلام إذا مسهم ضر نسبوه إلى الشيطان على وجهة الأدب مع الحق سبحانه لئلا ينسبوا له فعلا يكره مع علمهم أن كلا من عند الله...".[2]

حيث فسر مس الشيطان لأيوب عليه السلام بأنه عبارة عما لحقه من بلاء، والأنبياء عليهم السلام يبتليهم الله تعالى وكلاهما من عند الله تعالى، لأنه لا يقع في ملكه شيء شرا كان أو خيرا إلا بقضائه وقدره، وكان رد سيدنا أيوب عليه السلام على هذا الابتلاء بالصبر والشكر وقد مدحه الله تعالى بقوله:﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [3]، فوصفه بالصابر ونعم العبد والأواب وهو في حالة الابتلاء والمحنة ثم أخرجه الله تعالى من هذا الإمتحان بأحسن مما كان فطهره بماء نقي ورد عليه ماله وولده وجسده أحسن مما كان عليه بأن عالجه عن طريق الإغتسال وطهره باطنا عن طريق الشرب فقال:﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [4]، وفي رده لأهله قال:﴿...وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ...﴾ [5]، وبهذا يكون ابن خمير قد دافع عن النبي أيوب عليه السلام ورد عليه الشبهات وفسر علاقته بالشيطان في الظاهر تفسيرا حسنا يليق بمقام النبوة وتنزيه الأنبياء عليهم السلام مما نسبه إليهم حثالة الأغبياء كما قال ابن خمير.

المطلب الثاني: عصمة الظاهر

بعد عرضنا لعصمة الأنبياء عليهم السلام في البواطن وتحدثنا عن جانبين مهمين الأول خاص بالاعتقاد والثاني خاص بالأخلاق النفسية، ثم رد ابن خمير على الشبهات في هذين الجانبين.

---

[1]- سورة ص، الآية 41.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص165، مصدر سابق

[3]- سورة ص، الآية 44.

[4]- سورة ص، الآية 42.

[5]- سورة الأنبياء، الآية 84.

في هذا المطلب نتطرق إلى ما يصدر عنهم من الظواهر والتي تمثل جانب التصرفات والأخلاق الظاهرة دون التطرق إلى ما يلحقهم من غيرهم من الأذى المادي والمعنوي وقد ذكر القرآن الكريم هذا الموضوع[1]، ولكن لا يخص دراستنا بل التركيز على جانبين فقط فيما يخص الظواهر وهما الأفعال والأقوال، وما يتعلق بالظواهر أمر محسوس لدى الناس وهي أعمال الجوارح وتشمل التصوفات الخارجية من الأفعال والأقوال والأحوال مما سنذكره بالتفصيل فيما يلي:

وقد بين ابن خمير أن ما يصدر عن الإنسان مداره على ثلاثة هي القلب واللسان والجوارح وذلك في تعريفه للإيمان والإسلام بين هذه الأنواع الثلاثة فقال:"الإيمان على ضربين حقيقة ومجاز، فالحقيقة هي التصديق لكنه ينقسم قسمين ظاهرا وباطنا فالباطن خبر القلب عن علم لا شك فيه، والظاهر عبارة اللسان عما في القلب من الخبر، الصادق...وأما المجاز هو ظاهر أعمال الدين..."[2]،وفي تعريفه للإسلام قال:"...فمن أسلم باطنا بالاعتقاد وظاهرا بالقول والانقياد.."[3] وفي مثل هذا قال القاضي عياض:"أعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على أحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد وإختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد وإختيار،وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع: عقد بالقلب،وقول باللسان،وعمل بالجوارح..،فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الإختيار وعلى غير الإختيار".[4]

---

[1]- تحدث القرآن على عصمة النبي محمد ﷺ من الأذى المادي الذي يؤدي إلى القتل في قوله تعالى:﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾ سورة المائدة، الآية67، للتوسع أكثر ينظر: الشربيني، رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء القرآن والسنة (المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الأول) بعنوان (دلائل عصمته ﷺ في بدنه) من ص111 إلى ص132 مصدر سابق، وقد أشرت إلى ذلك في الإيذاء البدني في الحديث عن الأعراض البشرية.

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص272، مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه

[4]- الشفا، ص91 (من القسم الثالث).

حيث بين أن أحوال الأنبياء عليهم السلام في التصرفات المعنوية والمادية على ثلاثة ما تصدر من الباطن ومحله القلب،وما تصدر من الظاهر ومحلها اللسان والمتمثل في الأقوال،والجوارح والمتمثل في الأفعال ولذا كان تقسيمنا لهذا المطلب إلى قسمين الأول خاص بالأقوال، والثاني خاص بالأفعال،وقد أورد ابن خمير هذا التقسيم في ثنايا حديثه عن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منها قوله "وعصمتهم من الخطأ والخطل"[1]، فالخطأ المقصود به التصرفات الخارجية من الأفعال، والخطل المقصود به الكلام المضطرب، وقوله "...وتنزيهه عن خسيس الأفعال المؤدية لسقوط العدالة..." [2]،حيث ركز في كلامه عن التصرفات الخارجية المقصود بها الأفعال الظاهرة وقوله"...وعصمته من الكذب..."[3]،حيث ركز على الأقوال وهي تصرفات كذلك ظاهرة وقوله"...وأن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبهم منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السّنية..." [4]،وقد سبق أن تكلمنا عما يصدر من القلب(عقد بالقلب) ،في الفرع الأول(ما يتعلق بالباطن) وقسمناه إلى قسمين الأول (الإعتقاد) والثاني (الأخلاق النفسية)، حيث نعرض في هذا المطلب أولا الأدلة من القرآن والسنة والسيرة الذاتية للأنبياء عليهم السلام والاجماع، وفي الثاني نورد الشبهات ثم الرد عليها وذلك في فرعين الأول خاص بالأقوال والثاني خاص بالأفعال.

الفرع الأول: عصمة الأنبياء عليهم السلام في الأقوال

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص46، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص224، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص224، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57-58، مصدر سابق

نتحدث في هذا النوع على عصمة الأنبياء عليهم السلام في أقوالهم وذلك في مجالين الأول إيراد الأدلة على ذلك والثاني رد الشبهات على ما نسب إليهم بما لايليق بهم وذلك من خلال دفاع ابن خمير عليهم.

أولا: الأدلة

سنورد الأدلة بالترتيب من القرآن ثم السنة ثم السيرة ثم الإجماع مع التعليق على ذلك وأقوال ابن خمير وغيره من العلماء في ذلك.

1- الدليل القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم أن أقوال الأنبياء عليهم السلام كلها حق وصدق فقد وصفهم بالصدق ونفى عنهم الكذب وقد سبق في الحديث عن صفات الأنبياء عليهم السلام التركيز على صفة الصدق[1]، وسنورد بعض من الآيات في هذا المجال.

- قوله تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2] قال عياض في هذه الآية: "فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان".[3]
- قوله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[4]
- قوله تعالى:﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[5]

2- الدليل من السنة:

لقد وردت أحاديث تبين أن أقواله ﷺ كلها حق وسنورد بعضها هنا.

---

[1]- ينظر:التفصيل في المطلب الرابع من المبحث الثاني من الفصل الأول بعنوان(الصفات المناسبة)في الحديث عن أسس النبوة

[2]- سورة النجم، الآيتين 3 و 4.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص97، مصدر سابق

[4]- سورة مريم، الآية 41

[5]- سورة مريم، الآية 50

عن عبدالله عمرو قلت:"(يا رسول الله ﷺ، أكتب كل ما أسمع منك؟) قال:(نعم)، قلت:(في الرضا والغضب)قال: (نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا)".[1]

قال عياض في تعليقه عن الحديث: "إذا قامت المعجزة على صدقه، وأنه لا يقول إلا حقا، ولا يبلغ عن الله إلا صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له: (صدقت فيما تذكره عني)"...فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان.[2]

3- الدليل من سيرة الأنبياء عليهم السلام:

سنورد بعض من قصصهم في هذا المجال للدلالة على عصمتهم في هذا النموذج:

أ- قصة صدق يوسف عليه السلام في أقواله:

أورد العلماء عدة حجج وأدلة على براءة سيدنا يوسف عليه السلام في قصته مع إمرأة العزيز ويمكن استثمار بعضها للدلالة على صدقه في أقواله وذلك كالآتي:

الدليل الأول: شهادة قريبها على صدقه وكذبها وذلك بالقرينة المذكورة كالأتي: إذا كان قميصه شق من الأمام فهي صادقة وهو كاذب، وإن كان قميصه شق من الخلف فهو صادق وهي كاذبة، فلما ثبتت هذه القرينة في صالح يوسف عليه السلام ثبت صدقه[3]،قال تعالى:﴿...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.[4]

---

[1]- أخرجه أبو داود في سننه برقم 3646، مصدر سابق

[2]- الشفا،115/2، مصدر سابق

[3]- ينظر: تفسير القرطبي،114/9،حيث قال:(احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب)،وابن جزي في تفسيره ص312، حيث قال:(وكون الشاهد من أهلها أوجب للحجة عليه وأوثق لبراءته)،والرازي في الأربعين، ص337، حيث قال: (قد شهد على طهارة يوسف وبراءته عن التهمة)، مصادر سابقة.

[4]- سورة يوسف، الآيات 26-27-28-29

الدليل الثاني: شهادة الساقي بصدق يوسف عليه السلام وهو الذي كان مع يوسف عليه السلام في السجن وفسر له الحلم وكان حقيقة فخرج من السجن ورجع إلى عمله الأول فلما رأى الملك الرؤيا ولم يستطع أحد تفسيرها حتى الكهنة تذكر يوسف عليه السلام وتفسير حلمه وهو في السجن فتحقق فذكر للملك بأنه يوجد من يفسر له حلمه فأذن له بالذهاب إليه في السجن فلما وصل إليه خاطبه الساقي بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾[1]،وجه الاستدلال في هذه الآية مخاطبة الساقي ليوسف بقوله ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيقُ...﴾.

حيث يشهد له بالصدق في الحديث وذلك من خلال مخالطته له ومن خلال السيرة الذاتية ليوسف عليه السلام،لأنه صدق معه،وفسر له حلمه فكان واقعا كما فسر فوصف بأنه صادق[2]،حيث ناداه باسم الصديق.[3]

الدليل الثالث: إعتراف إمرأة العزيز بقولها:﴿...الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4]، دليل على صدق يوسف عليه السلام [5]،وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾ [1]،

[1]- سورة يوسف، الآيتين 45-46.

[2]- ينظر:مع الأنبياء ص171،صحيح قصص القرآن للبسيوني، ص240، وقصص القرآن للعلوش، ص64، وابن الجوزي ص287، ويوسف سعد، ص150، مصادر سابقة

[3]- ينظر: تفسير ابن جزي، ص315، حيث قال: (وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه في تعبير الرؤيا)، والقرطبي، 133/9، حيث قال: (فقال له أيها الصديق أي كثير الصدق)

[4]- سورة يوسف، الآية 51.

[5]- ينظر: تفسير ابن جزي،ص316،حيث قال: (ثم اعترفت على نفسها بالحق)، والقرطبي، 136/9، حيث قال: (إظهار لثبوتها وتحقيق لصدق يوسف عليه السلام)، والرازي في الأربعين، ص337، حيث قال: (اعتراف زوليخة بذلك بقولها وإنه لمن الصادقين)

حيث بين ابن خمير أن العبارة ليست من قوله[2]وإنما من قولها حيث برهن أن هذه المقولة ليست من قول يوسف عليه السلام، وإنما هي مقولة إمرأة العزيز والدليل على ذلك أنه لما خاطب رسول الملك بقوله ﴿...ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾ فذكر فعل النسوة دون ذكر فعل إمرأة العزيز فلما سمعت ذلك أنصفته وأقرت بفعلتها واتهمت نفسها بأنها أمارة بالسوء فقالت﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾ بعدما أقرت بأنها هي التي راودته وهذه المقولة جاءت بعد قولها: ﴿...الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ...﴾.[3] وهي تواصل في إقرارها وتبرئة يوسف عليه السلام إلى أن قالت﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾، وفي هذه المقولة أقرت كذلك أنه صادق فقالت: ﴿...وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.[4]

كل هذه الدلائل تؤكد من خلال سيرة يوسف عليه السلام بأنه صادق في أقواله وزيادة على حسن سيرته ورجاحة عقله وصدق كلامه اتخذه الملك مسؤولا عن الخزانة وكان أمينا وبارعا في التخطيط الاقتصادي للمستقبل وعم في عهده الرخاء وقصد مصر أناس من خارجها للتموين وذلك من حسن تصرف يوسف عليه السلام فقال الملك:﴿...ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.[5]

---

[1]- سورة يوسف، الآية 53

[2]- ينظر: تنزيه الأنبياء، ص79-80، مصدر سابق

[3]- سورة يوسف، الآية 51.

[4]- سورة يوسف، الآية 51.

[5]- سورة يوسف، الآيتين 54-55.

فشهد له الملك بالتمكين والأمانة ووصفه بأنه أمين ووصف يوسف عليه السلام نفسه بأنه حفيظ عليم فإنه حافظ على الخزينة بعلم ومقدرة على التسيير وذلك بما أودع الله تعالى فيه من الحكمة والفطانة ورجاحة العقل.[1]

ب- قصة صدق النبي ﷺ في دعوته:

شهد للنبي ﷺ بالصدق العام والخاص، وسنذكر نماذج من ذلك فيما يلي:

1. الشهادة الجماعية:

وهي شهادة قومه بالصدق فقد وردت الأخبار في ذلك منها:

- روي عن ابن عباس[2] أنه قال:"لما نزلت﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي:"يا بني فهر! يا بني عدي! لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال:(أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟)قالوا نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا،ووجه الاستدلال من هذه القصة الواقعية في سيرة النبي محمد ﷺ هو شهادة قومه بأنه صادق في كلامه وأنهم لم يجربوا عليه كذبا قط وقد وصفوه بالصادق الأمين.

2. الشهادة الفردية :

فقد شهد له القريب والبعيد على صدقه نذكر منهم:

- **عمه أبو طالب** حيث قال:

لقد علمت بأن دين محمد *** من خير أديان البرية دينا[4]

---

[1]- ينظر: كتاب الأربعين،ص337، 338، وعفيف عبد الفتاح طباره، مع الأنبياء ص162-174،وحامد أحمد الطاهر البسيوني، صحيح قصص القرآن ص223.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 743، مصدر سابق

[3]- سورة الشعراء، الآية 214.

[4]- معجم الأبيات الشهيرة، ص228، مصدر سابق

وقال أيضا:

ألم تعلموا أن وجدنا محمدا *** نبيا لموسى خط في الكتب ولا
وأن عليه في العبادة محبة *** خير من خصه الله بالحب[1]

- **أبو جهل**:شهد أبو جهل للنبيﷺ بالصدق فعن علي بن أبي طالب قال:"قال أبو جهل للنبيﷺ:(قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به)، فأنزل الله عز وجل﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [2]...".[3]
- **هرقل عظيم الروم**:شهد للنبي ﷺ بالصدق على الله تعالى والعصمة من الكذب عندما أرسل إلى أبي سفيان بالشام وكان في تجارة مع قومه فأتاه مع رجاله وقدمه وآخر رجاله فقال لترجمانه: (إني سائل هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه)،[والخطاب لرجال أبي سفيان وهم وراء ظهره]، حيث طرح عليه عدة أسئلة منها(فهل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟)، قال أبو سفيان:(لا)،..."، وبعد طرح عدة أسئلة عليه بدأ بتحليل هذه الأسئلة وعلل سؤاله عند الكذب فقال هرقل:(وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: فذكرتَ أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله)،..."[4] فهرقل من أهل الكتاب وقد أرسل إليه النبي ﷺ كتابا يدعوه إلى الإسلام فرد ردا جميلا ولم يسلم خوفا من قومه ومنصبه.

هاتان القصتان كأنموذج من سيرة الأنبياء عليهم السلام في الاستدلال عصمتهم في الأقوال.

4- الدليل من الإجماع:

[1]- سيرة ابن هشام، 7/2، مصدر سابق

[2]- سورة الأنعام، الآية 33

[3]- أخرجه الحاكم في مستدركه برقم3249، مصدر سابق

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 7، والمباركفوري، الرحيق المختوم ص253-254، مصادر سابقة

حكى ابن خمير الإجماع في صدق أقوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعصمتهم من الكذب فقال:"ما صح من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء،...وأن غاية أقوالهم التي وقع فيها العتاب أن يكون على فعل المباح كان غير من المباحات أولى منه"[1]، وقال عياض:"وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الإختيار وعلى غير الإختيار".[2]

ثانيا: الشبهات

أورد ابن خمير شبهات نذكر منها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كأنموذجا حيث نورد الشبهة ثم الرد عليها كالآتي:

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

1- الشبهة[3]: قال ابن خمير:"فإن قالوا: فإذا زعمت أنه قال لقومه هذا يعني ثلاثة مرات معترضا ومنبها، ليقيم الحجة عليهم وهو يعتقد خلاف ما يقول، فلم لم يعد هذه الأقوال في الكذبات التي يعتذر بها في المحشر،حين يطلب بالشفاعة فيقول:(كذبت في الإسلام ثلاث كذبات)[4]،وهي بالإضافة إلى هذه الثلاث ستة، كذلك جاء في الحديث[5] أن إبراهيم عليه السلام لم يكذب إلا ثلاث كذبات وما منها كذبة إلا وهو يماحل[6] بها عن الإسلام أي يدافع"[7]،هذه شبهة توقعها ابن خمير

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق.

[2]- الشفا، ص91 (من القسم الثالث).

[3]- في استدلاله على بطلان ألوهية الكواكب الثلاثة(كوكب، قمر، شمس)بقوله كل مرة (هذا ربي) سورة الأنعام من الآية (76) إلى (78)، وقد سبق الرد عليها من جانب الاعتقاد أما هنا فالتركيز على الأقوال (التي عدها ثلاث كذبات).

[4]- حديث الشفاعة سبق تخريجه

[5]- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5084، مصدر سابق

[6]- يعني يدافع ويجادل، ينظر: مختار الصحاح، ص319، والقاموس المحيط، ص952، مصادر سابقة

[7]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص129، كررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص260، وذكر كذلك قصة نوح عليه السلام في أقواله (الدعاء على قومه)، مختصرة في مقدمات المراشد، ص259

حيث أنه يفترض تساؤلات من المخالف فيفترضها ثم يجيب عليها حيث بين أن المعترض قد يحسب أقوال إبراهيم عليه السلام في الكواكب (هذا ربي) الثلاثة ويضيفها إلى الثلاثة التي وردت في الحديث ويعدها ستة، فرد عليه ابن خمير كالآتي:

2- الرد على الشبهة: قال ابن خمير:"فالجواب من ثلاثة أوجه:..."[1]

الوجه الأول: وهذا الوجه كذلك على ثلاثة احتمالات لتأويل هذه الأقوال حيث قال:"أن الثلاث الكذبات التي (عددها) عدها على أوجه مختلفة:

إحداها: أنه لما دعوه للخروج معهم لمهرجانهم في سدفة السحر وفي باله أنه يكيد أصنامهم بعد خروجهم، كما أخبرهم حين قال:﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[2]، فنظر في النجوم ليقيم عذره عندهم على زعمهم لكونهم يقولون بالقضاء في النجوم[3]:﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.[4] فاعتقدوا أنه رأى في النجوم أسباب المرض فرضوا عنه بذلك وتركوه!وهذا من النمط الذي قدمناه في الكواكب الثلاثة أن أقواله فيها إنما كانت على جهة الإبهام عليهم والتنبيه لهم لعلهم يتفطنون في ثاني حال[5].

الثانية:قوله بعدما صير أصنامهم جذاذا حين سألوه﴿...مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا...﴾[6]؟ فقال: ﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾[7] وأشار إلى كبير الأصنام، وهو قد شوه صورته، وسمل عينه وجدع أنفه[8]، ومقطوع به أنه قال ذلك ليقيم الحجة عليهم في نفي الإلهية عما إعتقدوه من الكواكب

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص130-132، مصدر سابق.

[2]- سورة الأنبياء، الآية 57.

[3]- قوله تعالى:﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ سورة الصافات، الآية 88

[4]- سورة الصافات، الآية 89.

[5]- تقدم تفصيل ذلك في الرد على شبهات الاعتقاد منها هذه الشبهة.

[6]- سورة الأنبياء، الآية 59.

[7]- سورة الأنبياء، الآية 63.

[8]- سمل العين (فقأها) المصباح، ص 183، جدع الآنف(قطعه)، المصباح، ص 63، مصدر سابق

والأصنام، فصارت هذه القولة في معناها، تشبه تلك الأقوال الثلاثة في الكواكب فلما كانت الأقوال مع قوله في الصنم على وجه واحد من إقامة الحجة على مذهب الخصم ومقابلة الفاسد بالفاسد، صارت كالواحدة في المعنى، ثم أضاف لها القولتين المختلفتين في النظر في النجوم، وقوله في أهله للملك الجبار (هي أختي) فصارت ثلاث.

الثالثة: التي هي قوله للملك الذي أراد أن يأخذ منه أهله عنوة فسأله من هذه التي معك؟ فقال: (هي أختي) فكان قوله ذلك طمعا في تخليصها منه بهذه القولة ليقيم عذره عند الملك لكون الغيرة على الأخت أأكد منها على الزوج، فقال له ذلك لعله يتركها له، كالذي فعل،فلو قال: هي زوجتي فربما كان يقول له:(أنزل لي عنها أتملكها على الوجه الذي كانت عندك فلما كانت القولتان تخالف الواحدة التي أتحدت مع الثلاث في إقامة الحجة على الخصم، بعد تسليم مذهبهم جدلا، عدّ الكل ثلاثا لاتحاد الأربعة الأقوال في المعنى)..."[1].

ففي الوجه الأول فسره على ثلاثة مفاهيم مختلفة، ففي الأول أن قوله﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يتحد مع قوله ﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ ثلاث مرات حيث تصبح كأنها واحدة في المعنى ودليل ابن خمير على ذلك؛ لأنها في إقامة الحجة متماثلة وكلها نحو هدف واحد وموضوعها الكواكب ومقولته ﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾ اعتبرها ثاني حال لتنبيههم لعلهم يتفطنون.

وأما الثانية من أن قوله:﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾ تتحد مع أقواله الثلاثة في الكواكب ﴿...هَذَا رَبِّي...﴾حيث دل ابن خمير على ذلك؛ لأن الحجة متماثلة في إقامتها على نفي الألوهية في كل من الأصنام والكواكب فاتحدت في ذلك، وبين منهجه في إقامة الحجة وهو مجاراة الخصم ومقابلة الفاسد بالفاسد.

وأما الثالثة حيث بين أن قولته الأخيرة للملك (هي أختي) تخالف القولتان المذكورتان في المفهوم الأول والثاني ﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾و﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾وبما أنه بين أن المقولتان السابقتان

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص131، مصدر سابق

قد اتحدتا مع قوله ثلاث مرات﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ فيصبح تعدادها كلها ثلاثة(هي أختي) و﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾حيث تتحد مع الثلاث﴿...هَذَا رَبِّي...﴾وقوله﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾ ويمكن كذلك أن تتحد مع قوله ﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ فالتي أضافها أصحاب الشبهة أنها ثلاث ﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ بين ابن خمير أنها تتحد إما مع ﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أو مع ﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾ وبذلك يخرج من هذا الإشكال وفي هذا الوجه لكي ينتقل إلى الوجه الثاني وهو كالآتي:

الوجه الثاني: يواصل ابن خمير في رده في هذا الوجه فيقول: "أن تكون القولات الثلاثة في الكواكب التي لم يعدها من الكذبات بأمر من الله تعالى، أمر أن يقولها فقالها ولم يعدها كذبات لكونه مأمورا بها، وتلك الثلاث التي عدها كانت عن نظره وإجتهاده فأبهمها بأن رأى أن السكوت عنها كان له أولى، على ما قدمناه في حقهم من مراعاة الأولى وإذا كانت الثلاثة الأخرى بأمر من الله تعالى له فلا حرج فيها لكونه مأمورا بها، فتخرج له قول الملك لداود عليه السلام ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي...﴾[1] ولم يكن أخاه حقيقة وقوله﴿...لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً...﴾[2] ولم يكن له نعاج إلى آخر ما قاله، وقول يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿...إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[3] كما قدمناه حرفا بحرف[4]،...، فذكر الثلاث والإعراض عن الثلاث الآخر، مع ورعه عليه السلام وشدة مراقبته دليل على أن التي أعرض عن ذكرها كانت بأمر الله تعالى"[5]، ففي هذا الوجه فصل ابن خمير بين المقولات الثلاثة المذكورة في الحديث﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾و﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾و(هي أختي) وبين القولات الثلاثة التي أضافها أصحاب الشبهة المتوقعة قوله:﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ ثلاث مرات حسب مواضعها من

---

[1]- سورة ص، الآية 23.

[2]- سورة ص، الآية 23.

[3]- سورة يوسف، الآية 70.

[4]- تقدم شرحها في قصة داود عليه السلام حيث قال ابن خمير في الآية ﴿...إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: وما كانوا سارقين، ينظر للمزيد ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص55. مصدر سابق

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص56، مصدر سابق

المشاهد الثلاث، فاعتبر الثلاث الأولى هي الأصل وأنها واردة في النص، وقالها سيدنا إبراهيم عليه السلام عن نظره واجتهاده، وأما الثلاث الثانية التي ذكرها القرآن في إقامة الحجة على عبدة الكواكب فكانت بأمر من الله تعالى ولم يعدها إبراهيم عليه السلام كذبات لأنه مأمور بها وسكت عنها مراعاة الأولى،ثم وجد ابن خمير مخرجا لها كما في قصة سيدنا داود عليه السلام ويوسف عليه السلام الأولى في قول الملك﴿إِنَّ هَذَا أَخِي...﴾فقال ولم يكن أخاه حقيقة ثم فسرها في موضع آخر بأنه أخوة الإيمان[1]، وقوله: ﴿...لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً...﴾ فقال:(ولم تكن له نعاج) وفسرها على أنها نساء[2]، وقول يوسف عليه السلام لإخوته ﴿...إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فقال ولم يكونوا سارقين، وهي حيلة للاحتفاظ بأخيه عنده[3]، حيث بين ابن خمير هذه المقولات واستدل على مثلها من القرآن، ثم وصف سيدنا إبراهيم بالورع وأنه شديد المراقبة لله تعالى ولذلك أعرض عن ذكر هذه المقولات الثلاثة دليل على أنها كانت بأمر من الله تعالى لا إجتهادًا منه.

الوجه الثالث: يواصل ابن خمير كلامه في هذا الوجه في الرد على الشبهة ودفاعه عن سيدنا إبراهيم عليه السلام فيقول:"والوجه الثالث ما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال:(لم يكذب إبراهيم عليه السلام في الإسلام إلا ثلاث كذبات كلها ما حل بها عن دين الله؛قوله في الكواكب﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ وقوله في سارة(هي أختي) وقوله في الأوثان﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾)[4]، فقد فسرها عليه السلام حين عدها ثلاثا، فصارت الثلاثة القولات في الكواكب كالواحدة في العدد بكونها متحدة في المعنى وإنضافت إليها قولته عن سارة، وقولته عن الأوثان فصارت ثلاثا، وتكون قولته﴿...إِنِّي

[1]- المصدر نفسه

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر السابق، ص55.

[4]- سبق تخريجه

سَقِيمٌ﴾ حقيقة،وتكون النجوم هنا ما ينجم له من تفصيل أحواله أي يظهر له ويعضد هذا الخبر ما ذكرناه من أنه قال في الكواكب ما لم يعتقده دينا كما زعم الجهلة". [1]

حيث أورد ابن خمير الحديث على أنه فسر القولات الثلاثة التي أضافها أصحاب الشبهة ﴿...هَذَا رَبِّي...﴾ على أنها واحدة ولم يعدها ثلاثا؛ لأنها متحدة في المعنى وموضوعها واحد وهي الكواكب ولها نفس المنهج في إقامة الحجة على عبدة الكواكب وهو نفس اللفظ تعدد في مشاهد ثلاثة، ثم أوّل ابن خمير المقولة الأخرى وهي قوله﴿...إِنِّي سَقِيمٌ﴾ والتي وردت كذلك في الحديث وفي القرآن حيث أوّلها بأنها على الحقيقة وفسر كلمة (النجوم) لغة أي بما ينجم ويظهر له من تفصيل أحواله، ثم ختم كلامه بأن ما قاله سيدنا إبراهيم عليه السلام في الكواكب لا يعتقده وإنما مجاراة لخصمه.

3- ترجيح ابن خمير للأوجه الثلاثة التي أوردها:

حيث رجح الوجه الثاني ودلل عليه فقال:"والأظهر من الوجهين الأخير منهما، ودليلنا عليه أن الستة الألفاظ في التلفظ بخلاف المعتقد على سواء"[2]، ثم قال في نهاية الوجه الثالث:"ويعضد هذا الخبر ما ذكرناه[3]من أنه قال في الكواكب ما لم يعتقده دينا كما زعم الجهلة"وبين ترجيحه هذا على أن الألفاظ الستة الثلاثة الثابتة والثلاثة المختلف فيها أي على افتراض أنها ستة حيث تلفظها سيدنا إبراهيم عليه السلام حسب المواضيع والمشاهد بخلاف ما يعتقد وإنما هي إحدى طرقه في الاستدلال على إثبات الألوهية ومن منهجه في مجاراة الخصم بأن يفترض موافقته فيما يعتقد في بداية الحجة ثم يبين له إبطال ما يعبد.

الفرع الثاني: عصمة الأنبياء عليهم السلام في الأفعال:

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص133، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص132.

[3]- المصدر السابق، ص133.

نتطرق في هذا النوع من العصمة الخاصة بشخصية الأنبياء عليهم السلام إلى أفعالهم[1] حيث نورد الأدلة على عصمتهم في الأفعال أولا ثم ما نسب إليهم من الشبهات في هذا المجال ورد ابن خمير عليها.

أولا: الأدلة

نعتمد في الاستدلال على أربع أدلة مرتبة القرآن، السنة، السيرة الذاتية للأنبياء عليهم السلام الإجماع حيث نختار نماذج من ذلك،ونورد أقوال ابن خمير في ذلك والاستئناس بأقوال بعض العلماء والمفسرين.

1. الدليل من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وهذا وصف دقيق وشامل من الله لتصرفات النبي ﷺ، ويدخل ضمن هذا الأفعال الحسنة وعصمته من الأفعال السيئة.
- قوله تعالى:﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾[3]،قال الرازي في تفسيرها:"فدخل تحت لفظ (الخيرات) فعل كل ما ينبغي، وترك كل ما لا ينبغي وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات، تاركين لكل المعاصي"[4]، الكلام عن الأنبياء عليهم السلام.
- قوله تعالى: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾[5]، الخطاب موجه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام قال الرازي:"والإمام هو الذي يقتدي به فلو صدرت الذنوب عن إبراهيم، لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجب وهذا باطل"[1].

---

[1]- ينظر: المازري،إيضاح المحصول من برهان الأصول، تح: عمار طالبي، ط2، منشورات البونة، عنابة، الجزائر، 2008م ص363

[2]- سورة القلم، الآية 04.

[3]- سورة الأنبياء، الآية 90.

[4]- الرازي، كتاب الأربعين، ص334، مصدر سابق

[5]- سورة البقرة، الآية 124.

2. الدليل من السنة:

- قوله ﷺ: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[2]، وهذا حديث معبر عن تصرفاته ﷺ منها أفعاله فلا تخرج عن هدى الله تعالى له، والله تعالى يعصمه من الإنزلاقات غير الحسنة، ويرشده إلى ما هو أحسن.
- قوله عائشة رضي الله عنها:"كان خلقه القرآن يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه"[3] حيث عبرت عن تصرفات النبي ﷺ أنها موافقة للقرآن الكريم ومنها أفعاله.

3. الدليل من سيرة الأنبياء عليهم السلام:

سنعرض نماذج من سيرة الأنبياء عليهم السلام في عصمة الله تعالى لهم من الأفعال التي لا تليق بهم.

- قصة يوسف عليه السلام وصرف الله عنه الفحشاء قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.[4]

والذي يهمنا هنا في هذه الآية لفظ ﴿...لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ...﴾ حيث تعرضنا في السابق لشرح لفظ (الهمّ) وذلك في مجال عصمة الباطن في فرع الأخلاق النفسية عند التحدث عن عصمتهم من سوء النية،والآن نتحدث عن مجال الفعل فقد عصمه الله تعالى من الفعل السيئ وهو الفحشاء وصرف عنه السوء قال تعالى:﴿...كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ...﴾ واعترفت إمرأة العزيز بأنه أمسك عن فعل الفاحشة قال تعالى على لسانها:﴿...وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...﴾[5]، فقد اعترفت له بأنه لا يقرب الفواحش كذلك شهد له نسوة مصر قال

---

[1]- كتاب الأربعين، ص335، مصدر سابق

[2]- سبق تخريجه

[3]- سبق تخريجه كذلك أخرجه البيهقي في دلائل النبوة 309/1، مصدر سابق

[4]- سورة يوسف، الآية 24.

[5]- سورة يوسف، الآية 32.

تعالى على لسانهن:﴿...حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ...﴾[1]، وهذا إعتراف آخر من مجتمع النساء على أنهن لم يعلمن عنه فعل الفواحش بصفة خاصة وسوء الأعمال والأفعال وسيرته الشخصية بصفة خاصة رغم أنه عاش في القصر، وكذلك مما يدل على ابتعاده عن الفحشاء تفضيله السجن عن إغراء النساء له فقال:﴿...رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ...﴾.[2]

قال الرازي في تفسير الآية الأخيرة:"لما وقع التعارض بين الفاحشة وبين هذا السجن قال يوسف عليه السلام ﴿... السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾...". [3]

قصة النبي ﷺ وصرف الله تعالى عنه الوصول إلى العرس،حيث تحدث النبي ﷺ عن نفسه في هذه الحادثة فقال:"ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني بالرسالة، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة(لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب**!**)فقال:(أفعل)فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا، فقلت: (ما هذا؟)، فقالوا: (عرس فلان بفلانة) فجلست أسمع فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ثم ما هممت بسوء"[4]، هذه الحادثة أشرنا إليها في الحديث عن العصمة من سوء النية وتحدثنا عن الهمّ والعزم، والآن نستدل بها في الجزء الفعلي حيث نستنتج أن الله تعالى عصم نبيه قبل النبوة من الوصول إلى العرس وذلك بأن ألقى عليه النعاس فنام إلى الصباح، حيث لم يمكن نبيه من الذهاب إلى العرس والسمر مع شباب مكة؛ لأنه حدث لا يليق به ﷺ والله تعالى يعده ويؤهله للنبوة.

---

[1]- سورة يوسف، الآية 51.

[2]- سورة يوسف، الآية 33.

[3]- كتاب الأربعين، ص339، مصدر سابق

[4]- سبق تخريجه وأورده المباركفوري، الرحيق المختوم ص42-43، مصدر سابق

قصة النبي ﷺ في بناء الكعبة وعصمته من التعري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال:"لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺوالعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبيﷺ:(إجعل إزارك على عاتقك من الحجارة)، ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال: (إزاري إزاري) فشد عليه إزاره"، وفي رواية(فما رؤي بعد ذلك اليوم عريانا)".[1]

هذه الحادثة نستنتج منها عصمة الله نبيه قبل النبوة من التعري بحيث عندما قام بالفعل في أوله أغمي عليه فسقط على الأرض حتى لا ترى عورته وكانت عيناه إلى السماء أي مستلقيا على ظهره وعندما أفاق أول كلام له نادى يبحث عن إزاره فشد إزاره حتى لا ترى عورته ﷺ رغم أنه غلام وقبل النبوة مما يدل على العناية الربانية له؛ لأن الله تعالى يعده ويؤهله لمنصب النبوة.

وهاتان القصتان اللتان أوردناهما كانتا قبل النبوة وكانت في صغره ﷺ، وكانت لأول مرة لم تكرر إلا القصة الأولى فقط وكانت عناية الله تعالى تتبعه لتحفظه وتعصمه وهو غلام قبل أن يؤتى النبوة، ولم تورد عنه قصص غيرها في هذا المجال مما يدل أنه بعيد عن أعمال السوء وتقاليد الجاهلية وهو يعيش في بيئة منحرفة والعناية الربانية تحفظه وترعاه.

4. الدليل من الإجماع:

حكى ابن خمير الإجماع في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أفعالهم فقال:"ما صح من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء،...وأن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب أن يكون على فعل المباح كان غير من المباحات أولى منه"[2]، وقال المازري: "وأما أفعال الجوارح فلا شك في تقرير الإجماع على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".[3]

ثانيا: الشبهات

[1]- سبق تخريجه وكذلك أورده المباركفوري، الرحيق المختوم ص42-43، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق.

[3]- ينظر: المازري، إيضاح المحصول من برهان الأصول، ص398، مصدر سابق

في هذا المجال أورد ابن خمير شبهات ورد عليها نوردها كالآتي:

قصة سيدنا موسى عليه السلام:

حيث نورد الشبهة ثم الرد عليها من قبل ابن خمير

1- إيراد الشبهة: قال ابن خمير:"فمن أقوال المخلطة في هذه القصة، أن موسى عليه السلام قتل القطبي من أجل العبراني لأن العبراني من قبيلة والقبطي من غير قبيلة فصيروا الكليم عليه السلام متعصبا لأجل قبيلته وعشيرته وليس الأمر كذلك وحاشاه من ذلك".[1]

حيث عرض ابن خمير قول من أقوال غير المحققين في هذه القصة وسماهم المخلطة، لأنهم يخلطون الأقوال ويروونها دون تثبت حيث اتهموا موسى عليه السلام بالعصبية وحاشى للأنبياء عليهم السلام أن يتصفوا بهذه الصفة، لأنها لا تناسب ومقامهم ودعوتهم إلى دين الله تعالى فالناس عندهم كلهم سواسة وكلهم لآدم ثم ذيل كلامه بتنزيه موسى عليه السلام من ذلك فبين أن الأمر ليس كذلك وأنه عليه السلام حاشاه أن يوصف بذلك ثم عقب على هذه الشبهة ورد عليها.

2- الرد على الشبهة:

قال ابن خمير:"فإن هذه هي حمية الجاهلية، وإنما مر موسى عليه السلام برجلين يقتلان أحدهما يعرفه مؤمنا والآخر يعرفه كافرا فاستغاثه المؤمن على الكافر، فوكز الكافر ليحمي المؤمن فصادف مقتلا من مقاتله بتلك الوكزة فمات"[2]،حيث بين ابن خمير أن هذه الشبهة إتهام موسى عليه السلام بالحمية الجاهلية وهو منها براء، ثم بين وجه مقتل موسى للكافر حيث أنه كان مارا فوجد رجلان في عراك بينهما أحدهما مؤمن والآخر كافر وموسى عليه السلام على علم بديانتهما فاستنجد المؤمن به فلبى موسى النداء فضرب الكافر دون نية القتل؛ ولكن صادف موضع من جسده تسبب في قتله،

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص149، مصدر سابق، وكررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص260

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص149، مصدر سابق

وذلك أن موسى عليه السلام قوي جدا فكانت الضربة القاضية فقضى عليه ومات بسبب تلك الضربة القوية جدا.

المبحث الثاني

العصمة الخاصة بالرسالة

بعد تطرقنا في المطلب الأول لأنواع العصمة وتحدثا عن العصمة الخاصة بشخصية الأنبياء عليهم السلام في الباطن والظاهر، ففي هذا المطلب سنتحدث عن العصمة الخاصة بالرسالة وهي عصمة الوظيفة، لأن أهم وظيفة للأنبياء عليهم السلام هي تبليغ رسالة الله تعالى إلى البشر، ويتضمن هذا المطلب فرعين الأول يتعلق بالتبليغ، والثاني بالإجتهاد.

المطلب الأول: ما يتعلق بالتبليغ

ويتمثل التبليغ في إيصال الرسالة وما تحتويه من الوحي والأوامر والنواهي ومجمل الشرع وتفصيله إلى الثقلين وهما البشر والجن باعتبارهما مكلفين من مصدرها وهو الخالق عن طريق جبريل عليه السلام بواسطة النبي المرسل عليه السلام؛ لأنه هو الواسطة في التبليغ عن الله تعالى للخلق ويعتبر التبليغ أهم وظيفة للنبوة وقد تحدثنا عنه في وظائف النبوة[1]، كما أن الموضوع الأساسي للتبليغ هو الوحي وقد سبق التفصيل فيه[2]، والآن سنعرض الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ كذلك نورد الشبهات في الموضوع ورد ابن خمير عليها.

أولا: الأدلة

والأدلة التي سنعرضها هنا تتمثل في أربعة أنواع بالترتيب من القرآن والسنة وسيرة الأنبياء عليهم السلام وإجماع الأمة.

1- الدليل من القرآن:

ورد في القرآن الكريم آيات عدة تأمر الأنبياء عليهم السلام بالتبليغ، وكذلك تصفهم بأنهم مبلغون عن الله تعالى وسنورد بعضا منها.

[1]- ينظر: المطلب الثالث من المبحث الأول من الفصل الأول (وظائف النبوة).

[2]- ينظر: المطلب الثالث من المبحث الثاني من الفصل الأول (أسس النبوة).

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾.[1]، قال وهبة الزحيلي في تفسيرها:"يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل إليك من القرآن لا تكتم منه شيئا، ولا تخشى مكروها، وإن لم تبلغ وكتمت بعض ذلك فما بلغت رسالة ربك، وقد بلغ الرسول فعلا لأمته ما نزل إليهم والله يحفظ ويحميك من أذى الناس وإساءتهم..." [2].

- وفي حق نوح عليه السلام مدحه بأنه مبلغ عن الله تعالى فقال على لسانه مخاطبا قومه:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[3]

- وفي حق هود عليه السلام وصفه بالمبلغ الناصح والأمين فقال على لسانه:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(67)أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.[4]

- وفي حق صالح عليه السلام وصفه ربه بأنه قد بلغ ما عليه فقال على لسانه:﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.[5]

- وفي حق شعيب عليه السلام وصفه ربه بأنه بلغ ونصح فقال على لسانه:﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.[6]

- قوله تعالى:﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.[1]،وقال وهبة الزحيلي في تفسيرها:"ولو إفترى

---

[1]- سورة المائدة، الآية 67.

[2]- وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز، ص120، مصدر سابق

[3]- سورة الأعراف، الآيتين 61، 62.

[4]- سورة الأعراف، الآيتين 67، 68.

[5]- سورة الأعراف، الآية79.

[6]- سورة الأعراف، الآية93.

محمدﷺ بعض الأقوال المكذوبة أو الباطلة من عند نفسه ونسبها إلينا لعاقبناه وانتقمنا منه بالقوة أو لأخذنا بيده اليمنى بإهانة بالغة،ثم لقطعنا من العرق المتصل بقلبه أي أمتناه وليس أحد منكم عنه مانع ودافع يمنعنا من عقابه أو ينقذه منا،فكيف يكذب على الله؟".[2]

- وقال صاحب كتاب(رد شبهات حول عصمة النبيﷺ)في معناه"فهذه الآيات دليل صدقه وعصمته في تبليغه الوحي بدليل التمانع فقد امتنع أخذه سبحانه نبيهﷺ بتلك الصفة لامتناع تقوله عليه،وامتناع التقول عليه يعني الصدق والعصمة فيما يقول ويبلغ عن ربه".[3]

فهذه الآيات وغيرها التي ساقها القرآن الكريم في حق النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام لأنهم كلهم سواء في وظيفة التبليغ وعصمتهم في ذلك لدليل على إثبات عصمتهم في التبليغ حيث بين ابن خمير ما يجري على نبي من الصفات يسري على سائر الأنبياء عليهم السلام فقال: "أن أنبياء الله تعالى في العصمة والنزاهة سواء فما جاز على أحدهم جاز على الكل".[4]

2- الدليل من السنة:

وردت أحاديث كثيرة في إثبات عصمة النبيﷺ في التبليغ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إني لا أقول إلا حقا".[5]
- وفي حديث صالحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"إلا أحدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل".[6]

---

[1]- سورة الحاقة، الآيات 44-47.

[2]- وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز، ص 569، مصدر سابق

[3]- عماد السيد الشربيني، رد شبهات حول عصمته النبيﷺ، ص298، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص135، مصدر سابق

[5]- أخرجه الترمذي في سننه وقال حسن صحيح برقم 1990، مصدر سابق

[6]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 2361، مصدر سابق

فهذه جملة من الأحاديث تثبت عصمة النبي ﷺ في التبليغ مهما كانت حالته ولو كان في حالة الغضب كما سبق في الحديث.

3- الدليل من سيرة الأنبياء عليهم السلام:

لقد أثبتت سيرهم عليهم السلام صدق حديثهم في المعاملات ومخالطة الناس، وحسن تصرفاتهم في المجتمع وابتعادهم عن الكذب والانحرافات السلوكية والأخلاق السيئة، وهم أرفع الناس قدرا ومرتبة في مجتمعاتهم وأن الله تعالى صنعهم برعايته وهيئهم إلى منصب النبوة وأختارهم لرسالته فأوحى إليهم وأمرهم بالتبليغ دون نقص ولا زيادة فبلغوا أحسن تبليغ،وشهد لهم الأصحاب والأعداء بالصدق في الحديث والتبليغ، وقد وصفت قريش النبي محمد ﷺ قبل نبوته بالصادق الأمين، فمن باب أولى إثبات ذلك بعد نبوته، وما قصة هرقل مع أبي سفيان إلا دليل على إثبات عصمته في التبليغ وسنذكرها ونذكر غيرها عن بعض من أنبياء الله تعالى في عصمتهم في تبليغ الوحي فيما يأتي:

أ- قصة النبي محمد ﷺ والشهادات الدالة على عصمته في التبليغ.

1- الشهادة العامة:

- شهادة عامة الصحابة رضي الله عنهم على عصمته في التبليغ في خطبة الوداع وبعد إكمال دين الله تعالى حيث أغلب الصحابة رضي الله عنهم اجتمعوا وسمعوا خطبته وأراد أن يأخذ منهم الإقرار والشهادة في كمال التبليغ وتمامه فقال:"...وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا:(نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت)،...".[1]
- شهادة مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم كذلك في حادثة الكسوف حيث قال مخاطبا الناس:"يا أيها الناس، إنما أنا بشر ورسول الله فأذكركم الله إن كنتم تعلمون إني قصرت عن

[1]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1218، مصدر سابق

شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني؟ قال:فقام الناس قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك".[1]

2- الشهادة الخاصة:

- شهادة عائشة رضي الله عنها حيث قالت:"لو كان رسول اللهﷺ كاتما شيئا، لكتم هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾[2]..." [3]
- شهادة عائشة رضي الله عنها حيث قالت:"من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب والله يقول﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾.[4]...".[5]

لقد شهد له الجميع والأفراد من أصحابه ﷺ بالعصمة في التبليغ .

ب- قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشهادة القرآن لهم بالتبليغ:

وكذلك ما أورد القرآن الكريم عن الأنبياء السابقين وقد سقنا الآيات في الاستدلال بالقرآن الكريم على عصمتهم في التبليغ[6]،وفي وصف الأنبياء بصفة عامة بأنهم كلهم مبلغون عن الله تعالى قال الله تعالى في حقهم:﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ...﴾[7]، فهذه الأوصاف في مهمة التبليغ من النصح، والأمانة وأن لديهم علم من الله تعالى

[1]- أخرجه الحاكم في مستدركه برقم 1234، مصدر سابق

[2]- سورة الأحزاب، الآية 37

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم 177، مصدر سابق، سبق الحديث عنه في قصة زواج النبي ﷺ بزينب.

[4]- سورة المائدة، الآية 67.

[5]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم4612، مصدر سابق.

[6]- ينظر: الدليل من القرآن من الفرع الأول (ما يتعلق بالتبليغ) من المطلب الثاني (العصمة الخاصة بالرسالة)

[7]- سورة الأحزاب، الآية39.

وأنهم يخشون الله وحده دون غيره للدلالة على الصدق والعصمة في التبليغ فلا يكتمون ما أمروا بتبليغه ولا ينقصون فيه ولا يزيدون فيه شيئا ولا يحرفون الكلم عن مواضعه فهم سفراء الله تعالى إلى خلقه فهم أمناء وصدقون ومعصومون من الكذب والخيانة والكتمان والتزوير والتحريف والزيادة والنقصان، لأنهم صنعة الله تعالى فهو يحميهم ويحفظهم ويرعاهم.

4- الدليل من الإجماع:

أجمع أهل الملل والشرائع كلها على عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ[1]، وسنورد بعض أقوال العلماء في مسألة الإجماع ونختم بكلام ابن خمير في المسألة.

- قال عياض:"وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به،لا قصدا ولاعمدا،ولا سهوا ولاغلطا،أما تعمد الغلط في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله فيما قال اتفاقا، وبإطباق أهل الملة إجماعا".[2]

فقد نقل عياض الإجماع على عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ.

- قال الفخر الرازي:"ما يتعلق بتبليغ الشرائع والأحكام من الله تعالى، وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع"[3]، حيث أكد الرازي إجماع الأمة على عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال التبليغ.
- وأما ابن خمير فقد عبر عن عصمة الأنبياء عليهم السلام بإجماع الأمة بصيغة أخرى تتضمن عصمتهم في مجال التبليغ فقال:"ما صح من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء من

[1]- ينظر: كتاب الأربعين، ص321، الشفا،115/2،رد شبهات للشربيني، ص294، شرح المواقف، 263/8،والعصمة للتميمي، ص 118، مصادر سابقة

[2]- القاضي عياض، الشفا، 115/2، مصدر سابق

[3]- كتاب الأربعين، ص321 مصدر سابق

الكبائر"[1]، فكلام ابن خمير هنا عام وهو عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر، وهذا متضمن عصمتهم في التبليغ، لأنهم بعيدين عن الكذب والكتمان والخيانة وتعد هذه كبائر حيث بين ابن خمير بأن الكبيرة ما جاء فيها وعيد فقال:"أن كل محظور كبيرة على قول من قال بذلك من أئمة السنة وهو صحيح لاتحاده في الحظر،وإنما يتصور كبير وأكبر بالتحريض على تركها، وتأكيد الوعيد على فعل بعضها دون بعض"[2]،حيث بين أن الكبيرة ما كان فيها وعيد، والتقول على الله تعالى دون علم أو وحي يعد من أكبر الكبائر لأن الله تعالى توعد نبيه ﷺ على افتراض أنه تقول عليه بالموت فقال تعالى:﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [3]،وبما أنه لم يحصل العقاب للنبيﷺ في أداء مهمة التبليغ من بدايتها إلى نهايتها فدل أنه لم يقع في هذه الكبيرة مما نستنتج أنه معصوم في التبليغ وذلك بإجماع الأمة، وهذا يسري على جميع الأنبياء عليهم السلام.

5- الدليل العقلي:

ساق ابن خمير دليلا عقليا على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التبليغ، حيث استدل على ذلك بالمعجزة باعتبار أن دلالتها عقلية لكونها اقوى الأدلة في إثبات النبوة لدلالتها على صدق النبي عليه الصلاة والسلام ونفي الكذب عنه فقال"فهذه الأمور بجملتها هي المعجزة وبها يكون الرسول رسولا حقيقيا وتسميته بذلك مع ما يستند إليها من وجوب صدقه وعصمته من الكذب فيما يبلغه عن الله تعالى عقلا، وكذلك عصمته من الخطأ والوهم فيما يبلغ عن الله أيضا"[4]، وفي رده على شبهة في مسألة الصفات الإلهية، قال ابن خمير: "استحالة ورود الشرائع بما

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[3]- سورة الحاقة، الآيات 44، 45، 46

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص224، مصدر سابق

يناقض أدلة العقول وذلك أن يقال لهم أنتم إسلاميون على زعمكم وأنتم مقرون أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يقولون على الله إلا الحق فلا يخلو أن أخبرهم الله تعالى بما تشهد له أدلة العقول أو ما يناقضها،...".[1]

ثانيا: الشبهات

أورد ابن خمير شبهة واحدة في هذا المجال لسيدنا يونس عليه السلام ثم رد عليها.

أ- إيراد الشبهة:

أورد ابن خمير شبهة من أقوال الجهلة حول تبليغ الرسالة في قصة يونس عليه السلام حيث قال:"فمما اختلقوه عليه السلام في شرح هذه الآية[2] أن قالوا: إنه جاءه الملك بالوحي وهو يتعبد في الجبل فقال له:(إن الله تعالى أمرني أن أعلمك بأنه أرسلك إلى أهل نينوى[3]لتحذرهم)، فقال له يونس عليه السلام: (الله أرفق بي، وأعلم بضعفي ومسكنتي من أن يرسلني إلى قوم جبارين متكبرين يؤذونني ويقتلونني، فراجع ربك أيها الملك في أمري، فلعله يعفني من ذلك ويلطف بي!) فقال له الملك: (الله تعالى أعظم من أن أراجعه فيما أمرني به، وقد أمرتك فسل أنت ربك ذلك إن شئت فقد بلغتك والسلام)، ثم صار الملك إلى مقامه ففر إذ ذاك يونس عليه السلام على وجهه إلى وجهة البحر مغاضبا لربه، وركب السفينة فالتقمه الحوت".[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص104

[2]- قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا...﴾ سورة الأنبياء، الآية 87

[3]- مدينة بالعراق من أرض الموصل، معجم البلدان، 391/5، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص156، وكررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص258، 267، مصدر سابقة

فهذه شبهة حول تبليغ الرسالة وفيها اتهام يونس عليه السلام بأن رد أمر الله تعالى ولم يبلغ ما أمره الملك من الوحي وما يحتوي من تحذير لقومه، وحاشاه عليه السلام أن لا يبلغ أوامر الله تعالى ويردها على الملك جبريل عليه السلام،وقد رد ابن خمير على هذه الشبهة فقال:"فهذا من بعض أقوالهم الخبيثة في قصة يونس عليه السلام، ومقتض هاتين الكذبتين عليه أنه سخط أحكام ربه، ولم يرض بقضائه ولا أذعن لحكمه! وحاشى وكلا أن يفعل ذلك أنبياء الله تعالى مع العصمة والنزاهة فيما دون ذلك كما قدمناه، فإنما غضب العبد على ربه إنما هو ألا يرضى بحكمه ولا بإرادته وهذه هي المناقضة والكفر الصراح".[1]

ب- الرد على الشبهة:

علق ابن خمير على هذه الشبهة بأنها من الأقوال الخبيثة والتي لا يجوز إيرادها في حق الأنبياء عليهم السلام، وفيها اتهام يونس عليه السلام برد حكم الله تعالى وأنه لم يذعن لأوامره ثم رد عليهم بأنه برئ مما قالوا فيه لأنه معصوم ومنزه عما دون ذلك فما بالك بهذا الأمر الذي يؤدي إلى الكفر الصراح كما قال ابن خمير، ثم يواصل كلامه في الرد عليهم ويعطي تفسيرا يليق بقصته عليه السلام فيقول: "أما مغاضبته عليه السلام، فكانت لقومه لا لربه ولا يجوز ذلك عليه، وأنى وقد جاء في الخبر أنه عليه السلام قال:(والذي نفسي بيده لو لم يبلغ نبي الرسالة إلى قومه لعذب بعذاب قومه أجمعين)[2]وإنما كانت لقومه لما نال منهم من الأذية،فاحتمل أذاهم حتى ضاق صدره،ويئس من فلاحهم، ففر بنفسه بعدما بلغ غاية التبليغ كما أمره الله تعالى ثم غلب على ظنه لسعة حلم الله تعالى ألا يطلبه بذلك الفرار لكونه قد أدى ما عليه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿...فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾،أي أن نضيق عليه، قال تعالى:﴿...وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ...﴾.[3] أي ضيق،وقال

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 157-158.

[2]- حديث استدل به ابن خمير وهو منقول بالمعنى، لم أعثر على تخريجه

[3]- سورة الطلاق، الآية 07.

تعالى:﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾.[1] أي يضيق ويحتمل أنه ظن أن قدرة الله تعالى لم تتعلق بإيلامه وسجنه تفضلا منه، وأنه تعالى يعفو عنه في ذلك الفرار، فوقع خلاف ظنه وهذا هو الذي يجوز أن يعتقده الأنبياء، وأن يعتقد فيهم"[2]، حيث فسر ابن خمير المغاضبة أنها على قومه وليست على ربه، لأنه لا يجوز ذلك في حقهم واستدل بالحديث الذي بين أنه لو لم يبلغ في ما أمره الله تعالى لكانت عاقبته العذاب الأكبر وهذا على افتراض، لأنه لم يحصل في سيرة الأنبياء عليهم السلام فيدل على أنهم كلهم قد بلغوا ما أمروا به ولم يكتموا منه شيئا، لأنهم منزهين ومعصومين ومن صفاتهم الأساسية التبليغ، وإنما الذي حصل لسيدنا يونس عليه السلام أنه أوذي وضاق صدره بذلك رغم أنه بلغ ما عليه، والإيذاء والابتلاء سنة الله في أنبيائه وهم أكثر الناس ابتلاء، وقد فسر ابن خمير لفظ (نقدر) بالتضييق واستدل على هذا التفسير بآيتين في الحديث عن الرزق، ثم ختم كلامه بأن هذا التفسير هو الصحيح في حق الأنبياء عليهم السلام ويجب علينا نحن أن نعتقد ذلك في حقهم،لأنهم معصومون ومنزهون وموصفون بصفات خاصة بهم وهم سفراء الله تعالى إلى خلقه ومقامهم رفيع.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى

إن من مهام النبوة الفتوى وهذا يدخل في باب الاجتهاد بالنسبة للنبي عليه السلام، وهو الإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليه، والمسائل التي تقع له مع قومه وفي حياته اليومية والتي لم يرد الوحي الرباني عليه فيجتهد في المسألة فيجد لها حلا وذلك بإلهام الله له، وقد ينتظر الوحي عندما يسأل،وقد ذكرنا سابقا أن من حاجات البشرية للنبوة الفتوى،وكذلك من مهام النبوة الفتوى[3] وهناك

[1]- سورة الزمر، الآية 52.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص 157-158، مصدر سابق

[3]- ينظر: المطلب الثاني من المبحث الأول من الفصل الأول (حاجة البشرية للنبوة)، والمطلب الثالث من المبحث الأول من الفصل الأول (وظيفة النبوة).

اجتهادات شخصية للأنبياء عليهم السلام فقد يخطئون فيها وهذه تعود إلى أمور الدنيا وهذا الخطأ هو تشريع للأمة لبيان أن هناك أمور خاصة بالدنيا يجتهد كل إنسان فيها دون انتظار الشرع في التفصيل فيها كمسألة تأبير النخل[1]، وأما أمور الدين التي تأتي من طرف النبي ﷺ ولم تذكر في الكتاب المنزل فهي أحكام شرعية كإستثناء ميتة البحر والجراد ومن الدم الطحال والكبد من بين المحرمات، والسنة إستثنت ذلك، والله تعالى لا يقر أنبياءه على خطأ بل إذا وقع يصوبهم إلى الصحيح أو الأولى.

سنتحدث عن هذا النوع من أنواع العصمة وذلك بإيراد الأدلة على عصمتهم في الفتوى والاجتهاد ثم نورد الشبهات في هذا المجال ورد ابن خمير عليها.

أولا: الأدلة

سنورد الأدلة من القرآن والسنة وسيرة الأنبياء عليهم السلام وإجماع الأمة فيما يخص عصمتهم في مجال الفتوى والاجتهاد.

1. الدليل من القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم ما يدل على عصمتهم في الفتوى والاجتهاد، وسنورد بعض من الآيات الدالة على ذلك:

- قوله تعالى:﴿...وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ...﴾.[2]

حيث بين الله تعالى أن الأمر عندما يستشكل يرد أولا إلى الرسول ﷺ في حياته ثم إلى العلماء بعد مماتهﷺلأن كل منهما يستنبط الحكم وذلك بالاجتهاد في الفتوى والرسولﷺأولى لأنه معصوم، قال صاحب كتاب(رد شبهات حول عصمة النبيﷺ)في معنى هذه الآية:"ووجه الاستدلال به أن

[1]- ينظر: المطلب الثالث من المبحث الثاني والفصل الثاني (الإعراض البشرية)

[2]- سورة النساء، الآية 83.

الله تعالى قد سوى بين الرسولﷺوأولي الأمر، وتجب طاعته فيه لعصمته،لما كان الأمر بالرد فيه فائدة!".[1]

- قوله تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾.[2]، فهذه الآية دليل على عصمة النبي ﷺ في الفتوى والاجتهاد ووجه الاستدلال فيها قوله ﴿...لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ...﴾، وذلك بالاجتهاد وقوله﴿...بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ...﴾،وذلك بالعصمة قال صاحب كتاب (رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ) في معنى الآية"فهذه الآية احتج بها العلماء على حكم الرسول ﷺ باجتهاده، وأن هذا الحكم معصوم فيه، بدلالة قوله في حكمه فهو حكم الله في النهاية".[3]
- قوله تعالى:﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [4]،حيث بين الله تعالى أن اجتهادهما صائب وأصوبه اجتهاد سليمان عليه السلام وقد أقر لهما الله تعالى على ذلك وعصمهما بدليل قوله﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ...﴾ ودليل على العصمة والتوفيق من الله تعالى له وكذلك أثنى عليهما في الحكم فقال﴿...وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.[5]

2. الدليل من السنة:

بينت سنة النبي ﷺ أن اجتهاده واجتهاد الأنبياء السابقين في مسألة الفتوى أنه يكون بتوفيق من الله تعالى، وأن الله تعالى عصمهم من الوقوع في الخطأ فإن كان اجتهادهم صحيح أقره

[1]- الشربيني، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ ص434، مصدر سابق

[2]- سورة النساء، الآية 105.

[3]- الشربيني، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ ص434، مصدر سابق

[4]- سورة الأنبياء، الآيتين 78-79.

[5]- عفيف طباره، مع الأنبياء، ص117-119

وإن وقع فيه الخطأ يصوبهم، وسنورد بعض من الأحاديث في هذا المجال للدلالة على عصمة الأنبياء عليهم السلام في الفتوى.

- قوله ﷺ في مسألة الفصل في الخصومة:"إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن[1] بحجته من بعض،فمن قضيت له من حق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها"[2]

فبين الحديث أن النبي ﷺ يحكم بين الناس ولكن حسب سماعه لهم في ظاهر كلامهم فإذا كان أحدهما أقوى في الحجة الكلامية من الآخر فيحكم له ثم استدرك ﷺ إن كان صاحب الحجة الكلامية كاذب وليس له حق فإنه يقطع له من النار ويعذبه بذلك المقطع يوم القيامة ووجه الاستدلال من الحديث اجتهاد النبيﷺ وعصمة الله تعالى له.

- قوله ﷺ:"إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه"[3]، فبين النبي ﷺ أنه يقضي بين الناس باجتهاده ورأيه وفيه دلالة أنه يعلم أن الله يعصمه في اجتهاده وفتواه.
- قوله ﷺ:"إنما أنا بشر،وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها"[4]، حيث بين في الحديث أنه ﷺ يقضي باجتهاده حسب ظاهر أقوال الخصم وذلك حسب الحجة القولية التي يقدمها الأقوى بلاغة فالنبي ﷺ يجتهد حسب ما قدمت له الحجة القولية، مما يدل على اجتهاده ﷺ فهذه الأحاديث كلها دالة على اجتهاد النبي ﷺ في ما لا نص فيه من القرآن الكريم، ويعتبر اجتهاده هذا مصدر ثاني للشريعة، لأنه معصوم ﷺ في أقواله وأفعاله وآرائه الاجتهادية.

---

[1]- ألحن: أقوى حجة في الظاهر لقوة كلامه وجداله وهي من الفطنة،المصباح،ص343،المختار، ص108، مصادر سابقة

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2680، مصدر سابق

[3]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 2458، مصدر سابق

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 1258، مصدر سابق

3. الدليل من سير الأنبياء عليهم السلام:

سنورد بعض من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في مسألة الاجتهاد:

- **قصة سيدنا سليمان وداود عليهما السلام** واجتهادهما في مسألة الغنم التي أتت على أصحاب الزرع حيث اختصموا إلى داود عليه السلام فرأى رأيه في المسألة ثم عرض عليه ابنه سليمان عليه السلام رأيا آخر فعدل عن رأيه وحكم برأي إبنه سليمان عليه السلام، لأنه أقرب إلى المنطق والواقع والشرع رغم أن رأي داود عليه السلام سليم وصحيح وقد أيد القرآن الكريم هذا الاجتهاد الأخير من قبل سيدنا سليمان ولم يذكر أن اجتهاد سيدنا داود بأنه خطأ فلو كان خطأ لصوبه مما يدل على عصمتهما في الاجتهاد قال تعالى:﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ(78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾.[1]، قال طباره"ففهمناها سليمان: يدل على أن سليمان هو المصيب للحق ولولا ذلك لما خصصه الله بالفهم، وتخصيصه بالفهم لا يدل على خطأ داود لجواز كون كل واحد منهما مصيبا وهو معنى قوله تعالى﴿...وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ ويؤخذ من هذه الحادثة أن المجتهدين لا يقدرون على إصابة الحق في كل قضية، ولكن يجب أن لا يصروا على حكم إذا تراءى لهم حكم آخر أقرب إلى الصواب،وهذا ما فعله داود من تراجعه عن حكمه إلى الحكم الذي أفتى به سليمان كما يؤخذ من ذلك جواز الاجتهاد في الأحكام وأن المجتهد قد يخطئ وأنه مأجور مع الخطأ، لأن الله أخبر أن الحق كان في جانب سليمان ثم أثنى عليهما معا"[2]، وهناك قصص أخرى من واقع سيرتهم.[1]

---

[1]- سورة الأنبياء، الآيتين 78، 79.

[2]- عفيف طباره، مع الأنبياء، ص285 بالهامش رقم 3، قصص القرآن، سعد يوسف، ص312، قصص القرآن لعلوش ص136، البسيوني، صحيح قصص القرآن، ص389، مصادر سابقة

- **اجتهادات الرسول ﷺ** وهي كثيرة جدا ولا نستطيع عرضها هنا وإنما نختار منها البعض للاستدلال على عصمته في الاجتهاد والفتوى منها:

عن أبن عباس رضي الله عنهما أن إمرأة جاءت النبيﷺ فقالت:"أن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج أفأحج عنها؟ قال:(نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت تقضينيه؟) قالت: (نعم) قال: (فأقضي الذي له إن الله أحق بالوفاء)...".[2]

فالحديث يبين أن النبي ﷺ قاس الحج على دين العباد واجتهد فأصاب، لأنه معصوم ﷺ.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:"هششت[3] فقبلت وأنا صائم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: (إني صنعت اليوم أمرا عظيما، قبلت وأنا صائم)،قال:(أرأيت لو مضمضت من الماء؟)قلت: (لا يضر)، قال: (ففيم؟)[4]..."[5].

ففي الحديث دلالة على اجتهاد النبي ﷺ حيث قاس القبلة على المضمضة على أنهما لا يفسدان الصوم ودل على أن اجتهاده ﷺ معصوم ومؤيد بالوحي.

4. الدليل من الإجماع:

إن عصمة الأنبياء عليهم السلام في مسألة الفتوى والاجتهاد فقد أجمعت الأمة على عصمتهم في ذلك وسنورد أقوال العلماء في هذه المسألة.

- قال الفخر الرازي:"ما يتعلق بالفتوى: وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز تعمد الخطأ".[1]

---

[1]- منها قصة المرأتين اللتين تخاصمتا في الولد، وفصل بينهما سيدنا سليمانعليه السلام، ينظر: قصص القرآن لعلوش، ص137 وسعد يوسف، ص313، والقصة في الصحيحين بخاري برقم 3427، ومسلم برقم 1720، صلاح الدين محمود سعيد،صحيح القصص النبوي، ص305، مصادر سابقة.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 7315، مصدر سابق

[3]- هششت: أي نشطت من الارتياح والخفة، مختار الصحاح، ص356، والمصباح، ص400، مصادر سابقة

[4]- أخرجه الحاكم في مستدركه برقم 1577، مصدر سابق

[5]- أي (في أي شيء تسأل) أصلها في وما ثم أدغمتا فأصبحت (فيم) في حرف خافض وهو للوعاء والظرف، المختار ص270، والمصباح، ص303، وما استفهامية كقولك (ما عندك)، المازري، إيضاح المحصول، ص185، مصادر سابقة.

حيث بين الرازي إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء عليهم السلام قاطبة في مسألة الفتوى.

- قال القاضي عياض:"وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكنه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء ثم ذلك على نوعين:
- ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم بإتباعه فيه.
- وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه.

أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب، وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي ﷺ وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا وكذلك قالوا: الأفعال في هذا الباب لا يجوز طروّ المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا، لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء، وطروّ هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن".[2]

حيث بين أحوال الأنبياء عليهم السلام في الأفعال والأقوال في حالة طروّ السهو والنسيان أنها قسمان فالأول يدخل تحته التبليغ والفتوى والاجتهاد وإن كان لم يصرح بالمصطلحين (فتوى اجتهاد) ولكن مضمونهما في قوله:(وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم بإتباعه) فهذه الجمل تتضمن معنى الفتوى والاجتهاد بالفعل أو القول لأنهما فيهما التعليم وتعلقهما بالأحكام وإتباع الأمة، ثم بين حكم هذا القسم وهو إجماع الأمة في عبارة قوله (وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي ﷺ وعصمته من جوازه عليه) فهذه الجمل دالة على تضمن إجماع الأمة على عصمة الأنبياء عليهم السلام في الفتوى والاجتهاد.

وكذلك قوله (الأفعال في هذا الباب لا يجوز طروّ المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا، لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء) ففي هذه الجملة الثانية وضح أكثر بأن ما يقع منه في الأفعال في

---

[1]- كتاب الأربعين، ص322، مصدر سابق

[2]- الشفا، 136/2، مصدر سابق

جانب الاجتهاد فإنه معصوم فيها ثم علل بذلك أنها تنزل منزلة التبليغ والأداء، وقد وضح في حديثه عن عصمته في التبليغ أنه مجمع عليه[1]،وقد عرض قوله في مسألة العصمة في التبليغ،ويقول الإمام الشاطبي في هذا المجال: "فأعلم أن النبيﷺ مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال وصحة ما بين، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوما بلا خلاف، إما بأنه لا يخطئ البتة، وإما بأنه لا يقدر على خطأ إن فرض، فما ظنك بغير ذلك؟".[2]

حيث بين الشاطبي عصمة النبي ﷺ في مجال الاجتهاد وأنه مجمع عليه بقوله(الاجتهاد الصادر منه معصوما بلا خلاف) أي لم يخالف أحد من الأمة في ذلك فدل على الإجماع.[3]

- قول ابن خمير بالنسبة لإجتهاد الأنبياء عليهم السلام في الأحكام:"وأما من سوغ اجتهادهم في مسائل الأحكام الشرعية فتحزبوا حزبين:فمنهم من جوز إصابتهم في بعض المجتهدات ومنهم من أوجبها في جميع المجتهدات،وأوجب أنهم معصومون من الخطأ فيها،ولهم على هذا حجج من الكتاب والسنة وقضيات العقول، ولكنهم مجموعون على أن أخذ اجتهادهم صحيح معصوم، وأن إتباعهم في كل ما أثبتوا من المجتهدات واجب على الكفاية".[4]

حيث بين ابن خمير أن العلماء على قسمين في مسألة اجتهاد الأنبياء عليهم السلام فيما يخص الخطأ والصواب[5] ففريق قال بأنهم مصيبون في بعض مسائل الاجتهاد وفريق قال بأنهم مصيبون في كل مسائل الاجتهاد وكل فريق له أدلة من القرآن والسنة والعقل، ولكن المقام لا يسمح بعرضها،

---

[1]- قوله: "وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه..." القاضي عياض، الشفا، 115/2

[2]- الإمام الشاطبي، الموافقات، 458/2، مصدر سابق

[3]- قال ابن جزي: "وأما العصمة فمعناها أن يقول الله لنبي أو لعالم (أحكم فإنك لا تحكم إلا بالصواب لأني عصمتك من الخطأ)"ينظر:تقريب الوصول إلى علم الأصول،تح:محمد علي فركوس،ط1،دار التراث الإسلامي،الجزائر،1990،ص150

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص263، مصدر سابق

[5]- قال ابن جزي: "وقد اختلف الناس في ذلك –أي وقوع الخطأ والصواب في الاجتهاد–، قال الشافعي وأبو يوسف وغيرهما يجوز أن يحكم النبي ﷺ بالاجتهاد، وقال آخرون لم يكن متعبد به لأن الوحي يغني عن الإجتهاد،..."،ينظر:تقريب الوصول إلى علم الأصول،ص152، وينظر كذلك المازري في إيضاح المحصول، ص369، مصادر سابقة

لأن مجالها أصول الفقه[1] ثم بين أنهم على الجملة أجمعوا على أن اجتهادهم صحيح معصوم بقوله (ولكنهم مجموعون على أن أخذ إجتهادهم صحيح معصوم) فنقل الإجماع عن العلماء في أن الأنبياء عليهم السلام معصومون في الفتوى والاجتهاد.

وابن خمير تحدث بالعموم عن الأخطاء التي تصدر منهم في حالة اجتهادهم فقال:"وأن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنية".[2]

حيث بين أن أقوالهم وأفعالهم قد يعاتبهم الله تعالى عليها في حالة الخطأ ولا يقرهم على ذلك ولكن الخطأ لا يعتبر كبيرا أو خروجا عن الشرع وإنما هو في دائرة المباحات،ولكن هذه الدائرة تحتوي على أولويات فيقع الخطأ في تركه للأولى منه، وقد تحدث ابن خمير على أن لله تعالى أن يعاتب أنبياءه فقال:"ثم إن لله تعالى أن يعتب أنبياءه وأصفياءه،ويؤدبهم ويطلبهم بالنقير والقطمير من غير أن يلحقهم في ذلك نقص من كمالهم ولا غض من أقدارهم حتى يتمحصوا للعبودية والقيام في نطاق الخدمة، والقعود على بساط القربة".[3]

فهذه مجمل الأدلة الأربعة على عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال الفتوى والاجتهاد، وسنعرض الشبه التي أوردها ابن خمير في هذا المجال ثم الرد عليها فيما يأتي:

ثانيا: الشبهة

---

[1]- ينظر: المصادر الآتية: ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناضر،ط1، الدار السلفية، الجزائر،1991م، ص356 الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: إبراهيم العجوز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، 440/4، أبو حامد الغزالي، المستصفى، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، 355/2، نظم الدين الأنصاري، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، (طبع مع المستصفى)، 366/2، وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي،ط1، دار الفكر، دمشق 1986م، 344/2

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص119 مصدر سابق

مما أورد ابن خمير في هذا المجال قصة سيدنا داود عليه السلام وذلك في شرح قوله تعالى: ﴿...لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ...﴾ [1]،حيث أورد شبهة حول فتوى واجتهاد داود عليه السلام في فصله بين الخصمين.

1- إيراد الشبهة:

قال ابن خمير:"قالوا: كيف يكون داود عليه السلام من خلفاء الله في أرضه ويقطع على الظلم بقول الواحد قبل أن يسمع قول الآخر"[2]، هذا عندما جاءه الخصمان للحكم بينهما أن أحدهما له تسع وتسعون نعجة والأخر له نعجة واحدة حيث طلب الذي له تسع وتسعون نعجة من الثاني الذي له واحدة بأن يتنازل له عنها قال تعالى:﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا...﴾ [3]،وأجابه داود عليه السلام بقوله:﴿...لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ...﴾، حيث استغرب صاحب الشبهة من ذلك على أن داود عليه السلام يفصل في الحكم من خلال سماعه للواحد فقط دون أن يسمع للآخر، حيث رد ابن خمير على هذا القول.

2- الرد على الشبهة:

رد ابن خمير على هذه الشبهة أو الاعتراض؛ لأنها شبهة مفترضة وليست مقولة حقيقية لها صاحبها، ولكن من منهج ابن خمير أنه يفترض شبها واعتراضات وأقوال مخالفة قد تتبادر لذهن السامع والقارئ فيجيب عليها فقال في رده عن هذا الاعتراض: "فالجواب عن هذا يتصور من وجهين:

---

[1]- سورة ص، الآية24.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص60، وكررها مختصرة في مقدمات المراشد، ص258، مصادر سابقة

[3]- سورة ص، الآية23.

أحدهما: أنه سمع من الآخر حجة لا تخلصه فقال للأول: (لقد ظلمك) أو صدقه الآخر في قوله: فقال للأول: (لقد ظلمك).

والثاني: أنه يقول:(لقد ظلمك)بإضمار(إن كان حقا ما تقول)وهذا سائغ،وإما أنه يقال له:(لقد ظلمك) من غير أن يسمع حجة الأخر،فهذا لا نسوغه في حق عاقل منصف،فكيف في حق من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب؟!، ألا ترى موقف يعقوب عليه السلام لما جاءه بنوه عشاء يبكون وهم جماعة فقالوا ما قالوا: فقال: ﴿...بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا...﴾ [1]،ولم يقبل أقوالهم ولا دموعهم بغير دليل، فكيف يقبل داود عليه السلام قول الخصم من غير حجة حتى يقول له: (لقد ظلمك).

هذا ما لا يصح في حقه، وأما قوله للخصم(لقد ظلمك) فعنى به بخسك وغبنك في قول كان غيره من المباحات أولى بك منه، وحد الظلم في اللسان وضع الشيء في غير موضعه، وقد قدمناه أن قول قائل لغيره أكفلني زوجك ليس بظلم منهي عنه شرعا فلم يبق إلا ما ذكرناه في لاحقه"[2].

أورد ابن خمير على هذا الاعتراض من وجهين الأول أنه سمع حجة الآخر ولكنها غير كافية وغير مقنعة فأجاب الأول بأن خصمك ظلمك ويحتمل أن الثاني صدق كلام الأول فأجابه داود بأنه ظلمك.

وأما الوجه الثاني أنه أجاب الخصم الأول بأن أضمر في نفسه كلاما من المفروض أن يكمله وموصولا بالجواب أي بقوله(لقد ظلمك إن كان حقا ما تقول)وهذا وجه من الوجوه في كلام العرب بأن تصرح بكلام وتضمر بقيته فأوّله بما هو مناسب من الكلام ثم قارن ابن خمير جواب سيدنا داود عليه السلام بكلام أحد العقلاء فإن كان أحد العقلاء على افتراض أنه يقول (لقد ظلمك) دون حجة أو دليل فإنه لا يصدر منه ذلك فكيف لسيدنا داود عليه السلام وقد كانت له

[1]- سورة يوسف، الآية18.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص60، مصدر سابق

خصائص عدة بأنه خليفة الله في أرضه، وأنه نبي الله تعالى وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وأنه تولى الحكم بين الناس أن تصدر منه فتوى أو اجتهاد بأن يفصل بين طرفين أو يجيب على مسألة دون سماعهما معا على سواء ثم استدل بقصة سيدنا يعقوب عليه السلام بما أخبره بنوه بما فعلوا مع يوسف عليه السلام وكذبوا بقولهم:(بأن أكله الذئب) فلم يقبل عذرهم ولا أقوالهم ولا دموعهم دون حجة أو دليل وكيف يقبل داود عليه السلام كلام الخصم دون حجة ولا دليل.

ثم فسر لفظ (الظلم) هنا في الآية بأن المقصود به البخس والغبن في مجال المباحات وذلك بتقديم أمر على غيره كأنه وضع شيء في غير مكانه وهو التعريف اللغوي للظلم.

ركز ابن خمير على رد الشبهات حول عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك حسب أنواع العصمة وهي على نوعين الأول خاصة بشخصهم وتمثلت في مظهرين الأول باطني والثاني ظاهري فأما الباطني فهو على قسمين ما يخص الإعتقاد وهو خاص بالقلب فقد رد على عدة شبهات في هذا المجال وخاصة شبهة سيدنا إبراهيم عليه السلام حول النظر في الكواكب فدحض شبه

القائلين بأنه اعتقد في الكواكب إلى أن وصل إلى معرفة الله تعالى ثم انتقل إلى المظهر الثاني وهي العصمة الخاصة بالأخلاق النفسية وهي تخص النفس والتي تتمثل في المشاعر الداخلية للإنسان وميولاته ورغباته وشهواته حيث رد على عدة شبه في هذا المظهر وخاصة شبهة سيدنا يوسف عليه السلام حول الهمّ ثم، انتقل إلى الرد على العصمة الخاصة بالمظهر الخارجي والمتمثلة في قسمين الأقوال والأفعال حيث رد عن الشبهات التي تخص أقوال الأنبياء عليهم الصلام والسلام وأهمها شبهات سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم انتقل إلى رد الشبهات حول الأفعال وأهمها شبهة سيدنا موسى عليه السلام أما النوع الثاني من أنواع العصمة وهي تخص الرسالة وهي على قسمين ما يتعلبق بالتبليغ حيث رد ابن خمير على الشبهات وأهمها شبهة سيدنا يونس عليه السلام، وأما القسم الثاني المتعلق باجتهاد وفتوى النبي عليه الصلاة والسلام حيث رد ابن خمير على شبهات هذا النوع وأهمها شبهة داود عليه السلام عندما إلتجأ إليه الخصمان في الفصل في القضية المطروحة، هذه أهم أنواع العصمة عند ابن خمير التي رد فيها على الشبهات الواردة حولها والتي من خلالها يمكننا معرفة طرق إثبات النبوة والعصمة معا وهذا ما سنراه في الفصل الموالي والذي يعد أخر فصل في الأطروحة.

الفصل الرابع

طرق إثبات النبوة والعصمة عند ابن خمير

المبحث الأول: طرق إثبات النبوة

المطلب الأول: طريق المعجزة

المطلب الثاني: طريق الخبر

المبحث الثاني: طرق إثبات العصمة

المطلب الأول: الطريق العقلي

المطلب الثاني: الطريق النقلي

تمهيد:

يحتوي هذا الفصل الأخير على مسألتين هامتين الأولى في إثبات النبوة والثانية في إثبات العصمة وكلاهما عند ابن خمير وقد خصصت للمسألة الأولى مبحث خاص بها بعنوان طرق إثبات النبوة عند ابن خمير واحتوى على مطلبين الأول طريق المعجزة والثاني طريق الخبر حيث أن الأول اعتمد على المعجزة كدليل لإثبات النبوة، والثاني اعتمد على الخبر اليقيني كدليل لإثبات النبوة، وكلا الطريقين يعضد أحدهما الآخر،وأما المسألة الثانية فقد خصصت لها مبحث ثاني بعنوان طرق إثبات العصمة عند ابن خمير واحتوى هذا المبحث على مطلبين الأول الطريق العقلي،والثاني الطريق النقلي وكلاهما يعضد الآخر.

وابن خمير اعتمد طريقان لإثبات النبوة الأول المعجزة والثاني الخبر، وهناك من اعتمد طريقا واحد لإثبات النبوة وهو طريق المعجزة والذي عليه أغلب المتكلمين[1]،ومنهم من زاد عليه ووافق ابن خمير واعتمد طريقان الخبر والمعجزة[2]، ومنهم من زاد عليهما واعتمد كذلك السيرة الذاتية للنبي عليه السلام[3]، ومنهم من زاد محتوى الرسالة[4]، فتصبح عند البعض أربع طرق (المعجزة الخبر، السيرة

[1]- منهم: الرازي في كتاب الأربعين،ص322، والتفتازاني في شرح المقاصد،49/5، والجرجاني والإيجي في شرح المواقف 288/8، مصادر سابقة

[2]- كتاب الأربعين، ص 296-320

[3]- الإمام الماتريدي، كتاب التوحيد،تح:بكر طوبال أوغي ومحمد آرشي،(د.ط)،مكتبة الرشاد،أسطنبول،(د.ت)،ص188

[4]- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية، ص285، مصدر سابق

الذاتية، محتوى الرسالة) ومنهم من اعتمد طريقان، ولكن يختلفان عن طريقي ابن خمير والرازي حيث وافقهما في المعجزة وخالفهما في الخبر حيث اعتمد بدله الدليل العقلي[1].

وقدمنا طرق إثبات النبوة على طرق إثبات العصمة، لأن الطريق العقلي في إثبات العصمة مبني على المعجزة وهي الطريق الأول والأقوى في إثبات النبوة، ولذلك أخرنا طرق إثبات العصمة كذلك أن ابن خمير في كتابه مقدمات المراشد قدم حديثه في إثبات النبوة عن مسألة إثبات العصمة[2].

وللإشارة في حديثي عن طريق المعجزة فإنني سأعتمد على دلالتها على النبوة ولا نتوسع في مفهوم المعجزة وأنواعها لأنني قد فصلت ذلك في موضوع أسس النبوة وقد جعلت المعجزة كأساس للنبوة وذلك في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول بعنوان (مفهوم النبوة وأساسها عند ابن خمير) ولذلك يكون التركيز على الاستدلال أكثر منه على المفهوم.

[1]- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط1، دار الأفاق العربية-القاهرة 2006م، 24/4

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص255-256، مصدر سابق

المبحث الأول

طرق إثبات النبوة عند ابن خمير

في هذا المبحث نتطرق إلى طرق إثبات النبوة عند ابن خمير السبتي والتي طرحها في الكتابين الأول مقدمات المراشد في حديثه عن المقدمة السادسة والتي تتضمن إثبات النبوات، حيث احتوت على ستة فصول:

الأول: في جواز بعث الرسل والرد على الفلاسفة والبراهمة.

الثاني: في المعجزات وشرائطها وتمييزها عن الكرامة والسحر وما يفتريه مدعي النبوة.

الثالث: في إيضاح وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل.

الرابع: في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ والرد على منكريها من أهل الكتاب والملل الأخرى.

الخامس: في أحكام الأنبياء عليهم السلام مما يجب، ويجوز ويستحيل من أحوالهم.

السادس: في تفصيل أحكام ما أخبروا به مما كان ويكون من مجوزات العقول[1].

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

ففي هذه الفصول الستة حيث نركز على فصلين هامين في طريق إثبات النبوة وهما الفصل الثالث الخاص بدلالة المعجزة على صدق الرسل، والفصل الرابع والخاص بإثبات نبوة محمد ﷺ ورده على منكريها من أهل الكتاب وغيرهم من الملل الأخرى.

وأما في الكتاب الثاني تنزيه الأنبياء في حديثه عن إخوة يوسف عليه السلام وتساؤله عنهم هل كانوا أنبياء أم لا؟ حيث خصص لذلك فصلا للحديث عن هذه المسألة فطرح بأن هناك من المفسرين والمؤرخين من يثبت لهم النبوة ثم يناقش هذه المسألة ويرد عليهم بعدم نبوتهم[1]، ثم ينتقل إلى الفصل الموالي بعنوان(كيف تعلم النبوة)فيجيب عن هذا التساؤل بقوله:"قلنا تصح من وجهين أحدهما أن يأتي النبي في زمان تصح فيه النبوة ويتحدى الناس بالمعجزة فيفعلها الله له على وفق دعواه،أو ينص على نبوته نبي آخر نصا متواترا لا يحتمل التأويل،..."[2].

انطلاقا من كلام ابن خمير في إثبات النبوة في الكتابين السابقين أقسم هذا المبحث إلى مطلبين الأول طريق المعجزة، والثاني طريق الخبر، باعتبارهما طريقين لإثبات النبوة كما سيأتي تفصيل ذلك.

المطلب الأول: طريق المعجزة

تعتبر المعجزة أقوى طريق لإثبات النبوة وهو الدليل الوحيد المتفق عليه عند علماء العقيدة والكلام حيث أن غالبيتهم يشيرون إلى أنه لا يمكن الاستدلال على إثبات النبوة إلا بالمعجزة[3] قال ابن خمير في معرض رده على المعتزلة في دليل المعجزة: (...وكذلك أجمع على أن لا دليل على صحة النبوة سوى المعجزة...).[4]

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص182، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص185، مصدر سابق

[3]- كتاب الأربعين في أصول الدين، ص302، حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية، ص300، مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم، ص24، مصادر سابقة

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص221، مصدر سابق

وفي هذا المطلب نتحدث عن وجه دلالة المعجزة على إثبات النبوة باعتبارها طريق لإثبات النبوة عند ابن خمير، ولا ندخل في تفصيل مفهومها وقد سبق التعريف بها[1].

أشار ابن خمير في مصنفاته إلى أن المعجزة طريق لإثبات النبوة منها قوله في معرض حديثه عن الدفاع عن علم الكلام بإعتباره طريق لإثبات العقائد منها النبوات فقال (...وكذلك إثبات النبوة بالمعجزات والاستدلال على صحتها وصحة التفريق بين الصادق والكاذب...)[2]، حيث بين على أن المعجزة طريق لإثبات النبوة ومنه التفريق بين الصادق والكاذب وفي بيانه لخطوات إثبات النبوة يقول ابن خمير في حديثه عن الاستدلال بالمعجزة كأول طريق وأقوى طريق لإثبات النبوة:"فإن قيل: إذا لم ترجع[3] إلى هذه المعاني[4]، فما معناها الذي ترجع إليه؟ قلنا: ترجع إلى أحد وجهين: إما لقول النبي: (أنا نبي ثم يأتي بالمعجزة تصدق قوله)" [5].

وعند تحليلنا لقوله في الاستدلال بالمعجزة يتبين أنه أبعد صفات لصيقة بذات النبي ﷺ على أنها لا تدل على إثبات نبوته، لأن غيره قد يتصف بها وعدد منها خمس صفات وهي (الشكل العرض، العلم، المعاملة، القرب من الله تعالى) حيث قال:"وأما المعنى، فأعلم أن النبوة لا ترجع لجسم النبي ولا لعرض من أعراضه ولا لعلمه به ولا صحة معاملته بدليل أن هذه الأوصاف يتصف بها غير النبي ولا ترجع لقربة تمت إلى الله تعالى بصفة نفس ولا بصفة معنى،..."[6].

---

[1]- ينظر: المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول بعنوان(مفهوم النبوة وأسسها عند ابن خمير) والمطلب الرابع (المعجزة) ومقال المعجزة الكونية ودلالاتها على الرسالة عند مصطفى صبري لمحمد عمارة والعربي بن الشيخ بمجلة الشهاب(مجلة محكمة تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي، الجزائر)، مجلد4 ع2، جوان 2018، ص 185

[2]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص226، مصدر سابق

[3]- يقصد النبوة

[4]- المعاني هي (فأعلم أن النبوة لا ترجع لجسم النبي ولا لعرض من أعراضه ولا لعلمه به ولا صحة معاملته، بدليل أن هذه الأوصاف يتصف بها غير النبي، ولا ترجع لقربه تمت إلى الله تعالى) مقدمات، ص256

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

[6]- المصدر نفسه

حيث بين أن هذه الصفات مشتركة في البشرية، فلو كانت طريق لإثبات النبوة[1] لكانت مدخلا لأدعيا النبوة وأصبحت حجة يتخذونها لتضليل الناس، ولأصبحت هذه الصفات شروط لمن تتوفر فيه فيصبح نبي ولأتخذها القائلون بأن النبوة كسب لا اصطفاء[2]، إلا أن هذه الصفات يتصف بها النبي ﷺ باعتبارها صفات بشرية إلا أنه يفوقهم وصفا في بعضها كالقرب من الله تعالى،والمعاملة مع الناس ويتميز بها عن غيره وتسمى شمائل أو خصائص أو علامات،وقد تكون بعض الصفات في نظر الناس سلبية ولكنها من خصائص وشمائل النبوة كالأمية فقد وصف النبي محمدﷺ بالأمي حيث إنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة وفي ذلك حكمة ولغيره معيبة ومعرة ونقص وسلبية، ولكن النبي ﷺ علامة وخاصية وذلك حتى لا يتهم بأنه هو الذي كتب القرآن الكريم أو اكتسب علوما عن طريق التعلم من غيره من البشر، وقد استدل ابن خمير بالآية الدالة على أن ما يميز النبي ﷺ عن غيره من البشر هو الوحي، فلا نبوة دون وحي[3]، ثم أكد ابن خمير على طرق إثبات النبوة منها الطريق الأول وهو المعجزة حيث يتقدمها التصريح من ذات النبي ﷺ (أنه نبي) كما فعل النبي

[1]- وقد استبعد ابن خمير طرق أخرى لإثبات النبوة وهي خبر الآحاد، العقل، القرائن، والعمل الصالح، حيث قال: "إذ النبوة لا تثبت بالعقول ولا بخبر الواحد، الذي لا يحصل به العلم ولا تثبت أيضا بقرينة الحال ولا بجميل الأعمال..."، تنزيه الأنبياء، ص185، مصدر سابق، والمقصود بالعقل هنا الدليل العقلي المحض وأما استعمال العقل في المعجزة للاستدلال على النبوة فهذا لا يخالف كلامه،لأنه استعمله في إثبات العصمة بواسطة المعجزة وهذا ما سنراه في المبحث الثاني من هذا الفصل وله كلام أخر قد يفهم منه التناقض في أقواله وذلك في معرض رده على المشبهة في مسألة الصفات الإلهية فقال: "...فإن النبوة لا تثبت إلا من جهة العقل ولا يصح أن تثبت بخبر النبي عن نفسه بأنه نبي؛ إذ لا تصح الدعوى، فإنه من باب إثبات الشيء بنفسه وذلك محال"، مقدمات المراشد، ص105، مصدر سابق، والمقصود من جهة العقل هنا عند إظهار المعجزة فالعقل يستنتج صدق النبي ﷺ بواسطتها.

[2]- وقد تقدم الحديث عن الاصطفاء، ينظر: المطلب الأول من المبحث الثاني من الفصل الأول بعنوان (أسس النبوة)

[3]- وقد سبق في تعريف النبي بأنه "عبد اصطفاه الله بالوحي إليه"

راجع: المطلب الأول من المبحث الأول من الفصل الأول بعنوان (تعريف النبوة)

محمد ﷺ عندما صعد جبل الصفا فقال:"إني رسول الله إليكم"[1] وما ذكره القرآن الكريم على لسان الأنبياء السابقين عليهم السلام.

- قول عيسى عليه السلام:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ...﴾.[2]
- قول موسى عليه السلام:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[3]
- قول هود عليه السلام:﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.[4]
- قول صالح عليه السلام:﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.[5]
- قول لوط عليه السلام:﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.[6]

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الإتيان بالمعجزة حيث يطلبها منه قومه لإثبات نبوته فمنهم من يصدق كما صدق السحرة موسى عليه السلام ومنهم من يكذب وهم الأكثرية كفرعون وأتباعه ثم تأتي النتيجة وهي التصديق فالهدف من المعجزة هو تصديق النبي عليه السلام بأنه نبي الله تعالى وهي الطريق الأقوى لإثبات أنه نبي فلولاها ما صدقه قومه أو بعضهم.

وأما القول الثاني لابن خمير في موضع آخر وهو شبيه بالقول الأول إلا أنه زاد عليه بعض الكلام وأنقص منه البعض الآخر،حيث قال:"فإن قيل: فإذا لم تصح النبوة من هذه الوجوه فمن أين تصح؟ قلنا: تصح من وجهين:(أحدهما أن يأتي النبي في زمان تصح فيه النبوة فيدعي النبوة

[1]- أشرنا إلى هذه القصة في السيرة في المطلب الثاني من المبحث الثالث بعنوان (أنواع العصمة-ما يتعلق بالأقوال-الصدق)

[2]- سورة الصف، الآية06.

[3]- سورة الصف، الآية05.

[4]- سورة الشعراء، الآيتين124-125.

[5]- سورة الشعراء، الآيتين142-143.

[6]- سورة الشعراء، الآيتين161-162.

ويتحدى الناس بالمعجزة فيفعلها الله له على وفق دعواه)"[1] في كلامه هذا ذكر أمورا تكمل ما ذكره في كلامه السابق منها صحة الزمان بحيث يكون الزمان مناسبا للنبوة، وحاجة الناس ملحة لذلك، فلا يمكن أن يأتي في زمان لا تصح فيه النبوة كختم النبوة بعد النبي محمد ﷺ فالزمان غير مناسب وفيه نص[2] على عدم بعث نبي بعد محمد ﷺ وكذلك أن الناس ليسوا في حاجة ملحة لنبي بعده لأنه ﷺ أول علامة من علامات الساعة وأن الزمان بعده يبدأ في العد التنازلي حتى يصل إلى نهاية العالم، كذلك لأن الله تعالى حفظ كتابه وهو منبع شريعته، وقد سخر من يحفظ أحاديث وسنة نبيه ﷺ، كذلك أن العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام فلا يمكن لهذه المصادر الثلاثة أن تندثر، وكذلك على رأس كل قرن مجدد لهذا الدين رغم ذلك فقد كان لأدعياء النبوة أن تعمدوا الكذب في دعواهم للنبوة بعد ختم النبوة[3]، وكان لهم أتباع من البشرية وهم قلة وهذا الإدعاء هو علامة من علامات الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ فكانت دعواهم علامة للساعة ولم تكن علامة لإثبات نبوتهم.

والأمر الآخر وهو عبارة عن مراحل إثبات النبوة عن طريق المعجزة فأول مرحلة التصريح وهو أن يدعي النبوة كما سبق شرحه، ثم المرحلة الثانية أن يتحدى الناس بالمعجزة كما تحدى موسى عليه السلام السحرة بأن العصى تتحول إلى أفعى وكان في ظن فرعون وسحرته بأن موسى ساحرا فأراد فرعون أن يتحداه بسحر مثله فجمع له كبار السحرة فناظرهم وتبارى معهم فكانت الغلبة لموسى عليه السلام

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص185، مصدر سابق

[2]- قوله ﷺ: (لا نبي بعدي)، سبق تخريجه وعلق عليه ابن خمير بقوله: "يعني شارعا متبوعا مثله وهذا الصحيح المعول عليه" ينظر: مقدمات المراشد، ص244، مصدر سابق

[3]- فقد كثر أدعياء النبوة في عصره وبعد عصره ﷺ منهم مسيلمة الكذاب الذي أورده ابن خمير (إلا ما كان من ترهات مسيلمة) مقدمات المراشد، ص250، والأسود العنسي،ينظر: سيرة ابن هشام 282/4، مصدر سابق، وفي عصرنا غلام ميرزا القدياني وأصبح له أتباع وسميت طائفته بالقديانية ثم الأحمدية، ينظر: موسوعة الأديان الميسرة، ص400، مصدر سابق، وعبد الرحيم مارديني، موسوعة الأديان الحية في العالم، (د.ط)، دار المحبة دمشق، 2008م، ص 182

وكانت النتيجة أن أعترف السحرة بأن ما أتى به موسى عليه السلام ليس سحرا وإنما هي حقيقة والمتمثلة في خرق العوائد لا التخييل والطلاسم وسحر أعين الناس كما فعل السحرة أمام الناس فخضعوا لموسى عليه السلام واعترفوا بأن ذلك معجزة ثم آمنوا به على أنه نبي من الله تعالى وآمنوا بالله تعالى وهنا يكمن التحدي في المعجزة وعجز غيره عن الإتيان بمثلها.

ثم تأتي مرحلة إظهار المعجزة للناس وذلك بأن الذي يجريه على يد النبي عليه السلام هو الله تعالى الذي أرسله إلى قومه فالمعجزة من فعل الله تعالى حقيقة لا من فعل النبي عليه السلام، وأخر مرحلة هي أن تأتي المعجزة وفق دعواه أي أنها متضمنة تصديق إدعائه للنبوة وجريانها وفق ما قال كموسى عندما قال لهم بأن العصى تتحول إلى أفعى فكان في الواقع كما ذكر ولذلك صدقه السحرة في إدعائه للنبوة فإذا أتت عكس دعواه فالنتيجة عدم تصديقه كما جرى لمسيلمة الكذاب[1].

نستنتج من قولي ابن خمير الآتي:

1- شروط النبوة:

ذكر شرطا واحدا وهو صحة الزمان (أن يأتي النبي في زمان تصح فيه النبوة)

2- مراحل النبوة:

ذكر ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى: التصريح (الإدعاء)

[1]- حيث لما سمع إتباعه بأن النبي ﷺ أنه تفل في عين أرمد فشفيت، فطلبوا منه فعل مثل ذلك ففعل في عين أرمد فعميت فهذه جرت مخالفة لدعواه وتسمى بـ (الإهانة) ينظر: حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية، ص301، إبراهيم التهامي العقيدة الإسلامية، ص152، وسيرة ابن هشام، 242/4، وكذلك في معارضته للقرآن الكريم قال عنه ابن خمير: "...إلا ما كان من ترهات مسيلمة حين قال: (الفيل وما أدراك ما الفيل...)..."وكذلك المعري قال عنه: "...وكذلك في المتأخرين المعري أخزاه الله قصد المعارضة بهذيانات تتنزه الآذان عن سماعها ولكن نشير إلى ذكر شيء منها وهو قوله: (جاك الملوك ثم على نعش حملوك)..."، مقدمات المراشد، ص250، مصادر سابقة

قوله (إما لقول النبي: أنا نبي)، وقوله (فيدعي النبوة).

المرحلة الثانية: (المعجزة)

بأن يأتي بالمعجزة قوله (ثم يأتي بالمعجزة)، وقوله: (ويتحدى الناس بالمعجزة).

المرحلة الثالثة: (التصديق)

وهي النتيجة لما تقدم من المرحلتين السابقتين قوله (تصدق قوله)، وقوله (وفق دعواه).

يمكننا إثبات النبوة عن طريق المعجزة وذلك بالتطرق إلى مسألتين الأولى في شروط المعجزة والثانية في دلالتها على إثبات النبوة.

أولا: شروط المعجزة

حيث نستنتج من قوله الثاني أنه ذكر ثلاثة شروط للمعجزة.

الشرط الأول: (التحدي)

بحيث يتحدى بها الناس على أن لا يأتوا بمثلها قوله (ويتحدى الناس بالمعجزة).

الشرط الثاني: (أنها من فعل الله تعالى)

أن المعجزة من فعل الله تعالى يجريه على يد النبي ﷺ قوله (فيفعلها الله له).

الشرط الثالث: (موافقة لدعواه)

بحيث تأتي وفق قوله (على وفق دعواه).

وأن الهدف من المعجزة هو تأييد النبي ﷺ في دعواه وكذلك تحدي الناس على أن لا يأتوا بمثلها وكذلك تصديق الناس للنبي ﷺ وهذا الهدف الأخير هو الهدف الأصلي والأسمى نجد أن ابن خمير قد تحدث عن شروط المعجزة في موضع آخر وذلك في الفصل الثاني من المقدمة السادسة

بعنوان(الفصل الثاني:في المعجزات وشرائطها وتمييزها عن الكرامة والسحر وما يفتريه مدعي النبوة)[1].

وفي هذا الفصل عقد عنوانا سماه (أوصاف المعجزة)[2].

فقال:"للمعجزة أوصاف هي شروط في صحتها: فيتعين على المكلف الإحاطة بها وهي أربعة أوصاف منها:

أن يكون فعلا لله تعالى من غير كسب للعباد.

وأن يخرق بها المعتاد من أفعاله.

وأن يسبق وقوعها دعوى النبي لها.

وأن لا يفعل الله تعالى المعارضة فيها فعلا يناقض دعوى النبي فيها.

فإذا كملت هذه الأوصاف الأربعة صحت المعجزة، وإذا اختل ركن منها لم تصح"[3].

بعد عرضه لشروط المعجزة شرع يشرح في هذه الشروط ويستدل على صحتها من جهة العقل فيقول:"ونستدل على صحة كل ركن منها:

الأول: فأما انحصارها في الأفعال، فللجواز، فإن الوجوب والإحالة لا يصح بهما صدق مدعي الرسالة إذ لا إختصاص لبعض المتحدين بها، ومثاله أن يقول مدعي النبوة:(آيتي أن يتحيز الجوهر وألا يجتمع الضدان) وهذا لا يصح لاستحالة تبدل هذه الأحكام مع تساوي الكل في الدعوى بها فاتحدت المعجزة بالفعل.

الثاني: أن يكون الفعل خارقا للعادة، لتساوي الدعاوي في المعتاد.

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص200، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص212.

[3]- المصدر نفسه

الثالث:أن تكون الدعوى سابقة للفعل،لتساوي الدعاوي في الخرق السابق للدعوى، مثال ذلك أن يخرق الله عادة فيقول مدعي الرسالة:(هذه آيتي)فيقال له:(بل هي آية لكل فيم اختصت بك؟)وأيضا،إنها إذا تنزلت منزلة التصديق بالقول فلا يصح التصديق إلا بعد تقدم القول.

الرابع: أنه تعالى لو فعل لمناقضه على جهة المعارضة ما فعل له، لاستحال استدلال العقلاء على صدق المحق، وهو جائز، فيؤدي إلى قلب الجائز مستحيلا وهو وجه من الوجوه التي نستدل بها على استحالة خلقها على أيدي الكذابين فيما بعد إن شاء الله تعالى"[1].

بعد استدلاله على صحة هذه الشروط الأربعة تسأل عن شرط خامس قد يتبادر إلى ذهن السامع أنه أغفله فبرر ذلك وبين فقال متسائلا:"فإن قيل: أراك أضربت عن شرط خامس: وهو أن يقع الفعل على وفق دعواه من غير زيادة ولا نقصان قلنا: هذا الشرط لا يلزم في التحدي بها إذا كان مطلقا وإنما يلزم فيه التقييد، فإذا قال النبي: (آيتي أن يقلب الله لي عادة) فقلبها له صحت دعواه وتم الأمر له وإذا قيد دعواه بنوع من الخرق لم تكمل له المعجزة إلا بحصول ذلك النوع فلما كملت المعجزة بالأربعة المتقدمة أضربت عن ذكر الخامس"[2].

حيث عد ابن خمير هذا الشرط الخامس زايد عن الشروط الأربعة وعلل ذلك بأنه يكون في حالة تقييد المعجزة أما إذا كانت مطلقة فلا يلزم ثم تساءل عن شرط آخر وأجاب عنه فقال: "فإن قيل: أليس من شروطها أن يقول وأن لا يأتي أحد بمثلها؟ قلنا:هذا أيضا ليس من شروطها اللازمة لها إلا مع التقييد، فإنه قد يفعل الله تعالى مثلها لنبي آخر ولو على جهة الكرامة، وكلا الفعلين لا يقدح في صحة دعواه، فإن قيل: فيقيدها بأن لا يأتي بها مفتر كذاب قلنا: العقل يحيل وقوعها

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص213، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص214

على يد الكذاب فلا حاجة للنبي بهذا التقييد، وسنزيد المسألة إيضاحا فما بعد إن شاء الله تعالى".[1]

حيث بين ابن خمير أن هذا الشرط كذلك لا يلزم إلا في حالة التقييد والأصل في المعجزة الإطلاق ومما سبق نستنتج أن شروط المعجزة عند ابن خمير ستة أربعة التي ذكرها الأولى وهي الشروط الأساسية والتي لا تصح المعجزة إلا بها وأما الشرطان الأخيران فلم يعتبرهما أساسيان بل زائدان ويكونان في حالة تقييد المعجزة فقط أما الشروط الأربعة فهي كالأركان التي تقوم عليها المعجزة فإن فقد ركن لم تصح كما قال ابن خمير وقد سبق وأن استنتجت ثلاثة شروط للمعجزة وهي التحدي بحيث يتحدى بها الناس، الثاني أنها من فعل الله تعالى بحيث يجريها الله على يديه، الثالث موافقتها لدعواه أن تأتي وفق قوله، فهذه الشروط منها ما هو أساسي كالأربعة التي ذكرها فنجد منها الشرط الثاني (أنها من فعل الله تعالى)، وأما الشرطان الباقيان الأول (التحدي) والثاني (وفق دعواه) فهما يدخلان في الشرطان الأخيران واللذان تسأل عنهما ابن خمير واعتبرهما أنهما مقيدان.

ثانيا: وجه دلالة المعجزة على إثبات النبوة

ذكرت في السابق أن المعجزة إحدى الطرق لإثبات النبوة عند ابن خمير وسقت كلامه واستنتجت منه شروط النبوة ومراحلها ثم شروط المعجزة وقادنا كلامه بما ذكره في الشروط الأربعة الأساسية وأضاف شرطان ليسا بأساسيان وبين ذلك مع التبرير وشرح وضرب الأمثلة.

وبعد فراغه من بيان شروط المعجزة انتقل إلى وجه دلالتها على إثبات النبوة[2]، وفي معرض رده عن المخالفين في مسألة كلام الله تعالى قال:"أن المعجزة لا تصح إلا أن تنزل التصديق بالقول كما سنذكره في المثال المفروض، فيكون الفعل بدلا من القول فإذا لم يصح لله تعالى قول فلا يصح

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص214، مصدر سابق

[2]- ينظر: مقال المعجزة الكونية ودلالالتها على الرسالة عند مصطفى صبري، ص 187، مصدر سابق

بدله، فإن المبدل يقتضي مبدلا منه"[1]،حيث بين أن المعجزة فعل من أفعال الله تعالى يخلقه من نبي ﷺ ليبرهن على صدق دعواه وهي تنزل منزلة قول الله تعالى في تصديقه لنبيه ﷺ فإذا إنتفى الكلام انتفى معه الفعل الذي هو بدله، ثم أوضح ذلك بمثال سيذكره فيما بعد وهو مثال إفتراضي وذلك لتوضيح دلالة المعجزة وأنزالها منزلة القول، فقال:"فإذا صحت هذه الشروط الأربعة صح صدقه وتصديق الله تعالى إياه بفعل مقام تصديقه له بالقول حتى لو سمعنا البارئ تعالى كلامه العزيز فيقول: (صدق عبدي، أنا أرسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا) لم نزد علما بصدق النبي لقيام فعله تعالى لنا مقام قوله كما تقرر في المثال المعروض أنه قيل:ادعى رجل أنه رسول الملك،وقال بمرأى من الملك ومسمع على ملإ من رعية الملك: (إن كنت رسولك إلى رعيتك فخالف سجيتك، وأخرج عن عادتك، وأفعل كذا على وجه كذا)، ففعل الملك أفعالا لم نعتد منه على وفق مدعى الرسالة عليه، اضطر الحاضرون إلى العلم بصدقه فيما إدعاه، وهذا لا خطأ فيه"[2].

حيث بين ابن خمير أنه إذا توفرت الشروط الأربعة في المعجزة دلت على صدق النبي ﷺ وأن تصديقه بمثابة قول الله تعالى لعباده(صدق عبدي أنا أرسلته إليكم فأسمعوا وأطيعوا) وقد ضرب ابن خمير مثالا لتقريب الفهم لوجه دلالة المعجزة على تصديق النبي ﷺ ومنه إثبات نبوته وملخص المثال أن يرسل الملك رسول إلى رعيته وحتى يصدقوه فيطلب من الملك مخالفة عوائده فإن فعل صدقه الرعية، ووجه مقاربة هذا المثال بالمعجزة أن الله تعالى يخرق عادته في إجراء المعجزة على يد النبي ﷺ لكي يصدقه قومه، وقال في موضع أخر في معرض حديثه عن وجه دلالة المعجزة على إثبات النبوة: "أن المعجزة أمر مجموع من دعوى النبوة، والتحدي بالخرق ووقوعه على وفق تحديه

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص156، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص256

به، ونزوله منزلة تصديق الله تعالى إياه وإستحالة وقوعها على يد كاذب يدعي بمثل دعواه فهذه الأمور بجملتها هي المعجزة وبها يكون الرسول رسولا حقيقة"[1].

ونتيجة هذا الطريق أن المعجزة الطريق الأول لتصديق النبي عليه السلام، قال ابن خمير في حديثه عن القاعدة السادسة فيما يجب على المكلف:"...وشهدت المعجزات على صدقهم في كل ما يخبرون به عنه شهادة لا ترد"[2]، وقال في حديثه عن مسألة الروح واختلاف الناس فيها:"...قد يمن الله تعالى عليه بأن ينظر في المعجزة نظرا جميلا فتدله على صدق الرسول عليه السلام في جميع مع أخبر به عن الله تعالى..." [3]،فإذا حصل ذلك فتعتبر طريق لإثبات النبوة.

المطلب الثاني: طريق الخبر

والطريق الثاني لإثبات النبوة هو الخبر عند ابن خمير حيث يقول عند معرض حديثه عن طريق إثبات النبوة فبين الطريق الأول وهو(المعجزة)ثم تكلم عن الطريق الثاني وهو(الخبر)فقال: "...أو يخبر الله عنه على لسان نبي آخر أنه نبي،كما أخبر عن الستة والعشرين في صريح الكتاب العزيز أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ"[4].

حيث بين أن الطريق الثاني لإثبات النبوة هو الخبر اليقين القطعي الثبوت والدلالة وهو ما جاء في القرآن الكريم في عدد الأنبياء عليهم السلام الستة والعشرين بالتصريح بنبوتهم فكان أولهم أبو البشرية آدم عليه السلام وآخرهم خاتم الأنبياء محمد ﷺ وهذا الطريق يأتي بعد الطريق الأول، لأنه تثبت النبوة بالمعجزة أولا حتى إذا صدق النبي عليه السلام وتثبت نبوته فكل ما يخبر عنه فإنه صادق ولذلك صدق النبي محمد ﷺ أنه نبي ثم صدقوا ما جاء به من الوحي وما أخبر به عن الأمم السابقة وعن

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص 53

[3]- المصدر السابق، ص280.

[4]- المصدر السابق، ص224.

الأنبياء عليهم السلام،كذلك عيسى عليه السلام بعد تصديقه عن طريق المعجزات صدقوا ما أخبر به عن الأنبياء في السابق واللاحق منهم نبوة محمد ﷺ.

ويقول ابن خمير في موضع آخر على أن الخبر هو الطريق الثاني لإثبات النبوة بعد المعجزة فبعد حديثه عن الطريق الأول وهو المعجزة تكلم عن الطريق الثاني وهو الخبر فقال:"...أو ينص على نبوته نبي آخر نصا متواترا لا يحتمل التأويل، كما نص الله تعالى في محكم كتابه على الستة والعشرين[1] الذين أولهم آدم وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام فهؤلاء هم الأنبياء الذين من أنكر نبوة واحد منهم أو قدح فيها قدحا يخل بشرط من شروط نبوتهم فهو كافر، حلال الدم والمال، مخلد في نار جهنم بالإجماع المتواتر، فهؤلاء هم الأنبياء حقا ومن أثبت نبوة غيرهم على التعيين فعليه الدليل مع أن نعلم أن ثم أنبياء لله أخرون وجاء بهم القرآن في قوله تعالى:﴿...مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾[2]، لكن لم يقع التنصيص في الكتاب إلا على نبوة عدد من ذكرناه فأما من ذكر في أخبار الآحاد فمظنون"[3].

وفي هذا الموضع شرح أكثر في طريق الخبر حيث أكد أن الخبر لا بد أن يكون النص متواترا ولا يحتمل التأويل ثم ذكر القرآن الكريم باعتباره متواترا كذلك الآيات التي نصت على نبوة الستة والعشرين من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام وبين حكم من أنكر نبوتهم أو قدح في نبي صفة من صفات النبوة كالعصمة والأمانة أو الفطانة أو الصدق أو التبليغ لأنها صفات أساسية أجمع العلماء عليها وهي مما يجب في حقهم،ثم بين حكم من أنكر أو قدح في النبوة بالكفر وأنه مخلد في النار وهذا بالإجماع المتواتر، ثم بين أن القرآن الكريم ذكر مجمل الأنبياء ولم يذكر أسماءهم واستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿...مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾

[1]- أثبت المحقق (الخمسة والعشرين) بالمتن، وذكر الأصل ستة وعشرين بالهامش.

[2]- سورة غافر، الآية 78

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص186، مصدر سابق

عقب على من أثبت نبوة غير الستة والعشرين بأن عليه الدليل على التعيين، لأن القرآن لم ينص على النبوة غير الخمسة والعشرين وأما الذين استدلوا بأخبار غير القرآن على نبوة غيرهم فأخبارهم آحاد والآحاد مظنون أي ظني الثبوت كما ورد في نبوة خالد بن سنان العبسي في قوله ﷺ "ذاك نبي أضاعه قومه"[1].

وهناك من أثبت نبوة من ورد ذكرهم في القرآن ولكن على سبيل التأويل لا القطع، لأن القرآن لم يصرح بنبوتهم كما صرح في الخمسة والعشرين ومن هؤلاء أخوة يوسف عليه السلام وهم الأسباط وقد رد عليهم ابن خمير في هذا وعقد فصلا في كتابه تنزيه الأنبياء[2]، بعنوان (الرد على استدلالات القائلين بنبوة إخوة يوسف عليه السلام) وعنوان آخر (فصل في الكلام في إخوة يوسف عليه السلام هل كانوا أنبياء) [3]. وفي موضع آخر من نفس الكتاب عند ذكره لقصة العزير يذكر اختلاف العلماء في نبوته وابن خمير يثبت نبوته حيث عقد فصلا في ذكره بعنوان(ذكر الخلاف في نبوته وبيان سبب إماتته وإحيائه) [4].

وبذلك يكون عدد الأنبياء الذين ذكروا في القرآن عند ابن خمير ستة وعشرون ولذلك جاء في نص كلامه في كتاب مقدمات المراشد أن العدد ستة وعشرون فقال:"...كما أخبر عن الستة والعشرين..." [5]،وأما في كتابه تنزيه الأنبياء فذكر المحقق في المتن أن العدد خمسة وعشرون ونبه عليه

---

[1]- أورده الماوردي في أعلام النبوة، ص67، مصدر سابق، وابن قتيبة في المعارف، تح: محمد إسماعيل عبدالله الصاوي،ط2 دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1970م، ص 29، حيث قال: "وروي أن رسول الله ﷺ (ذاك نبي أضاعه قومه) وهو خالد بن سنان العبسي وهو من الحنفاء وأتت إبنته رسول الله ﷺفسمعته يقرأ(قل هو الله أحد) فقالت(كان أبي يقول ذا)" وأخرجه الحاكم في مستدركه برقم 4195، مصدر سابق، والبزار في مسنده(البحر الزخار) برقم 5092، طبعة مكتبة العلوم والحكم.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص186، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص182

[4]- المصدر السابق، ص144

[5]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256.، مصدر سابق

في الهامش بأنه خطأ من الناسخ لأن أصل النسخة جاء فيها العدد ستة وعشرون، قال ابن خمير "...نص الله تعالى في محكم كتابه على الخمسة والعشرين"[1].

هذا الكلام في المتن أما ما أشار إليه المحقق[2] في الهامش فقال:"في الأصل المخطوط:(الستة والعشرين) وهو خطأ، لأن المنصوص عليه حقا في القرآن هو خمسة وعشرين نبيا وما قد يرد أن الأظهر عند المؤلف أن عزيرا عليه السلام نبي،وبالتالي فيصح العدد المذكور هنا هو الستة والعشرون فلا وجه له، لأن المؤلف صرح أيضا بأن الناس قد اختلفوا في نبوة عزير لكون الكتاب لم ينص عليها، ومن ثم لا يكفر من أنكر نبوته بخلاف من أنكر نبوة واحد من الخمسة والعشرين ويستلزم هذا إخراجه من العدد هنا، ويرد نفس الإشكال أيضا لو افترضنا أنه يقول بنبوة الخضر عليه السلام"[3]، كذلك أن ابن خمير في بيان ذكر من سيتكلم عليهم في كتابه تنزيه الأنبياء ذكر منهم عزير عليه السلام فقال:"ولنذكر الآن ما وقع من بعض قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن وهي القصص التي اعترضها أهل الزيغ والإلحاد في أقوال الأنبياء عليهم السلام وأفعالهم بما من الله به والله المستعان، وقد كنا نرتب الكلام فيها على ترتيب الزمان فنبدأ بقصة آدم عليه السلام ونختم بقصة نبينا ﷺ لكنا قدمنا هذه القصص لتأكيد اعتراض السفلة عليها وشناعة طبعهم فيها كما تقدم فنذكر قصة آدم عليه السلام في أكلة من الشجرة المنهي عنها، وقصة نوح عليه السلام في قوله (إن ابني من أهلي) وفي دعائه على قومه[4]، وقصة إبراهيم عليه السلام في الثلاثة الأقوال التي عدها هو كذبات،وفي الثلاثة الكواكب والأنوار، وقصته عليه السلام في قوله: (رب أرني كيف تحي الموتى).

---

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص186، مصدر سابق

[2]- المحقق كتاب (تنزيه الأنبياء ابن خمير) هو الدكتور أحمد عبد الجليل الزبيبي، رئيس قسم العقائد والأديان بكلية الشريعة بجامعة دمشق، سوريا.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص186 بالهامش رقم (1)

[4]- قبل الشروع في ترتيبه للقصص من آدم عليه السلام قدم أربعة قصص لكل من(داود، وسليمان ويوسف ومحمد) عليهم السلام.

وقصة عزير عليه السلام في قوله:﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1]،...".[2]

نستنتج أن ابن خمير أثبت نبوة العزير عليه السلام وفي موضع آخر لم يثبت نبوة الأسباط أخوة يوسف عليه السلام ورد على من أثبت نبوتهم كذلك أنه لم يتعرض إلى موضع الخلاف في نبوة كل من الخضر ولقمان بإثباتهما أو عدم إثباتهما ويظهر من خلال نصه على العدد بـ (الستة والعشرين) أنه لم يعد كل من الخضر ولقمان أنبياء والمتفق على نبوتهم هم الخمسة والعشرون الذين ذكروا في القرآن واختلف في الثلاثة(عزير، الخضر، لقمان) وكذلك أخوة يوسف عليه السلام وهم(الأسباط) وكان موقف ابن خمير من هذا الاختلاف أنه أثبت نبوة العزير فقط ودلل عليها ولم يثبت نبوة الأسباط ورد على من أثبتها وسكت عن كل من الخضر ولقمان لا بالإثبات ولا بعدمه ولم يتكلم عنهما وظاهر سكوته دليل على عدم نبوتهما.

وسنقدم موقف ابن خمير من نبوة العزير وكذلك رده على من أثبت نبوة الأسباط.

1- موقفه من نبوة العزير

سبق كلام ابن خمير في حديثه عن عدد الأنبياء الذين حددهم بالستة والعشرين المذكورين في القرآن وأشار إلى القائلين بنبوة غيرهم فطلب منهم الدليل وأن القرآن ذكر غيرهم جملة لا تفصيلا ولا تعينا، وأما من ذكروا عن طريق الأحاديث فاعتبر ذلك ظني الثبوت وليس قطعي بقوله:"فأما من ذكر في أخبار الآحاد فمظنون"[3]، وقال:"فهؤلاء هم الأنبياء حقا ومن أثبت نبوة غيرهم على التعيين فعليه الدليل"[4]، وابن خمير أثبت نبوة العزير فما هو دليله على ذلك؟.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 259.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص98، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص186

[4]- المصدر نفسه

أ- إثبات نبوة العزير عليه السلام:

أورد ابن خمير في حديثه عن قصة العزير[1] عليه السلام فصلا يذكر فيه الخلاف في نبوته بعنوان (فصل ذكر الخلاف في نبوته وبيان سبب إماتته وإحيائه) فقال:"وأما عزير عليه السلام فاختلف الناس في نبوته لكونه لم ينص عليه الكتاب...." [2].

ومما يدل على أن ابن خمير يثبت نبوته أنه يعقب على إسمه بـ (عليه السلام) [3].

وكذلك قوله عندما أراد تنزيهه مما نسب إليه:"وما أرى أن هؤلاء الأوباش الذين يعتقدون في عقائد أنبياء الله تعالى مثل هذا الاعتقاد... مع جهلهم بمقادير النبوة"[4].

حيث أنه يصفه بالنبوة وينزهه مما لا يليق بالأنبياء عليهم السلام هذه القرينتين يستنتج منها أنه يثبت نبوة العزير عليه السلام وأما دليله من القرآن فقد أورده عند إثبات نبوته.

ب- دليل ابن خمير على إثبات نبوة العزير عليه السلام:

قال ابن خمير:"والأظهر إثبات نبوته بدليل قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...﴾ [5]، وهذا خطاب لليهود والنصارى، واليهود عبدت عزيرا بنص الكتاب،ومما يدل على نبوته أيضا من الكتاب أن ذكر مع الأنبياء في معرض الفضيلة والإكرام في موطنين ذكره تعالى مع إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى لهما، وذكره مع عيسى عليه السلام في أن عبد من دون الله"[6].

---

[1]- قصته في صحيح قصص القرآن للبسيوني، ص434، و قصص القرآن لسعد يوسف، ص340، مصادر سابقة

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص144، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص142

[4]- المصدر السابق، ص143

[5]- سورة آل عمران، الآية 80

[6]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص144، مصدر سابق

نستنتج من كلامه أن له دليلان هما:

الدليل الأول (الوحي):

استدل ابن خمير على نبوة العزير عليه السلام بقوله تعالى:﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...﴾[1]، حيث عقب ابن خمير على هذه الآية الموجهة بالخطاب إلى اليهود والنصارى باعتبار أن اليهود عبدت عزيرا بدليل قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ...﴾[2] والعزير يذكر ابن خمير أنه نبي إلى بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام وكان إسمه(دانيال)وإنما سمي عزيرا لكثرة تعزير[3] اليهود له وإعظامهم لقدره عليه السلام حتى غلوا في تعظيمه فعبدوه، وأن الآية التي استدل بها ابن خمير أن الله تعالى خاطب اليهود وأنكر عليهم عبادتهم له وذلك أن العزيرلم يأمرهم بعبادته، كما خاطب الله تعالى عيسى عليه السلام بقوله:﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾[4]،وذلك عند تأليه النصارى عيسى عليه السلام وأمه مريم عليها السلام.

الدليل الثاني (ذكره مع الأنبياء):

ذكر ابن خمير أن ذكر العزير مع الأنبياء عليهم السلام دليل على نبوته فقال:"ومما يدل على نبوته أيضا من الكتاب أنه ذكر مع الأنبياء في معرض الفضيلة والإكرام في موطنين، ذكره الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى لهما، وذكره مع عيسى عليه السلام في أن عبد من دون الله تعالى..." [5]، حيث استدل ابن خمير بموضعين من القرآن الكريم.

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 80

[2]- سورة التوبة، الآية 30

[3]- العزير يعني النصرة والتعظيم، المصباح، ص254، مصدر سابق

[4]- سورة المائدة، الآية 116

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص144، مصدر سابق

الموضع الأول (ذكره مع إبراهيم عليه السلام):

حيث ذكر الله تعالى العزير مع سيدنا إبراهيم عليه السلام في الكلام عن إحياء الموتى وهو موضع واحد لهما الاثنين وذكر قصة العزيز أولا ثم ذكر قصة إبراهيم ثانيا بقوله تعالى في العزير:﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ثم أعقبها مباشرة بقصة الإحياء لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

فذكرهما معا مقترنين وفي نفس الموضوع يستدل به ابن خمير على نبوة العزير، لأن الله تعالى بين كيفية الإحياء بعد الممات للعزير وهو ينظر إلى ذلك قال ابن خمير: "فأماته الله ثم أحياه بعد مئة سنة ثم أطلعه على ذلك".[3]

وهذا الأمر لا يكون إلا لنبي عليه السلام كما كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام فيدل ذلك على نبوة العزير عليه السلام.

الموضع الثاني (ذكره مع عيسى عليه السلام):

حيث ذكره الله تعالى مع عيسى عليه السلام في موضوع واحد وهو إدعاء كل من اليهود والنصارى بأن كل من العزير وعيسى عليهما السلام أنهما أبناء الله تعالى تنزه الله عما يصفون

[1]- سورة البقرة، الآية 259

[2]- سورة البقرة، الآية 260

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص148، مصدر سابق

حيث ألهوهما وعظموهما قال تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1].

حيث استدل ابن خمير بهذه الآية على نبوة العزير لأن الله تعالى ذكره مقرونا بعيسى عليه السلام وعيسى نبيا ضمن الخمس والعشرين المتفق على نبوتهم حيث أن الآية ذكرت العزير أولا وإدعاء اليهود بأنه ابن الله تعالى الله عما يصفون وهذا تأليه للعزير عندما رأوا على يديه الآيات والمعجزات والتي ذكرها القرآن في إحيائه وإحياء حماره وعدم تغير طعامه لمدة مئة سنة وهو ميت فأحياه الله وبعثه فعظمته اليهود وعبدوه وقد أنكر عليهم القرآن وكذلك على لسان العزير في قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...﴾ ثم ذكر عيسى بعده مباشرة مما يدل على نبوته قبل عيسى وبعد موسى عليه السلام كما بين ابن خمير أنه نبي لبني إسرائيل من بعد موسى.

2- موقف ابن خمير من نبوة الأسباط

في هذا الموضع على العكس حيث أنه لم يثبت نبوة الأسباط وهم إخوة يوسف عليه السلام رغم ذكر كل من العزير عليه السلام والأسباط في القرآن فالقرآن الكريم أثبت نبوة الأول ونفى نبوة الثاني حيث أفرد لهذا الرد فصلان الأول بعنوان (الكلام في إخوة يوسف عليه السلام هل كانوا أنبياء؟) والثاني بعنوان (الرد على استدلالات القائلين بنبوة إخوة يوسف عليه السلام).

أ- نفي ابن خمير لنبوة الأسباط:

إنطلق ابن خمير من تساؤل له قال بنبوتهم فقال:"فإن قال قائل: فإذا نزهتم الأنبياء عليهم السلام مثل هذا التنزيه فما قولكم في إخوة يوسف عليه السلام وقد قال بعض من يؤبه[2] له من المفسرين والمؤرخين القائلين بغير دليل بأنهم كانوا أنبياء؟"[3].

---

[1]- سورة التوبة، الآية 30

[2]- يؤبه له: يتنبه له، مختار الصحاح، ص332، والمصباح، ص369، مصدار سابقة.

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص182، مصدر سابق

حيث طرح ابن خمير تساؤلا ممن أورد من المفسرين والمؤرخين القول بنبوبة الأسباط وقد إرتكبوا ذنوبا فكيف القول بتنزيه الأنبياء عليهم السلام وهم منهم فأجاب ابن خمير على هذا التساؤل بقوله:"فالجواب: أن إخوة يوسف عليه السلام عندما واقعوا ما واقعوه مع أخيهم وأبيهم لم يكونوا أنبياء وأمنا الله ورسله، والدليل على ذلك أن الكتاب العزيز جاء بأنهم واقعوا كبائر وصغائر، والإجماع منعقد على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر واختلفوا في الصغائر، وقد أقمنا الدليل على عصمتهم من الصغائر بما فيه مقنع فيما تقدم[1]"[2].

وكانت إجابة ابن خمير على السؤال أنهم ليسوا أنبياء واستدل على ذلك من القرآن الكريم على أنهم ارتكبوا الصغائر والكبائر فهم غير معصومين بخلاف من ثبتت نبوتهم في القرآن الكريم أنهم معصومين وقد بين ابن خمير في قصص من أوردهم من الأنبياء عليهم السلام بأنهم موصوفون بالعصمة من الصغائر والكبائر.

ب- أدلة ابن خمير على عدم نبوة الأسباط:

وفي تفصيله لعدم عصمة الأسباط وارتكابهم الذنوب قال:"فأما جملة ما ارتكبوه منها ففي عشرين آية من قوله تعالى مخبرا عن أبيهم أنه قال ليوسف عليه السلام:﴿...لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾[3]، فتتبع الآية تجد العدد المذكور فما أحيلك على مبهم ولا على خبر ضعيف الإسناد،ومعلوم أن الله عز وجل ما أطلق هذه الأقوال وأمثالها على أنبيائه وأصفيائه في كتاب ولا سنة، ولا أمر بإطلاقها عليهم، ولا باعتقادها فيهم"[4].

---

[1]- في رده على الشبهات في قصة آدم وعدد من الأنبياء عليهم السلام الذين أوردهم ابن خمير في كتابه (تنزيه الأنبياء) من ص51 إلى ص165.

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص182، مصدر سابق

[3]- سورة يوسف، الآية 05

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص183، مصدر سابق

وابن خمير ذكر عدد الذنوب المرتكبة من قبل الأسباط وعدها عشرون جاءت في الآيات ومنها تحذير يعقوب عليه السلام لأبنه يوسف عليه السلام ألا يقص ما رآه لأخوته حتى لا يكيدون له، ثم بين ابن خمير أن أمثال هذه الأقوال لم يطلقه الله تعالى على أنبيائه ثم يذكر ابن خمير عدد من هذه الذنوب فيقول:"فأما الكبائر التي فعلوها وهي لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام فخمسة:

1-ظلم الأخ المسلم لاسيما أخ مثل يوسف.

2-وعقوق الأب لاسيما أب مثل يعقوب عليه السلام.

3-والكذب في قصة الذئب المؤدي إلى فراق أخيهم من أبيهم على حداثة سنه وضعف منته[1]، وتفجع أبيهم على فقده حتى أبيضت عيناه من الحزن.

4-وبيعه من الكفرة بثمن بخس على قول وهو مؤمن حر وأخوهم وابن نبي.

5-ووصمة أخيهم يوسف عليه السلام بعد ثبوت نبوته حين قالوا له:﴿...إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ...﴾[2].

فنبزوه بالسرقة حتى ألجؤوه أن يقول لهم:﴿...أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا...﴾[3]..."[4].

عدد ابن خمير خمسة كبائر ارتكبها الأسباط في حق أخيهم النبي يوسف عليه السلام وهي متنوعة من الظلم والعقوق والكذب والاتهام دون دليل ثم علق ابن خمير على هذه الكبائر بقوله:"أو هذه رحمك الله أخلاق الأنبياء عليهم السلام؟، أو يسوغ للنبي أن يقول للأنبياء﴿...أَنْتُمْ شَرٌّ

[1]- المنة: هي القوة، مختار الصحاح، ص328، والمصباح، ص363، مصادر سابقة

[2]- سورة يوسف، الآية 77

[3]- سورة يوسف، الآية 77

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص184 مصدر سابق

مَكَانًا...﴾ بعد أن عرفهم؟،أو يسوغ أيضا أن يكذب النبي عشرة أنبياء حتى يقول لهم أبوهم النبي بعدما جاؤوه عشاء يبكون وقالوا أن يوسف أكله الذئب:﴿...بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1]، وهذا هو فحوى التكذيب، فهذه خمس كبائر أربعة منها فعلوها على القطع والخامسة التي هي بيع الحر مختلف فيها، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَشَرَوْهُ ﴾فيحتمل أن تعود الهاء عليهم أو على السيارة، وهو الأظهر"[2].

فقد استغرب ابن خمير من أعمال الأسباط ضد أخيهم يوسف عليه السلام، لأن هذه الأفعال لا تصدر من أنبياء ثم أكد فعلهم لأربعة بالقطع والخامسة مختلف فيها.

يواصل ابن خمير في إحصائه لذنوب الأسباط قائلا:"وأما الصغائر فخمس عشرة على أن كل ذنب عصي الله تعالى به فهو كبيرة، ولكن يتأكد الوعيد على بعضها بما ورد من الظواهر فيتصور فيها الصغر والكبر كما تقدم[3]..."[4].

لم يذكر ابن خمير هذه الصغائر ولكن ذكر العدد أنها خمس عشرة، وفي بداية كلامه ذكر أن الذنوب المرتكبة من قبل أخوة يوسف عليه السلام وهم الأسباط عشرون خمسة كبائر وقد ذكرها بالتفصيل وأما الأخرى فقد بين أن الآيات عشرون بعدد الذنوب في سورة يوسف عليه السلام[5] ويكفي أنه عدد لهم خمسة كبائر الدالة على عدم نبوتهم.

---

[1]- سورة يوسف، الآية 18

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص184 مصدر سابق

[3]- قد بين ابن خمير مفهوم الذنب والكبيرة والصغيرة عند حديثه في بداية قصص الأنبياء عليهم السلام وعقد فصلا بعنوان (منهاج شرح قصص الأنبياء) وذكر ثلاثة مقدمات أساسية لتنزيه الأنبياء عليهم السلام منها مفهوم الذنب للمزيد ينظر: تنزيه الأنبياء ص57، ومقدمات المراشد، ص261 وفي نفس المصدر في تعريفه للمعصية، ص274، كذلك ينظر: المطلب الأول (المجال الفعلي) من المبحث الثاني (مجال العصمة) من الفصل الثاني (مفهوم العصمة) من هذا البحث.

[4]- ابن خمير، تنزيه، ص184 مصدر سابق

[5]- فلو تتبعنا الآيات في سورة يوسف بالاستقراء لتمكنا من إستخراج الخمس عشرة التي أشار إليها ابن خمير، ولكن نكتفي بكلامه فقط، ينظر: تفسير القرطبي، 85/9، وتفسير ابن جزي، ص308، مصادر سابقة.

يواصل ابن خمير في رده على القائلين نبوة الأسباط بقوله:"فمن قال إنهم كانوا أنبياء عندما واقعوا هذه الكبائر فيلزم أن يجوز وقوعها على من سواهم من الأنبياء عليهم السلام لتساويهم فيما يجب لهم من العصمة كما سبق، والجائز كالواقع، مع خرق الإجماع الواجب الإتباع في عصمتهم من الكبائر، والعياذ بالله من شؤم الجهل وأهله!" [1].

حيث رد على الذين قالوا بأنهم أنبياء وأنهم ارتبكوا هذه الكبائر ثم عمموا الحكم على غيرهم من الأنبياء عليهم السلام من باب التجويز فرد عليهم ابن خمير بأن الجائز كالواقع، وهو خرق لإجماع الأمة كما ذكره ابن خمير في مقدمته لقصص الأنباء فقال في المقدمة الأولى"ما صح من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء من الكبائر"[2].

فما ذكروه مخالف لإجماع الأمة وهو جهل بأصول العقائد وجهل بما يجب ويستحيل ويجوز في حق الأنبياء عليهم السلام وواصل ابن خمير كلامه في الرد عليهم فقال:"فإن قيل: ولعل هذه الأفعال كانت في شريعتهم غير كبائر قلنا: إنما وقع الإجماع على أن كبائر شريعتنا لا تجوز عليهم.

والخمسة التي أخبر تعالى عنهم بها كبائر في شريعتنا، وأما شرائعهم فما نعلم كبائرها من صغائرها، ولا كلفنا ذلك"[3].

ابن خمير احتمل احتمالا قد يقوله قائل باعتبار اختلاف الشرائع قد تكون الأعمال التي قاموا بها ليست كبائر في شريعتهم وهي كبائر في شريعتنا فبين ابن خمير أن القرآن الكريم ذكر الكبائر الخمسة والتي ذكرها ابن خمير المستخرجة من قصة يوسفعليه السلام في سورة يوسف ودلت الآيات على أنها كبائر والذي كلفنا به أن نعلم عما في شريعتنا من الكبائر والصغائر ولم نكلف بالبحث عن شريعة يعقوب عليه السلام لمعرفة الكبائر والصغائر، وما عبر عنه القرآن من أفعالهم على أنها ذنوب

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص184-185، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[3]- المصدر السابق، ص185

إرتكبوها ويكفي قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام لإخوته﴿...أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا...﴾ وقوله على لسان أبيهم يعقوب عليه السلام ﴿...بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا...﴾ وقوله لابنه ﴿...فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾، فهذه عبارات دالة على سوء أعمالهم جملة مهما كانت.

ج- رده على استدلالات القائلين بنبوة الأسباط:

بعدما أثبت ابن خمير بالدليل من القرآن على عدم نبوة الأسباط، أطلع على أدلة القائلين بإثبات نبوتهم من القرآن كذلك فتمحصها جيدا ورد على أصحابها حيث قال:"فإن قيل ولعل نبوتهم تثبت من الكتاب في قوله تعالى حين عدد الأنبياء عليهم السلام قال:﴿...وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ...﴾[1]، والأسباط إخوة يوسف واحدهم سبط"[2].

عرض ابن خمير استدلال القائل بنبوتهم من خلال القرآن الكريم والآية التي استدل بها حينما ألحق الأسباط بإسحاق ويعقوب وهما نبيان عليهما السلام ثم رد ابن خمير على استدلال هذا القائل فقال:"قلنا:ليس كما قلت،فإن الأسباط في بني يعقوب كالقبائل في بني إسماعيل[3]واحدهم سبط وهم إثنا عشر سبطا لاثني عشر ولدا ليعقوب عليهم السلام وإنما سموا هؤلاء أسباطا وهؤلاء قبائل، ليفصل بين ولد إسماعيل وولد يعقوب تسمية، هكذا نص عليه أهل اللغة"[4].

حيث بين ابن خمير أن الأسباط هنا لا يقصد بهم إخوة يوسف عليه السلام وإنما هو تسمية مثل تسمية القبيلة فعند العرب قبائل وعند بني إسرائيل أسباط والسبب في ذلك للتفرقة بين أولاد إسماعيل وأولاد يعقوب فأولاد إسماعيل عليه السلام سمو بالقبائل وأولاد يعقوب سمو بالأسباط.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 136

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص186، مصدر سابق

[3]- ينظر: تفسير القرطبي، 96/2، روح المعاني، 16/6، مصادر سابقة

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص186، مصدر سابق

وأما ذكرهم مع الأنبياء عليهم السلام مما أوقع الظن أنهم كذلك هم أنبياء وقد رد ابن خمير على ذلك فقال:"فإن قال قائل: فما معنى دخولهم في العدد مع الأنبياء وليسوا بأنبياء؟"[1].

فقد تساءل ابن خمير لهذا القائل من أن ذكرهم مع الأنبياء ماذا يعني فأجابه بقوله:"فالجواب:أن القرآن مقصود بالإيجاز الذي هو مخ البلاغة، وكانت النبوة تترى في بني إسرائيل وكان أصلهم من أولاد يعقوب وهو إسرائيل، فلما عدد الله تعالى من كان قبل من الأنبياء على التفصيل أوجز فقال: ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ يعني أنبياء الأسباط على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه،ثم خصص بعد ذلك عظماءهم بالذكر فقال:﴿...وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[2]، فبدأ بالتفصيل وختم بالتفصيل فتضمن الطرفان الواسطة، وصح التشريف لمن خصص بالذكر في الآحاد، وهذا التخصيص ينظر لقوله تعالى:﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ...﴾[3]، وهما من الملائكة، وقال تعالى:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[4] ولها من الفاكهة، كذلك ذكر معظم الأصناف التي كانت النبوة تترى فيهم ثم خصص عظماءهم بالذكر تشريفا لهم صلوات الله عليهم أجمعين،ومصداق هذا التفسير أن ذكر الأسباط إنما وضع تسمية عوضا من القبائل كما تقدم فلو كانوا كلهم أنبياء كما زعم الجهلة لكان كل من انتسل من بني يعقوب عليه السلام نبيا وقد قال تعالى:﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ...﴾[5]، وقال تعالى:﴿...وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[6].

[1]- المصدر السابق، ص187

[2]- سورة النساء، الآية 163

[3]- سورة البقرة، الآية 98

[4]- سورة الرحمان، الآية 68

[5]- سورة الأعراف، الآية 168

[6]- سورة الصافات، الآية 113

وقال تعالى:﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا...﴾[1]، فسماهم أسباطا وأمما، ولم يسميهم أولادا ولا أبناء"[2]،فقد أجاب ابن خمير عن سؤال القائل ما دور ذكر الأسباط مع الأنبياء عليهم السلام، وكانت إجابة ابن خمير متنوعة منها اللغوية ومنها السياق القرآني وهي كالآتي:

من الناحية البلاغية فإن القرآن يوجز وهو أصل البلاغة.

– أن النبوة في بني إسرائيل كثيرة فيذكر بعضهم بالاسم على التفصيل ثم يوجز كقوله: ﴿...وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ...﴾[3]، يعني أنبياء الأسباط من بني إسرائيل وفي الأخير يذكر عظمائهم فقال:﴿...وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[4] ثم مثل ابن خمير على ذلك في مواضع أخرى كالملائكة في قوله تعالى:﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ...﴾ فذكر بالجملة (الملائكة) ثم فصل في ذكر عظماءهم (جبريل وميكال) كذلك فعل في فواكه الجنة، فذكر الفاكهة جملة ثم ذكر أنواعا منها بالتفصيل (النخل والرمان).

– كذلك مصطلح الأسباط وضع تسمية عوض القبائل ثم استدل على أنهم لو كانوا الأسباط جملة كلهم أنبياء لكان كل من نسل يعقوب عليه السلام أنه نبي وهذا مردود بقوله:﴿ ...مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ...﴾ وقوله تعالى:﴿...وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ...﴾ فمن الأسباط أنبياء وليسوا كلهم أنبياء.

– أن القرآن سماهم أسباطا ولم يسمهم أولادا ولا أبناء، وبعد رده على من استدل بالقرآن وقع الاستدلال بالسنة حينما تساءل ابن خمير فقال:"فإن قيل: فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال:

[1]– سورة الأعراف، الآية 160

[2]– ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص187-188، مصدر سابق

[3]– سورة النساء، الآية 163

[4]– سورة النساء، الآية 163

(الحسين سبط من الأسباط)[1]، فمعناه أنه يقوم في العبادة والقيام بحق الله تعالى مقام سبط كما قال تعالى:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ...﴾[2]،وقال عليه السلام في قس(إني لأرجوا أن يحشر أمة وحده)[3]، هكذا حكاه الهروي في كتاب (الغريبين)[4].

فإن قيل: ولعلهم سموا أسباط وهم أولاد تجوزا وإتساعا كما سمى النبي ﷺ الحسين سبطا حيث قال: (الحسين من الأسباط) وهو الولد"[5].

هنا يطرح ابن خمير تساؤلا على شكل صيغة التمريض (قيل) وهو الاستدلال بلفظ السبط بمعنى الولد حتى يستدل به على أسباط يعقوب أي أولاده ثم يرد ابن خمير ويجيب عن هذا التساؤل فيقول:"قلنا: هذا التجوز إنما صح في الحسين رضي الله عنه لسبق المعرفة ببنوته من وجه آخر، فلو أخبر تعالى أن يهوذا سبط من الأسباط ثم عدده في جملة الأنبياء بلفظ السبط لصحت نبوته، وهذا لم يقع فلا حجة للخصم في هذه القوله، ولو صح لما صحت نبوتهم إلا بعد التوبة والإنابة واشتراط العصمة لا في حال الوهلات كما زعم الخصم[6]"[7].

---

[1]- أخرجه الترمذي في سننه باب (مناقب الحسن والحسين) رقم (3775)

[2]- سورة النحل، الآية 120

[3]- وهو قس بن ساعدة الإيادي أحد حكماء العرب في الجاهلية أدركه النبي ﷺ قبل نبوته، ورآه في عكاظ، وسأل عنه بعد نبوته فقال عنه (يحشر أمة وحده) توفي نحو (23 ق.هـ) الأعلام للزركلي 196/5

[4]- والهروي هو: أحمد ابن محمد أبو عبيد شافهي المذهب لغوي وأديب أخذ عن الأزهري توفي 401هـ، وله كتاب الغريبين جمع فيه بين تفسير غريب القرآن والحديث، سير أعلام النبلاء، 147/17، مصدر سابق، عادل نويهض، معجم المفسرين، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1988م، 890/2.

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص188، مصدر سابق

[6]- من القائلين بعدم نبوتهم، الألوسي،حيث قال: "لم يصح أن الأسباط الذين هم إخوة يوسف عليه السلام أنبياء بل الذي صح عندي خلافه، روح المعاني، 16/6' مصدر سابق

[7]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص189، مصدر سابق

رد ابن خمير على قول القائل الذي استدل بالحديث على أن السبط هو الولد، فبين أن الحسين ﷺ عرف بأنه حفيد النبي ﷺ من جهة أخرى غير الحديث المذكور فهو بمثابة ابن النبي ﷺ لقوله: "حسين مني وأنا من حسين"[1] ومعروف في السيرة أن الحسين ابن فاطمة بنت النبي ﷺ وزوج علي ﷺ ففسر السبط في الحديث بالولد، ثم ضرب ابن خمير مثلا لأحد أسباط يعقوب عليه السلام وهو يهوذا على أنه لو أخبر الله تعالى أن يهوذا بلفظ السبط ثم عدده في جملة الأنبياء عليهم السلام لصحت نبوته وهذا لم يقع كما ذكر ابن خمير فلا يحتج بذلك كذلك أنه لا تصح نبوة الأسباط إلا بعد التوبة من ذنوبهم ومما ارتكبوه في حق أخوه النبي يوسف عليه السلام كذلك شرط آخر وهو العصمة[2]، لأنها صفة أساسية وملازمة للنبي عليه السلام، وكذلك اتصافهم بصفات الأنبياء عليهم السلام (الأمانة، الفطانة، الصدق، التبليغ).[3]

ثم تابع ابن خمير في الرد على القائلين بنبوة الأسباط فقال:"وأما غير هؤلاء من أهل النظر فتوهموا نبوتهم من قوله تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام حيث قال:﴿...وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ...﴾[4]،وهذا يمت إلى قريب في اللسان لأن الآل أقرب في اللسان للبنوة من الأسباط، لكن الآل تحتمل البنين وتحتمل التبع،قال تعالى: ﴿...أَدْخِلُوا

[1]- أخرجه الحاكم في مستدركه برقم 4848، مصدر سابق

[2]- ينظر: مفهومها في المبحث الأول من الفصل الثاني (مفهوم العصمة وأنواعها وطرق إثباتها) من هذا الموضوع.

[3]- ينظر: الصفات المناسبة في المبحث الثاني منه الفصل الأول (مفهوم النبوة وأسسها) من هذا الموضوع.

[4]- سورة يوسف، الآية 06

آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[1]، أي تبعه، وفي السنة:"اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته"[2] فذكر الآل ثم ذكر الذرية فلو كان الآل من الذرية لم يصح العطف.

فإن قيل:ولعل ذكر الذرية بعد ذكر الآل تخصيص التشريف كما قال تعالى:﴿...وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ...﴾[3]، قلنا: إذا بقيت (لعل) فقد تطرق الاحتمال وأطرد الإشكال، والنبوة لا تثبت بالاحتمال، ويحتمل أن يكون التمام على الآل بما دون النبوة من الولاية والصدقية، وإذا دخلت هذه الاحتمالات لم يصح القطع على نبوتهم من هذه الآية"[4].

ثم رد ابن خمير على طائفة أخرى وهم أهل النظر حينما استدلوا بلفظ (آل) في الآية المذكورة سابقا والتي تعود على الأبناء وهم الأسباط فبين أن هذا اللفظ قريب من ناحية اللغة من لفظ الأسباط، ولكن لفظ آل يحتمل الأبناء والأتباع واستدل ابن خمير على أن الآل كذلك يحتمل الأتباع بقوله تعالى:﴿ ...أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي أتباعه كذلك استدل بالحديث السابق الذكر على أن الآل هم الأتباع (على آله وأزواجه وذريته)وقال: "أنه لو كان الآل من الذرية لم يصح العطف"لأن في الحديث عطف الذرية على الآل، كذلك أنه لو توهم القائل بأنه يقصد بالتخصيص التشريف كما هو في الآية بالنسبة للملك جبرائيل من الملائكة في قوله تعالى: ﴿...وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ...﴾.

فرد ابن خمير على هذا التوهم من القائل بقوله:"إذا بقيت (لعلَّ) فقد تطرق الاحتمال وأطرد الإشكال والنبوة لا تثبت بالاحتمال" فبين أنه إذا دخل الاحتمال والشك إلى الاستدلال فإن

---

[1]- سورة غافر، الآية 46

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه برقم 3396 ومسلم في صحيحه برقم 407، مصادر سابقة، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، تح: حسين سليم أسد الدراني، (د.ط)، دار المأمون للتراث، دمشق، 339/2 والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، (د.ط)دار العاصمة للنشر، الرياض، (د.ت)، 104/2.

[3]- سورة البقرة، الآية 98

[4]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص191-192، مصدر سابق

النبوة لا يصح الاستدلال عليها بأدلة ظنية لأن العقائد يستدل عليها بالأدلة القطعية قطعية الثبوت وقطعية الدلالة.

ثم على افتراض صحة أن الآل يقصد به الذرية فإن هناك احتمال آخر في المقصود بـ (التمام) في قوله تعالى:﴿...وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ...﴾ بأنه قد يكون بما دون النبوة كالولاية والصدقية أي الأولياء والصدقين،لأنهم مع النبيين والشهداء في أعلى الدرجات في الجنة،كذلك أن لفظ(التمام) تطرق إليه الاحتمال فلا يصح الاستدلال به على النبوة حيث قال ابن خمير:"وإذا دخلت هذه الاحتمالات لم يصح القطع على نبوتهم من هذه الآية"، ثم يواصل ابن خمير رده على القائلين بنبوة الأسباط فيقول:"ومع تسليم هذه التقديرات جدلا فلا تصح نبوتهم عند مواقعة الأفعال التي ذكرها الله تعالى عنهم أصلا، فإنه كان يؤدي إلى أن يجوز على أنبياء الله عز وجل كل ما فعلوه لصحة التساوي الذي قدمناه[1]، فهذا رحمك الله هو الحق الذي يرغب فيه ولا يرغب عنه"[2]، هنا يفترض ابن خمير صحة الاحتمالات السابقة والتأويلات للآيات الأنفة الذكر وسلم للخصم جدلا صحة مقولته على أن أخوة يوسف عليه السلام أنبياء باعتبار لفظ الأسباط أو الآل أو تأويل النعمة على أنها النبوة فإنها لا تصح نبوتهم من جهة أخرى وهي مواقعتهم للأفعال التي تعتبر من الكبائر كما سبق تفصيل ذلك وعلل ذلك لو جاز عليهم ذلك فإنه يؤدي إلى تجويزه على جميع الأنبياء عليهم السلام نظرا لتساويهم فيما يجوز عليهم لأنهم متساوون في الصفات الأساسية (الأمانة، الصدق، الفطانة، التبليغ) كذلك متساوون فيما يجب عليهم ومما يستحيل عليهم كالخيانة والكذب والبلادة والكتمان وما يجوز في حقهم كالآكل والنوم وجميع الأعراض البشرية التي تعتريهم

[1]- في شرحه لقصة آدم عليه السلام قوله:"فإنه إذا جوزت عليه المعصية المنهي عنها شرعا جازت على من بعده من الأنبياء، وإذا لم تجز عليه فأحرى ألا تجوز على من بعده منهم"تنزيه الأنبياء، ص109-110، مصدر سابق

[2]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص192، مصدر سابق

دون أن تخل بمقام نبوتهم[1]، وبذلك يبطل قول من قال بنبوة الأسباط، ثم بين أن ما توصل إليه هو الحق الذي ينبغي أن يتبع.

ثم ختم كلامه بالتأكيد على أن مسألة نبوة الأسباط لا دليل عليها فقال:"وبعد هذا التتبع فلا يبقى لقائل مستروح[2] إلى ثبوت نبوتهم إلا من هذه الوجوه المتقدمة، وهي مظنونة ولا سبيل إلى القطع في واحد منها"[3] حيث أكد بعد الاستقراء للأدلة من القرآن والسنة على عدم ثبوت نبوة الأسباط، وأن القائلين بثبوتها استندوا على أدلة ظنية الدلالة رغم أنها قطعية الثبوت وكل هذه الأدلة من عدة وجوه حسب تأويلهم فلا سبيل إلى القطع في واحد منها، وبذلك يكون ابن خمير قد أتم ردوده على خصومه في هذه المسألة.

[1]- ينظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني بعنوان (الأعراض البشرية)- كذلك (الصفات المناسبة) المطلب الرابع من المبحث الثاني من الفصل الأول (مفهوم النبوة وأسسها) بعنوان (أسس النبوة)،و مقدمات المراشد، ص255.

[2]- أي سكن وأطمأن، مختار الصحاح، ص145، والمصباح، ص155، مصادر سابقة

[3]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص192، مصدر سابق

المبحث الثاني

طرق إثبات العصمة

في هذا المبحث نعرض طرق إثبات العصمة عند ابن خمير السبتي والتي تحدث فيها في كتابه المراشد في المقدمة السادسة والتي تتضمن إثبات النبوات والتي احتوت على ستة فصول وتحديدا في الفصل الخامس بعنوان(في أحكام الأنبياء عليهم السلام مما يجب ويجوز ويستحيل من أحوالهم)، وذلك بعد حديثه عن جواز بعث الرسل ورده على الفلاسفة والباطنية ثم انتقل إلى حديثه عن طرق إثبات النبوة والتي عرضناها في المبحث الأول وهذا الفصل، حيث خصص الفصل الخامس للحديث عن عصمة الأنبياء ثم عرض طرق إثبات العصمة ولخصها في طريقين هما طريق عقلي وطريق نقلي، ولذا قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين الأول: الطريق العقلي والثاني الطريق النقلي، وذلك بترتيب ابن خمير حيث قدم العقلي على النقلي.

المطلب الأول: الطريق العقلي

قدم ابن خمير الطريق العقلي على الطريق النقلي في إثبات العصمة فقال:"أما حصولها على الصحة من وجهين: عقلي ونقلي"[1]، وقوله:(أما حصولها) يعود على العصمة لأنه إجابة على تساؤل سابق في قوله:(أثبتوا لنا عصمة الأنبياء)[2].

ثم بدأ بتفصيل الطريق العقلي فقال:"أما العقلي: فهو عصمتهم فيما يناقض مدلول المعجزة وهو الكذب فيما يبلغونه عن الله تعالى، لكون المعجزة دالة على صدقهم، وقد أوضحنا هذه المسألة عند كلامنا في المعجزات إيضاحا لا ريب فيه لمن وفقه الله تعالى لفهم وجه الدليل"[3].

---

[1]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256. مرجع سابق

[2]- المصدر نفسه

[3]- المصدر نفسه

في هذا الطريق العقلي يركز ابن خمير على صفة الصدق وهي إحدى الصفات الأساسية للنبوة[1] وتثبت هذه الصفة عن طريق المعجزة لأن الهدف منها إثبات صدق النبي ﷺ وهي من فعل الله تعالى كما بينها ابن خمير في شروط المعجزة[2]، ولإثبات صدق النبي ﷺ هو تصديق الله تعالى إياه بالفعل مقام تصديقه له بالقول وبمثابة قوله تعالى(صدق عبدي أنا أرسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا)[3] فإذا ثبت صدقه عن طريق المعجزة ثبتت نبوته، وابن خمير أراد أن يصيغ الدليل العقلي بطريقة إثبات بطلان الضد،وضد الصدق هو الكذب بقوله(عصمتهم فيما يناقض مدلول المعجزة وهو الكذب فيما يبلغونه عن الله تعالى).[4]

ورده على المشبهة في الصفات الإلهية أشار إلى هذا الدليل فقال:"...ووجب أيضا صدق أنبيائه عليهم السلام فيما يخبرون به عنه لتصديق الله إياهم؛ لكون المعجزة تنزل منزلة الصدق بالقول، فيستحيل عليهم الكذب فيما شأنه التبليغ؛ لأنه يناقض دليل المعجزة المتضمنة التصديق فإتحد صدق البارئ تعالى وصدق أنبيائه عليهم السلام في الوجوب، واستحال أن يخبروا عن الله تعالى بما يناقض أدلة العقول"[5]، فبين أن وجه دلالة المعجزة بمثابة الصدق في القول ومنه إستحالة الكذب في التبليغ عن الله تعالى، وبذلك يتحد صدق الله تعالى مع صدق أنبيائه عليهم السلام ولذلك فهم لا يخبرون بما تحيله العقول.

---

[1]-ينظر التفصيل في المطلب الرابع(الصفات المناسبة)من المبحث الثاني(أسس النبوة)من الفصل الأول(مفهوم النبوة وأسسها)

[2]- سبق الحديث عنها في هذا الفصل عند الكلام عن طرق إثبات النبوة منها طريق المعجزة، ينظر: المبحث الأول (طرق إثبات النبوة) منه المطلب الأول (طرق المعجزة).

[3]- أورده ابن خمير في مقدمات المراشد بهذه الصيغة الافتراضية والتي أوردها أغلب المتكلمين في الاستدلال بالمعجزة ص214، مصدر سابق

[4]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256، مصدر سابق

[5]- المصدر السابق، ص104

وقد أثبت ابن خمير عصمة الأنبياء من الكبائر والذنوب منها الكذب[1]،كذلك فإذا ثبت صدقهم عن طريق المعجزة استحال ضده وهو الكذب للقاعدة المنطقية النقيضان لا يجتمعان معا ولا يرتفعان معا، فإذا ثبت أحدهما أرتفع الآخر، وقد بينا سابقا[2] أن من أسس النبوة المعجزة كذلك أن من طرق إثبات النبوة المعجزة[3] وهي أقوى الطرق لخرقها العوائد فإذا أجرها الله تعالى على يد النبي عليه السلام وفق الشروط[4] التي ذكرها ابن خمير فهي دالة على صدقه ومنها إثبات نبوته مما يدل على عصمته من النقيض وهو الكذب وبذلك تثبت العصمة من هذا الوجه العقلي الذي أورده ابن خمير.

وقد استدل التفتازاني على إثبات العصمة كذلك بهذا الدليل حيث قال:"الأنبياء معصومون عما ينافي مقتضى المعجزة كالكذب في التبليغ"[5]، كذلك استدل بهذا الوجه الجرجاني بقوله:"أجمع أهل الشرائع والملل كلها على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله، إذ لو جاز عليهم التقول والافتراء في ذلك عقلا لأدى إلى إبطال دلالة المعجزة وهو محال"[6].

قال الإيجي:"إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبة[7]، فإن إظهار المعجزة على يد الكاذب وإن كان ممكنا عقلا فمعلوم انتفاؤه عادة".[8]

---

[1]-ينظر الفصل الثاني(مفهوم العصمة وأنواعها)المبحث الثاني(أنواع العصمة) منها (ما يتعلق بالأقوال والأفعال وكذلك التبليغ)

[2]- الفصل الأول (مفهوم النبوة وأسسها) المبحث الثاني (أسس النبوة)

[3]- المبحث الأول من هذا الفصل (طرق إثبات النبوة) (طريق المعجزة)

[4]- المطلب الأول (طريق المعجزة) من المبحث الأول (طرق إثبات النبوة)

[5]- شرح المقاصد، 49/5، مصدر سابق

[6]- شرح المواقف، 288/8، مصدر سابق

[7]- عقيبه أي بعد ظهور المعجزة مباشرة، المصباح، ص261،كما صدق سحرة فرعون موسى عليه السلام مباشرة عند إظهاره تحول العصا إلى ثعبان تلقف حبارهم.

[8]- شرح المواقف، 253/8 مصدر سابق

وقال الجرجاني: "لا يتصور عندنا ظهور الخارق على يد الكاذب".[1]

فالصدق هنا مرتبط بالمعجزة ارتباطا وثيقا فمتى ظهرت المعجزة على يد النبي ﷺ يستلزم تصديقه مباشرة والذي عبر عنه الإيجي بالعلم الضروري الذي يخلقه الله تعالى في الإنسان عقب مشاهدته للمعجزة، ومتى ثبت صدقه انتفى عنه الكذب ومنه ثبتت العصمة للنبي ﷺ من هذا الوجه، وقد أورد الرازي أدلة عقلية أخرى على إثبات العصمة[2] منها:"لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد من حال عصاة الأمة وهذا باطل فصدور الذنب عنهم أيضا باطل"[3]، كذلك ساق التفتازاني أدلة عقلية مماثلة لما ساقه الرازي منها: "لو صدر عنهم الذنب لزم أمور كلها منتفية:

1. حرمة إتباعهم، لكنه واجب بالإجماع لقوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾[4].

2. وجوب منعهم وزجرهم، لكنه منتف.... وبالجملة فدلالة الوجوه المذكورة على نفي الكبيرة سهوا أو الصغيرة المنفر عمدا"[5].

فهذه وجوه أخرى تدخل ضمن الدليل العقلي والذي يشهد له نصوص القرآن والسنة لأن كل من الرازي والتفتازاني عندما يصيغون الدليل العقلي يستشهدون له بآيات قرآنية، ولكن ابن خمير انطلق من المعجزة، لأن أكثر علماء الكلام[6] ينفون ظهورها على يد الكاذب فلو افترضنا ظهورها على يد الكاذب للزم نقض الدليل العقلي وهو محال فيبطل ظهورها على يد الكاذب ولم يقع في

[1]- شرح المواقف، 249/8 مصدر سابق

[2]- أورد خمسة عشرة دليلا، ينظر: كتاب الأربعين في أصول الدين للرازي 322/2-326 مصدر سابق

[3]- المصدر نفسه

[4]- سورة آل عمران، الآية 31

[5]- شرح المواقف 51/5-52 مصدر سابق

[6]- منهم الرازي في الأربعين،315/2،التفتازاني في شرح المقاصد،15/5،الإيجي في شرح المواقف،249/8 مصادر سابقة

تاريخ البشرية أن ظهرت معجزة على يد كاذب وإنما الذي يظهر على يديه بما يسمى بالإهانه وهي خارقة تثبت كذبه[1]، فالمعجزة هي التي تفرق بين الصادق والكاذب، إذا فالمعجزة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصدق كارتباط الدال على المدلول مثل دلالة الألفاظ على معانيها، فمتى ظهرت المعجزة على يد مدعي النبوة لزم تصديقه كما صدق سحرة فرعون موسى عليه السلام بعد إظهاره للمعجزة مباشرة[2]، ولذلك وظف ابن خمير المعجزة لدلالتها على صدق النبي عليه السلام ومنه عصمته عن الكذب.

المطلب الثاني: الطريق النقلي

بعد ذكر ابن خمير للطريق العقلي لإثبات العصمة ذكر بعده مباشرة الطريق النقلي فقال:"أما حصولها على الصحة من وجهين:عقلي ونقلي"[3]،وفي موضع أخر قال:"وأما عصمته من الكبائر المؤدية لسقوط العدالة وقلة الديانة، فمرجع إثباتها إلى السمع وهو الإجماع المتواتر الذي لا مدفع فيه إلا بخرقه"[4]، حيث بين ابن خمير أن هذا الطريق سمعي ويثبت بالإجماع المتواتر وهو إجماع الأمة على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر قال ابن خمير:"ما صح من إجماع الأمة قاطبة على عصمة الأنبياء من الكبائر"[5].

حيث بين ابن خمير أن الأمة أجمعت على عصمة الأنبياء من الكبائر، وقد تعرض ابن خمير إلى شرح الآيات الموهمة باقتراف بعض الأنبياء ذنوبا كقوله تعالى:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ...﴾[6].

---

[1]- مثل ما وقع لمسيلمة الكذاب عندما تفل في عين أحد أتباعه فعميت وقد سبق ذكره في شروط المعجزة

[2]- ينظر للتفصيل: محمد نبيل طاهر العمري، النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة، ط1، مطبعة دار الفتح، الأردن 2015، ص228-259.

[3]- ابن خمير، مقدمات المراشد، ص256. مصدر سابق

[4]- المصدر السابق، ص257

[5]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57، مصدر سابق

[6]- سورة طه، الآية 121

وأولها أحسن تأويل وقد وجد لها مخارجا لغوية وبين ظروف الأقوال والأفعال التي صدرت منهم كصدورها قبل النبوة، وقبل التكليف قال ابن خمير"شرح هذه الأقوال وما يضاهيها من القصص الموعود بها على مذهب من قال بتنزيه الأنبياء عليهم السلام عن الصغائر، وأنهم لا يواقعون صغيرة من الذنوب ولا كبيرة، وأن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى لمن عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم السنية"[1]

فجعل ابن خمير هذه قاعدة من القواعد التي ذكرها لشرح قصص الأنبياء عليهم السلام ورد شبهات القائلين بعدم عصمتهم حيث تتبع الآيات وجمعها في شرح قصص الأنبياء عليهم السلام، وقد فصلنا في هذا الموضوع عند حديثنا عن مفهوم العصمة ومجالها الفعلي والزمني وأنواعها ورد ابن خمير عن شبهاتها[2].

وقد نقل كثير من علماء العقيدة وعلماء الكلام إجماع الأمة على عصمتهم قال الجرجاني:"أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب"[3]، كذلك نقله الإيجي حيث قال:"وأيضا الإجماع على أنهم مكلفون بترك الذنوب"[4]، ونقل عياض كذلك للإجماع فقال:"أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومسند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه"[5].

وابن خمير في هذا المسلك اعتمد على السمع وهو الإجماع المتواتر والتواتر يعتبر أقوى طرق النقل، لأنه نقل جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم عادة عن الكذب بخلاف طريق الآحاد فهو ظني الثبوت

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57-58، مصدر سابق

[2]- ينظر التفصيل في الفصل الثاني (مفهوم العصمة مجالها وأنواعها)

[3]- الجرجاني، شرح المواقف 288/8 مصدر سابق

[4]- المصدر نفسه 306/8-307

[5]- الشفا، 131/2 مصدر سابق.

وأما المتواتر فهو قطعي الثبوت، وقطعي الثبوت يستدل به في إثبات العقائد ومن أهم مسائل الاعتقاد عصمة الأنبياء عليهم السلام.

ولذلك سلك ابن خمير مسلك التواتر في هذه المسألة، وقد دافع ابن خمير عن الشبهات التي أثيرت حول عصمة الأنبياء عليهم السلام مما ورد في قصصهم في القرآن الكريم حيث دحض بعض الأخبار التي لا سند لها، وأخرج الألفاظ الموهمة لارتكاب الذنوب كقوله:﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ...﴾ وغيرها مما ورد في القرآن وذكره بعض المفسرين والوعاظ والقصاصون مما نقل عن الإسرائيليات وتأوليهم للآيات والأخذ بظاهر الألفاظ فقد قدم ابن خمير مقدمة في شرحه لقصص الأنبياء عليهم السلام أورد فيها قواعد للتعامل مع سيرة الأنبياء عليهم السلام منها قاعدة تنزيه الأنبياء عن الصغائر[1]، ثم يذكر الشبهة ويرد عليها ثم يخرج القصة على مذهب أهل الحق ويستند في ذلك على مصدرين هما القرآن الكريم والسنة الصحيحة[2]، وقد فصلنا في ذلك في الفصل الثاني من هذه الأطروحة[3].

وبهذا يكون ابن خمير قد أثبت عصمة الأنبياء عليهم السلام بطريقين الأول عقلي والثاني نقلي وقدم العقلي على النقلي لأن الأول مبني على المعجزة لدلالتها على الصدق الذي يعتمد على ربط العقل بين ظهور المعجزة على يدي مدعي النبوة وتصديقه فيما يأتي به من عند الله تعالى لأن المعجزة من فعل الله تعالى لا من فعل النبي ﷺ فالعقل يربط بين المعجزة والتصديق ولذلك قدم العقلي على النقلي، والدليل العقلي أثبت فيه عصمة النبي ﷺ عن الكذب بدليل المعجزة التي تثبت صدقه فيستلزم نفي كذبه، وأما الدليل النقلي فاعتمد على أقوى طرق النقل وهو التواتر، لأنه قطعي الثبوت وهو يفيد العلم بخلاف الآحاد، لأنه ظني الثبوت ولا يفيد العلم بل يفيد الظن

[1]- ابن خمير، تنزيه الأنبياء، ص57 مصدر سابق

[2]- المصدر السابق، ص53

[3]- الفصل الثاني بعنوان "العصمة مفهومها ومجالها وأنواعها"

لقوله تعالى:﴿...وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[1]،وبهذا يكون ابن خمير قد أثبت عصمة الأنبياء عليهم السلام بأقوى طريقين عقلي ونقلي وكل منهما يعضد الآخر.

بعد إثبات ابن خمير للنبوة بطريقين هما طريق المعجزة، وطريق الخبر إنتقل إلى إثبات عصمة الأنبياء بطريقين هما طريق عقلي،وطريق نقلي، حيث نلاحظ أنه أثبت كل من النبوة والعصمة بطريقين متشابهين فالنبوة أثبتهما بالمعجزة والعصمة كذلك أثبتها بالمعجزة بواسطة الدليل العقلي المستفاد منها، لأن المعجزة وجه دلالتها على النبوة إنزالها منزلة القول من الفعل أي كما فعل الله تعالى المعجزة للنبي ﷺ وهو أمر مشاهد كذلك بمثابة تبليغ قوله للناس عن طريق النبي ﷺ ومنه تصديق دعوى نبوته نظرا لتصديق فعل الله له بالمعجزة، والتي تعتبر دليل قوي على إثبات النبوة قال مصطفى صبري[2]"أن وجود الله يثبت أولا بدليل عقلي ضروري ثم يثبت إمكان السمعيات مثل النبوة والمعجزة والآخرة بدليل عقلي أيضا مبني على وجود الله، ثم يثبت وقوعها بإخبارات الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عن الله الذي لا يتصور منه الكذب"[3] حيث بين مصطفى صبري أن النبوة وهي من قسم السمعيات تثبت كذلك بدليل عقلي وهو ما ذهب إليه ابن خمير وغيره من علماء الكلام سابقا[4]، والمعجزة كذلك وظفها ابن خمير في إثبات العصمة ووجه الدلالة أن ظهور المعجزة على يدي مدعي النبوة يستدل بها على إثبات نبوته أولا وتصديقه عما يخبره عن الله تعالى الذي أيده بفعله لخرقه العوائد فكون المعجزة دليل إثبات للنبوة هي كذلك إثبات للعصمة، لأن نتيجة المعجزة هو إثبات الصدق وإثبات للصدق نفي الكذب عنه ومنه عصمته من الكذب

[1]- سورة النجم، الآية 28

[2]- هو آخر شيخ الإسلام للدولة العثمانية هاجر إلى مصر واستقر بها سنة 1922م، توفي سنة 1945م،له عدة مصنفات منها كتاب (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين) في أربع أجزاء في الرد على الملحدين والمذكرين والشبهات، الزركلي، 1337/8، مصدر سابق

[3]- موقف العقل والعلم، 24/4، مصدر سابق

[4]- المقصود ليس العقل لوحده وإنما بقرينة وهي المعجزة،ينظر:التفتازاني،شرح المقاصد،8/5،والرازي في الأربعين،298/2

بإثبات الصدق الناشئ عن ظهور المعجزة قال الماوردي: "إظهار معجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله لتكون مضاهية للأفعال الإلهية، ليعلم أنها منه فيصبح بها دعوى رسالته لأنه لا يظهر من كذب عليه ويكون المعجز دليلا على صدقه وصدقه دليلا على صحة نبوته"[1] حيث بين الماوردي أن المعجزة دالة على صدق مدعي النبوة ومنه إثبات دعوته وهو ما ذهب إليه ابن خمير في الاستدلال بالمعجزة على إثبات النبوة ومنه إثبات العصمة عن طريق إثبات الصدق المؤدي إلى نفي ضده وهو الكذب.

أما الطريق الثاني وهو الطريق النقلي فقد استخدمه ابن خمير كذلك في إثبات العصمة، كما استعمله في إثبات النبوة؛ ولكن بوجهين مختلفين ففي إثبات النبوة ركز على النص الذي يخبر به على نبي آخر سابق أو لاحق وهذا الأخير كما أخبر عيسي عليه السلام بنبوة محمد ﷺ في الإنجيل أو السابق كما أخبر نبينا محمد ﷺ في القرآن الكريم مما جاء في عدد الأنبياء المذكورين فيه وقد عدهم ابن خمير ستة وعشرون نبيا كما تقدم سابقا، أما في إثبات العصمة فركز على الإجماع المتواتر الذي يفيد القطع ويؤدي إلى العلم اليقيني.

[1]- أعلام النبوة، ص41-42، مصدر سابق

تطرق ابن خمير في هذا الفصل إلى مسألتين الأولى في طرق إثبات النبوة، والثانية في طرق إثبات العصمة، فأما المسألة الأولى اعتمد في تقريرها على مسلكين الأول المعجزة والثاني الخبر، حيث قدم المعجزة على الخبر لأن المعجزة أمر محسوس ومشاهد للعيان من شاهد المعجزة أمامه فإنه يحصل له العلم الضروري بتصديق مدعي النبوة إلا منكر معاند كما حصل لسحرة فرعون عندما شاهدوا معجزة موسى عليه السلام فآمنوا به وصدقوه وأما فرعون فلم يصدق ذلك لعناده وتكبره وإدعائه الألوهية، لأن المعجزة أمر خارق لقوانين الكون وأن فاعلها هو نفسه خالق الكون وواضع قوانينه ولذلك كانت المعجزة أمر فعلي فهي تنزل منزلة التصديق بالقول وينتج عنها تصديق مدعي النبوة وبذلك تثبت نبوته.

وأما المسلك الثاني وهو الخبر، فإذا صدق الناس النبي عليه السلام بعدما أجر الله تعالى على يديه المعجزة يسهل تصديقه فيما يخبر عنه، لأن مصدر خبره هو الوحي الإلهي وبذلك يتلقى كل من المعجزة والخبر من نفس المصدر وهو الله تعالى والخبر نوعان حسب الزمان في المستقبل حيث يخبر النبي عليه السلام بنبي آخر سيأتي في المستقبل كما بشر عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ وتحقق هذا الخبر والنوع الثاني في الماضي كما أخبر نبينا محمد ﷺ عن طريق الوحي بالأنبياء السابقين جملة وذكر بعضهم تفصيلا عن طريق القرآن الكريم، كذلك ما ورد في قصصهم من السنة.

والمسألة الثانية هي طرق إثبات العصمة وقد سلك ابن خمير مسلكين الأول عقلي والثاني نقلي وقدم العقلي على النقلي كما فعل في طرق إثبات النبوة في المسألة الأولى، لأن المسلك الأول وهو العقلي يستند على المعجزة والتي قدمها عن الخبر في المسألة الأولى، لأن المعجزة أقوى طرق الإثبات بالنسبة للنبوة من غيرها وفي هذا المسلك بنى دليله العقلي على المعجزة لدلالتها على صدق مدعي النبوة ومنه عصمته من الكذب، وبذلك تثبت عصمة الأنبياء بهذا الدليل، وأما المسلك الثاني وهو نقلي ويتمثل في الإجماع المتواتر وهو إجماع الأمة على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر وهو ثابت في مصادر السير والأحاديث والعقائد كما أشرنا إليها سابقا في مواضعه، هذا منهج ابن خمير في بيان طرق إثبات النبوة والعصمة معا.

حيث تدرجت في عرض آراء ابن خمير العقدية في قسم النبوات وفي موضوع العصمة وإثبات النبوة فبعد التعرف على عصر ابن خمير وسيرته الذاتية انتقلت إلى عرض آراءه في مفهوم النبوة وأسسها ثم انتقلت إلى عرض آراءه في مفهوم العصمة ومجالها ثم انتقلت إلى أنواع العصمة ورده على الشبهات المثارة حولها وأخيرا ختمت الموضوع بطرق إثبات النبوة والعصمة معا عند ابن خمير، وختاما للموضوع سنذكر أهم نتائجه وذلك في خاتمة الموضوع الموالية.

الخاتمة

الخاتمة

نستخلص مما طرحناه في هذه الأطروحة حول موضوع العصمة وإثبات النبوة عند ابن خمير السبتي ما يلي:

1. أن شخصية الموضوع وهو ابن خمير السبتي له من الذكاء والفطانة والبحث والتدقيق ما يؤهله إلى درجة متكلم في مجال العقيدة وعلم الكلام قل نظيره في عصره.
2. أن شخصية ابن خمير ضحية صراعات، لأنه عاش بين زمنين وعهدين مختلفين وفي جو كثرت فيه الفتن وكان الغلبة لأهل الطرق الصوفية والوعاظ والقصاصين وهو ما عبر عنه بنفسه الزمن النكوب وهو السبب الغالب في عدم شهرته وغمره بسبب عدائه ونقده للقصاصين والوعاظ المنحرفين الذين إفتروا على الأنبياء عليهم السلام وكان ذلك دافعا لتأليف كتابه (تنزيههم الأنبياء عما نسبه لهم حثالة الأغبياء)، فكان يصف هؤلاء بالحثالة والجهلة والأغبياء والمنحرفين، وكان الصراع قائم بينه وبينهم، لأنهم أهل بدعة وأهواء وهو أهل حق ودفاع عن الأنبياء عليهم السلام.
3. ابن خمير شخصية نابغة وموهوبة وتتمثل في ضلوعه وتمكنه من عدة علوم فهو المتكلم والمفسر والأصولي والفقيه والأديب والشاعر واللغوي، والناقد والمرجح للأقوال وصاحب منهج متميز فهو المجتهد المناظر العالم العلامة.
4. أعطى ابن خمير تعريفا متميزا للنبوة وذلك باعتماده على ثلاثة عناصر أساسية هي الخبر والرفعة والنيابة فالأولى تمثلت في الوحي والثانية في مقامه بين الناس وعند ربه والثالثة في قيام النبي عليه السلام مقام ربه في تبليغ أمره، حيث نجد هذا التعريف يمثل العلاقة بين النبي عليه السلام وبين ربه من جهة، وبينه وبين الناس من جهة أخرى،وأنه لم يفرق بين النبي والرسول عليه السلام من حيث المصطلح أو المهام واعتبرهما معنى واحد، وهذا عند أغلب الأشاعرة وخاصة المغاربة، لأنه

أشعري المذهب العقدي وهو الغالب في المغاربة فلم يخرج عنهم في هذا المجال إلا ما تفرد به في بعض المسائل.

5. أن للنبوة أربعة أسس هي الاصطفاء والصفات والوحي والمعجزة،وهذه العناصر نلمسها في تعريفات ابن خمير للنبوة والمعجزة وما يجب على الأنبياء وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم فنجد أن الاصطفاء منة ومنحة من الله تعالى لعبده الذي أهله للنبوة بخلاف القائلين بالكسب وهو مخالف للشرع، كذلك الوحي المرتبط بالنبوة وهو ما عبر عنه ابن خمير بأن النبي هو المخبر عن الله تعالى، فلا نبوة دون وحي، وأما الصفات فعبر عنها بما يجب على الأنبياء عليهم الصلاة وذلك من الصفات المناسبة لهم والتي تليق بمقام النبوة كالعصمة والتبليغ وغيرها من صفات النبوة وأما المعجزة فقد عرفها وذكر شروطها وربطها بالنبوة لأنها دليل على إثبات النبوة فهذه الأسس عناصر أساسية للنبوة وما يتعلق بها ويستخرج منها دلائل النبوة ودلائل العصمة كما فعل ابن خمير في كلامه عن العصمة والنبوة.

6. أن العصمة عند ابن خمير تعتبر أهم صفات الأنبياء عليهم السلام، وأنها عبارة عن خلق الله تعالى للأنبياء عليهم السلام قدرة على الطاعات ولا يخلق لهم قدرة على المعاصي فهي فعل الله تعالى في النبي ﷺ والمتمثلة في حفظه تعالى بواطنهم وظواهرهم من اقتراف الذنوب كبائرها وصغائرها.

7. أن ابن خمير من القائلين بتنزيه الأنبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر معا قبل النبوة وبعدها.

8. أن ابن خمير استثنى بعض الأعراض البشرية من مجال العصمة كالإغماء والغشية والنسيان واعتبرها مما يكتسب من الضروريات، واستثنى النسيان في التبليغ، وهذه الأعراض لا تقدح في عصمتهم، لأنها أمور بحكم بشريتهم يتعرضون لها.

9. ذهب ابن خمير في مجال عصمة الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم عما لا يليق بهم أن غاية أقوالهم وأفعالهم التي وقع فيها العتاب من الله تعالى من عاتبه منهم أن يكون على فعل مباح كان غيره من المباحات أولى منه في حق مناصبهم العالية وأن عتاب الله تعالى لهم هو من باب تأديبهم من غير أن يلحقهم في ذلك نقص من كمالهم الإنساني وذلك لتمحيصهم وإخلاصهم للعبودية وزيادة قربتهم من الله تعالى وهو الذي أدبهم فأحسن تأديبهم.

10. عرضت مواقف ابن خمير وردوده على الشبهات المثارة حول العصمة فقد قمت بتقسيمها إلى عنصرين أساسيين الأول مادي وهو ما يمثل الظواهر كالأقوال والأفعال والثاني معنوي وهو ما يمثل البواطن وما يتعلق بالقلوب والنفوس،وما وقع فيه الأنبياء عليهم السلام بما يوهم الخطأ كالاعتقاد كما في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع عبده الكواكب عندما قال﴿هَذَا رَبِّي﴾ وغيرها مما نسب للأنبياء عليهم السلام في قصصهم حيث أورده المفسرون والقصاصون وأصحاب التاريخ حيث فند ابن خمير هذه الشبهات بناء على قاعدة تنزيه الأنبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر وحتى إن وقع الخطأ فيكون قبل نبوتهم كما وقع لأدم عليه السلام من أكله الشجرة، وعند رد ابن خمير على هذه الشبهات يستدل على ذلك بالقرآن الكريم السنة النبوية ويشرح الألفاظ اعتمادا على اللغة العربية ويوظف الحقيقة والمجاز ويستأنس بأشاعر العرب وأمثالهم كذلك مما ورد على ألسنة الصوفية المستقيمة وما حققه علماء العقيدة والتفسير واللغة مما يدعم به كلامه في الرد على الشبهات وهذا كله فيما يتعلق بشخصهم عليهم السلام.

11. وأما ما يتعلق بالرسالة فهي تعتمد على عنصرين أساسيين الأول التبليغ والثاني الاجتهاد فالأول يخص الوحي فإنه يبلغه كما هو دون زيادة ولا نقصان ولا كتمان،وقد استشهدنا على ذلك من القرآن والسنة والسيرة والإجماع، ثم في رده على الشبهات أورد قصة يونس عليه السلام ورد

على من قال بأنه لم يبلغ رسالة ربه إلى قومه وعوقب بإلتقام الحوت له واستدل ابن خمير على ذلك من القرآن والسنة.

وأما الاجتهاد كذلك استند إلى القرآن والسنة والسيرة والإجماع ورد شبهات القائلين بالخطأ في الاجتهاد والفتوى منها ما وقع في قصة داود عليه السلام مع الخصمان بقوله للخصم(لقد ظلمك) دون أن يسمع لحجة الآخر فرد ابن خمير على هذه الشبهة مستندا إلى معاني اللغة منها الإضمار كما فعل في توظيف الحقيقة والمجاز في ردود أخرى وبذلك يكون ابن خمير قد دافع عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ونزههم عما لا يليق بهم وفند أقوال الخصوم ورد شبهات القصاصين والوعاظ المنحرفين الذين ظهروا في عصره فصدع بالحق و أعلى مقام النبوة إلى أعلى عليين وأخفض أقوال المنحرفين إلى أسفل السافلين.

12. وفي نهاية البحث عرضت منهج ابن خمير وطريقته في إثبات النبوة والعصمة حيث اعتمد في إثبات النبوة على مسلكين الأول يتمثل في المعجزة والثاني في الخبر وقدم المعجزة لأنها أقوى دليل على إثبات النبوة، وأنهما أمر واقعي ومشاهد للعيان ولا سبيل إلى إنكارها وأن مدلولها هو تصديق مدعي النبوة على أنه مرسل منه الله تعالى، ثم انتقل إلى الدليل الثاني وهو الخبر ويتمثل في الخبر المتواتر القطعي الثبوت مثل القرآن الكريم والذي أخبر بنبوة عدد منهم تفصيلا والبقية مجملا، وأما طرق إثباته للعصمة فقد اعتمد على مسلكين الأول عقلي والثاني نقلي فأما الأول فقد استدل على المعجزة لأن مدلولها الصدق مما يثبت عكسه وهو عصمتهم من الكذب، وأما المسلك النقلي فيتمثل في الإجماع المتواتر وهو ما نقله جمع غفير من علماء الأمة باختلاف تخصصاتهم في العلوم الشرعية كذلك أهل الملل والديانات السابقة وما أثبته القرآن الكريم والسنة النبوية من أخبار الأنبياء السابقين مما يثبت لهم العصمة.

وبهذا يكون ابن خمير أثبت عصمة الأنبياء عليهم السلام عقلا ونقلا كما أثبت نبوتهم بأمر محسوس ومشاهد وهو المعجزة وعن طريق الخبر المتواتر المنقول عن نبي عليه السلام في السابق أو اللاحق

وكل منهما يصدق الآخر ويخبر عن نبوة الآخر، لأن كليهما نبي ثبتت نبوته عند قومه بالمعجزة فيصدق كذلك بما يخبر عنه بواسطة الوحي الإلهي، ومن جهة أخرى دافع عن عصمة الأنبياء عليهم السلام وذلك بتفنيد الأقوال المنحرفة والتي لا تليق بمقام النبوة ورده على الشبهات المثارة حول العصمة مما زاد في إثبات العصمة والنبوة معا من هذا الجانب فنفي النفي إثبات كما قال المناطقة، من خلال هذه النتائج المعروضة يكون البحث قد حقق جميع أهدافه وأجاب عن الإشكالية المطروحة في مقدمته.

التوصيات

بعد دراستي لآراء ابن خمير اكتشفت أن هذه الشخصية المغمورة لها من المميزات ما يؤهلها لمرتبة الإجتهاد والإبتكار في العلوم الإسلامية والأدبية، وأنه وصف بالعالم المتكلم الفقيه الأديب، ولذا أقترح الإهتمام بهذه الشخصية الفذة في التوصيات الآتية:

1. شخصية ابن خمير تحتاج إلى إقامة ملتقيات علمية لدراسة إنجازاته العلمية وآرائه العقدية.
2. إدراج دراسات ابن خمير وانتاجه العلمي ضمن محاور الدراسات المخبرية للعلوم الإسلامية.
3. لفت انتباه الطلبة والباحثين لدراسة آراء ابن خمير في مجالات العقيدة والتصوف والأدب باعتباره موسوعة في عدة مجالات.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الآحاديث
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾	32	البقرة	370
﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا...﴾	36		401
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾	54		306
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ...﴾	98		483
﴿...وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ...﴾			486
﴿...وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾	102		356
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾	124		370
﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾			370
﴿...بَيْتِيَ...﴾	125		382
﴿...وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ...﴾	136		442
﴿...هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾	185		160
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾	213		145
﴿... ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا...﴾	246		168
﴿...مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ...﴾	253		199
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾	256		159
﴿...رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾	258		322
﴿..فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ..﴾			338
﴿...فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ...﴾			338
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾	259		473

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾	260		325
﴿... أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى...﴾			318
﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾			326
﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...﴾	272		372
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾	286		160
﴿...وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ...﴾			160
﴿...بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	26	آل عمران	412
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾	31		374
﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...﴾	80		474
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...﴾	81		236
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾	128		372
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ...﴾	146		277
﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾	159		287
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾			287
﴿...وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾	179		154
﴿... وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾	181		280
﴿... فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	183		277
﴿...وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ...﴾	23	النساء	384
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ...﴾			401
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	65		325
﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ...﴾	79		52

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾	80		374
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾	83		444
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾	105		444
﴿...يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾	159		173
﴿...وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ...﴾	163		483
﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾			486
﴿...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	164		199
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	165		159
﴿...أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ...﴾	31	المائدة	209
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾	67		230
﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾			171
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ﴾	116		396
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ...﴾	26	الأنعام	195
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾	33		421
﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	75		316
﴿...هَذَا رَبِّي...﴾	76		188
﴿...لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾			188
﴿...هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ...﴾	78		317
﴿...فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾			317
﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ...﴾	80		317
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾	83		174

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ...﴾	90		156
﴿...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾	124		183
﴿..وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.﴾	164		203
﴿...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	12	الأعراف	117
﴿...وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾	19		135
﴿...فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتهما...﴾	22		94
﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ...﴾			400
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾	61		435
﴿...وَأَنْصَحُ لَكُمْ...﴾	62		175
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾	67		435
﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾	79		175
﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾	93		175
﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	138		305
﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾	143		286
﴿...يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي...﴾	144		183
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا...﴾	150		288
﴿...عَذَابِي..﴾	156		382
﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا...﴾	160		483
﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾	168		483
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	172		159
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ	175		373

الشَّيْطَانُ﴾			
﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾	200		401
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾	30	التوبة	118
﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ...﴾	61		280
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	62	يونس	182
﴿...وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	13		212
			278
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ...﴾	114		29
﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ...﴾	88		169
﴿...أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ...﴾	34		175
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾	25		305
﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا...﴾	27	هود	268
﴿...أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ...﴾	36		265
﴿...سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...﴾	43		218
﴿...لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ...﴾			218
﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾	45		331
﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾	46		331
﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	70		291
﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾	3		285
﴿...يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾	4	يوسف	206
﴿...لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾	5		478

﴿...وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...﴾	6		485
﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا...﴾	8		290
﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	8		290
﴿...بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	18		452
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾	22		178
﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾.	23		345
﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	27		194
﴿...فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾	31		364
﴿...وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...﴾	32		219
﴿...رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ...﴾.	33		430
﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ...﴾	35		276
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾	46		194
﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾	50		393
﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾	51		194
﴿...حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ...﴾			345
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي...﴾	53		334
﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾	54		420
﴿...إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾	70		425
﴿...إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ...﴾	77		479
﴿...أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا...﴾			485
﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾	84		274

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾	95		274
﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...﴾	96		275
﴿...وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ....﴾	100		207
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾	11	إبراهيم	269
﴿... وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾	35		301
﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	06		280
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	09	الحجر	191
﴿..رُوحِي..﴾	29		381
﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾	33		118
﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾	44		159
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ...﴾	120	النحل	484
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ﴾	125		337
﴿..وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	15		159
﴿...وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾	44		69
﴿...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾	61		118
﴿...أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾	62	الإسراء	118
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾	65		396
﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	86		394
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾	101		211
﴿...لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ...﴾	15	الكهف	174
﴿...فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا...﴾	22		164

﴿...وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾	24		283
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	46		161
﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا...﴾	61		283
﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.	63		283
﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾	75		292
﴿..فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾	79		412
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾	110		150
﴿...وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	12		301
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾	30		301
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾	41	مريم	193
﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾	50		417
﴿...وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا...﴾	58		150
﴿..أَنَا اخْتَرْتُكَ..﴾	13		183
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾	17		200
﴿...أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾	19		200
﴿...خُذْهَا وَلَا تَخَفْ...﴾	21		199
﴿...وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	39	طه	168
﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	41		183
﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾	45		291
﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾	86		306
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.	115		238

﴿...وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾	121		135
﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾	122		150
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	131		246
﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾	134		155
﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾	08	الأنبياء	268
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا..﴾	28		119
﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾	57		304
﴿...مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا...﴾	59		424
﴿...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾	63		424
﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾	68		276
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾	78		339
﴿...وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ...﴾	84		411
﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾	87		36
﴿...سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾			234
﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾	90		428
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	41	الحج	409
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾	52		342
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ...﴾	75		183
﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾	33	المؤمنون	268
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.	97		401
﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...﴾	07	الفرقان	268

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾	20		268
﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾	28		172
﴿...فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ...﴾.	70		355
﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾	20	الشعراء	285
عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	80		412
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ(124)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	124		461
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ(142)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.	142		461
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.	161		461
﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	165		461
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾	193		204
نزلت﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	214		420
﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾	37	النمل	09
﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى...﴾	59		183
﴿...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	64		174
﴿...فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾	15	القصص	239
﴿...هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾	15		239
﴿...إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾	26		189
﴿...إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	30		200
﴿... فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ...﴾	32		211
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾	33		234
﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ...﴾	44		234

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾.	56		372
﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾	76		162
﴿...وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ...﴾	27	العنكبوت	182
﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾	45		170
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾	30	الروم	159
﴿...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ...﴾.	04	الأحزاب	359
﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾	05		359
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾	07		300
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾	21		156
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾	37		118
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	39		185
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾	40		405
﴿...إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	45		173
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.	57		371
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ﴾	69		279
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾	72		162
﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ...﴾	13	سبأ	320
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	20		397
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾	88	الصافات	423
﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.	89		423
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	96		345

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾	101		301
﴿...يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾.	102		206
﴿...وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾	113		483
﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	142		273
﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(*)لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	143		273
﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾	04		280
﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾	21		134
﴿...لَا تَخَفْ خَصْمَانِ...﴾	22		118
﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	23		372
﴿...لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ...﴾	24		451
﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾	26		162
﴿...وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا...﴾	34	ص	405
﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾	41		272
﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.	42		411
﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	44		271
﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾	46		397
﴿...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾.	76		118
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	82		396
﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾	52	الزمر	330
﴿...لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾	65		300
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.	19	غافر	160

﴿...أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾	46		486
﴿...مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...﴾	78		470
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾	06	فصلت	267
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾	51	الشورى	199
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	19	محمد	262
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾	02	الفتح	253
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	18		59
﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	الحجرات	397
﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	16	ق	160
﴿...وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾	28	الذاريات	301
﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾	48	الطور	269
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾	02	النجم	336
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	4-3		192
﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾	11		336
تعالى:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾	13		205
﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾	17		336
﴿...وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	28		495
﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾	39		302
﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾	68	الرحمان	483
﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾	88	الواقعة	130
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ...﴾	25	الحديد	158

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾	19	المجادلة	398
﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾	07	الحشر	374
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ...﴾	24		46
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾	05	الصف	461
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾	06		461
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...﴾	2	الجمعة	170
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِئ...﴾	01	الطلاق	145
﴿...وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ...﴾	07		442
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾	01	التحريم	191
﴿...لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	06		248
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	04	القلم	186
﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ...﴾	50		150
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾	44	الحاقة	190
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ﴾	23	نوح	304
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	38	المدثر	169
﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	2	القيامة	333
﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾	2	النبأ	145
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾	01	عبس	190
﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾	22	التكوير	337
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى(6)إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾	7-6	الأعلى	283
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾	21	الغاشية	166

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾	27	الفجر	333
﴿...جَنَّتِي﴾	30		382
﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	10	البلد	159
﴿...نَاقَةَ اللَّهِ...﴾	13	الشمس	382
﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾	07	الضحى	285
﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾	02	الشرح	239
﴿نَارُ اللَّهِ...﴾	06	الهمزة	382
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	3	الكوثر	280
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	01	المسد	371

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	طرف الحديث والأثر	الصفحة
01	"أخذ الراية زيد فأصيب"	371
02	"أدبني ربيّ فأحسن تأديبي".	391
03	"آدم نبي مكلم"	203
04	"إذا تقرّب إلي عبدي باع تقربت إليه ذراع..وكنت سمعه الذي يسمع به"	182
05	"إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة"	191
06	"أرأيت لو مضمضت من الماء؟ قلت: لا يضر، قال: ففيم؟"	447
07	"أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي"	420
08	"إزاري إزاري"	235
09	"أغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت".	294
10	"أكتبوها له حسنة فإنما تركها من جراي"	356
11	"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر العمل"	350
12	"إلا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل"	436
13	"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"	219
14	"إن الرائد لا يكذب أهله"	195
15	"إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة"	178
16	"إن الله خلق الخلق، فجعلني من خير فرقهم"	179
17	"إن عيسى عليه السلام كفى من لمسة فجاء ليطعن بيده في خاصرته"	398
18	"أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينار وإنما ورثوا العلم"	182

19	"أن النبيّ ﷺ صلى الظهر خمسا".	281
20	"أنتم أعلم بأمور دنياكم".	287
21	"إنكم تختصون إلى، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أكن"	445
22	"إنما الأعمال بالنيات"	353
23	"إنما أنا بشر أنسى كما تنسون،فإذا نسيت فذكروني".	285
24	"إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم"	446
25	"إنما حبب إلي من دنياكم"	290
26	"إنما هو جبريل رآه على خلقه"	205
27	"إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته"	170
28	"إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله"	254
29	"أول ما بدأ به الوحي الرؤيا الصالحة"	207
30	"إني لا أكل ما ذبح لغير الله"	302
31	"إني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة"	254
32	"إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"	254
33	"إني لأمزح ولا أقول إلا الحق"	292
34	"إني إنما أقضي بينكم"	445
35	"إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فجتالتهم عن دينهم ...."	355
36	"إني لا أقول إلا حقا"	436
37	"جاء جبريل يعلمكم دينكم"	205
38	"حبس رسول الله عن عائشة"	281
39	"الحسين سبط من الأسباط"	484

40	"حسين مني وأنا من حسين"	485
41	"حمل أخي يونس أعباء الرسالة فانفسخ تحتها كما ينفسخ الربع"	438
42	"خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"	170
43	"ذاك نبي أضاعه قومه"	471
44	"رأيت شخصا أشار إليه أن أستتر"	236
45	"سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟!"	338
46	"سُحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله"	280
47	"صلى النبي ﷺ الظهر خمسا"	284
48	"فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء"	205
49	"كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته"	169
50	"كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيّهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله"	275
51	"لا تسألني باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت بغضها شيئا قط"	303
52	"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله"	180
53	"لا تغضب ولك الجنة"	392
54	"لا حرج عنك إن شاء الله"	401
55	"لا نبي بعدي"	151
56	"لا يتوارث أهل ملتين"	59
57	"لقد رفعوا لي في الجنة على أسرة من ذهب"	371
58	"لقد نفث جبريل في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها"	206
59	"لك العتبى حتى ترضى"	371
60	"لم يكذب إبراهيم عليه السلام في الإسلام إلا ثلاث كذبات"	423

61	"اللهم أبعثه مقاما محمودا"	190
62	"اللهم إني عدلت فيما أملك فاغفر لي ما لا أملك"	362
63	"اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته"	486
64	"لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا"	438
65	"ما كان لنبي ان تكون له خائنة الأعين"	264
66	"ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه"	236
67	"ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجنّ".	398
68	"ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون بها إلا مرتين الدهر"	343
69	"من حدثك أن محمد كتب شيئا"	438
70	"من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب"	348
71	"من عشق وكتم وعف ومات،مات شهيدا"	367
72	"من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"	365
73	"من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة"	365
74	"نحن أحق بالشك من إبراهيم"	320
75	"نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيتيه؟"	447
76	"نعم، قلت: في الرضا والغضب قال: نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا"	417
77	"هذا جبريل جاء ليعلّمكم دينكم"	205
78	"هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال ﷺ: ما ألوانها؟"	338
79	"هلم إلي ثوبا، فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده"	205
80	"والخير كله في يديك، والشر ليس إليك"	355
81	"والذي نفسي بيده لو لم يبلغ بني الرسالة إلى قومه لعذب بعذاب قومه أجمعين"	340

82	"وأحيانا يمثل لي الملك رجلا"	205
83	"وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟"	437
84	"وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ ما لا يطيقون".	422
85	"وما كان لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين"	345
86	"يا أيها الناس، إنما أنا بشر ورسول الله"	437
87	"يا مقلب القلوب ثبت قلب نبيك!"	361

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم (برواية حفص)

أولا: مصادر التخريج

- **ابن حبان (محمد البستي):**

1- الصحيح، بترتيب الأمير بن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت 1993م.

- **ابن ماجة (محمد بن يزيد):**

2- السنن، تح: فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، عيسى البابي الحلبي بمصر، 1954م.

- **ابن الهمام الصنعاني (عبد الرزاق):**

3- المصنف،تح:حبيب الرحمان الأعظمي،ط1،المجلس العلمي جنوب أفريقيا 1970م.

- **أبو داود(سليمان ابن الأشعث):**

4- السنن، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،(د.ط)،دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- **أبو زرعة (عبيد الله):**

5- تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، تح: عبدالله نوارة، مكتبة الرشد، الرياض 1999م.

- **أحمد (ابن حنبل):**

6- المسند،(طبعة وترقيم جمعية المكنز الإسلامي)، (د.ط)، (د.ت)

- **البخاري (محمد بن إسماعيل):**

7- الجامع الصحيح، تح: فؤاد عبد الباقي، ط1 دار الريان، مصر، 1986م.

8- الأدب المفرد، تح: كمال الحوت، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1404هـ.

9- التاريخ الكبير،تح:محمد عبد المعيد خان،(د.ط)،دائرة المعارف العثمانية،حيدر أباد باكستان

- **البزار (أحمد بن عمر البصري):**

10- المسند(البحر الزخار)، طبعة مكتبة العلوم والحكم، (د.ط)، (د.ت)

- **البيهقي (أحمد بن الحسين):**

11- دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م

12- السنن الكبرى ، ط1، دار المعارف العثمانية، 1925م.

13- شعب الإيمان،تح:عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.

- **الترمذي (محمد بن عيسى):**

14- السنن،تح:أحمد محمد شاكر وآخرون،(د.ط)،دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت).

- **الحافظ العراقي (زين الدين):**

15- تخريج أحاديث الإحياء، (د.ط)، دار العاصمة للنشر، الرياض، (د.ت)

- **الحاكم النيسابوري (محمد بن عبدالله):**

16- المستدرك، تح: مصطفى عبد القادر عطا ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

- **الزركشي (بدر الدين):**

17- اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ.

- **السخاوي (شمس الدين):**

18- المقاصد الحسنة،تح: محمد عثمان الخشت،ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1985م.

- **الطبراني (سليمان بن أحمد):**

19- المعجم الأوسط،تح:طارق بن عوض الله بن محمد،(د.ط)،دار الحرمين،القاهرة،(د.ت).

20- المعجم الكبير،تح: حميدي عبد المجيد السلفي،ط1،وزارة الأوقاف، بغداد، 1398هـ.

- **العجلوني (إسماعيل بن محمد):**

21- كشف الخفاء، تح: محمد الخالدي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

- **مسلم (أبو الحسين بن الحجاج):**

22- الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط) دار إحياء التراث العربي بيروت، (د.ت).

- **النسائي (أحمد بن شعيب):**

23- السنن الكبرى،تح:عبد الغفار سليمان البنداري،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت 1991م.

- **الهيثمي (نور الدين):**

24- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، تح: صيد كسروى حسن،(د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

25- الزوائد، تح: حسين سليم أسد الدراني، (د.ط)، دار المأمون للتراث دمشق، (د.ت)

ثانيا: المعاجم والقواميس

- **ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي):**

26- لسان الميزان، (د.ط) دار الفكر، بيروت، 1922م.

- **ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد):**

27- وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- **ابن سيدة (علي بن إسماعيل):**

28- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة،تح: مصطفى السقا وحسين نصار،ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1958م.

- **ابن الشعار الموصلي (كمال الدين):**

29- قلائد الجمان،تح: كمال سلمان الجدوري،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

- **ابن منظور (جمال الدين):**

30- لسان العرب،(د.ط)، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت)

- **أبو هلال العسكري (حسن بن عبدالله):**

31- الفروق اللغوية،تح: إيهام محمد إبراهيم،ط1، مكتبة ابن سينا،القاهرة،2013م.

32- جمهرة الأمثال،تح:محمد أبو الفضل وعبد المجيد طامش،ط2،دار الفكر،بيروت،1988م

- **الأزهري (محمد بن أحمد):**

33- تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد الرحمان مخيمر، ط1،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

- **البغدادي (إسماعيل باشا):**

34- هدية العارفين،(د.ط)،دار الفكر،بيروت، 1990م، (مطبوع مع سلسلة كشف الظنون لحاجي خليفة)

- **التهانوي (محمد بن علي):**

35- كشاف اصطلاحات الفنون، تح: أحمد حسن سبج، ط1، دارالكتب العلمية،بيروت 1998م.

- **الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف):**

36- التعريفات، تح: محمد علي أبو العباس، ط1، دار الطلائع، القاهرة، 2014م.

37- شرح مواقف الإيجي،تح:محمود عمر الدمياطي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت، 1998م

- **الجوهري (إسماعيل بن حماد):**

38- الصحاح، ط1، دار الآفاق، القاهرة، 2017م.

- **حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله):**

39- كشف الظنون، (د.ط) دار الفكر ، بيروت، 1990م.

- **الحلبي (صفي الدين):**

40- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،تح: علي محمد البجاوي،ط1،دار الجيل بيروت، 1992م.

- **الحموي (ياقوت أبو عبدالله):**

41- معجم البلدان،(د.ط)،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،1957م.

- **الحميري (نشوان بن سعيد):**

42- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري،ومن معه دار الفكر المعاصر،بيروت ط1، 1999م.

- **الدندوشي (حسن نمر):**

43- معجم الأبيات الشهيرة، ط1، منشورات جاروس برس، طرابلس لبنان، 1986م.

- **الذهبي (شمس الدين):**

44- سير أعلام النبلاء،تح:شعيب الأرنؤوط وغيره، ط4،مؤسسة الرسالة، بيروت 1986م.

- **الرازي (محمد بن أبي بكر):**

45- مختار الصحاح، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2009م.

- **رضا (أحمد بن إبراهيم العاملي):**

46- معجم متن اللغة، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.

- **الزبيدي (السيد محمد مرتضى):**

47- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، (د.ط)، مطبعة الحكومة الكويت، لجنة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء، 1965م.

- **الزركلي (خير الدين):**

48- الأعلام،ط3، (د.م.ن)، بيروت، 1968م.

- **زيدان (عبد الفتاح قعدان):**

49- المعجم الإسلامي،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،عمان ،ط1، 2012م.

- **الصفدي (صلاح الدين):**

50- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط، (د.ط)، دار إحياء التراث،بيروت، 2000م.

- **عواضة (رضا ديب):**

51- قاموس المترادفات والأضداد، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط/2009م.

- **الفيروز أبادي (مجد الدين):**

52- القاموس المحيط، تح: يوسف الشيخ،ط1،دار الفكر، بيروت، 2014م.

- **الفيومي (أحمد بن محمد):**

53- المصباح المنير، (د.ط)، دار الحديث القاهرة، 2008م.

- **الكتاني (عبد الحي):**

54- فهرس الفهارس والإثبات، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، تونس، (طباعة دار صادر، بيروت) 2011م

- **كحالة (عمر رضا):**

55- معجم المؤلفين،ط1،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م.

- **مجموعة من المؤلفين (إشراف كرم البستاني):**

56- المنجد في اللغة والأعلام، ط31، منشورات دار الشرق، بيروت، 1991م.

- **الميداني (أحمد):**

57- مجمع الأمثال تح:محمد محي الدين عبد الحميد(د.ط)،المكتبة العصرية، بيروت 2003م.

- **نويهض (عادل):**

58- معجم المفسرين، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1988م.

- **يعقوبي (محمود):**

59- معجم الفلسفة، (د.ط)، مكتبة الشركة الجزائرية، 1979م.

ثالثا: الموسوعات

- **ألفا(روني إيلي):**

60- موسوعة أعلام الفلاسفة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1952م.

- **ماردیني (عبد الرحيم):**

61- موسوعة الأديان الحية في العالم،(د.ط)،دار المحبة، دمشق،2008م.

- **مجموعة من المؤلفين (إشراف حتامله محمد عبده):**

62- موسوعة الأندلس والمغرب العربي،ط1، دار المدار الثقافية، البليدة، الجزائر، 2009م.

- **مجموعة من المؤلفين (إشراف حسن أبو الخير):**

63- الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان،ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2011م.

- **مجموعة من المؤلفين الأعاجم(نقله إلى العربية مجموعة من المؤلفين العربي إشراف زكي نجيب محمود):**

64- الموسوعة الفلسفية المختصرة (د.ط)، دار القلم، بيروت، (د.ت).

- **مجموعة من المؤلفين (إشراف عرموش أحمد راتب):**

65- موسوعة الأديان الميسرة،ط4، دار النفائس، بيروت، 2007م.

- **مهنا (عبد الأمير علي وعلي خريس):**

66- جامع الفرق والمذاهب،ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، 1992م.

رابعا: الدوريات والرسائل والأطروحات

- **ابن شريفة (محمد):**

67- ابن خمير السبتي وآثاره، مقال علمي بمجلة دار الحديث الحسينية، العدد10، 1991م المملكة المغربية.

- **ابن عباس (عبد المالك):**

68- المنطق عند ابن حزم بين الأصول الأرسطية والنزعة الظاهرية، أطروحة دكتوراه،بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012م.

- **ابن كتفي (زهير):**

69- الرؤية النقدية عند محيي الدين بن العربي(علم الكلام أنموذجا)، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، 2018م.

- **البختي (جمال علال):**

70- الفكر العقدي بين السلفية والأشعرية، دراسة لإنتاج ابن خمير السبتي ورصد مواقف السلف منه، مقال علمي، في صحيفة التجديد المغربية في 2002/08/08 المملكة المغربية.

71- الموقف من علم الكلام في المغرب والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين موازنة علمية بين موقفي ابن عبد البر الأندلسي وابن خمير السبتي، مقال علمي بمجلة الإبانة العدد المزدوج 2-3 جوان 2015م، المملكة المغربية.

- **عمارة (محمد):**

72- ابن جزي الغرناطي وعرضه للإلهيات، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين الخروبة جامعة الجزائر1، مارس 2005

73- المعجزة الكونية ودلالالتها على الرسالة عند مصطفى صبري،مقال علمي بمجلة الشهاب (مجلة محكمة تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي، الجزائر)، مجلد4، ع2، جوان 2018م.

خامسا: الكتب المطبوعة

- **ابن الآبار (محمد بن عبدالله):**

74- التكملة لكتاب الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني (د.ت)، (مطبوع ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية).

- **ابن الأثير (علي بن محمد، عز الدين):**

75- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح:علي محمد عوض وآخرون،ط3 دار الكتب العلمية بيروت، 2008.

- **ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك):**

76- الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، (د.ت).

- **ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم):**

77- درء تعارف العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، السعودية 1991م.

78- النبوات، تح: عبد العزيز صالح الطوبال، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية 2000م.

- **ابن جزي الغرناطي (علي بن أحمد):**

79- تفسير ابن جزي(التسهيل لعلوم التنزيل)تح:لجنة التراث العربي لدار الكتاب العربي (د.ط) بيروت، 1983م.

80- تقريب الوصول إلى علم الأصول،تح:محمد علي فركوس،ط1،دار التراث الإسلامي الجزائر،1990م.

- **ابن الجوزي (عبد الرحمان بن علي):**

81- صفوة الصفوة، تح: إبراهيم رمضان وسعيد اللخام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1989م.

82- قصص القرآن، تح: عبد السلام علوش، ط1، دار الفكر، بيروت 2003م.

- **ابن الخطيب (لسان الدين):**

83- الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: عبدالله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1956م.

- **ابن خلدون (عبد الرحمان):**

84- المقدمة، (د.ط)، (طبقة بولاق) 1274هـ.

- **ابن خمير السبتي (أحمد بن علي):**

85- تنزيه الأنبياء، تح، أحمد عبد الجليل الزبيبي، ط1، دارابن حزم، بيروت، 2003م/ وتح: رضوان الداية،ط1، دار الفكر بيروت، لبنان 1990،ط2، 2007م، لنفس الدار.

86- **مقدمات المراشد**، تح: جمال علال البختي،ط1، مطبعة الخليج العربي،تطوان، المملكة المغربية، 2004م/ تح: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبت، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

- **ابن عاشور (محمد الطاهر):**

87- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة،ط1، دار السلام للطباعة والنشر،القاهرة، 2007م.

- **ابن العربي (محمد بن عبد الرحمان):**

88- أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا،ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

89- أحكام القرآن لأبن العربي، تح: طه بن علي بوسريح وآخرون، ط1، دار ابن حزم بيروت، 2006م.

- **ابن عساكر الدمشقي (علي بن الحسن):**

90- تبيين كذب المفترين، تح: القدسي، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م.

- **ابن فرحون (إبراهيم بن علي):**

91- الديباج المذهب في أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي، (د.ط)، مكتبة دارالتراث القاهرة، (د.ت)، ص168

- **ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم):**

92- المعارف، تح: محمد إسماعيل عبدالله الصاوي،ط2 دار إحياء التراث العربي، بيروت 1970م.

- **ابن قدامة المقدسي (موفق الدين عبدالله بن أحمد):**

93- روضة الناضر وجنة المناضر،ط1، الدار السلفية، الجزائر،1991م.

- **ابن قربة (صالح):**

94- عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، ط1، طبعة وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

- **ابن هشام (عبد الملك):**

95- السيرة النبوية، تح: عمر عبد السلام تدمري،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت 1990م.

- **أبو نعيم الأصفهاني (أحمد بن عبدالله):**

96- حلية الأولياء، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1357هـ.

- **أحنانة (يوسف):**

97- تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ط2،دار أبي رقراق،المملكة المغربية 2007م.

- **الإدريسي (الشريف):**

98- وصف إفريقيا،(د.ط)، نشر بيريس، الجزائر، 1907م.

- **الألوسي (محمود بن عبدالله):**

99- روح المعاني، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1978م.

- **الآمدي (سيف الدين):**

100- الإحكام في أصول الأحكام، تح: إبراهيم العجوز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1985م.

- **الأنصاري (نظام الدين):**

101- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، (طبع مع المستصفى)، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت)

- **أمين (أحمد بن إبراهيم):**

102- ظهر الإسلام،ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010م.

- **الباحسين (يعقوب بن عبد الوهاب):**

103- طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين،ط2، مكتبة الرشد،الرياض 2001م.

- **الباجوري (إبراهيم محمد بن أحمد):**

104- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تح، علي جمعة محمد الشافعي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، مصر 2002.

- **البختي (جمال علال):**

105- الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري،ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، 2004م.

- **بديوي (يوسف علي):**

106- عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط،ط1،دار الأصالة،الجزائر، 2010م.

- **البسيوني (حامد أحمد الطاهر):**

107- صحيح قصص القرآن، (د.ط)، دار البصائر،الجزائر، 2005م.

- **البغدادي (عبد القاهر بن طاهر):**

108- أصول الإيمان، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2003م.

- **البوطي (محمد سعيد رمضان):**

109- فقه السيرة،(د.ط)،دار الشهاب، باتنة، الجزائر،1985م.

- **التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر):**

110- شرح المقاصد، تح: عبد الرحمان عميرة، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1998م.

- **التمبكتي (أحمد بابا):**

111- نيل الابتهاج بتطريز الديباج،(د.ط)،دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

- **التميمي(منصور بن راشد):**

112- العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة،ط1،مكتبة الرشد،الرياض السعودية 2014م.

- **التهامي (إبراهيم):**

113- جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت 2005م.

114- العقيدة الإسلامية، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

- **تومي (محمد):**

115- نحو سيكولوجية إسلامية (العقد النفسية وموقف الإسلام منها)، (د.ط)، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ت).

- **تيمور (أحمد باشا):**

116- كتاب الحب عند العرب،تح: عبد السلام شهاب،ط1، دار المعارف،تونس،1993م.

- **الجاحظ (عمرو بن بحر):**

117- المحاسن والأضداد، مكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

- **الجراح (عائد راغب):**

118- عبد الرحمان حبنكه المفكر المفسر،زوجي كما عرفته،ط1،دار دمشق،سوريا 2010م

- **جمعية الموحدين (جمع وإعداد عز الدين ميدون):**

119- عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين،ط1، طبعة وزارة الثقافة، الجزائر، 2011م.

- **الجميل(إبراهيم محمد):**

120- أمراض النفوس من منظور إسلامي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م.

- **الجيلالي (عبد الرحمان):**

121- تاريخ الجزائر العام، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

- **حبنكة الميداني (حسن عبد الرحمان):**

122- العقيدة الإسلامية وأسسها، ط11، دارالقلم، دمشق، 2002م.

123- ضوابط المعرفة،ط6، دار القلم، دمشق، 2002م.

- **حكيم (محمد بن عزوز):**

124- سبتة متى وكيف إغتصبتها إسبانيا،(د.ط)،مطبعة الشيوخ، تطوان، المملكة المغربية 1985م

- **الخفاجي (شهاب الدين):**

125- نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض،ط1،دار الكتاب العربي، بيروت 1327هـ.

- **الخن (مصطفى وزميله):**

126- العقيدة الإسلامية،(د.ط)، دار الكلم الطيب، بيروت، 1996م.

- **الدفاع (علي عبدالله):**

127- أعلام العرب والمسلمين في الطب، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

- **الرازي (فخر الدين):**

128- كتاب الأربعين في أصول الدين، تح: أحمد حجازي السقا، ط1، دار الجيل بيروت 2004م.

129- عصمة الأنبياء، تح: مجموعة من العلماء، (د.ط)، دار بإشراف الناشر، (د.ت)

- **الزحيلي (وهبة):**

130- التفسير الوجيز،ط2، دار الفكر، دمشق، 1416هـ.

131- أصول الفقه الإسلامي،ط1، دار الفكر، دمشق 1986م

- **الزرقاني (عبد العظيم):**

132- مناهل العرفان في علوم القرآن،تح:أحمد ابن علي،(د.ط)دار الحديث،القاهرة،2001م

- **سعد (يوسف أبو عزيز):**

133- قصص القرآن، ط2، دار الفجر،القاهرة،2010م

- **محمود (السيد):**

134- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، (د.ط) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،مصر (د. ت).

- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان):**

135- الدر المنثور، (د.ط)، دارالمعرفة، بيروت،(د.ت)

136- أسباب النزول، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (طبع مع المصحف المسفر) إعداد محمد حسن الحمصي.

- **الشاطبي (إبراهيم بن موسى):**

137- كتاب الموافقات، تح: عبدالله دراز (د.ط) (د.ت)، دار المعرفة، بيروت

- **الشامي (صالح أحمد):**

138- تهذيب حلية الألولياء لأبي نعيم الأصفهاني،ط1،المكتب الإسلامي، دمشق، 1998م.

- **الشربيني (عماد السيد):**

139- رد الشبهات حول عصمة النبي محمدﷺ في ضوء القرآن والسنة، ط1، دار اليقين للنشر، المنصورة مصر، 2008.

- **الشنتمري (صنعت الأعلم):**

140- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: فخر الدين قباوة(د.ط)،دار الفكر، دمشق، 2002م.

- **صبري (مصطفى):**

141- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط1، دار الأفاق العربية القاهرة، 2006م.

- **طالبي (عمار):**

142- آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م.

- **الطبري (محمد بن جرير):**

143- تاريخ الأمم والملوك، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت، 1985م

- **طبارة (عفيف):**

144- مع الأنبياء في القرآن الكريم، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)

- **عقيلان (أحمد فرج):**

145- أبطال ومواقف، ط1، دار القبلتين للنشر والتوزيع- السعودية، 2004م.

- **علوش (عبد السلام محمد):**

146- قصص القرآن، ط1، دار الفكر، بيروت، 2003.

- **العمري (محمد نبيل طاهر):**

147- النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة، ط1، مطبعة دار الفتح، الأردن، 2015م.

- **عويضة (كامل محمد محمد):**

148- علم نفس النمو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

- **عبيدات (عبد الكريم نوفان):**

149- الدلالة العقلية في القرآن، ط1، دار النفائس، الأردن، 2000م.

- **العبيدي (حمادي):**

150- مفهوم النبوة،ط1 دار وحي القلم، بيروت، 2004م.

- **غازي (عناية):**

151- أسباب النزول القرآني، ط1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1987م.

- **الغزالي (أبو حامد):**

152- المستصفى، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

- **فاعور (علي حسن):**

153- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى،تح: علي فاعور،ط3،دار الكتب العلمية،بيروت، 2003م.

- **القاضي عياض (موسى بن عياض بن عمر):**

154- الشفا،ط1،تح: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة، ج1-2009م.

155- ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة مذهب مالك، تح: محمد سالم هاشم، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م

- **القحطاني (محمد سليمان):**

156- رحمة للعالمين، (د.ط)، مطبعة السفير، الرياض، (د.ت)

- **القرقوطي (معمر الهادي محمد):**

157- جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005م.

- **القرطبي (محمد بن أحمد):**

158- الجامع لأحكام القرآن،(د.ط)، طبعة دار الشعب، القاهرة، مصر، (د.ت)/تح:سالم مصطفى البدوي،ط2، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م / تح: علي محمد البيجاوي، (د.ط) دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- **القطان (مناع):**

159- مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

- **قلاتي (عبد القادر):**

160- الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط،ط1،دار القلم،دمشق،سوريا 2010م.

- **الماتريدي (أبو منصور):**

161- كتاب التوحيد،تح:بكر طوبال أوغي ومحمد آرشي،(د.ط)،مكتبة الرشاد،أسطنبول (د.ت).

- **المازري (محمد بن علي):**

162- إيضاح المحصول من برهان الأصول، تح: عمار طالبي، ط2، منشورات البونة، عنابة الجزائر، 2008م.

- **الماوردي (علي بن محمد):**

163- أعلام النبوة، تح: سعيد محمد اللحام، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1989م.

164- أدب الدين والدنيا،تح: محمد كريم راجح، ط5، دار إقرأ، بيروت، 1986م.

- **المبارك فوري (صفي الدين):**

165- الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت، (د.ت)

- **مخلوف (محمد):**

166- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،تح:علي عمر،ط1، 2007م.

- **المراكشي (ابن عبد المالك):**

167- الذيل والتكملة،تح:إحسان عباس وآخرون،ط1، دار الغرب الإسلامي،تونس 2012م.

- **المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي):**

168- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح بن الهواري،ط1، المكتبة العصرية بيروت، 2006م.

- **محمود (إبراهيم):**

169- قصص القرآن، ط1، جنا للتوزيع والترجمة، (د.مكان)، 2011م.

- **محمود سعيد (صلاح الدين):**

170- صحيح القصص النبوي، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2013م

171- قصص القرآن،ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2009م.

- **المقري التلمساني (أحمد بن محمد):**

172- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر بيروت،1968م.

173- أزهار الرياض،تح: علي عمر (د.ط)، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011م.

- **مكي (مصطفى):**

174- البحث العلمي آدابه وقواعده ومناهجه،(د.ط)، دار هومة الجزائر، 2013م.

- **النجار (عبد المجيد):**

175- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل،ط3، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا 2000م.

- **هارت (مايكل):**

176- الخالدون المائة، (أعظمهم محمد ﷺ)،(د.ط)، دار الرشاد، قسنطينة،الجزائر، 2009م.

- **الواحدي (علي بن أحمد):**

177- أسباب النزول،تح:السيد الجميري،ط2،دار الكتاب العربي، بيروت،1986م.

- **وزارة الثقافة (إعداد لجنة إحياء التراث):**

178- مصارع العشاق، صدر عن الوزارة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الاهداء	
شكر وعرفان	

✍ الفهارس

مقدمة.....	**أ–ي**
الفصل التمهيدي: التعريف بشخصية ابن خمير	
تمهيد.....	**2**
المبحث الأول: عصر ابن خمير.....	**31–3**
التعريف بمدينة سبتة المغربية.....	**4–3**
المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.....	**16–3**
الفرع الأول: الحالة السياسية.....	**13–5**
أولا: نشأة دولة الموحدين.....	**11–5**
ثانيا: النظام العام لتسيير دولة الموحدين	**13–11**
الفرع الثاني: الحالة الإجتماعية.....	**14–13**
الفرع الأول: الحالة الإقتصادية.....	**16–14**
المطلب الثاني:الحالة الدينية والعلمية.....	**31–16**
الفرع الأول: الحالة الدينية.....	**22–17**
الفرع الثاني: الحالة العلمية.....	**31–22**
أولا: معاصروا ابن خمير.....	**26–23**
ثانيا: العلوم التي برز فيها المغاربة.....	**31–26**
المبحث الثاني: سيرة ابن خمير السبتي.....	**141–32**
المطلب الأول: النشأة الاجتماعية والعلمية لابن خمير	**71–32**

الفرع الأول: ترجمة ابن خمير	33-35
أولا: الاسم والمولد.....	33-34
ثانيا: النشأة الاجتماعية.....	34-35
الفرع الثاني: نشأة ابن خمير العلمية.....	36-72
أولا: تحصيله العلمي.....	36-37
ثانيا: شيوخه.....	37-40
ثالثا: مصادره.....	40-72
رابعا: وفاته.....	72
المطلب الثاني: الآثار والمنزلة العلمية لابن خمير.....	72-140
الفرع الأول: الآثار العلمية	72-82
أولا: تلاميذه.....	72-74
ثانيا: مصنفاته.....	74-83
الفرع الثاني: المنزلة العلمية.....	82-140
أولا: أقوال العلماء فيه.....	83-86
ثانيا: مواقفه.....	86-119
ثالثا: نبوغه.....	120-141
الفصل الأول: مفهوم النبوة وأسسها عند ابن خمير	
تمهيد.....	144
المبحث الأول: مفهوم النبوة.....	145-176

المطلب الأول: تعريف النبوة.....	145-152
الفرع الأول: تعريف النبوة لغة	145-148
الفرع الثاني: تعريف النبوة اصطلاحا.....	149-152
- تعريف ابن خمير للنبوة.....	151
المطلب الثاني: خصائص النبوة.....	152-175
الفرع الأول: الخصائص الشخصية	152-153
أولا: الخصائص الذاتية.....	152
ثانيا: الخصائص الخارجية.....	152-153
الفرع الثاني: الخصائص الوظيفية.....	153-175
أولا: حاجة البشرية للنبوة.....	153-163
ثانيا: مهام النبوة.....	163-175
المبحث الثاني: أسس النبوة وموقف ابن خمير منها.....	176-215
المطلب الأول: أسس النبوة قبل البعثة.....	177-

	197
الفرع الأول: الاصطفاء	177-184
أولا: تعريف الاصطفاء لغة واصطلاحا.....	177-178
- تعريف ابن خمير للاصطفاء.....	178
ثانيا: مراحل الاصطفاء.....	179
أ- قبل الميلاد.....	179
ب- بعد الميلاد.....	179-181
ثالثا: رد ابن خمير على القائلين بأن النبوة كسب.....	181-184
الفرع الثاني: الصفات	185-197
1- الفطانة (تعريفها لغة واصطلاحا).....	186-188
2- الأمانة.....	189-192
3- الصدق.....	192-196
4- التبليغ.....	196-197
المطلب الثاني: أسس النبوة بعد البعثة.....	198-

	214
الفرع الأول: الوحي	198-209
أولا: تعريف الوحي لغة واصطلاحا.....	198
- تعريف ابن خمير للوحي.....	198-202
ثانيا: طرق الوحي.....	202-208
ثالثا: أنواع الوحي.....	208-209
الفرع الثاني: المعجزة	209-214
أولا: تعريف المعجزة لغة واصطلاحا.....	209-210
- تعريف ابن خمير للمعجزة.....	210-211
ثانيا: أنواع المعجزة.....	212-215
الفصل الثاني: مفهوم العصمة ومجالها عند ابن خمير	
تمهيد.....	217
المبحث الأول: مفهوم العصمة.....	217-230
المطلب الأول: تعريف العصمة.....	218-

	223
الفرع الأول: التعريف اللغوي	218- 221
- فروق ابن خمير للعصمة والألفاظ التي تدور حولها.....	220- 221
الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي	221- 223
- تعريف العلماء للعصمة.....	221- 223
- تعريف ابن خمير للعصمة.....	223
الفرع الثالث: العلاقة بين التعريفين.....	223- 224
المطلب الثاني: خصائص العصمة وعلاقتها بلفظي (الأمانة والتنزيه).....	224- 230
الفرع الأول: خصائص العصمة	224- 226
الفرع الثاني: علاقة العصمة بلفظي (الأمانة والتنزيه)	226- 230
أولا: تعريف الأمانة لغة واصطلاحا.....	226
ثانيا: تعريف التنزيه لغة واصطلاحا.....	227
ثالثا: بيان العلاقة بين العصمة والتنزيه والأمانة.....	228- 230
المبحث الثاني: مجال	231-

العصمة.....	**293**
المطلب الأول: المجال الزمني.....	**231-248**
الفرع الأول: العصمة قبل النبوة	**231-241**
أولا: القائلون بعدم العصمة قبل النبوة ودليلهم.....	**232-235**
ثانيا: القائلون بالعصمة قبل النبوة ودليلهم.....	**235-238**
ثالثا: الرد على أدلة القائلين بعدم العصمة قبل النبوة.....	**238-241**
الفرع الثاني: العصمة بعد النبوة	**241-244**
الفرع الثالث: موقف ابن خمير من الفريقين	**244-248**
المطلب الثاني: المجال الفعلي.....	**248-249**
الفرع الأول: مسألة الكبائر	**249-251**
- تعريف الكبيرة في الاصطلاح وعند ابن خمير.....	**249-251**
الفرع الثاني: مسألة الصغائر	**251-267**

- تعريف ابن خمير للصغيرة.....	252
أولا: الفريق الأول المجوزون عليهم الصغائر وأدلتهم.....	252-254
ثانيا: القائلون باستحالة الصغائر وأدلتهم.....	254-258
ثالثا: موقف ابن خمير من الفريقين.....	258-261
الفرع الثالث: الأعراض البشرية	267-292
القسم الأول: الأعراض الظاهرة.....	270-281
القسم الثاني: الأعراض الباطنة.....	281-292
الفصل الثالث: أنواع العصمة عند ابن خمير ورده على الشبهات المثارة حولها	
تمهيد.....	295
المبحث الأول: العصمة الخاصة بشخصيتهم.....	298-433
المطلب الأول: عصمة الباطن.....	298-414
الفرع الأول: ما يتعلق بالاعتقاد.....	300-333
أولا: الأدلة على عصمتهم من الإعتقاد المنحرف.....	300-308

ثانيا: الشبهات الواردة في الإعتقاد ورد ابن خمير عليها.....	308-333
الفرع الثاني: ما يتعلق بالأخلاق النفسية.....	333-414
أولا: الأدلة على عصمتهم في الأخلاق النفسية.....	333-345
ثانيا: الشبهات الواردة في عصمتهم في الأخلاق النفسية ورد ابن خمير عليها.....	346-414
المطلب الثاني: عصمة الظاهر.....	414-416
الفرع الأول: ما يتعلق بالأقوال.....	416-428
أولا: الأدلة على عصمتهم في الأقوال.....	416-422
ثانيا: الشبهات الواردة في عصمتهم في الأقوال ورد ابن خمير عليها.....	422-428
الفرع الثاني: ما يتعلق بالأفعال.....	428-433
أولا: الأدلة على عصمتهم في الأفعال.....	428-432
ثانيا: الشبهات الواردة في عصمتهم في الأفعال ورد ابن خمير عليها.....	432-433
المبحث الثاني: العصمة الخاصة بالرسالة.....	434-455

المطلب الأول: ما يتعلق بالتبليغ.....	434-443
أولا: الأدلة على عصمتهم في التبليغ.....	434-440
ثانيا: الشبهات الواردة في عصمتهم في التبليغ ورد ابن خمير عليها.....	441-443
المطلب الثاني: ما يتعلق بالفتوى والاجتهاد.....	443-453
أولا: الأدلة على عصمتهم في الفتوى والاجتهاد.....	443-451
ثانيا: الشبهات الواردة في عصمتهم في الفتوى والاجتهاد ورد ابن خمير عليها.....	451-453
الفصل الرابع: طرق إثبات النبوة والعصمة	
تمهيد.....	456
المبحث الأول: طرق إثبات النبوة.....	458-459
المطلب الأول: طريق المعجزة.....	459-469
أولا: شروط المعجزة.....	464-467
ثانيا: وجه دلالة المعجزة على إثبات النبوة.....	467-469
المطلب الثاني: طريق الخبر.....	469-

	488
1- موقف ابن خمير من نبوة العزير.....	473- 478
2- موقف ابن خمير من نبوة الأسباط.....	478- 488
المبحث الثاني: طرق إثبات العصمة.....	489- 499
المطلب الأول: الطريق العقلي.....	489- 493
المطلب الثاني: الطريق النقلي.....	493- 497
الخاتمة.....	501- 506
الفهارس	
فهرس الآيات.....	508- 522
فهرس الأحاديث.....	523- 527
فهرس المصادر والمراجع.....	528- 547
فهرس المحتويات.....	548- 555
ملخص البحث (عربية وإنجليزية).....	556-

558	

ملخص

ملخص البحث

موضوع هذه الأطروحة تناول أربعة مسائل أساسية طرحها ابن خمير في ثنايا مصنفاته الأولى تتعلق بمفهوم النبوة وأسسها، حيث بين أن النبوة عبارة عن نيابه المرسل عن ربه في تبليغ أحكامه للناس،وترتكز النبوة على أربعة أسس هي: الاصطفاء باعتباره اختيار من الله تعالى دون كسب منه، والثانية الصفات الأساسية للنبي ﷺوذلك لتمييزه عن بقية الناس للإقتداء به باعتباره النموذج الإنساني، والثالث الوحي وهي العلاقة التي تربطه مع ربه، والرابعة وهي المعجزة لإثبات صدقه.

والمسألة الثانية تتمثل في مفهوم العصمة ومجالها حيث بين ابن خمير أن العصمة صفة أساسية للنبي ﷺ، وأنها عبارة عن منع الله تعالى نبيه من ارتكاب المعاصي؛ لأنه محل اقتداء، وأن مجالها الزمني يستغرق من الميلاد إلى الوفاة، وأما الفعلي فإنه يستغرق كل المعاصي الكبائر والصغائر، واستثنى ابن خمير الأعراض البشرية العادية التي لا تقدح في عصمتهم، ولا تخل بمقام نبوتهم.

والمسألة الثالثة تتمثل في أنواع العصمة ورد ابن خمير على الشبهات المثارة حولها، وهي على قسمين الأول ما يخص شخصية النبيﷺ ،وهي على نوعين الأول ما تعلق بالباطن وتتمثل في الاعتقاد والأخلاق النفسية ،وقد رد ابن خمير على الشبهات في هذا القسم، وأما القسم الثاني ما يخص الرسالة، وهي على نوعين الأول ما تعلق بالتبليغ، والثاني ما تعلق بالاجتهاد والفتوى، وقد رد ابن خمير على الشبهات التي أثيرت حول هذا القسم.

والمسألة الرابعة وهي طرق إثبات النبوة والعصمة حيث سلك ابن خمير طريقين في إثبات النبوة الأول تمثل في المعجزة باعتبارها أقوى طرق الإثبات، والثانية الخبر المتواتر كالقرآن الكريم الذي أخبر عن الأنبياء السابقين، وأما طرق إثبات العصمة فقد عدها إثنان الأول عقلي ويعتمد على المعجزة، وهو عصمتهم فيما يناقض مدلول المعجزة وهو الكذب، فإذا ثبتت المعجزة دلت

على صدقهم وإنتفى عكسه وهو الكذب ومنه إثبات عصمتهم منه ومن غيره مما لا يليق بمقامهم كالمعاصي عموما، والطريق الثاني نقلي والمتمثل في الإجماع المتواتر الذي نقله علماء الأمة على إثبات عصمتهم.

وبذلك يكون ابن خمير قد أعطى مفهوما للنبوة وأسسها، والعصمة وأنواعها، ورد على الشبهات التي أثيرت حول عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وانتهى إلى إثبات النبوة والعصمة معا.

Abstract:

The topic of this thesis encompasses four focal issues discussed by IBN KHAMIR in his resources

The first deals with the prophecy and its essentials where he clarifies that it describes how the messenger as a representative from Allah to convey its message to people and it has four main pillars: purification ;the second one the distinguished features of the prophet Mohammed PBUH because he is the role model of all people.

The second issue is inerrancy and its spectrum when IbnKhamir attribute it to the prophet Mohammed PBUH which means that Allah protect the prophet from committing sins because he is distinguished and its timeline lasts from birth to death but the reallasts all sins and big sins and minor wrong doings and IbnKhamir except the normal human actions which does not distort their inerrancy and their position

Concerning the third issue of the inerrancy kinds where IbnKhamir respond to its controversies and grouped into two groups when the first specialized in the personality of the prophet with its deep personality embodied in belief, and morals and the second deals with the message and its transmission and Ijtihad and Fatwa parts.

The fourth issue raised here is the ways of proving the prophecy and inerrancy where Ibn Khamir follows two methods to prove prophecy because it is the strongest in persuasion and the second is the sayings that comes to us from generations like Holy Quran that tells us the news of predecessors. The ways of approving the inerrancy through mind compared to the concept of lying if its well shown they are true messengers.

In this sense,we reach the conclusion that Ibn Khamir provides the concept of prophecy and its basics ,then responds to the controversies that raised over the inerrancy of messengers and reaches the how to prove the prophecy and inerrancy altogether.